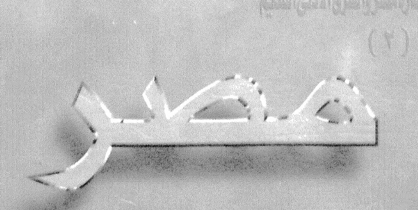
دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم

(٢)



مصر

منذ عصر التأسيس وحتى بداية عصر الدولة الحديثة

الأستاذ الدكتور
أحمد أمين سليم
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الأستاذ الدكتور
سوزان عباس عبد اللطيف
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية التربية - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

دراسات فى تاريخ وحضارة مصر والشرق الادنى القديم

(٢)

مصـــــر

منذ بداية عصر التأسيس وحتى بداية عصر الدولة الحديثة

الأستاذ الدكتور
احمد امين سليم
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الأستاذ الدكتور
سوزان عباس عبد اللطيف
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية التربية - جامعة الاسكندرية

٢٠٠٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - ت ٥٩٧٣١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

«ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا واليك المصير»

صدق الله العظيم

إهــداء

إلى قرة العين وبهجة القلب

ولدينا شيرين ومحمد

منحهما الله الصحة والعافية والتوفيق

الفصل الأول
دراسات تمهيدية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد.

فنحمدك يا ربنا حمداً كثيراً ونشكرك على نعمائك وفضلك وكرمك الذى اصبغته علينا، ونرجو أن يحقق هذا المؤلف بعض النفع لدارسى تايخ مصر القديم.

ولقد حاولنا فى هذا المؤلف أن نقدم التطور التاريخي لمصر القديمة منذ توحيد البلاد فى بداية العصور التاريخية وحتى بداية عصر الدولة الحديثة، وذلك فى ضوء الدراسات التاريخية والبحوث الأثرية الحديثة.

ولقد قسمنا هذا المؤلف إلى سبعة فصول رئيسية، خصصنا الأول منها للدراسات التمهيدية، وتناولنا فيه ثلاثة موضوعات رئيسية، يتصل الأول منها بأثر البيئة المصرية والانسان المصرى فى التطور السياسى والحضارى لمصر القديمة والثانى بالاسماء التى أطلقت على مصر والمصريين والثالث بدراسة تطور الاهتمام بتاريخ مصر وآثارها، ولقد قام بكتابة هذا الفصل أ.د. أحمد أمين سليم.

ويتناول الفصل الثانى مصادر التاريخ المصرى القديم وهى الآثار المصرية، وما كتبه الرحالة والمؤرخين اليونان والرومان الذين زاروا مصر وكتبوا عنها، والمصادر المعاصرة فى منطقة الشرق الأدنى القديم وأخيراً ما جاء فى الكتب المقدسة عن مصر، وقام بكتابة هذا الفصل أ.د. سوزان عباس عبد اللطيف.

أما الفصل الثالث فلقد خصص لدراسة عصر الأسرتين الأولى والثانية،

وتناولنا فيه أربعة موضوعات رئيسية، يتصل الأول منها بتسمية هذا العصر، والثانى التحديد الزمنى له، والثالث الكيان السياسى الداخلى فى عصر الأسرتين الأولى والثانية، والرابع بسياسة مصر الخارجية فى عصر الأسرتين الأولى والثانية، ولقد قام أ.د. أحمد أمين سليم بكتابة الموضوعات الثلاث الأول، بينما قامت أ.د. سوزان عباس عبد اللطيف بكتابة الموضوع الرابع.

ويتناول الفصل الرابع عصر الدولة القديمة (عصر بناة الأهرام)، ولقد قسمناه إلى موضوعين رئيسيين يتصل الأول منهما بسياسة مصر الداخلية خلال هذه المرحلة وقام بكتابة هذا الجزء أ.د. أحمد أمين سليم، والآخر بسياسة مصر مع العالم الخارجى خلال عصر الدولة القديمة، وقام بكتابة هذا الجزء أ.د. سوزان عباس عبد اللطيف.

ويتصل الفصل الخامس من الكتاب بعصر الثورة الاجتماعية الأولى، وتناولنا فيه ثلاثة موضوعات رئيسية يتصل الأول منها بالأسباب التى أدت إلى قيام الثورة وقام بكتابته أ.د. سوزان عباس عبد اللطيف، والثانى بالاحوال السياسية والفكرية خلال هذه المرحلة، وقام بكتابته أ.د. أحمد أمين سليم والثالث يتصل بأهم النتائج التى ترتبت على قيام الثورة الاجتماعية الأولى وقام بكتابته أ.د. سوزان عباس عبد اللطيف.

ويتناول الفصل السادس عصر الدولة الوسطي، وتناولنا فيه سياسة مصر الداخلية والخارجية خلال هذه المرحلة، وقام بكتابة هذا الفصل أ.د. سوزان عباس عبد اللطيف.

ويتصل الفصل السابع والأخير بدراسة التطور السياسى لمصر خلال العصر المتوسط الثانى، وتناولنا فيه أحوال مصر السياسية خلال عصر الأسرة الثالثة عشرة، والأسرة الرابعة عشرة، ثم دراسة مرحلة تواجد الهكسوس فى مصر،

وقيام الأسرة السابعة عشرة وجهودها فى حرب التحرير إلى أن تمكنت مصر من طردهم وبدء عصر جديد فى تاريخها هو عصر الدولة الحديثة، وقام بكتابة هذا الجزء أ.د. سوزان عباس عبد اللطيف.

ولا يسعنا فى نهاية هذا التقديم إلا أن ندعوا الله مخلصين أن نكون قد وفقنا فيما هدفنا إليه من تقديم صفحات مضيئة مشرقة من تاريخ مصرنا الحبيبة حفظها الله وصانها وحماها، وحفظ وصان وحمى ابناءها إنه سميع مجيب، وعلى الله قصد السبيل، وخير ما نختم به هذا التقديم قوله جل من علا فى سورة البقرة آية ٢٨٦.

«ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وأرحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»

صدق الله العظيم

٢٤ رمضان ١٤٢٠هـ

الأول من يناير ٢٠٠٠م

دراسات تمهيدية

١- البيئة والانسان في مصر القديمة:

تعتمد الحياة فى مصر منذ فجر تاريخها على نهر النيل الذى جذب الإنسان المصرى للعيش فى سهوله منذ مرحلة العصر الحجرى القديم الأعلى، نظراً لانسحاب الأمطار وقلتها، فلقد كان الانسان يعيش خلال المراحل السابقة أثناء العصر الحجرى القديم الاسفل والعصر الحجرى القديم الأوسط فى المنطقة الصحراوية التى تقع موازيه لسهول وادى النيل شرقا وغربا بسبب وجود الامطار فى هذه المنطقة، وعلى ذلك فان آثار الانسان خلال هاتين المرحلتين تتركز على سطح الهضبتين الشرقية والغربية أما المواقع المتعلقة بحضارة العصر الحجرى القديم الأعلى فقد أخذت تتركز فى الجهات التى يتوفر فيها الماء نظراً لإزدياد الجفاف وانتشار الصحراء خلال هذه المرحلة الحضارية، أما فى العصر الحجرى المتوسط، فلقد اتجه الإنسان المصرى تجاه المدرجات النهرية وراء المياه.

وفى العصر الحجرى الحديث عاش الانسان المصرى فى المناطق الواقعة على حواف وادى النيل مثل منخفض الفيوم ومرمدة بنى سلامه وحلوان العمرى والواحة الخارجة، وربما قد يشير ذلك إلى أن وادى النيل نفسه لم يكن بيئة جذابه ليسكنها الإنسان خلال هذه المرحلة، وذلك نظراً لان وادى النيل كان كثير المستنقعات والأعشاب، علاوة على أن النهر لم يكن قد تمكن بعد من أن يتم حفر مجراه، وفى نفس الوقت فإن حالة الصحراء المناخية لم تكن من الجفاف بحيث تدفع الانسان إلى الهبوط إلى المجرى، ومن ثم فلم يكن هناك داع يجبر الانسان على العيش فى وسط المستنقعات فى الوقت الذى وجد أمامه فرصة الاختيار

للعيش فى مناطق واسعة تسقط عليها كمية من الامطار تكفى لقيام حياة نباتية وحيوانية تمكن الإنسان من العيش عليها فى نوع من السهولة واليسر.

ومع نهاية العصر الحجرى الحديث، اتجه المناخ نحو الجفاف التدريجى، مما اضطر معه الانسان إلى أن يهبط إلى جانب النهر، وكان فى هبوطه هذا شديد التردد ومما قد يشير إلى هذا التردد أنه اكتفى بالسكن على حافتى الهضبة على مسافة كافية من وادى النيل حتى يكون بعيداً عن غائله الفيضان، ولم يستقر بجانب النهر الا حينما أصبح قادراً على ضبط مجراه وذلك منذ عصر ما قبل الاسرات وبداية العصور التاريخية.(١)

وواجهت الإنسان المصرى القديم مصاعب بيئية شديدة عند نزوله إلى وادى النيل، وتمثلت هذه المصاعب فى وجود المستنقعات المليئة بالمياه والنباتات البرية التى تعيش فيها العديد من الحيوانات، وكان على الإنسان المصرى مواجهه هذه المصاعب ليتمكن من الحياة فى هذه المنطقة، ولقد كان عند حسن الظن به، فتمكن من تهيئة مجرى النيل وتجفيف المستنقعات واستئناس الحيوان وأعد الأرض وجهزها للعمل الزراعى، مما أدى إلى حدوث تطورات حضارية وسياسية متتالية فى هذا الجزء من وادى النيل الأدنى.

ومنذ ذلك الوقت اعتمدت الحياة فى مصر على نهر النيل، الذى يعتبر من أحدث الظاهرات الطبيعية الهامة فى مورفولوجية مصر، إن لم يكن أحدثها بالفعل، وهو يعتبر من أحدث أنهار إفريقيا جغرافيا.(٢) ولم ينشأ النيل دفعة واحدة كنظام نهرى واحد، وإنما تكون أصلا من مجموعة من النظم النهرية الإقليمية، بدأ كل منها منفصلا مستقلا عن الباقى، وربما فى عصور جيولوجية

(١) يسري عبد الرازق الجوهري: «مصر في رحلة الزمن من الماضي إلي الحاضر»، في مجلد جغرافية مصر، المجلس الاعلي للثقافة، لجنة الجغرافيا، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٥.
(٢) محمد عوض محمد: نهر النيل، القاهرة، ١٩٤٨، ص١٤٢.

وظروف طبيعية مختلفة كذلك، ثم اتصلت تلك النظم ببعضها البعض وتلاحمت وتوحدت فى نظام نهرى واحد مركب بالغ الضخامة كما هو شديد الخصوصية، بحيث لا يكاد يدانيه نهر فى اتساعه وابعاده.[1]

ولقد بدأ نهر النيل فى مصر منذ عصر الميوسين بنهر مصرى بحت أو مصرى - نوبى على الأكثر، ولم يتصل بالمنابع الحبشية وغير الحبشية حتى عصر البلايستوسين، ومنذ أن اتصل النيل بالمنابع الحبشية أخذ الغرين يتدفق مع الماء ثم يترسب فى قاع النهر وينتشر على سطح الوادى فى غشاء سنوى رقيق للغاية يرفع مستوى القاع والوادى بشكل مطرد. وأدى ذلك إلى زيادة حجم الوادى مع الوقت طولا وعرضا وارتفاعا. ولم يكن معدل الاتساع واحداً فى كل القطاعات بالصعيد، فنظراً لأن شمال الصعيد أقل وعورة وأكثر سهولة وانبساطاً من جنوبه، كما ان انحدار الهضبتين فى الشمال اكثر تدرجا منه فى الجنوب، فإن اتساع السهل الفيضى فى شمال الصعيد كان اكبر وأسرع نسبيا عنه فى الجنوب.

وترتب على استمرار الفيضان ثلاث نتائج رئيسية: **الأولى**، أن مجمل مساحة الوادى لم تكن ذات قيمة ثابتة طوال التاريخ بل كانت تتغير وتتطور فى اتجاه الزيادة **والثانية**، كان اتساع ومساحة الوادى فى العصور القديمة أقل مما هى عليه الآن **والثالثة**، انه لم تكن القيم النسبية لمساحات كل من الصعيد والدلتا ولا لقطاعاتهما المختلفة ثابتة جامدة طوال التاريخ، وإنما كانت فى تغير ولو طفيف.[2]

ولقد مثلت فروع الدلتا درجة كبيرة من التغيرات، فلقد كانت شبكة فروع

---

(١) جمال حمدان: شخصية مصر، ج١، ص١٢٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص١٧٩

الدلتا فى حالة تغير وتطور طوال العصور، إلا أنه يلاحظ أن المصادر التاريخية التى أشارت إلى فروع الدلتا سواء كانت المصادر الكلاسيكية مثل هيرودوت وبطليموس وديودور الصقلى وسترابون وكذلك الكتاب العرب لا تتفق مع بعضها حول فروع الدلتا وأسمائها بل أنها تتضارب كثيراً[1]. فلقد ذكر هيرودوت أن أفرع الدلتا تتكون من ثلاثة رئيسية، وأربعة ثانوية تتفرع من هذه الثلاثة الرئيسية، أما استرابو فلقد ذكر أيضا أنه كان يجرى فى الدلتا سبعة أفرع، أتفق مع هيرودوت فى أربعة منها، بينما اختلف معه فى ثلاثة، فى أسمائها ومصادرها، ويذكر بطليموس فى جغرافيته أنه كان للدلتا ستة فروع وتسعة مصبات، وكان من هذه المصبات ما حفره الانسان، كما ينفرد بذكره للفرع البوطى الذى يمتد من الغرب إلى الشرق موازيا للساحل وهو يصل بين كل فروع الدلتا.

ولقد اعتبر المصرى القديم أن النيل آت من الظلمات، وفى موضع آخر اعتبره مولوداً من رع، وفيما يتصل بمنابع النيل، فلقد ذكر هيرودوت فى ذلك ما يلى:(٢)

«وفيما يتعلق بمنابع النيل،فلم يفخر أحد من المصريين أو الليبيين أو اليونانيين الذين تحدثوا إلىّ بأنه يعرف عنها شيئا، ما عدا مسجل الخزائن المقدسة للمعبودة أثينا بمدينة سايس فى مصر، وقد بدا لى أنه يمزح حينما

---

(١) ذكر أ. د. جمال حمدان أن كلا من عمر طوسون وجون بول قد حاولا التحقق والتنسيق بين الروايات المتعددة حول أفرع الدلتا، وذلك اعتماد علي اسماء المدن والأماكن القديمة، والوحدات الادارية، وذلك في:

O. Toussoun, "Memoire sur les anciennes branches du Nil: in MPIE., 4, 1922, pp. 1- 60.,

J. Ball, Egypt in the classical geographers, Cairo, 1942, pp. 17-176.

جمال حمدان، المرجع السابق، ص١٨٩.

(٢) Herodotus, The Histories, translated with an introdouction by Aubrey de Sélincourt, Penguin Books, 1971, II, 28 (p. 112).

أدعى أنه يعرف الحقيقة تمام المعرفة، وهذا ما قاله: يوجد بين مدينتى «سوينى» فى طيبة و«اليفنتين» تلان ينتهيان بقلتين مدببتين، إحداهما يسمى «كروفى» والآخر «موفى»[1]، ومن بين هذين التلين تنفجر منابع النيل وهى ذات عمق سحيق، وينساب نصف الماء نحو مصر فى اتجاه الرياح الشمالية، والنصف الآخر نحو الحبشة فى اتجاه الرياح الجنوبية».

ويتضح من رواية هيرودوت ان المصريين لم يسمحوا لأحد بالتوسع فى مباحث عن ينابيع النيل، كما أنهم لم يسجلوا شيئاً عن ذلك، وربما كان الدافع وراء ذلك دافعا دينيا، حيث كانوا يؤمنون بأن النيل فيض من البركات الإلهية اختصت بها مصر وجعلته إلى الأبد مصدر الرفاهية والسعة لاهل مصر.

واختلف الباحثون حول تسمية «النيل» فمنهم من رأى أن هذه التسمية قد وردت فى الديموطيقية ك «ن - ال - و» وذلك على اساس أن حرف «النون» أداة تعريف للجمع المذكر و«ال» معناها «النهر» وحرف «و» علامة الجمع.

بينما هناك من يرى أن الكلمة مأخوذة من كلمة «ننو» أو «نينو» وذلك على اعتبار ان النون الثانية تقلب فى العربية «ل» وعلى ذلك فإنها تصبح «نيلو». ومن هذه الكلمة «نيلو» اشتقت الكلمة اليونانية "Nilos" ومنها جاءت كلمة «النيل»، وإن كان هناك من يرى أن كلمة «النيل» كلمة عربية مشتقة من «نال» وذلك على اعتبار أن النيل «نوال من السماء» [2] ولقد وحد المصريون النيل بالمعبود حعبى.[3]

---

(١) قد تؤدي كلمة «كروفي» المعني «ردئ»، أما كلمة «موفي» فقد تؤدي معني «طيب».
انظر: هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمه محمد صقر خفاجه، قدم لها وشرحها أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٠٣ حاشية ٢.

(٢) انطون ذكري: النيل في عهد الفراعنة والعرب، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٨-٣٣.

(٣) LÄ, IV, 480.

ولقد كانت أيام الفيضان، وما زالت، أيام قلق بالنسبة للمصرى، فهو يترقب وصول فيضه ويحسب بدقه ارتفاعه وانخفاضه ليتخذ من الإجراءات ما يناسب كل حالة، ومن أجل هذا كان فيضان النيل منذ أقدم العصور محلاً لرقابة شديدة محكمة.

فمنذ بداية عصر الاسرات المصرية، اهتم ملوك مصر بتسجيل ارتفاعات النيل، وذلك عن طريق إقامة مقاييس للنيل على امتداد النهر، وعرف المصريون القدماء أن مياه النيل تنقل كل عام كميات من الطمى النقى الذى يمنح الأرض الخصوبة، وعلى ذلك فلقد عملوا على توصيل هذه المياه بمحتوياتها من الطمى إلى جميع الجهات حيث تزداد خصوبة جميع الأراضى المحيطة بالنهر، كما قام العديد من ملوك مصر بإنشاء وشق الترع والقنوات لتحقيق أقصى استفاده من مياه النيل.

وكان حسن التصرف فى المياه وعدم الإضرار بالترع والقنوات من الأمور الهامة عند المصرى القديم، حيث كان يتباهى حكام الأقاليم بحسن تصرفهم فى المياه كما ورد فى كتاب الموتى: «إنى لم أقطع قناة فى ممرها، ولم أخالف نظام الرى، ولم أتلف الأراضى الزراعية».

أما بالنسبة للإنسان المصرى، فلقد كان المصريون منذ أواخر العصر الحجرى القديم الأعلى فرعا من سلالات البحر المتوسط الجنوبية، مع اختلافات محلية بين سكان أطراف الصعيد وأطراف الدلتا، وبين سكان حواف الصحراء الشرقية وسكان حواف الصحراء الغربية، وهى اختلافات ترتبت على فوارق البيئات المحلية، وعلى مدى اختلاط أهل الأطراف والحواف بجيرانهم الأسيويين من ناحية والإفريقيين من ناحية أخرى، سواء بالنسبة إلى من عرفوا اصطلاحا باسم «اصحاب اللهجات السامية» وانتشروا بملامحهم الإقليمية فى شمال شبه

الجزيرة العربية ونواحى الشام وبادية العراق واتصلوا بمصر عن طريق شبه جزيرة سيناء وخليج السويس، وربما أيضا عن طريق البحر الأحمر، أو بالنسبة إلى من عرفوا اصطلاحا باسم «أصحاب اللهجات الحامية» والذين انتشروا بخصائصهم الإقليمية فى المناطق الليبية وفى نواحى النوبة وأراضى البجا والصومال.(١)

ولقد غطت سلالة البحر المتوسط مصر وشمال افريقيا وبلاد الشام وشمال الجزيرة العربية، وفى أثناء العصر المطير كانت كثافة السكان مخلخلة جداً، وكانت الحركة والهجرة والترحل ظاهرة دائمة، ومن ثم فإن الاختلاط الجنسى كان أساسيا ولا يوجد مجال لعزله أو نقاوة ما، ومع عصر الجفاف تجمعت كل مجموعة من هؤلاء السكان فى رقعة محدودة، ومعنى هذا أنه حدث «تقطع» فى الغطاء القديم المتجانس جنسيا إلى عدة رقع متباعدة جغرافيا، ولكنها تظل متجانسة جنسيا، وعلى ذلك فشعوب المنطقة العربية - قبل العرب والاسلام - هم اساسا وأصلا أقارب انفصلوا جغرافيا، ابتداء من العراق إلى الشام إلى الجزيرة العربية ومن مصر إلى المغرب أو السودان، والتوطن المحلى والمؤثرات الداخلية الموضعية والتزاوج الداخلى الذى حدث بعد ذلك، لا يمكن أن يُنتج أكثر من ابتعادات محلية ضئيلة لا تغير من وحدة الاصل الدموى وتجانس العرق، وإن تطورت اللغات والألسن.(٢)

ولقد عثر فى منطقة حوض كوم امبو على بقايا من عظام السكان، وهى ترجع إلى العصر الحجرى القديم الأعلى، واستمرت هذه السلالة خلال العصر الحجرى الحديث، حيث يتضح من الهياكل العظمية التى ترجع إلى هذه المرحلة أن السكان فى الشمال كانوا من سلالة البحر المتوسط التى تمتاز باستطالة الرأس واعتدال القامة، وأما فى الصعيد فقد كان السكان من السلالة ذاتها، ولكنهم

---

(١) عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، جـ١، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٢.
(٢) جمال حمدان: شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، كتاب الهلال، مايو ١٩٩٣، ص٢٨٢.

امتازوا أيضا باستعراض الوجه نوعا ما، وقوة الفك، وبروز عظام الحاجب.

واحتفظ سكان مصر بصفاتهم الجسمية التى ربطتهم بسكان غرب آسيا طوال العصور الفرعونية، وعندما دخلت مصر فى سيطرة البطالمة والرومان لم يحدث تغير فى صفات السكان الجنسية، وعندما حدث الفتح العربى لمصر نزحت عناصر جديدة من القبائل العربية وكان أكثر هذه القبائل من العدنانيين (عرب الشمال) وقلة من القحطانيين (عرب الجنوب)، وعلى ذلك فلم يترتب على نزوح القبائل العربية تغيير فى صفات السكان الجنسية، لان العناصر الجديدة كانت متشابهة فى صفاتها العامة مع سكان مصر، وكان كلاهما يرجع منذ بداية العصور الحجرية إلى جنس واحد وهو سلالة البحر المتوسط، وعلى ذلك فإن ما حدث فى العهد العربى إنما يعد تسجيلا وابرازا لما هناك من صلات سبقت العصور التاريخية، وزادتها الثقافة العربية والإسلامية المشتركة ظهوراً وتوكيدا.[١]

وعندما جاء الاتراك مصر، لم يتركوا أثراً ذا بال، حيث بقى أثرهم محصوراً فى مناطق وطبقات خاصة من السكان، ولم يستطع الاتراك أن يغيروا معالم التكوين الجنسى للسكان، ولا سيما فى البيئات الريفية فى الصعيد والدلتا. وعلى ذلك فلم يكن هناك تغيير ملحوظ فى مظهر الغالبية العظمى من المصريين، حتى أصبح من العسير التفرقة بين تقاطيع وجوه التماثيل فى مصر القديمة، وملامح وجوه كثير من الفلاحين المصريين اليوم.

ولقد كتبت اللغة المصرية القديمة بخطوط أربع هى: الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية والقبطية، وهى خطوط لم تظهر كلها فى وقت واحد وإنما جاءت فى إطار تتابع زمنى يعبر عن الامتداد الزمنى الطويل الذى عاشته

---

(١) سليمان حزين: «البيئة والانسان والحضارة في وادي النيل الأدنى» مجلد تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعوني، المجلد الأول، ص٢٨-٣٠.

اللغة المصرية القديمة، ويعبر فى نفس الوقت عن النضج الفكرى للإنسان المصرى القديم والذى أدرك أن متطلبات الحياة قد تتطلب بين الحين والحين أن تكون بينها وبين الأداة المعبره عن اللغة وهى الكتابة قوائم وتناسق، ولأن الخط الهيروغليفى، هو أقدم الخطوط المصرية واطولها عمراً واكثرها وضوحا وجمالا، فقد لجأ المصرى فى بعض المراحل الزمنية إلى تبسيطة، وتمثل فى الخط الهيراطيقي ثم لجأ إلي تبسيط آخر في مرحلة تالية، وتمثل ذلك في الخط الديموطيقى، الأمر الذى يعنى أن هناك علاقة خطيه واضحة بين الخطوط الثلاث. أما الخط الرابع، وهو الخط القبطى فقد كتب بالأبجدية اليونانية مضافا إليه سبع علامات من الكتابة المصرية القديمة لم يتوفر نطقها فى العلامات اليونانية.

وتعتبر القبطية الصدى الأخير للغة المصرية القديمة، وتتميز باستخدام حروف الحركة لأول مرة فى خط من خطوط اللغة المصرية القديمة، وهو الامر الذى ساعد إلى حد كبير على التوصل إلى أقرب نطق صحيح للغة المصرية القديمة، وقد يكون من الاسباب التى دفعت المصرى إلى استخدام هذا الخط، أنه قد اضطر لاسباب عملية تتمثل فى وجود اليونانيين فى مصر إلى محاولة إيجاد وسيلة يسهل له التفاهم بها معهم، فاختار الابجدية اليونانية لكى تعبر عن اصوات اللغة المصرية، وأضاف إليها سبعة أحرف مأخوذة من الديموطيقية وليس لها ما يقابلها من الناحية الصوتية فى اللغة اليونانية.(١)

واستمرت القبطية مستخدمة حتى القرن العاشر الميلادى، ولازالت مستعملة حتى الآن فى الكنائس، ويمكن أن نميز فى القبطية خمس لهجات رئيسية على الأقل، وأهم هذه اللهجات، هى البحيرية، وهى ترجع إلى الدلتا، والصعيدية، وكانت مستعملة فى معظم الصعيد والاخميمية التى سميت هكذا لوجود كل مخلفاتها فى اخميم والفيومية التى تكلم بها أهل الفيوم والمنفيه لهجة أهل مصر الوسطى. ولقد دخل إلى القبطية بعض الكلمات اليونانية

(١) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القدية، القاهرة، ١٩٩٨، ص٩-١٢.

وكذلك اللاتينية، كما يوجد بين اللغة المصرية واللغات السامية والحامية قرابة شديدة.[1]

وعلى ذلك فعندما دخل العرب مصر، لم يكونوا بعيدين تماما عن المصريين وانما شاركوهم فى تكوينهم الجنسى القديم، وفى تراثهم اللغوى البعيد، وأن اختلفوا عنهم فى اللهجة والموطن والعادات والتقاليد، وغلبت اللغة العربية على اللغة المصرية القديمة باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولكنها لم تحجبها تماما، وظلت بقية من مفردات اللغة المصرية القديمة قائمة حية فى مجتمعنا المعاصر، تصل أهلها بماضيهم، ويظهر ذلك فى اسماء بعض المدن والقرى والشهور، وبعض المفردات المستخدمة فى الحياة اليومية.[2]

٢- اسماء مصر والمصريين:

أ- اسماء مصر:

أطلق المصرى القديم على بلده العديد من الأسماء والصفات وتعبر هذه الأسماء والصفات عن طبيعة أرض مصر من الناحية الجغرافية والطبيعية وما تحويه من ثروات، وتشير كذلك إلى إعتزاز الإنسان المصرى القديم ببلده وأرضه وحبه وعشقه لها، حيث كانت بالنسبة له هى الأرض التى لا يعادلها ولا يدانيها أى مكان آخر فى العالم، وإذا اضطرته الظروف للبعد عنها، كان شديد الشوق للعودة إليها والحياة على أرضها، وكانت أمنيته إذا وافته المنية أن يدفن فى ثراها الطيب.

ومن الأسماء التى أطلقها المصريون على بلدهم خلال عصر الدولة القديمة:

١- «كمت» [3] بمعنى السوداء والسمراء والخمرية، ويرجح أنها كانت أقرب إلى أن تعنى اللون الأسمر عامة أو اللون الخمرى دون اللون

(١) جورجي صبحي: قواعد اللغة المصرية القبطية، القاهرة، ١٩٢٥، ص٥-٩.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٢.

(٣) Wb., v, 126, 7.

الأسـود الصـريح، وهي إشـارة إلى لون تربة وادى النيل الغـرينيـة الخصـبـة، واعتبر المصريون أن طابع السمرة هذا يميز واديهم الخصب عن الصحراء المحيطة به والتى أطلق عليها «دشرة» بمعنى «الحمراء»[1] وعرفت هذه التسمية عند اليونانيين تحت أسم «خميا» والتى تعبر عن الأرض الزراعية الخصبة، ومنها جاءت التسمية «كيمياء».[2]

٢- «تاوى» بمعنى «الأرضين»[3] إشارة إلى أرض الصعيد وأرض الدلتا أو الجنوب والشمال. وربما ترجع بداية هذه التسمية إلى حرص المصرى القديم على وضعها فى ألقاب ملوكه طوال العصور التاريخية لمصر القديمة، إلى أواخر الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير، وقد تشير إلى الأوضاع السياسية التى سادت مصر قبل التوحيد وكذلك بعض الفروق الطبيعية بين كل من الجنوب والشمال.

٣- «إيدبوى» ، [4] بمعنى «الضفتين» أى ضفتى النيل الشرقية والغربية، وتتصل هذه التسمية بتصورات المصريين عن أرضهم وارتباطها بالنيل والفيضان والزراعة[5]، حيث كان نهر النيل يفصل فى معظم الأحيان بين مدينة الأحياء التى كانت غالبا فى الشرق ومدينة الأموات التى كانت فى أغلب الأحوال فى الغرب.[6]

٤- «أوتابن» بمعنى «هذه الأرض» .[7]

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص١-٣.
(٢) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، جـ١، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٣٤.
(٣) Wb., v, 217, 1.ff
(٤) Wb., I, 153, 5
(٥) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣.
(٦) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص٢٤٩.
(٧) رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٣.

وبالاضافة إلى هذه الأسماء فلقد زاد المصرى عليها خلال عصر الدولة الوسطى الأسماء:

١- «إترتى» (١) بمعنى (بلد) المقصورتين أى مقصورة الجنوب ومقصورة الشمال.

٢- «إيدبوى حر» (٢) بمعنى «ضفتى المعبود حور» ويلاحظ فى هذه التسمية أنها أضافت إلى التسمية التى ظهرت فى عصر الدولة القديمة اسم المعبود حور، فهى قد نسبت أرض مصر بضفتيها إلى الإلة حور.

٣- «تامرى» (٣) بمعنى «أرض الغرين» أو «أرض الحياض» أو «أرض الفيضان»(٤) أو «الأرض المحبوبة أو المفضلة»(٥). ومهما كان الأمر، فإن هذه التسمية تعبر عن طبيعة أرض مصر، وارتباط أهلها بها وحبهم لها، ولقد عرفت هذه التسمية ابتداء من الاسرة الحادية عشرة.

٤- «خبشوت» وكذلك (٦) وهى تفيد معنى «أرض القوة» وربما يشير ذلك إلى قوة سواعد أبنائها وعزيمتهم(٧) نظراً لأن هذه التسمية مأخوذة من الكلمة «خبش» التى تفيد «قوة الساعد».(٨)

وفى عصر الدولة الحديثة ظهرت الأسماء الأتية:

---

(١) Wb., I, 148, 1.

(٢) Wb.I, 153, 7.

(٣) W.b., v, 223, 3.

(٤) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٤، حاشية ١٢، ١٣.

(٥) رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٤.

(٦) Wb., III, 270, 12.

(٧) رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٣.

(٨) أحمد بدوي وهرمن كيس: المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٥٨، ص١٧٩.

١- «حت - كا - بتاح» بمعنى «مقر قرين بتاح» وكان فى الأصل اسم لأحد أشهر معابد الإله بتاح فى مدينة منف، ويبدو أن المصرى قد استخدم هذا الاسم الخاص بأهم معبد فى أهم وأقدم عاصمة لمصر وهى منف ليطلقه على مصر كلها.(١)

٢- «مكى كمت» بمعنى «الأرض السوداء المحروسة أو المحمية»(٢) كما إستخدمت الصفة «مكى» فقط لتشير إلى مصر(٣). وتعتبر هذه التسمية من الأسماء المعبرة عن الكيفية التى تنظر بها الانسان المصرى القديم إلى بلده ومدى إيمانه العميق والراسخ بحماية بلده سواء كان ذلك بفضل رعاية المعبودات لها أو بقوة جندها أو بفضل موقعها الجغرافى المميز.(٤)

٣- ولقد استخدم المصرى فى عصر الدولة الحديثة العديد من الألفاظ المرتبطة بكلمة «كمت» للإشارة إلى مصر، ومن هذه الأسماء.

أ- «باتا إن كمت» (٥) بمعنى «الأرض السوداء».

ب- «تاو كمت» (٦) بمعنى «الأرض السوداء»

جـ- «تا كمت» (٧) بمعنى «السوداء».

---

(١) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص٢٤٩ - ٢٥٠.

ويلاحظ أن أقدم اشارة لهذا المعبد قد وردت علي لوحة ترجع إلي عصر الاسرة الثانية عشرة وهي موجودة حاليا بالمتحف المصري بالقاهرة تحت رقم (CG 20498). انظر:

F. Gomaa, Die Besiedlung Ägyptens während des Mittleren Reiches, II, Unterägypten und die angrenzenden Gebiete, wiesbaden, 1987, p.9.

(٢) Wb, II, 160, 18.

(٣) Wb, II, 160, 16.

(٤) رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٤.

(٥) Wb, v, 126, 15.

(٦) Wb, v, 126, 17.

(٧) Wb, v, 127, 1.

وفى العصر الأخير من تاريخ مصر الفرعونية ظهرت العديد من التسميات التى تشير إلى مصر، ومنها:

١- «إرت رع» بمعنى «عين المعبود رع».(١)

٢- «وجـــاة» بمعنى «العين»(٢) وهى تشير إلى عين المعبود حور الحامية.(٣)

٣- «باقة»(٤) بمعنى «الزيتونة» ربما كناية عن خضرتها الدائمة، وكثيرا ما ارتبطت كلمة «وجاة» مع كلمة «باقة» باعتبارهما اسماء صفة، أو أسمين مترادفين لمسمى واحد.(٥)

وفى العصر البطلمى ظهرت بعض الأسماء التى تشير إلى مصر ومنها.

١- «إيـــــاوت»(٦) وهى تفيد معنى «التلال» أو الأماكن المرتفعة.(٧)

٢- «إستى» وكـذلك (٨) بمعنى «أرض المنتجات الزراعية» أو «بلد البوصتين»(٩)

٣- «بيا» وكذلك وكذلك (١٠) والتى قد تفيد معنى «أرض منتجات (المناجم والمحاجر)».(١١)

---

(١) Wb, I, 107, 11.
(٢) Wb, I, 402,
(٣) رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٣.
(٤) Wb., I, 425, 18.
(٥) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٤، حاشية ١٩.
(٦) Wb, I, 26, 13.
(٧) أحمد بدوي وهرمن كيس: المرجع السابق، ص٧.
(٨) Wb, I, 127, 10.
(٩) رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٢.
(١٠) Wb, I, 442, 5, 6.
(١١) رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٣.

٤- «سنوت» وكذلك وكذلك وكذلك

وكذلك [1] التى قد تفيد معنى «أرض التجمع والإخاء».[2]

وفى نهاية الحديث عن التسميات التى أطلقت على مصر، فإننا سنناقش الإسمين اللذين ظلا حتى الآن يطلقان عليها وهما التسمية مصر، والتسمية ايجوبتوس.

أولا: مصر:

ورد اسم مصر فى نصوص الشرق الأدنى القديم منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، حيث وردت فى رسائل العمارنة الموجهة إلى كل من الملك امنحتب الثالث وامنتحتب الرابع، حيث جاءت بالشكل "Mi - is - sa - ri" (مصرى) وسبقها كلمة «مات» بمعنى «أرض» أو «بلد»[3]، كما وردت أيضا بالشكل "Mi - is - ri - i" (مصرى) و "Mi - is - rum" (مصرم)[4]، كما وردت فى النصوص الأشورية التى ترجع إلى القرن التاسع وحتى السابع ق.م. بالشكل «مُصُرى» (Mu - su - ri)[5] وكذلك بالشكل «مُصُر» (Musur)[6] ووردت فى العبرية «مصرايم» وتشير صيغة المثنى على الأرجح إلى مصر العليا ومصر السفلى.[7]

---

(١) Wb, IV, 153, 7.

(٢) رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٣.

(٣) S.A.B Mercer, The Tell El - Amarna Tablets, vol. I, Toronto, 1939, 31, 1.

(٤) انظر علي سبيل المثال: Ibid, 1, 3. 51. 52. 68; 2, 1; 3.1.

(٥) ظهر ذلك في حوليات الملك الأشوري سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م) انظر: J.B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Brinceton, 1969, p. 285.

(٦) ظهرت في حوليات الملك الأشوري تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ق.م) انظر: Ibid., p. 282.

(٧) قاموس الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٨١، ص٨٩٢.

ولقد ورد فى القرآن الكريم بلفظه الصريح «مصْر»، فلقد جاء فى سورة يوسف (آية ٢١) «وقال الذى اشتراه من مِصرْ لامرأته اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا» وجاء أيضا فى نفس السورة (آية ٩٩) «وقال ادخلوا مصْرَ إن شاء الله آمنين».

وتجدر الاشارة إلى أنه لم يعثر حتى الآن على وثيقة مصرية قديمة اعتبرت هذا الاسم إسما لبلدها فى صراحة[1] وان كان هناك من العلماء من يرى أن الاشتقاق اللغوى لهذا الاسم مصرى قديم، فهو مشتق من الكلمة «مجر» أو «مشر» وتعنى «المكنون» و«المحصن» وأما عن الإبدال بين حروف الجيم والشين والصاد فهو قائم.[2]

ومع ذلك فهناك من يرى أن يكون اسم «مصر» ذا صله بكلمة سامية كنعانية وهى «مَصَر» و«مَصرا» وهى تعنى الحصن والمكان المسور والحامية، وتشبهها فى ذلك الكلمة الأرامية «مُصْر» و«مَصَروا» بمعنى الحد والناحية.

ويتصل بذلك أيضا مفهوم العرب لكلمة «مصر» الذى يعنى الحاجز بين الشيئين، والحدبين الأرضين.[3]

ثانيا: آيجوبتوس:

أطلق الاغريق هذه التسمية على مصر منذ عهد هوميروس على أقل تقدير، حيث ظهرت فى ملحمته «الأوديسا» وكانت تشير إلى النيل وأرض النيل فى وقت واحد ثم أصبحت مقصورة على مصر نفسها، وانتقلت عند الرومان «ايجيبتوس» Aegyptus.[4]

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٦.
(٢) عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص٢٥١.
(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٧ - ١١.
(٤) نفس المرجع السابق، ص١١.

ومن النطق اليونانى للاسم «ايجوبتوس» اشتقت اللغات الأوربية الحديثة الكلمة الدالة على مصر مثل Egypt و Agypten و Egypte... ومن هذه الكلمة أيضا جاءت التسمية «ايجوبتى» أى «مصرى» وذلك باستخدام «ياء» النسب كما هو الحال فى اللغة العربية.

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما فتح المسلمون مصر، وجد العرب صعوبة فى نطق «ايجوبتى» إشارة إلى «المواطن المصرى» فنطقوها «ايقوبطى» و«قبطى» و«جبطى» وعلى ذلك فهذه التسمية تعنى «المصريين» وذلك تمييزا لهم عن اليونان الذين أطلق عليهم العرب «الروم» وذلك دون أى تمييز دينى.

ويلاحظ أن هذه التسمية اليونانية لمصر والتى اشتقت منها التسميات الأوربية لها لم نستخدمها اطلاقا، كما لم يستخدمها المصريون القدامى فى غير القليل النادر، وتختلف آراء الباحثين فى الإسم المصرى الذى اشتق منه اليونان هذه التسمية، فيرى بعض الباحثين أنه مشتق من الاسم المصرى القديم «حت – كا – بتاح»، حيث استبدل اليونان حرف «الكاف» بحرف «الجيم» ثم اضافوا اليها النهاية «وس»، بينما يرى آخرون أنه مشتق من التسمية «أجبى» ومترادفاتها «أجب» و«آجبه» وهى مترادفات رمزت إلى الماء الأزلى الذى برزت الأرض منه، وإلى النيل والفيضان ورب الفيضان، وربما إلى الأرض المغمورة بالفيضان أيضا، وذلك على نحو ما عبر الأغريق باسم «ايجوبتوس» فى العصور المتأخرة عن النيل وأرض النيل، بعد أن حوروا كتابته إلى ما يتفق مع نطقهم له، وبعد أن أضافوا إليه النهاية «وس» اللذين اعتادوا على إضافتهما إلى نهاية اغلب مسمياتهم.[1]

---

(١) انظر في ذلك:

عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص١١.

عبد الحليم نور الدين: المرجع السابق، ص٢٥٠.

رمضان السيد: المرجع السابق، ص١٣٤ – ١٣٥.

ب-أسماء المصريين

أطلق الإنسان المصرى القديم على نفسه العديد من الاسماء التى عبرت عن نظرته لنفسه، وشعوره بالتفوق الذاتى بالنسبة لجيرانه وتميزه عنهم، فكان يميز بين المصرى من ناحية وجيرانه الآسيويين والليبيين والإفريقيين من ناحية أخرى، وأوشك المصرى أن يقصر هذه التسميات عليه، وكأنه اعتبر مَنْ دونه من الخلق أقل انسانية منه.[1]، ومن هذه الاسماء:

١- رمث» بمعنى «الناس»[2] ولقد قصر هذه التسمية على نفسه، إذا اعتبر المصرى هو المقصود بهذا التعبير دون غيره.

٢- «رمث إن كمت» [3] وهى تعنى «أهل الأرض السوداء» أى «أهل «مصر» ولقد ظهرت هذه التسمية منذ عصر الدولة الوسطى.

٣- «كمث» [4] وهى تعنى «أهل البشرة السمراء» أى «المصريين» وظهرت هذه التسمية فى عصر الدولة الوسطى، وظهرت بنفس هذا المعنى فى العصر البطلمى بالشكل «كمتيو».[5]

٤- «عنخونب نوتا إن تامرى» [6]

---

(١) سوزان عباس عبد اللطيف: مصر والعالم الخارجي في عصر الدولة القديمة، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص٣.

(٢) Wb., II, 421.

(٣) Wb, II, 423, 9., v, 127, 14.

(٤) Wb, v, 127, 20.

(٥) Wb, v, 128, 1.

(٦) Wb v, 223, 11.

وهى تعنى «كل أحيـاء الأرض من الأرض المحبـوبة» وهـم المصـريين، ولقـد ظهرت هذه التسمية فى عصر الدولة الحديثة.

٥- «رمثو إن باتا» [hieroglyphs] [١] وهى تفيد معنى «أهل الأرض» ولقد ظهرت هذه التسمية منذ عصر الاسرة العشرين.

٦- «إميو تامرى» [hieroglyphs] [٢] وهى تعنى حرفيا «الذين على الأرض المحبوبة» والمقصود بهم «المصريين» ولقد ظهرت هذه التسميـة فى العصر البلطمى.

---

(١) Wb, II, 423, 10.

(٢) Wb, v, 223, 12.

٣- الإهتمام بتاريخ مصر وآثارها

بدأ اهتمام العالم بدراسة آثار وتاريخ مصر منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك حينما جاء هيرودوت (٤٨٤ - ٤٢٠ ق.م تقريبا) إلى مصر، وكتب مؤلفه عن مصر والذى تناول فيه بالوصف الكثير من الأحداث التاريخية والمظاهر الحضارية المصرية. كما آثارت الآثار المصرية والأحداث التاريخية التى مرت بها مصر وبخاصة تلك المتصلة بوجود سيدنا يوسف وموسى عليهم السلام فى مصر وخروج بنى اسرائيل من مصر اهتمام الرحالة فى العصر البيزنطى، ومن هؤلاء:(١)

١- القديسة سلفيا: زارت مصر فى الفترة من عام ٣٧٩- ٣٨٨م، تكلمت عن سيناء وبخاصة الأماكن المرتبطة بسيدنا موسى عليه السلام، كما اشارت إلى مدينة بررعمسيس.

٢- القديسة بولا: زارت مصر عام ٣٨٢م، سجل رحلتها إلى الشرق القديس جيروم، ولقد جاءت من بيت المقدس إلى غزة ثم سارت فى شمال سيناء ووصل حتى الفرع الشرقى للنيل، وذكرت اسماء العديد من المدن مثل تانيس.

٣- انطونيوس الشهيد: زار مصر فى الفترة من ٥٦٠ - ٥٧٠م تقريبا، أشار إلى مدينة منف، ووصل حتى مدينة اسوان وفى الشمال وصل حتى مدينة تانيس والاسكندرية، وذهب إلى مدينة السويس حيث اشار إلى ظاهرة المد والجزر وذكر أنه عندما يبدأ الجزر فان آثار جيش فرعون وأثار العربات تظهر، وفى هذا تجاوز كبير للحقيقة.

---

(١) انظر: محمود سعيد عمران: «مصر في كتب الرحالة في العصر البيزنطي» بحث منشور في مؤتمر الاسكندرية الدولي الأول حول التبادل الحضاري بين شعوب حوض البحر المتوسط عبر التاريخ ١٥ - ١٩ يناير ١٩٩٤م، ص٣٠٧ - ٣٤٤.

ولقد أثارت آثار مصر اهتمام العلماء والمؤرخين المسلمين، الذين حاول تفسير بعض مظاهرها ومن هؤلاء الرحالة المسلمين نذكر:[1]

١- اليعقوبى (أحمد بن أسحق أبى يعقوب): المتوفى عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م. وهو من أهل بغداد ولقد تناول فى كتابه «البلدان» بعض الآثار المصرية القديمة مثل منف وأبى الهول.

٢- ابن الفقيه (أبى بكر أحمد بن محمد الهمزانى): المتوفى فى أواخر القرن الثالث الهجرى/العاشر الميلادى، ولقد تناول فى كتابه «مختصر البلدان» الأهرام ومسلات عين شمس.

٣- المسعودى (على بن حسين بن على): المتوفى عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م وهو من أهل بغداد أشار فى كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للاهرامات.

٤- الاصطخرى (ابراهيم بن محمد الفارسى): المتوفى عام ٣٤٦هـ / ٩٥٧م أشار فى كتابه «مسالك الممالك» إلى بعض ما شاهده فى مصر من أثار مثل الأهرام.

٥- المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) المتوفى عام ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م أشار فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» إلى الأهرامات وأبى الهول ومسلتى عين شمس.

٦- أبو الصلت (أبو الصلت أميه بن عبد العزيز بن أبى الصلت الاندلسى) المتوفى عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م ولقد أشار فى مؤلفه «الرسالة المصرية» إلى الأهرامات والكتابة الهيروغليفية والعاصمة منف وما تلاها من عواصم أخرى.

---

(١) انظر: جيلان عباس: آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٢١ - ٢٢٧.

٧- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى): المتوفى عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، ولد فى بلنسه وتناول فى مؤلفه «رحلة ابن جبير» وصفا للأهرام كما رآها من حيث الشكل والمدخل والممرات وطرق استخدامها كقبور.

٨- الهروى (أبو الحسين على بن أبى بكر على): المتوفى عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م. وهو موصلى المولد وذكر فى كتابه «كتاب الإشارات فى معرفة الزيارات» إلى الأهرامات.

٩- ياقوت الحموى (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله) المتوفى عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ولد فى حماه وعاش فى بغداد، ذكر فى كتابه «معجم البلدان» الكثير عن آثار مصر وبخاصة الأهرام وذكر سبب انشائها وكيفية بنائها والاساطير التى رويت عنها، وما شاهده فيها.

١٠- البغدادى (عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادى): المتوفى عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م ذكر فى كتابه «الإفادة والاعتبار» العديد من الأثار التى شاهدها فى مصر مثل الأهرامات، كما أشار إلى عين شمس والمسلات.

١١- ابن بطوطه (محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى) توفى عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م اشار فى كتابه «تحفه النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» إلى أهم المدن وما لها من أثار وما قيل بصددها من أساطير.

وظهر أهتمام الأجانب بالآثار المصرية منذ القرن الثانى عشر الميلادى على أقل تقدير، ومن هؤلاء الأجانب الذين زاروا مصر وكتبوا عن آثارها: (١)

١- بنيامين التطيلى: Benjamin De Tudela زار مصر فى القرن الثانى

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٢٢٨ - ٢٣١.

عشر الميلادى (حوالى فى الفترة من ١١٦٥ - ١١٧٣م) ولقد أشار إلى الأهرامات، وأن كان اهتمامه قد تركز على الحياة الاجتماعية لليهود بمصر.[١] إلا أن كتابه يحتوى على الكثير من الأخطاء، وبخاصة فى تحديده للمدن التى وردت فى التوراة، وكذلك فى إشارته إلى أن الأهرامات كانت مخازن الغلال التى بنيت فى عهد يوسف عليه السلام.

٢- غليوم أسقف صور: Guillaume de Tyr زار مصر عام ١١٦٧م وكتب عنها.

٣- بارون انجليور Baron D' Anglure زار مضر فى القرن الرابع عشر الميلادى وتحدث عن الأهرام.

٤- بيرو طافور Pero Tafor من قرطبة، زار مصر فيما بين عامى ١٤٣٥ - ١٤٣٩م، وأشار إلى الأهرامات واعتبرها صوامع غلال يوسف عليه السلام.

٥- فون جيستال Joos Von Chistele: زار مصر عام ١٤٨٢م أشار إلى الأهرامات وأبى الهول والأساطير المصرية.

٦- فيلكس فابرى Felix Fabri: زار مصر عام ١٤٨٣م أشار إلى الأهرامات وأدرك خطأ من قال أنها استخدمت كصوامع للغلال، وتحدث عن المسلات المصرية.

٧- أرنولد فون هارف Arnold Von Harff: زار مصر فيما بين عامى ١٤٩٦ - ١٤٩٩م، وتحدث عن الآثار المصرية وبخاصة الأهرام.

٨- أنيوس (جيوفانى نانى) Annius, or Giovanni Nanni: كاتب ايطالى عند نهاية القرن الخامس عشر، ولقد ادعى أنه اكتشف الاعمال التاريخية المفقودة الخاصة بمصر ومنها تاريخ مانيتون.[٢]

---

(١) Studies in the Renaissance, vol. vi, (1959), p. 11.

(٢) J. D. Worthan, British Egyptology, 1549- 1906, London, 1971, p. 6, ff.

٩- دومينيكو ترافيزان Domenico Trevisan: زار مصر عام ١٥١٢م، وصف الأهرام وشكلها الخارجى وممراتها الداخلية، كما وصف التماثيل الموجودة بمنطقة الجيزة.

١٠- جون ثينو John Thenaud: زار مصر عام ١٥١٢م وصف الأهرام وأبى الهول.

١١- منذ بداية القرن السادس عشر بدأ اهتمام الأوربيون باللغة المصرية القديمة، وبخاصة الخط الهيروغليفى، ومن أشهر الكتابات عن الهيروغليفية وأولها ماكتبه "Horapollo" الذى ظهر لأول مرة فى بداية القرن السادس عشر، وجاء من بعده Pierius Valerianus، الذى ظهر مؤلفه عن الكتابه الهيروغليفية فى عام ١٥٥٦م.

١٢- لورنس الدرسى Lawrence Aldersey: قام برحلة إلى مصر فى الفترة من ١٥٨٦ - ١٥٨٧م، وقام بنشر ما شاهده فى مصر وبخاصة فى الاسكندرية واهرامات الجيزة وأثار منف.

١٣- جون إيفيشام John Evesham: قام برحلة إلى مصر عام ١٥٨٧م، زار منطقة الجيزة، ووصف الهرم الأكبر من الداخل، حيث رأى حجرة دفن الملك خوفو العليا.

١٤- جون ساندرسون John Sanderson: قضى فى مصر الفترة من اكتوبر ١٥٨٥ وحتى مارس ١٥٨٧، وقام بزيارة المناطق الاثرية فى الاسكندرية والجيزة ومنف، وقام بنشر أول وصف للجبانة الواقعة شرق الاسكندرية وأبو الهول فى الجيزة ولمنطقة الموميات الواقعة بالقرب من منف، ولقد ذكر فى كتابه أن الرمال تغطى تمثال أبى الهول حتى رقبته.

١٥- اثناسيوس كيرشر Athanasuis Kircher: فى بداية القرن السابع عشر،

قام بنشر العديد من الكتابات الخاصة بنظام الكتابة المصرية، كما اهتم بدراسة اللغة القبطية.

١٦- جورج سانديس George Sandys: قام برحلة إلى مصر عام ١٦١٠ وحتى ١٦١١م، زار الاسكندرية والجيزة وشاهد الموميات، وقام بوصف النقوش الموجودة على بعض التماثيل الإلهية الصغيرة الموجودة مع الموميات، كما قام بزيارة دهشور وسقاره.

١٧- ويليام ليثجو Willian Lithgow: زار مصر عام ١٦١٢م ووصف الأهرامات وبخاصة الهرم الأكبر وأبى الهول.

١٨- بيترو ديلافالي Pietro della Valle: زار مصر عام ١٦١٤م واحضر منها موميات ومخطوطات قبطية.

١٩- هنرى بلونت Henry Blount: زار مصر عام ١٦٣٤م وقام بنشر رحلته عام ١٦٣٦م. ولقد زار الاسكندرية واهرامات الجيزة، وكذلك حفرة الموميات الموجودة فى طيبة، وقضى معظم وقته فى مصر فى دهشور وسقاره كما زار منطقة الفيوم ووصف معبد امنمحات الثالث الذى أطلق عليه المؤرخون اليونان والرومان «اللابيرنث».

٢- جون جريفز John Greaves: زار مصر عام ١٦٣٧ - ١٦٣٨م وكان استاذ الفلك والرياضيات فى جامعة اكسفورد[١] وتعتبر كتاباته أول دراسة علمية لاهرامات الجيزة. حيث أنه عندما جاء إلى مصر، كان فى ذهنه هدف علمى محدد ، فلقد قام بعمل قياسات للممرات الداخلية وحجرات الهرم الأكبر، كما صعد إلى قمة الهرم الأكبر، وقام أيضا بالكتابة عن عشرين هرما من بينهم هرم سقارة المدرج، ولكنه لم يذهب أبعد من دهشور وسقاره.

---

(١) نشر اعماله تحت عنوان:
Pyramidographia: or a Description of the Pyramids in Egypt.

ولقد ناقش فى كتابه العديد من المسائل المتصلة بتاريخ مصر وعمارتها، ومن بينها لماذا شيد المصريون الاهرامات. كما قدم وصفا للموميات التى شاهدها فى مصر.

٢١- فان سلب Van Selb: زار مصر عام ١٦٧٢م حيث وصل حتى جرجا.

٢٢- سكوتسمان الملقب بـ «ملتون» Scotsman: زار مصر فى الفترة من ١٦٦٠ - ١٦٧٧م. ويعتبر أول رحالة انجليزى قام بفحص المصاطب الموجودة فى منطقة أهرام الجيزة، ورجح أن تكون هذه المصاطب مقابر للنبلاء المصريين.

٢٣- روبرت هنتنجتون Robert Hantington: قام بزيارتين إلى مصر فيما بين عامى ١٦٧٠، ١٦٨١م قام بجمع العديد من النصوص القبطية والهيروغليفية، ولقد رجح أن كل علامة هيروغليفية تمثل كلمة أو فكرة اكثر من كونها حرفا أو صوتا.

٢٤- إليس فيريارد Ellis Veryard: زار مصر عند نهاية القرن السابع عشر، وقام بوصف أهرام الجيزة فى تقريره عن رحلاته الذى نشره عام ١٧٠٧م، ولكنه لم يقدم جديداً فى كتاباته.

٢٥- جون بيرسيفال John Perceval: وهو أول نبيل انجليزى وعضو الجمعية الملكية يقوم بزيارة مصر، وكتب عن أثار الجيزة والقاهرة والاسكندرية إلا أن كتاباته أيضا لم تقدم جديدا عن سابقيه، ولقد زار مصر فى الفترة من ١٧٠٥ - ١٧٠٧م.

٢٦- سيكارد Sicard: زار مصر عام ١٧٠٧م، وذهب حتى أسوان ووصف معبدى الأقصر والكرنك وقارن بينهما.

٢٧- بول سبنسر Paul Spencer: زار مصر عام ١٧٢١م. قام بعمل رسوم للأهرامات والمسلات ولكن لم يتبق شئ من رسومه.

٢٨- توماس شاو Thomas Shaw: قام بزيارة مصر فى الفترة من ١٧٢٠ - ١٧٣٣م، حيث كتب عن آثار الجيزة.

٢٩- ريتشارد بوكوك Richard Pocoke: زار مصر فى شتاء عام ١٧٣٧ - ١٧٣٨م، شاهد أهرام الجيزة وسقاره ودهشور، وقام برسم أول صورة لهرم ميدوم. وذهب إلى الفيوم حيث كتب عن المعبد الجنائزى للملك امنمحات الرابع (اللابيرنث). كما توجه إلى الاشمونين وأخميم ودندره وكوم امبو وابيدوس وقفط وطيبه وارمنت واسنا وادفو واسوان.

٣٠- شارل بيرى Charles Perry: طبيب انجليزى زار مصر ووصل حتى أسوان وذلك فى الفترة من ١٧٣٩ - ١٧٤٢م. قام بوصف معبد ايزيس فى بهبيت الحجر وذلك لأول مرة، وكذلك مقابر بنى حسن، كما كتب عن معبد الكرنك وبخاصة معركة قادش المصورة على جدرانه .

٣١- ريتشارد دالتون Richard Daliton: فنان ومؤسس الأكاديمية الملكية للفنون، زار مصر عام ١٧٤٩م ، قام بعمل رسوم للمسلات الموجودة فى الاسكندرية، واهرام الجيزة وسقاره.

٣٢- ادوارد وورتلى مونتاجو Edward Wortley Montagu: قام عام ١٧٦٤ بعمل حفائر بالاسكندرية، كما قام بزيارة سيناء حيث قام بنشر النصوص الهيروغليفية التى عثر عليها فى الصحراء الواقعة بين النيل والسويس وكذلك فى سيناء.

٣٣- دافيسون Davison: قام فى عام ١٧٦٥م بزيارة مصر حيث ركز اهتمامه على منطقة اهرام الجيزة وبخاصة هرم الملك خوفو.

٣٤- جيمس بروس James Bruce: وصل إلى الاسكندرية عام ١٧٦٨م، وجه اهتمامه لتتبع منابع النيل حيث وصل حتى النيل الأزرق. ولقد كتب ملاحظاته عن اثار المناطق التى مر بها فى طريقه من الاسكندرية حتى أسوان.

٣٥- وليم جورج برون William George Browne: قام عام ١٧٩١ بنشر وصف للاثار المصرية، مثل ميدوم، وهرم امنمحات الثالث فى هواره وهرم سنوسرت الثانى فى اللاهون.

الحملة الفرنسية وتطور دراسة علم المصريات:

كان لظهور كتاب «وصف مصر» الذى أعده مجموعة من العلماء الفرنسيين فى الفترة من ١٨٠٩ - ١٨٢٨م. أثره فى توافد البعثات الاثرية الأجنبية لتسجيل الأثار المصرية والكشف عما تحويه أرض مصر من كنوز، وتزايد أعداد هذه البعثات مما أدى إلى انشاء العديد من المعاهد العلمية الاجنبية التى اهتمت بدراسة الآثار المصرية وظهرت نتائج هذه الأعمال فى المؤلفات الخاصة بهذه الحفائر وكذلك فى المقالات المنشورة فى الدوريات العلمية المتخصصة. وسنورد فيما يلى قائمة ببعض هؤلاء العلماء:[1]

ج. د. اكربلاد	J. D. Akerblad	(١٧٦٣ - ١٨١٩)
أميل اميلينيو	Emile Amelineau	(١٨٥٠ - ١٩١٥)
الكسندر بارزانتي	Alexandre Barsanti	(١٨٥٨ - ١٩١٧)
جيوفاني بلزوني	Giovanni Belzoni	(١٨٧٨ - ١٨٢٣)
جورج آرون بينيدت	Georges Aaron Benedite	(١٨٥٧ - ١٩٢٦)
فريدريك فون بسنج	Frederick von Bissing	(١٨٧٣ - ١٩٥٦)
فرناند بسون دي لا روك	Fernand Bission de la Roque	(١٨٥٥ - ١٩٥٨)
ايلو ارد مانلي بلاكمان	Aylward Monely Blackman	(١٨٣٣ - ١٩٥٦)
لودنج بورخارت	Ludwig Borchardt	(١٨٦٣ ١٩٣٨)
اميل بروجش	Emile Brugsch	(١٨٤٢ - ١٩٣٠)
هنريك فردناند كارل بروجش	Henrich Ferdinand karl Brugsch	(١٨٢٧ - ١٨٩٤)
برنارد بروبير	Bernard Bruyere	(١٨٧٩ - ١٩٧١)
ويلز بدج	E.A. Wallis Budge	(١٨٥٧ - ١٩٣٤)

(١) I. Shaw, P. Nicholson, British Musum Dictionary of Ancient Egypt, British Museum Press, 1995, Appendix I, p. 313.

(١٨١٧ - ١٧٨٤)	Jean- Louis Burchadt	جين لويس بورخارت
(١٨٦٢ - ١٧٨٨)	James Burton	جيمس بيرتون
(١٩٣٩ - ١٨٧٤)	Howard Carter	هوارد كارتر
(١٩٨٥ - ١٨٨٨)	Gertrude caton - Thompson	جيرترود كيتون طومسون
(١٨٣٢ - ١٧٩٠)	Jean - Françios champollion	جين فرانسوا شامبليون
(١٨٦٧ - ١٧٧٩)	Jacques - Joseph Champollion Figeace	جاكييه جوزيف شامبيلون فيجاس
(١٩٨١ - ؟)	Dorothy Charles Worth	دورثي شارلز ورث
(١٩٤٨ - ١٨٦٨)	Emile Chassinat	اميل كاسيانت
(١٩٥٧ - ١٨٧٦)	G. Currelly	ج. ت. كورلي
(١٨٣٣ - ١٧٤٢)	Bon Joseph Dacier	بون جوزيف داشير
(١٩١٥ - ١٨٣٧)	Theodore Davis	ثيودور ديفز
(١٩١٥ - ١٨٩١)	James Dixon	جيمس ديكسون
(١٨٥٢ - ١٧٧٦)	Bernardino Drovetti	برناردينو دروفيتي
(١٨٩٢ - ١٨٣١)	Amelia Edwards	اميليا ادواردز
(١٩٤٦ - ١٩٠٣)	walter Bryan Emery	والتر بريان امري
(١٩٤٦ - ١٨٨٨)	Reginald Engelbach	ريجنالد انجلباخ
(١٩٤١ - ١٨٧٦)	Clarence Stanley Fisher	كلارنس إستانلي فيشر
(١٩٦٣ - ١٨٧٩)	Alan H. Gardiner	آلن هـ جاردنر
(١٩٣٩ - ١٨٦٢)	Ernest Arther Gardiner	ارنست ارثر جاردنر
(١٩٥٦ - ١٨٧٦)	John Garstang	جون جار ستانج
(١٩٤٥ - ١٨٨١)	Robert Grenille Gayer Andrson	روبرت جرنفيل جاير اندرسون
(١٩٤٩ - ١٨٦٩)	Frederick William Green	فردريك وليم جرين
(١٩٣٤ - ١٨٦٢)	F. Liewellgn Gnffth	ف. ليفلين جريفث
(١٩٦٣ - ١٩٠٣)	William Hayes	وليام هيز
(١٦٨٠ - ١٦٠٢)	Anthanasius Kircher	اثناسيوس كرشير
(١٩٥٧ - ١٨٧٩)	Gustave Lefebvre	جوستاف لوفيفر
(١٨٨٤ - ١٨١٠)	Karl Richard Lepsius	كارل زيد شارد ليبسيوس
(١٩٣٢ - ١٨٧١)	W. L. S. Loat	و.ل.س لوات
(١٩٤٦ - ١٨٥٩)	Victor Loret	فيكتور لوريت
(١٨٨١ - ١٨٢١)	Augaste Mariette	أوجست ماريت

(١٩١٦ - ١٨٤٦)	Gaston Maspero	جاستون ماسبيرو
(١٩٣٨ - ١٨٦٧)	Robert Mond	روبرت موند
(١٩٦٦ - ١٨٨٢)	Pierre Montet	بيير مونتيه
(١٩٢٤ - ١٩٥٧)	Jacques de Morgan	جاكييه دي مورجان
(١٩٦٦ - ١٩٠٣)	Oliver Humphrys Myers	اولفر هامفريز مايرز
(١٩٢٦ - ١٨٤٤)	Edouard Naville	إدوارد نافيل
(١٩٤٩ - ١٨٦٩)	Percy E. Newberry	بيرس. إ. نيوبري
(١٧٤٢ - ١٧٠٨)	Frederick Ludwing Norden	فيردريك لودنج نوردين
(١٩٣٤ - ١٨٨٢)	T. Eric Peet	ت. ايرك بيت
(١٨٦٥ - ١٧٩٢)	Lord Algernon Percy	لورد الجيرنون بيرسي
(١٨٦٩ - ١٨١٣)	John shae Perring	جون شاي بيرنج
(١٩٤٢ - ١٨٥٣)	W. M. Flinders Petrie	و. م. فلندرزبتري
(١٧٦٥ - ١٧٠٤)	Richard Pococke	ريتشارد بيكوك
(١٩٣٥ - ١٨٦٧)	James Edward Quibelle	جيمس ادوارد كويبل
(١٩٤٢ - ١٨٦٧)	George Reisner	جورج رايزنر
(١٩٦٦ - ١٨٨١)	Gunther Roeder	جونثر رويدر
(١٨٤٣ - ١٨٠٠)	Ippolito Rosellini	ابولتو روسيليني
(١٨٧٢ - ١٨١١)	Olivier Charles de Rouge	اوليفر تشارلز دي روجي
(١٨٢٧ - ١٧٨٠)	Henry Salt	هنري سالت
(١٩٣٣ - ١٨٤٥)	A. H Sayce	آ. هـ سايس
(١٩٥٧ - ١٨٠٨)	Henrich Schafer	هنريش شايفر
(١٩٢٩ - ١٨٥٦)	Ernesto Schiaparelli	ارنستو سكياباريلي
(١٩٩٢ - ١٩١٠)	Veronica Seton- Williams	فيرونيكا سيتون وليامز
(١٨٨٥ . ١٧٩٦)	Gustavus Sayffarth	جوستافيوس سيفارث
(١٧٢٦ - ١٦٧٧)	Claude Sicard	كلود سيكارد
(١٩٣٧ - ١٨٧١)	Grafton Elliot Smith	جرافتون اليوت سميث
(١٨٩٥ - ١٨٢٧)	Henry Windsor Villiers Stuart	هنري وندسور فليرز ستيوارت
(١٨٦٨ - ١٧٨٩)	Henry Tattam	هنري تاتام
(١٨٥٣ - ١٧٨٤)	Richard Howard Vyse	ريتشارد هوارد فيز
(١٨٥٧ - ١٧٩٧)	John Gardner Wilkinson	جون جاردنر ولكنسون
(١٩٦٠ - ١٨٨٠)	Leonard Woolley	ليونارد ويلي
(١٨٢٠ - ١٧٧٣)	Thomas Young	توماس يرنج

ولقد قام العلماء المصريون بولوج ميدان الأثار والتاريخ المصرى القديم وقاموا بجهود كبيرة فى مجال الكشف الاثرى واعادة كتابة تاريخ وحضارة مصر القديمة ومن هؤلاء العلماء نذكر:

أحمد كمال باشا (١٨٥٨ - ١٩٢٣م)

أحمد بك نجيب (١٨٤٧ - ١٩١٠)

الدكتور سليم حسن (١٨٩١ - ١٩٦١)

الدكتور أحمد فخرى (١٩٠٥ - ١٩٧٣)

الدكتور أحمد بدوى (١٩٠٥ - ١٩٨٠)

الدكتور عبد المنعم أبو بكر (١٩٠٧ - ١٩٧٦)

الدكتور أنور شكرى (١٩٠٥ - ١٩٨٧)

الدكتور جرجس متى (١٩٠٤ - ١٩٦٦)

الدكتور لبيب حبشى (١٩٠٤ - ١٩٨٤)

الدكتور نجيب ميخائيل (١٩١٠ - ١٩٨٧)

الدكتور مصطفى الأمير (١٩١٤ - ١٩٧٤)

محمد زكريا غنيم (١٩٠٥ - ١٩٥٩)

الدكتور محمد جمال الدين مختار (توفى عام ١٩٩٧)

الدكتور رشيد محمد الناضورى (توفى عام ١٩٩٥)

الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور (توفى عام ١٩٨٨)

الدكتور محمد عبد القادر (توفى عام ١٩٨٦)

الدكتور محمد ابراهيم بكر

الدكتور عبد الحميد أحمد زايد

الدكتور محى الدين عبد اللطيف

الدكتور محمد بيومى مهران

الدكتور جاب الله على جاب الله

الدكتور على رضوان

الدكتور رمضان عبده السيد

الدكتورة فايزة هيكل

الدكتور محمد عبد الحليم نور الدين

الدكتورة نبيلة محمد عبد الحليم

الدكتوره تحفة حندوسه

الدكتور شفيق علام

الدكتور فاروق جمعه

الدكتور أحمد عبد القادر الصاوى

الدكتور عبد المنعم عبد الحليم سيد

الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف

الدكتور محمد عبد اللطيف (توفي عام ١٩٨٦).

الدكتور على الخولى

الدكتور فتحى عفيفى

هذا بجانب شباب العلماء الذين يعملون حاليا بالجامعات المصرية وفى قطاع الآثار المصرية

الفصل الثانى
مصادر التاريخ المصرى القديم

مصادر التاريخ المصرى القديم

تعتمد الدراسة فى تاريخ مصر القديم على مصادر أربعة أساسية هى الآثار المصرية وما كتبه الرحالة والمؤرخين من الأغريق والرومان الذين زاروا مصر وكتبوا عنها كتباً كاملة أو فصولا من كتب ثم المصادر المعاصرة فى منطقة الشرق الأدنى القديم، وأخيرا ما جاء فى الكتب المقدسة عن مصر وأحوالها.

أولاً: الآثار المصرية:

تعد آثار المصريين القدماء المصدر الأول لدراسة تاريخ مصر القديمة وحضارتها. وبفضل هذه المادة الأثرية استطاع العلماء أن يعيدوا كتابة تاريخ مصر القديمة الذى اختفى، وأن يظهروا معالم حضارتها، ولعل أهم ما يميز تلك الآثار عن غيرها من المصادر أنها المصدر الوحيد الذى عاصر الأحداث، والذى اشركه المصريون عن قصد أو بغير قصد فى الكشف عن تاريخهم، وتخليد حضارتهم، كما أن هذه الآثار من تفكير وصنع وإنتاج المصريين القدماء أنفسهم، وتعبر عن الكثير من معارفهم.

وتشمل هذه الآثار - التى تتضاءل بجانبها آثار أى بلد آخر - المعابد والاهرامات والمقابر والمسلات والتماثيل واللوحات والتوابيت والشقافات وقراطيس البردى، وكافة ما استعمل فى الحياة اليومية.

ويرجع السبب فى وفرة تلك المخلفات إلى العقيدة الدينية التى قضت أن يتزود المصريون لحياتهم الآخرة على نحو ما كانوا يفعلون فى حياتهم الدنيا، وإلى تقدمهم فى الفنون والصناعات والبناء، مما أتاح لهم إقامة وصنع ذلك

التراث المنقطع النظير، ثم إلى جفاف مناخ مصر الذى ساعد على حفظ تلك الآثار حتى وصلت إلى ايدينا.

وقد بدأ الأهتمام من جانب العلماء بدراسة هده الآثار فى أوائل القرن التاسع عشر، فوصلوا إلى الكثير من أسرار اصحابها، مما أتاح إعادة كتابة التاريخ المصرى القديم وخاصة بعد العثور على حجر رشيد وحل رموز اللغة المصرية. وقد مهدت معرفة اللغة المصرية بخطوة جديدة فى هذا المجال ظهرت فى أهتمام الجامعات والمؤسسات العلمية بالآثار المصرية، مما أدى إلى ظهور عدد كبير من العلماء خلال القرنين التاسع عشر والعشرين انفقوا جهودا جبارة فى التنقيب عن الآثار والقيام بالحفائر العلمية المنظمة ثم تسجيل النقوش والرسوم ووصف الآثار وقراءة النصوص، ثم دراسة وتحليل ما وصفوه وسجلوه، وكشفوه فى دراسة علمية تستهدف استنباط أصول التاريخ المصرى القديم ومقومات الحضارة المصرية القديمة.

على أنه يلاحظ على هذا المصدر عدة نقاط ضعف نذكر منها أن كثيراً من الآثار أنما هى صادر عن المقابر والمعابد. ومن هنا كان المظهر السائد لمعظم ما يعثر عليه فيها دينى. ومنها أن كثيراً من الآثار قد كتب بأمر من الملوك أو بوحى منهم. ومن ثم فلابد أن نكون على حذر فيما ترويه هذه المصادر، ومنها كذلك أن كل ما عثر عليه أنما هو صادر عن الصعيد. ومنها أيضاً أن تسعة اعشار الحفائر أنما تمت فى الصحراء حيث شاد القوم مقابرهم حيث يحفظ الرمل الجاف أكثر الأشياء عرضه للتلف. أما أماكن الأحياء فكانت تبنى فى وسط الأراضى الزراعية، وقد أدى هذا إلى ندرة الآثار المتعلقة بالحياة اليومية، ويضاف إلى ذلك ندرة الآثار التى ترجع إلى بعض العصور المظلمة مثل العصر الوسيط الأول والثانى. مما يجعل تسلسل الأحداث فى التاريخ الفرعونى غير مطرد واخيراً فإن النصوص فى غالبيتها صعبة الترجمة عسيرة التأويل بالإضافة

إلى أن المصريين لم يعرفوا التواريخ المطلقة شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الشعوب فى العالم القديم.(١)

ولعل أهم ما عثر عليه بين تلك الآثار الكثيرة من وجهة النظر التاريخية هى القوائم الملكية، وهى كشوف أرخت لبعض الفراعنة ولما سبقهم من عصور، وتضم هذه القوائم اسماء الملوك وسنى حكمهم وأعمالهم الهامة. ومن حسن الحظ أن بعض هذه القوائم وصلت الينا سليمة إلى حد ما، والبعض الآخر اصابه التخريب والتدمير. وقد ساعدت هذه القوائم العلماء فى توضيح ما لديهم من أسماء الملوك وتواريخ ومدد حكمهم. ولم تقتصر بعضها على العصر التاريخى فحسب، بل عمدت إلى التأريخ لملوك عصور فجر التاريخ. وكان الغرض الاساسى من ذلك هو تخليد ماضى الملكية المقدسة وربط انساب الملك بالملوك الاقدمين الذين ورثوا العرش عن المعبودات(٢). ومن أهم هذه القوائم:

١- حجر بالرمو:

عثر عليه فى منف، وهو عبارة عن كتلة من حجر الديورت الاسود، والكتلة الرئيسية منه موجودة الآن فى متحف بالرمو بايطاليا. وهناك اربع قطع صغيرة من هذا الحجر موجودة الآن بالمتحف المصرى، أما القطعة السادسة فهى موجودة بمتحف الجامعة بلندن.

وقد دون على الحجر حوليات الملوك منذ اقدم العصور وحتى «نفراير كارع» ثالث ملوك الأسرة الخامسة، كما يشير كذلك إلى اسلاف الملك «منى» ممن كانوا يحكمون فى الدلتا والصعيد واطلق عليهم اسم «أتباع الاله حور» ورغم كل ما فى هذه المدونة من عيوب فأنها كانت أول محاولة لجمع أخبار الملوك

---

(1) A.H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, PP. 52 - 56.

(٢) جمال مختار، تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني – المجلد الأول) اصدرته وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٢، ص٨٣.

وترتيبها في العالم القديم. وقد ألتزم فيها المؤرخ بثلاثة مبادئ، فقد راعى فيها شرط الوضوح في كتابته، فقسم الوجه الى اقسام مختلفة أي إلى مربعات أو مستطيلات افقية ورأسية، وفي كل خانة يوجد نقش قصير يعبر عن أسم الملك، وأسم أمه، وأرتفاع فيضان النيل في عهده عاماً بعام، وأيضا تعداد الماشية، وكميات الذهب، وتعداد الحقول، والاعياد الدينية الهامة أو الرسمية، بالاضافة إلى ذلك كان النقش يشير إلى احداث كل عام[1]، وقد فصل كاتب الحجر بين احداث كل حول والآخر بخط رأسي يرمز إلى كلمة الحول في الكتابة المصرية وفصل بين حوليات كل ملك وآخر بخط أفقي وراعى الترتيب الزمني في تدوين أسماء الملوك وحوادثهم من الاقدم إلى الاحدث وراعى ثالثاً أمانة النقل في رواياته.[2]

٢- قائمة الكرنك:

عثر على هذه القائمة على جانب من معبد للملك تحوتمس الثالث بأقصى مجموعة الكرنك، وتوجد حاليا بمتحف اللوفر بفرنسا، وقد صورت هذه القائمة الملك تحوتمس الثالث وهو يتجه بدعواته إلى واحد وستين ملكا من اسماء اسلافه، وقد تحطمت بداية القائمة، وأول اسم موجود هو أسم الملك سنفرو ثم يليه اسماء بعض ملوك هذه الأسرة ثم الأسرتين الخامسة والسادسة. ثم يتلوها بعض ملوك الأسرة الحادية عشر إلى السابعة عشر. وهكذا يتضح لنا أن تحوتمس الثالث انما قد سجل من الملوك من اعتقد في شرعيتهم وأغفل كثير من الملوك الآخرين وبخاصة ملوك عصر الانتقال الأول فضلاً عن ملوك عصر الهكسوس.[3]

---

(١) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٨٨، ص٣١.

(٢) عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢٣.

(3) K. Sethe, W. Helk, Urkundender 18. Dynastie, Leipzing, 1907, Berlin, 1955 - 61, PP. 608 - 610.

٣- قائمة ابيدوس:

نقشت فى عهد الملك «ستى الأول» على جدران معبده الكبير فى «أبيدوس» على حافة الصحراء الغربية، والذى يعد من أروع الآثار المصرية، والمنظر يمثل الملك «ستى الأول» مصحوباً بولده «رعمسيس الثانى» وهو يقدم القرابين إلى ستة وسبعين من أسلافهم، الذين لا تقدم صورهم الشخصية، وأنما تمثلهم «الخراطيش» التى كتبت بداخلها أسماءهم بالهيروغليفية.

وعلى رأس هذه القائمة نرى أسم الملك «منى» وتذكر بعده اسماء سبعة ملوك من الأسرة الأولى، وسبعة ملوك من الأسرة الثانية. أما الأسرة الثالثة فلم تذكر سوى خمسة فقط من ملوكها ثم تذكر بعد ذلك ستة من ملوك الأسرة الرابعة، ثم ثمانية من ملوك الأسرة الخامسة، ويليهم ملوك الأسرة السادسة، وتذكر القائمة بعد ذلك خمسة عشر ملكاً من الإسرتين السابعة والثامنة.

ويلاحظ أن القائمة اغفلت ذكر اسماء ملوك الاسرتين التاسعة والعاشرة، وملوك عصر الانتقال الثانى، فضلاً عن تجاوزها عن عمد - لاسم الملكة «حتشبسوت» خصيمة الفرعون تحوتمس الثالث، فضلاً عن أسم داعية التوحيد «اخناتون» وأقربائه، «سمنخ كارع» و«توت عنخ آمون» و«آى»[1] الذين اعتبرهم خلفاؤهم خارجين عن تقاليد الأسلاف الدينية.

٤- قائمة سقارة:

عثر عليها العالم الفرنسى «مارييت» فى منف عام ١٨٦١، فى مقبرة احد المشرفين على الأعمال المعمارية للملك رعمسيس الثانى، وكان يدعى «ثنرى» وكانت تحوى اصلاً خراطيش سبعة وخمسين ملكا، يمجدهم رعمسيس الثانى، وتوجد القائمة الآن بمتحف القاهرة، وقد تحطمت اللوحة، وفقدت بعض

(1) E. A. W, Budge, The Book of The Kings, 1, London, 1908.

أجزائها، ولم يبق من الأسماء اليوم إلا خمسين إسما فقط. وهى مكتوبة على الوجهين، ولا تبدأ بالملك «منى» وإنما بسادس ملوك الأسرة الأولى «عدج إيب». وتنتهى بالملك رعمسيس الثانى، كما أنها لم تراعى الترتيب الزمنى.

وقد ذكرت القائمة بعض اسماء ملوك الأسرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة، ولم تذكر أسماء ملوك الأسرة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة، وذكرت أسم ملكين من ملوك الأسرة الحادية عشرة، وتذكر اسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة كاملة. ثم اسقطت ملوك عصر الانتقال الثانى، وكذا اسم «حتشبسوت»، و«اخناتون» ومن تلاه من عائلته، ثم تذكر اسماء الملوك الثلاثة الأوائل من الاسرة التاسعة عشرة.

ولعل من الأهمية بمكان الأشارة هنا إلى أن اختلاف قوائم الشمال عن قوائم الجنوب، أنما تدل على أنه كان للدلتا نظرة خاصة فى شرعية الملوك، تختلف عن تلك التى كانت لاهل الصعيد، أما اغفال اسماء الملوك الذين اعتبرهم المصريون غير شرعيين كالهكسوس، فهذا يتفق والغرض الذى اقيمت من أجله هذه القوائم، وحتى لا ينعم من لم تذكر اسمائهم بالقرابين التى تقدم للاجداد.

٥- بردية تورين:

ترجع هذه البردية إلى عهد الملك رعمسيس الثانى، وتختلف عن بقية القوائم فى أنها كتبت على ورق البردى وبالخط الهيراطيقى. وتمتاز كذلك بأنها قد أوردت بعض الأسماء الملكية التى لم تذكرها القوائم الأخرى.

ويبدأ التأريخ على هذه البردية بفترات حكم المعبودات وانصاف المعبودات، ونسب إلى هذه الفترات مدد حكم طويلة جداً. اما بقية البردية

فمجرد قائمة من الاسماء، تلى كل اسم اشارة بطول مدة الحكم والعمر، ويكاد يكون عدد الملوك متفقاً مع ما ورد فى تاريخ مانيتون، وأن كانت البردية التى قد قدمت بعض اسماء غريبة، حتى لتبدو لنا وكأنها لا تمت بصلة إلى ملوك حقيقيين.

وتعد بردية تورين من أكثر المصادر التاريخية قيمة، لأن كاتب البردية لم يسجل سنى كل حكم فحسب، وأنما سجل كذلك عدد الشهور والأيام بعد أكتمال السنين، كما أن جامع هذه الوثيقة كانت لديه مصادر لمعلومات خالية من الفجوات ودقيقة، ولم يفسد على كاتب البردية ملكته التاريخية، إلا إيمانه بأساطير قومه التى جعلت للارباب نصيبا فى اعتلاء عرش البلاد القديم، وأنتهى بهم إلى المعبود الملك حور الذى انتسب إليه ملوك ما قبل الأسرات واعتبروا انفسهم اتباعه، وأنتسب إليه ملوك الاسرات واعتبروا أنفسهم ورثته وخلفاءه والمتجسدين لشخصيته.

٦- تاريخ مانيتو:

كان آخر المؤرخين المصريين القدماء، ولد فى سمنود، وعاصر بطلميوس الثانى خلال القرن الثالث ق.م، وكان على اتصال ببلاطه وعلى درايه بتاريخ بلده وديانتها وخطوط كتابتها القديمة فضلا عن درايته باللغة اليونانية لغة أهل الحكم فى عصره.

وكتب مانيتون تاريخه باللغة اليونانية فى ثلاث مخطوطات، لم يصلنا اصلها، وإنما ما نقل عنه فى كتابات بعض المؤرخين من امثال المؤرخ العبرى «يوسيفوس بن متى».

وجمع مانيتون تاريخه من الاسانيد المكتوبه والقصص المروية واستفاد من أساليب أسلافه وجدد عليها، فرتب الملوك المصريين واحدا بعد آخر، من أقدمهم

إلى أحدثهم، وجمع ذوى القرابة منهم فى أسرات، ورتب هذه الأسرات فى ثلاثين اسرة، نسب كل واحدة منها إلى البلد الذى خرجت منها أو العاصمة التى حكمت فيها. ويبدأ تاريخ «مانيتو» بالملك «منى» وينتهى بغزو الاسكندر الاكبر عام ٣٣٢. ورغم عيوب هذا التقسيم إلى اسرات، فإنه اتخذ جذوراً ثابتة فى دراسة «علم المصريات».

ويمتاز تاريخ مانيتو بأنه يمدنا بأسماء الملوك الذين حكموا مصر فى عصورها الفرعونية، مدونة بنطقها الاغريقى الذى كان سائداً على أيام مانيتون، كما أنه لم يقتصر فى تاريخه على الحياة السياسية، وإنما أرخ كذلك للحياة الاجتماعية.(١)

ومن المآخذ التى ظهرت فى كتابات مانيتو، أنه لم يبرأ من فترة حكم الارباب، هذا إلى جانب المبالغة احيانا فى سنى حكم الملوك، كما تبدو فيه خلافات كثيرة فى الأسماء المؤكدة تماما.

وإلى جانب القوائم الملكية السابقة وكتابات مانيتو فهناك العديد من اللوحات التى يمكن الاستفادة منها كمصدر لتاريخ مصر الفرعونية ومن أشهر هذه اللوحات **«لوحة الانساب»** التى عثر عليها فى منف وهى من الحجر الجيرى، وعرفت بهذه التسمية لأنها تحتوى على قائمة طويلة بأسماء كبار كهنة منف الذين كانوا ينتمون إلى أسرة واحدة هى عائلة «عنخ أف أن سخمت» كاهن المعبود بتاح والمعبودة سخمت، وقد عاش هذا الكاهن فى عصر الأسرة الثانية والعشرين.(٢)

وهناك أيضا مجموعة الأساطير والقصص التى سطرها المصريون القدامى والتى تعطينا صور للحياة الاجتماعية والأوضاع السياسية التى كانت سائدة فى

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٣٧.
(٢) رمضان عبده السيد، المرجع السابق، ص٣٦.

مصر فى ذلك الوقت ومن أمثلة هذه القصص، قصص ابناء الملك خوفو، التى هى عبارة عن مجموعة من القصص ومنها القصة التى حكاها جدف حور وما تنبأ به الساحر جدى عن أن الذى سيتولى عرش البلاد فى بداية الاسرة الخامسة هم ثلاثة ملوك كانوا ابناء أحد كهنة الملك رع فى ايونو.

ومن أمثلة الاساطير أسطورة الصراع بين اوزيروست من ناحية وبين حورس وست من ناحية أخرى، وقد تناولت الاسطورة احداثا سياسية فى عصور لم تكن مصر قد عرفت فيها الكتابة بعد، وربطت تاريخ الملوك بالمعبودات الكبرى.(١)

وهناك أيضا النصوص والنقوش التى غطت جدران المعابد والمقابر وجوانب التماثيل والمسلات واللوحات التى حوت الكثير من اخبار الملوك وما شنوه من حروب، وما عقدوه من معاهدات، وما قاموا به من اعمال، وما اصدروه من مراسيم، وما قدموه للآلهة من مآثر وهبات، وكذا سير النبلاء والعظماء والكهان ورجال البلاط، وصوراً من حياة الفلاح المصرى وكافة نواحى الحياة اليومية، وأصول المذاهب والنظريات الدينية.

ثانيا: كتابات المؤرخين اليونان والرومان:

تميزت الفترة فيما بين القرنين، السادس قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد، بزيارة عدد كبير من الاغارقة لمصر - مؤرخين كانوا أم رحالة. وشجعهم على ذلك أن مصر قد بدأت منذ الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٤ - ٥٢٥ق.م) تستخدم كثير من الايونيين والكاريين والاغريق كجنود مرتزقة فى جيوشها، وزيادة العلاقات التجارية بينهم وبين مصر، هذا فضلاً عما سمعوه عن حكمة مصر وثرائها وآثارها.

---

(١) الفة نخبة من العلماء، تاريخ الحضارة المصرية، ص٩٠.

على أن الباحثين أنما يلاحظون على كتابات المؤرخين من الاغارقة والرومان عدة نقاط ضعف، منها (أولاً) أن كثيراً منهم قد اساءوا فهم ما رأوه وذهب بهم خيالهم في تفسير أو تعليل ما سمعوه. ومنها (ثانياً) أن أصحاب هذه الكتابات قد زاروا مصر في أيام ضعفها وفي عصور تأخرها. ولو اتيحت لهم الفرصة وزاروها في أيام نهضتها لتغير الكثير من ارائهم. ومنها (ثالثاً) أن أقامة هؤلاء الكتاب كانت في أغلب الاحيان في مدن الدلتا ومن ثم فلم يتبينوا أوجه الحياة المصرية الصادقة كما كانت في الصعيد. ومن ثم فقد أخطأوا في الكثير مما صوره من مظاهر الحضارة المصرية القديمة. ومنها (رابعاً) أن هؤلاء الكتاب قد أعتمدوا في الكثير من معلوماتهم على الاحاديث الشفوية مع صغار الكهنة والتراجمة الوطنيين الذين كانوا يفسرون لهم النصوص الهيروغليفية تفسيراً لا يتفق والحقيقة في الكثير منها. ومنها (خامساً) أن كثيرا منهم قد كتب ما كتبه من وجهة النظر اليونانية، وكثيراً ما كانت كتاباتهم في وقت اختلفت فيه مصالح بلادهم مع مصر. هذا بالاضافة إلى روح التعصب التى عرفت عن الغربيين لحضارتهم.(١)

ومن أشهر هؤلاء المؤرخين: هيكاته المليتى وهيرودوت وهيكاته الأبدرى وديودور الصقلى وسترابو وبلوتارك الخيرونى وغيرهم.

١- هيكاته المليتى:

ينسب هيكاته هذا إلى مدينة ميليتوس الاغريقية فى آسيا الصغرى، وهو مؤرخ وجغرافى، زار مصر (حوالى عام ٥١٠ق.م) كما زار غيرها من بلاد العالم وضمن مشاهداته لكل ما رآه فى كتاب ثمين، وقيل أنه ضمنه خريطة لرحلته، وقد تحدث عن فيضان النيل فى مصر وتكوين الدلتا وعن حيوانات ارضها،

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٣٧.

ويحتمل أنه كان أول من قال عبارة «مصر هبة النيل» أو «هبة النهر» ثم رددها من بعده هيرودوت.(١)

٢- هيرودوت:

ولد هيرودوت فى مدينة «هاليكارناسوس» التى تقع فى الجنوب الغربى من آسيا الصغرى، وذلك فى عام ٤٨٠.م، وقد جاء لزيارة مصر فى حوالى ٤٤٨ ق.م. فى نهاية الغزو الفارسى، وزار سوريا ايضاً ثم استقر به المطاف اخيراً فى بلدة (توريم) «ثورى» بجنوب ايطاليا، وهناك عكف على كتابه سفره الضخم الذى قسمه النحويون السكندريون إلى تسعة اجزاء، كل جزء منها لإحدى، عرائس العلوم والفنون من بنات «زيوس».

وكان للوجود الفارسى فى مصر فى تلك الفترة التى زار فيها هيرودوت مصر، وكذلك لانتشار الاغريق اثراً فى السماح لهيرودوت بحرية التنقل بين أقاليم البلاد ومشاهدتها، ومن هنا زار الكثير من حدائق الدلتا، وتجول فى الصعيد حتى الجندل الأول عنداسوان، كما شاهد اقليم الفيوم، ويرجح المؤرخون أن زيارته لمصر لم تستغرق أكثر من ثلاثة شهور وربما أربعة، وأنها قد تمت فى أيام الفيضان، وأن اقامته أنما كانت مقصورة على الدلتا واقليم الفيوم.

وقسم هيرودوت كتابة الضخم الذى اسماه «تمحيص الأخبار» إلى تسعة اجزاء. وخصص الجزء الثانى منه لمصر وتحدث فيه عن جغرافيتها ومدنها، والحوادث التاريخية التى مرت بها، واعمال ملوكها ومظاهر حضارتها. وقد لجأ هيرودوت إلى تدوين كل ما سمعه أو رآه أثناء اقامته بالبلاد دون تدقيق أو تمحيص، فجاء كتابه جامعاً الثمين والغث، حاوياً الكثير من الحقائق والانباء الصادقة بجانب الكثير من المفتريات والاكاذيب.

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٤١.
وكذلك: A.H. Gardiner, Egypt of the Pharoohs, Oxford, 1964, P. 3.

ومن هنا فقد اختلف المؤرخون فى الحكم على هيرودوت اختلافا بينا، فعلى حين رأى «شيشرون» الخطيب الرومانى أنه أول من استطاع أن يميز بين فن التاريخ والرواية الشعرية، حتى لقبه «أبو التاريخ» أتهمه «بلوتارك» بالتحيز لاعداء بلده، وأنه صديق البرابرة، وسماه بعض المؤرخين المحدثين «أبو الاباطيل» وأنه كان عاجزاً عن إدراك الحقائق، كما كان ينقل عمن سبقوه، دون الاشارة إليهم، وإن وقف آخرون موقف التأييد له.(١)

وعلى أى حال فليس هناك من شك فى أن هيرودوت، أنما قد بذل الكثير من الجهد فى اخراج كتابة عن «مصر»، وقد تناول بالشرح والتفصيل التكوين الطبيعى لأرض مصر. ووصف أيضاً بعض ظواهرها الجغرافية، وتحدث أيضاً عن المعتقدات الدينية التى ارتبطت بها.

ويمكن القول أن كتاب هيرودوت فى جزئه الأول الذى ينتهى عند مطلع العصر الصاوى يكاد يخلو من الحقيقة التاريخية، أما الشطر الثانى الذى افتتحه بعصر بسماتيك (٦٦٤ - ٦١٠ق.م) فقد حالفه فيه التوفيق. ذلك لأن رواته كانوا من الإغريق وكانوا على صلة بالفرعون. فضلاً عن أن هناك روايات كانت متداولة يمكن الاعتماد عليها.

٣- هيكاته الابدرى:

زار مصر فى أوائل البطالمة حوالى ٣٠٠ ق.م، ووضع كتابا فقد معظمه، تحدث فيه عن مصر بصفة عامة وعن العقائد والاساطير الدينية المصرية بصفة خاصة. وقد اتسمت كتاباته بروح التعصب والتحيز لوطنه.

---

(١) هيرودوت يتحدث عن مصر - ترجمة محمد صقر خفاجة، تقديم وشرح أحمد بدوي - القاهرة، ١٩٦٦م، ص٩ - ١٢، ١٩ - ٢٤.

٤- ديو دور الصقلى:

زار ديودور الصقلى مصر عام ٥٩ق.م، والف كتابا عن التاريخ العام، منذ فجر التاريخ حتى حملة «يوليوس قيصر» على بلاد الغال فى عام ٥٨ق.م، وقد أفرد الجزء الأول منه لتاريخ مصر، وقد تناول فيه بعض الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية في مصر، ولكنه كان أكثر انصافا من هيرودوت للمصريين وأكثر فطنة منه فى تفسير عقائدهم واساطيرهم، فكتب عما تواتر إليه من آرائهم فى نشأة الوجود وتعاقب المعبودات وعمران الكون ومسببات الفيضان، وأهم الحيوانات والنباتات وكتب عن آرائه وآراء غيره فى العادات والاعياد والعبادات، وكانت له عبارات صائبة من فقرة إلى أخرى فى مثل قوله «إن مصر حمتها الطبيعة من جميع جهاتها». كما سلم بأن (منى) هو أول الملوك، وتحدث عن طيبة، وأن كان يؤخذ عليه أنه جعل تأسيس منف تاليا لتأسيس طيبة.

ومع ذلك فإن ما كتبه عن القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد يجعل كتابه بالغ الأهمية. أما عن العصور القديمة فإن ما يرويه لا يمكن التحقق منه إلا عن طريق مصدر آخر. ولما كان مؤلفه يعد تجميعاً فأنه يصبح ذا قيمة لا تبارى وايا ما كان الامر فأن ديودور يمتاز على الكثير من المصادر بحسن عرضه لآراء من سبقوه وبدقته ونزوعه إلى البحث عن الحقيقية.[1]

٥- سترابو:

زار الاسكندرية حوالى عام ٢٥ق.م، على ايام الامبراطور اغسطس (٢٧ق.م - ١٤م). وأقام بها نحوا من خمس سنوات. وقد تحدث عن مصر فى الجزء السادس عشر من مؤلفه «الجغرافية» فوصف النيل وأن أهتم كثيراً بالدلتا. وتحدث عن المدن المصرية وعواصمها وعادات سكانها.

---

(١) وهيب كامل: ديوردور في مصر، القاهرة، ١٩٤٧، ص ٩.

ويمكن القول ان كتابات سترابو عن جغرافية مصر تعد مصدراً هاماً فى هذا المجال، اما ملاحظاته عن التاريخ والعادات الدينية فخاضعة للنقد.

٦- بلوتارك الخيرونى:

وهو مؤرخ رومانى زار مصر حوالى سنة ١٢٠م، وأهتم فى كتاباته بالعقائد المصرية وخاصة قصة «ايزة وأوزير»، ويعد بلوتارك من اصدق المؤرخين وأكثرهم امانة فى النقل وكانت له ومضات فى تفسير الديانة المصرية وشطحات أخرى عنيفة. فمن آرائه المقبولة ما رآه أن القصة الاوزيرية لا ينبغى أن تؤخذ بحرفيتها، وأن لها أكثر من لون واحد، كألوان قوس قزح.(١)

ثالثاً: المصادر الأجنبية المعاصرة:

أما ثالث المصادر الرئيسية فى تاريخ مصر القديمة. فهو المصادر المعاصرة فى منطقة الشرق الأدنى القديم، ذلك لأن مصر انما كانت على علاقة ببلدان هذه المنطقة فى فترات من تاريخها وخاصة فى عصر الدولة الحديثة. فتبادل حكامها مع الفراعين رسائل كثيرة - اختلفت فى فترات السلام عنها عن عصور الحرب. ففى الأولى نجد الود والاحترام المبالغ فيه إن لم يكن الخضوع والتذلل. وفى الثانية نجد العداء مبالغ فيه، وواجب الباحث ازاء هذه الكتابات مقارنتها بما يعاصرها فى مصر. ومن المقارنة بينها جميعاً يستطيع الباحث أن يتبين ولو بقدر الحقائق التاريخية. هذا إلى أنها تعين الباحث فى تتبع عهود الفراعنة بالنسبة إلى من عاصرهم من ملوك الشرق وامرائه، كما أن الرسائل المتبادلة انما تعطى فكرة عن العلاقات الدولية والحالة الحضارية لهذه المنطقة الهامة من العالم إبان كتابتها.

---

(١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٢٤٤.

رابعاً: الكتب المقدسة:

لا ريب فى أنه يمكن للمؤرخ - وبخاصة حين يكتب عن العصور التى تلت عصر الدولة الوسطى - أن يعتمد على ما جاء فى الكتب المقدسة وبخاصة التوراة والقرآن الكريم التى روت الكثير من القصص الدينية التى تتصل بطريقة أو بأخرى بالتاريخ الفرعونى، كما أنها تحدثت كثيراً وبسطت طرقاً من نواحى الحياة المصرية.

وقد تحدثت التوراة فى كثير من أسفارها عن المصريين وعلاقاتهم ببنى اسرائيل، فضلاً عن الحديث عن انبياء بنى اسرائيل ذوى الصلة بمصر، وتحدثت ايضاً عن اخبار الحملة التى قام بها شِشنق الأول فى عهد الأسرة الثانية والعشرين وغزا خلالها فلسطين، وجاء ذكرها فى سفر الملوك الأول، الفصل الرابع عشر. وأيضاً اخبار الحملة التى ارسلها شاباكا فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين بقيادة ابن اخيه طهرقا إلى فلسطين ايضاً، وجاء ذكرها فى سفر الملوك، الجزء الثانى، وخروج بنى اسرائيل من مصر، والذى جاء فى سفر الخروج.[١]

الا أنه يجب الاشارة إلى أننا حين نتعامل مع التوراة كمصدر تاريخى أن ننظر إليها كما إلى غيرها من المصادر التاريخية فنتقبل ما تقوله إن كان يتفق مع الحقائق التاريخية ونرفض ما تقولة حين تذهب بعيداً عن ذلك.

أما القرآن الكريم فأنه يقدم لنا عن طريق القصص القرآنى معلومات هامة وصحيحة تماماً، والقرآن الكريم كتاب الله الذى «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».

---

(١) رمضان عبده، المرجع السابق، ص٥٧.

وليس هناك من ريب فى أن القرآن الكريم كمصدر تاريخى، إنما هو من اصدق المصادر وأصحها على الاطلاق. فهو موثوق السند، ثم هو من قبل ذلك وبعده كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ثم فلا سبيل إلى الشك فى صحة نصه.(١)

وفى التاريخ المصرى القديم يقدم لنا القرآن الكريم - عن طريقة قصة سيدنا موسى - كثيراً من المعلومات عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر الفراعنة، فيتحدث القرآن الكريم عن الملكية الالهية فى مصر.

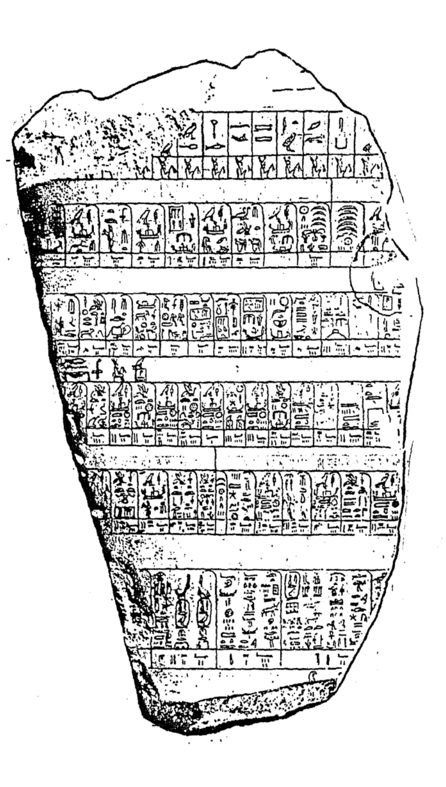
ويقدم لنا القرآن الكريم عن قصة موسى كذلك، شيئاً عن السحر، الذى شاع فى مصر فى فترة من تاريخها القديم.

كذلك تشير قصة سيدنا يوسف والتى وردت فى القرآن الكرم إلى السنوات العجاف السبع التى كانت ستحل بالبلاد والمعروف من احداث التاريخ المصرى، أن مصر أنما كانت عرضة للمجاعات، وفترات من تدهور الإنتاج الزراعى والحيوانى على مر العصور.

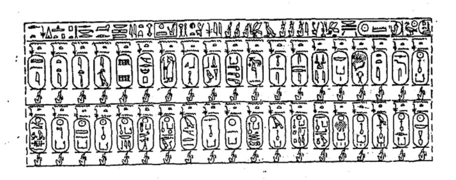
وتشير قصة سيدنا يوسف أيضاً إلى دعوة التوحيد، وكانت هى أول دعوة لنبى فى مصر.

---

(١) طه حسين، الأدب الجاهلي، القاهرة، ١٩٣٣، ص٦٨.



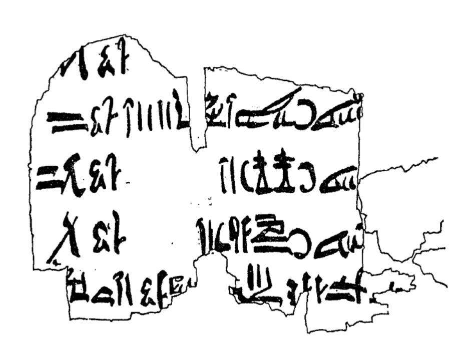
(شكل ١) حجر بالرمو



(شكل ٢) جزء من قائمة أبيدوس



(شكل ٣) جزء من قائمة سقارة



(شكل ٤) جزء من قائمة بردية تورين

الفصل الثالث
عصر الاسرتين الأولى والثانية

عصر الاسرتين الأولى والثانية

أولاً: التسمية:

أطلق المؤرخون على عصر الاسرتين الأولى والثانية الفرعونيتين اسماء عديدة منها: «عصر بداية الاسرات»(١) لكونه أول عصر حكمت مصر الموحدة خلاله أسرات حاكمة ترتبط ببعضها بصلة الدم. ويطلق عليه بعض العلماء اسم «العصر العتيق *Archaic Period* (٢) اذ به يبدأ التاريخ الفرعونى، هذا إلى أنه يسبق عصر الدولة القديمة مباشرة. ويسمى ايضا العصر الثينى» نسبة إلى مدينة ثنى *Thinis* (طينه)(٣) وذلك اعتمادا على ما رواه مانيتون من أن ملوك هذا العصر قد نشأوا فى مدينة ثنى (طينه).(٤)

ويرى الباحث أن يحتفظ بتسمية عصر هاتين الاسرتين باسم «عصر الاسرتين الأولى والثانية الفرعونيتين» وذلك لعدة اعتبارات منها:

ان عصر هاتين الاسرتين يعتبر مرحلة التكوين والتشكيل الحضارى والسياسى للتاريخ والحضارة الفرعونية زهاء ثلاثة آلاف سنة، وتم خلال هذا

---

(١) عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة واثارها، جـ١، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢٤٩.

(2) W. B., Emery, Archaic Egypt, Edinburgh, 1963.

(٣) دريوتون (ايتين)، فانديه (جاك): مصر، تعريب عباس بيومي القاهرة، ١٩٥٠، ص١٥٢.

(٤) لم يثبت حتي الآن بشكل مؤكد أن ملوك عصر التأسيس كانوا من «ثني» أو أن عاصمتهم كانت هناك، أو أنهم دفنوا في المقابر القريبة منها، والتي عثر فيها علي بعض آثارهم، بل أن معظم وثائق عصر الوحدة قد وجدت في هيراكونبوليس. انظر:

J.E., Quibell, Hierakonplis, I, London, 1900.,

__________, __________, II, London, 1902.

العصر تدعيم الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب[1]، وتوطدت دعائم الأمن والنظام فى ارجاء البلاد، ووضعت تقاليد الملكية، ونظمت الادارات. كما كان عصر هاتين الأسرتين فترة تدعيم للحضارة المصرية التى وضحت فى عصر الاسرتين الثالثة والرابعة واصبح لها طابعها الخاص الجديد المسمى «المصرى».[2]

ويدعو الدارس إلى هذه التسمية كذلك، أن هناك من العلماء من يضم عصر الاسرة الثالثة إلى عصر هاتين الاسرتين، على اعتبار أنها متممة لهذا العصر، ويرى اصحاب هذاالرأى ان اصول الحضارة المصرية التى اكتملت ايام الاسرة الرابعة لم تكن قد وضحت تماما فى عهد الاسرة الثالثة[3]. ولكن لا يلقى هذا الرأى قبولا من أغلب علماء المصريات الذين يتجهون إلى وضعها فى بداية عصر الدولة القديمة[4]. إذ تنتمى مجموعة زوسر الجنازية الضخمة من الناحية المعمارية إلى عصر بناة الاهرام، ولا يمكن مقارنة هذه المجموعة الضخمة من المبانى سواء من ناحية الحجم أو فخامة البناء والمواد المستخدمة فيه بمصاطب ملوك الاسرتين الأولى والثانية. وان كان يلاحظ أن مجموعة زوسر الجنازية تختلف فى تكوينها عن المجموعات الجنازية فيما بعد، إذ يوجد فى الجهة الشمالية لهرم زوسر بقايا معبد، يختلف فى تخطيطه عن معابد الاهرام التى شيدت فى العصور التالية.[5]

---

(١) رشيد الناضوري: جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٦٨، ص٢٨٥.

(٢) ويلسون (جون): الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٥، ص٩٤.

(٣) مري (مرجريت): مجد مصر الغابر، ترجمة لجيب ميخائيل ومحرم كمال، القاهرة، مجموعة الالف كتاب (١٠٠) ص٤١.

وكذلك شوتر (ألن): الحياة اليومية في مصر القديمة، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم، القاهرة، مجموعة الألف كتاب (٤٩) ص١٣.

(٤) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص١٣١.

(٥) أحمد فخري: الاهرامات المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص٥٩.

ويرى بعض العلماء أن وجود المعبد الجنازى فى الشمال يرتبط بإحدى العقائد المصرية التى ترى أن ارواح الملوك والأبرار تستقر بين نجوم الشمال التى لا تغيب، وهى مجموعة النجم القطبى[1]، وعلى هذا الاعتبار فان تمثال الملك الموجود فى السرداب الكائن بجوار المعبد كان الغرض منه ان يكون مرشدا لروح الملك عندم تهبط من شمال السماء فتهتدى به ثم تتجه إلى المعبد لتنعم بالقرابين والدعوات المقدسة فيه ثم تتجه بعد ذلك لزيارة جثة صاحبها.[2]

ويرى الدارس انه مما قد يدعم هذا الرأى من الناحية الاثرية حقيقة العثور على المراكب الجنازية التى عثر عليها لبعض ملوك عصر الاسرتين الأولى والثانية فى سقارة شمال المقبرة[3]، ويلاحظ كذلك أنه كان يحيط بمقبرة الملك قاعا بسقارة سور سميك كان يوجد بداخله معبد جنزى يقع شمال المقبرة[4]، وهو يتكون من مجموعة من الحجرات والدهاليز ويشبه المعابد الجنزية للاهرام، ويمكن اعتباره هذا المبنى الذى يرجع تاريخه إلى نهاية الأسرة الأولى بمثابة الطراز السابق لمبانى الاهرام وملحقاتها فى العصور التالية.[5]

ثم حدث انتقال المعبد الجنزى نحو الشرق فى عهد الاسرة الثالثة نفسها وظهر ذلك فى المعبد الذى شيده حونى آخر ملوك الاسرة الثالثة إلى الشرق من هرمه الذى شيده فى ميدوم.[6]

---

(1) H., Frankfort and others., Before Philosophy, (Pelican Books), 1949, PP. 56 - 57.

(٢) محمد أنور شكري: العمارة في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٧٠ ص٢٨٣، وكذلك: عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٢٩.

(3) W.B. Emery, op.cit., p. 131.

(4) ________., Great Tombs, III, London, 1958, pp. 6, 10.

(5) ________., Archaic Egypt. PP. 88 - 90.

(٦) أحمد فخري: المرجع السابق، ص١٠٣.

وعلى ذلك فان الدارس يرى ان الادلة والقرائن الاثرية ترجح ضم عصر الاسرة الثالثة إلى عصر الدولة القديمة، وذلك نظرا للتقدم المعمارى الهائل الذى تم منذ بداية هذه الاسرة، بالاضافة إلى أن التطور العقيدى الذى ظهر فى الاتجاه نحو الشرق فى تشييد المجموعة الجنازية للاهرام فى عهد الاسرة الرابعة قد تم فى عصر هذه الاسرة نفسها.

كما أن هناك من العلماء من يرى ان عصر هاتين الاسرتين متمم لعصور ما قبل التاريخ وذلك نظرا لانه يعتبر من الناحية الحضارية متمم لعصور ما قبل التاريخ[1] الا أنه يلاحظ ان النواحى الحضارية قد تقدمت تقدما ملموسا وملحوظا عما قبل وأخذت معظم المظاهر الحضارية قواعدها التى اتبعت فيما بعد، كما اتخذت الكتابة القديمة طابعها المعروف خلال هذا العصر. وذلك بالاضافة إلى ظهور المشاريع الكبيرة التى تبغى الرخاء والامن لسكان البلاد جميعها.

ويلاحظ كذلك أنه قد تم فى بداية هذا العصر توحيد البلاد، وإذا كانت هذه الوحدة قد تعرضت لبعض المشاكل فان هذه المشاكل كانت وقتية ولم تدم طويلا. ومما يدعو الدارس إلى هذه التسمية كذلك، ان الزعامة السياسية والدينية فى مصر العليا لم تقتصر على مدينة «ثنى» فى تلك المرحلة، بل امتدت إلى نخن ونقادة. اذ عثر على الكثير من الاثار التى ترجع إلى عصر كل من الملك عقرب ونعرمر فى نخن. كما ان الاله حور قد اتخذها مركزا له بالاضافة إلى ادفو بعد ذلك. وذلك بالاضافة إلى انه كان لمدينة نقادة دورها الحاسم فى عصر ما قبل الاسرات الاخير فى مصر.[2]

(1) R., El -Nadoury, "The Origin of the Fortified Enclosures of the Early Egyptian Dynastic period", In Publications of the Archaeological Socitey of Alexandria, 1968, p. II.

(٢) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٢٠٩ - ٢١٠.

ثانيا: التحديد الزمنى:

فيما يتعلق بالتحديد الزمنى لعصر الاسرتين الأولى والثانية فقد اختلفت آراء المؤرخين اختلافا بينا حول بداية ونهاية عصر الاسرتين الأولى والثانية، والفترة التى استغرقها هذا العصر. ويمكن اجمل هذه الآراء - فيما يذكر عبد العزيز صالح[١] - فى ثلاثة آراء: الرأى الأول، ويمكن تسمية اصحابه بأصحاب التاريخ بعيد المدى، ويرى انصار هذا الرأى أن بداية العصر التاريخى سابقة لعام ٤٠٠٠ق.م، مثل وليم فلندرز بترى الذى يرى أن بداية العصر التاريخى كانت حوالى عام ٥٥٤٦ق. م[٢] - ومرجريت مرى التى ترى أن بداية العصر التاريخى ترجع إلى سنة ٤٧٧٧ ق.م.[٣]

أما أصحاب الرأى الثانى والذى يمكن تسميتهم بأصحاب التاريخ الوسط فيضعون بداية العصر التاريخى فى الفترة الواقعة ما بين عامى ٣٥٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م. فيجعل هول *Hall* بداية هذا العصر حوالى عام ٣٥٠٠ ق.م[٤]. اما ويجل *Weigall* فقد جعل بداية العصر التاريخى حوالى عام ٣٤٠٧ ق.م[٥]، أما جيمس هنرى برستد فقد جعل بداية العصر التاريخى حوالى عام

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٤٩ - ٢٥٠.

(2) W.M.F., Petrie, A History of Egypt, vol. I, London, 1924, P. 10.

ويلاحظ ان بتري قد ذكر في كتابه:

W.M.F, Petrie, The Making of Egypt, 1939, Col I, p.s.

ان بداية الاسرة الأولي ترجع إلي عام ٤٣٢٦ ق.م. وذلك عند حديثه عن تسلسل الحضارات في مصر وتاريخها المتتابع بدءا بحضارة الفيوم ثم عاد وذكر في ص ٨٠ من نفس الكتاب ان بداية الاسرة الأولي ترجع إلى عام ٤٣٢٠ ق.م، وذلك عند حديثه عن تاريخ الاسرات الفرعونية من الاسرة الأولي حتي الاسرة السادسة طبقا للوثائق المصرية.

(٣) مري (مرجريت): المرجع السابق، ص٤١.

(4) H.R., Hall, "The Union of Egypt and the old kingdom", in Cambridge Ancient History, vol. I. 1942. p. 267.

(5) A. Weigall, Historie De L'Egypt Ancienne, Paris, 1949, p. 25.

٣٤ق.م.[١]، وجعل Hayes بداية هذا العصر حوالي عام ٣٢ ق.م[٢]، واتفق معه امري [٣]. اما فانديبه وديريوتون فقد جعلا بداية هذا العصر حوالي عام ٣١٩٧ ق.م[٤]. وجعله جون ويلسون حوالي عام ٣١ ق.م[٥]، وكذلك هنري فرانكفورات[٦]، وأحمد فخري[٧] ورشيد الناضوري.[٨]

أما Jean Vercoutter فيجعل بداية هذا العصر حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م[٩]، وكذلك جان يويوت[١٠]، أما جاردنر فيضع بداية هذا العصر حوالي عام ٣١٠٠ ق.م بزيادة أو نقص ١٥٠ عاما.[١١]

أما أصحاب الرأى الثالث والذى يمكن تسميتهم بأصحاب التاريخ القصير المدى، فيرجعون بدية العصر التاريخى إلى الالف الثالث قبل الميلاد، فيرجع كيس بدايته إلى حوالي ٢٩٨٠ ق.م[١٢] أما البرايت Albright فيجعل

---

(1) J.H. Breasted. A History of Egypt, U.S.A., 1959, p. 21.

(2) W.C. Hayes., The Scepter of Egypt, part 1: From the Earliest Times to the Middle kingdom, New York, 1968, p. 34.

(٣) وضع إمري فترة توحيد البلاد فيما بين عامي ٣٤٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م واعتمد في ذلك علي وجود الاختام الاسطوانية العراقية الاصل في مصر:
W.B. Emery., op. cit., p. 30.

(٤) دريوتون (ايتين)، فانديبه (جاك): المرجع السابق، ص٢٨٥.

(5) J.A. Wilson.. The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1960, p. 43.

(6) H, Frankfort.. The Birth of Civilization in the Near East, London, 1951, p. 112.

(٧) أحمد فخري: «الاتجاهات الحديثة في المباحث التاريخية والاثرية الخاصة بالشرق القديم»، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث، العدد الثاني، اكتوبر سنة ١٩٥٠، ص١١.

(٨) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٢٨٥.

(9) J. Vercoutter., And others., The Near East, The Early Civilizations. London, 1967, p. 260.

(١٠) يويوت (جان): مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة، ١٩٦٦، ص٢٨

(11) A. Gardiner., Agypt of the Pharaohs, oxford. 1962, p. 430.

(١٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٥، هامش ٣

بدايته حوالي ٢٩٥ ق.م[1] اما الكسندرشارف فيرفض بشدة تحديد بداية العصر التاريخي بتاريخ سابق للالف الثالث ق.م، ويجعل بداية العصر حوالي ٢٨٥ ق.م، وذلك على اساس مقارنته بالحضارة المصرية في الفترة الاخيرة من حضارة نقادة الثانية واوائل الفترة الخاصة بالأسرة الأولى بحضارة جمدة نصر في بلاد ما بين النهرين.[٢]

وكما تباينت اراء المؤرخين حول بداية عصر الاسرتين الأولى والثانية فقد اختلفت ايضا حول نهاية العصر والفترة التي استغرقها، فنرى مانيتون يجعل مدة حكم الاسرتين حوالي ٥٥٠ عاما[٣]، وقليل من المؤرخين من يأخذ بهذا الرأى مثل: هول الذى رأى أن هذا العصر قد استغرق حوالي ٥٣٥سنة، وذلك على اساس أنه قد بدأ عام ٣٥٠٠ ق.م وانتهى عام ٢٩٦٥ ق.م[٤]، وكذلك ويجل الذى قدر مدته بحوالي ٥١٩ سنة[٥]. ويتفق امرى[٦] مع مانيتون في تقديره. اما بترى فقد قدر لعصر هاتين الاسرتين مدة حكم تبلغ ٤٨٢ سنة، وذلك على اساس أنه قد بدأ عام ٤٣٢٠ ق.م وانتهى عام ٣٨٣٨ ق.م.[٧]

ولكن تتجه معظم اراء المؤرخين إلى تقدير مدة هذا العصر بحوالي

---

(1) W.F Albright.. "Menes and Naram-sin" in J.E.A.. Vol. p. 89. ff.

(٢) شارف (الكسندر): المرجع السابق، ص٣٨ - ٤٩.

(3) W.B. Emery., op. cit., p. 29.

(4) H.R. Hall., op. cit., p. 267, p. 284.

(5) A Weigall., op. cit. pp. 25 -28.

(٦) يري امري ان ذلك يتفق مع الادلة الاثرية، فهو يذكر ان المقابر الكبيرة بسقارة التي ترجع إلي اوائل الاسرة الثانية، فالمباني التي كان يبلغ ارتفاعها ستة أمتار علي الاقل فوق سطح الأرض تضاءلت إلي ما لا يزيد علي متر واحد وبني علي ما بقي منها المقابر المبكرة للاسرة الثالثة ويري ان هذا التدمير لمباني هائلة الحجم والصلابة، وذات جدران رئيسية تفاوت عرضها ما بين مترين وخمسة أمتار يلزم لحدوثه فترة زمنية طويلة، مدة الخمسمائة وخمسون عاما قد تكون فترة معقولة لتحقيق ذلك

W B Emery. op. cit. p. 29.

(7) W M F Petrie op cit. 80

اربعمائه عام، مثل بريستد الذى يرى انه قد استغرق حوالى ٤٢٠ سنة على اساس أنه قد بدأ حوالى عام ٣٤٠٠ ق.م. وانتهى عام ٢٩٨٠ ق.م[1]. ويرى *Hayes* ان هذا العصر قد بدأ عام ٣٢٠٠ ق.م وانتهى حوالى ٢٧٨٠ ق.م. وبذلك يكون قد استغرق حوالى ٤٢٠ سنة[2] اما فانديه ودريوتون فقدا لهذا العصر مدة ٤١٩ سنة وذلك على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٩٧ ق.م. وانتهى حوالى عام ٢٧٧٨ق.م[3]. وقدر ادواردز *Edwards* مدة هذا العصر بحوالى ٤١٤ سنة على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٠٠ ق.م. وانتهى عام ٢٢٨٦ ق.م[4]. أما جون ويلسون فقد قدر لهذا العصر حوالى ٤٠٠ سنة وذلك على أساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٠٠ ق.م وانتهى حوالى عام ٢٧٠٠ق.م[5]. ويتفق معه فى هذا التقدير جاردنر وذلك على اعتبار انه قد بدأ حوالى عام ٣١٠٠ ق.م، وانتهى حوالى عام ٢٧٠٠ ق.م[6] وقدر هنرى فرانكفورت لهذا العصر مدة ٤٣٦ سنة وذلك على اساس انه قد بدأ حوالى عام ٣١٠٠ ق.م، وانتهى حوالى عام ٢٦٦٤ ق.م[7]. ويرى سليم حسن أن هذا العصر قد استغرق حوالى ٤٢٠ سنة، وذلك على اعتبار انه قد بدأ حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م وانتهى حوال ٢٧٨٠ ق.م.[8]

أما *Sewell* فقد قدر مدة هذا العصر بحوالى ٢٧٣ سنة وذلك على اساس أنه قد بدأ حوالى عام ٣١٨٨ ق.م، وانتهى حوالى عام ٢٨١٥ ق.م.[9]

---

(1) J.H.,Breasted, op. cit., p. 21.
(2) W.C. Hayes., op. cit., p. 34.
(٣) دريوتون (ايتين، (فانديه)، (جاك): المرجع السابق، ص١٥٢.
(4) I.E.S., Edwards, "The Early Dynastic- Period in Egypt", In The Cambridge Ancient History, vol. I, Part. Cambridge, 1971.
(5) J. Wilson., op. cit., p: 319.
(6) A. Gardiner., op. cit., pp. 430 - 433.
(7) H, Frankfort., op. cit., p. 112.
(٨) سليم حسن: مصر القديمة، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٤٠، ص٢٦٧.
(9) J.W.S. Sewell., The Legacy of Egypt, Oxford, 1957, p.11.

وهناك رأى ثالث، يرى اصحابه أن هذا العصر لم يستغرق اكثر من ثلاثة قرون، مثل الكسندر شارف الذى يرى انه قد استغرق حوالى ٢٥٠ سنه، على اعتبار انه قد بدأ حوالى عام ٢٨٥٠ ق.م. وانتهى حوالى عام ٢٦٠٠ ق.م.(١)

أما أحدث الآراء فتتجه إلى أن هذا العصر قد بدأ حوالى عام ٣١٠٠ ق.م وانتهى عام ٢٦٨٦ ق.م تقريباً.(٢)

---

(١) الكسندر شارف، المرجع السابق، ص٩.

(2) I. Shaw, and P. Nicholson, British Museum Dictionary of Ancient Egypt, British Museum Press, 1995, p. 310.

ثالثا: الكيان السياسي الداخلي في عصر الاسرتين الأولى والثانية

يتضمن هذا الكيان السياسى الداخلى لمصر القديمة فى عصر الاسرتين الأولى والثانية دراسة ثلاثة موضوعات رئيسية وهى توحيد البلاد، وبداية استقرار الكيان السياسى الداخلى، والوسائل التى اتبعها ملوك العصر لتدعيم الوحدة بين الجنوب والشمال.

وبالنسبة للموضوع الأول وهو **توحيد البلاد**، فيمكن ان ترجع بدايته إلى مرحلة عصر ما قبل الاسرات الاوسط حيث شهد هذا العصر ظهور المقاطعات المستقلة بحدودها وعواصمها وحكامها وآلهتها ورموزها الخاصة بها والتى تطورت إلى ادماج هذه المقاطعات إلي مملكتين احداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب. ثم بدأت محاولات توحيد هاتين المملكتين فى مملكة واحدة وهو الأمر الذى يبدو أنه قد تحقق بصفة مؤقتة بزعامة الجنوب والتى انتهت إلى تحقيق هذا الاتحاد فعلا فى بداية العصر التاريخى.

فيستدل من الاثار التى عثر عليها فى نخن (هيراكونبوليس) وغيرها على وجود ملكين بذلا كل جهدهما فى سبيل هذا الهدف الوطنى، وهو تحقيق الوحدة السياسية لوادى النيل الادنى الذى هيأت له كل الظروف الطبيعية والبشرية سبل الوحدة، وهذان الملكان هما: الأول ما اصطلح على تسميته بالملك عقرب، والثانى هو الملك نعرمر.

وفيما يتعلق بالملك الأول، فقد عثر على العديد من الاثار التى تحمل اسمه والذى كتب فى هيئة حشرة العقرب ولم يتمكن العلماء من معرفة مدلول لها فسموه باسمها أى «عقرب» ولقد عثر على اسمه مكتوبا وبجواره العلامة الهيروغليفية التى تقرأ «كا» على العديد من الأوانى، وعثر فى نفس الموقع

كذلك على اوانى أخرى من نفس المادة صور عليها الصقر فوق ما يشبه الغصن وبجواره العلامة «كا».[1]

واتجه بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن هذه العلامة تعنى «العقرب المحروس» و«الصقر المحروس» وذلك على اساس ان صور الذراعين [كانت تعبر عن معنى الحماية فى الكتابة المصرية القديمة وان كليهما يرمزان إلى الملك، وعثر كذلك فى ابيدوس على طبعات اختام تحمل اسم الملك «كا» ومن اكمل هذه الطبعات التى عثر عليها فى المقبرة رقم (٧) والتى كتب فيها الاسم «كا» فى وضع معتدل فوق ما يشبه السرح أو واجهة القصر.

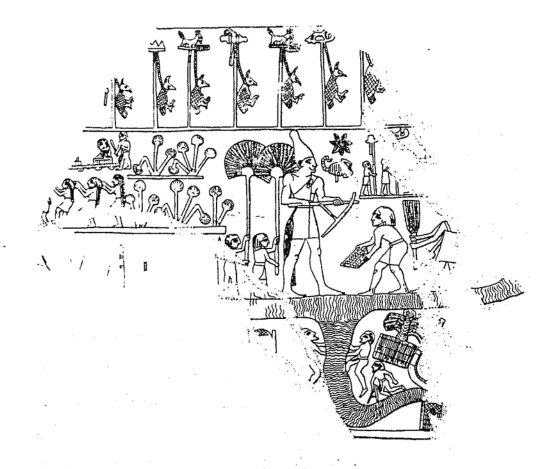
ويرى الباحث ان إسم الملك «كا» ما هو الا الإسم الحورى للملك عقرب. ويؤكد ذلك أيضا دليل اخر ثانوى وهو انه تنسب للملك «كا» المقبرة رقم (٧) فى ابيدوس وذلك نتيجة لوجود اسمه مكتوبا على العديد من الاوانى الاسطوانية فيها. ونظرا لمجاورة هذه المقبرة للمقبرة التى تنسب للملك نعرمر بابيدوس، وما اوضحته الادلة الاثرية من مواصلة نعرمر لجهود سلفه الملك عقرب فى سبيل توحيد البلاد، ومن وجود علاقة مباشرة بين كل من الملك عقرب ونعرمر وحور عحا فان نسبة هذه المقبرة للملك عقرب تصبح مرجحة.

يتضح من هذه الادلة الاثرية ان توحيد الملك «كا» بالملك «عقرب» يصبح امرا مرجحا وفيما يتعلق بالاثار المكتشفة للملك عقرب والتى تشير إلى جهوده فى عملية القيام بتوحيد البلاد فيمكن مناقشتها فيما يلى:

نقوش رؤوس الصولجانات (المقامع):

أ- رأس المقمعة التى عثر عليها فى هيراكونبوليس[2]: (شكل ٥)

(1) J.E. Quibell, Hierakonpolis, I. London. 1990. pl xxxiv.
(2) Ibid., pl., xxiiv, pp. 9-10.



شكل (٥) رأس مقمعة الملك عقرب

صنع رأس هذا الصولجان من الحجر الجيرى، ويبلغ ارتفاعه ٣٢ سم وقطره ٢٥ سم، وغطى بنقوش موزعة على ثلاثة مناظر، يمثل المنظر العلوى منها موكب من الألوية الحربية تعلوها شعارات الأقاليم، وهى ابن أوى وست ومين ثم ست يليه علامة التل. وقد علق طائر الزقزاق من عنقه بحبل يدور حوله وهو ميت أو يبدو كميت. ويواجه هذه الألوية من الناحية الأخرى، موكب من الالوية تتصل بها اقواس مربوطة بنفس طريقة ربط طائر الزقزاق، ويلاحظ وجود الصقر واقفا فوق ما يشبه الهلال على احد هذه الالوية، ويرى بعض العلماء ان طائر الزقزاق يرمز إلى سكان الدلتا، بينما يرى آخرون انه يرمز إلى جهات من مصر الوسطى وترمز الاقواس إلى البدو من سكان الواحات والهضاب الصحراوية.

-ويرى الباحث ان هذا المنظر يشير إلى هزيمة الملك عقرب لسكان الدلتا وانتصاره كذلك على القبائل الأخرى الموجودة على حدودها.

وصور الملك فى المنظر الأوسط مرتديا تاج الجنوب الابيض ويمسك بكلتا يديه بفأس يهم بحفر الارض بها على شاطئ قناة ويوجد أمامه شخص قصير القامة يقوم بحمل التراب الذى يستخرجه الملك فى سلة مصنوعة من اغصان الصفصاف يحملها بين يديه، ويرى بعض العلماء أن هذا المنظر يعبر عن حفل افتتاح مشروع للرى أو الزراعة بينما يرى آخرون يرون انه يمثل تحويل مجرى نهر النيل تمهيدا لبناء مدينة منف.

ويوجد خلف الشخص الذى يحمل السلة رجل آخر يحمل مجموعة من سنابل القمح وقد صور فوقها مجموعة من حملة الاعلام لم يتبق منها سوى ما يمكن أن يكون لواءى «مين» و«ويولوات».

وصور أمام رأس الملك علامتين عبارة عن زهرة وعقرب، ويرى بعض الباحثين ان علامة الزهرة ذات الورقات السبع تقرأ «ملك» اما علامة العقرب فهى تدل على اسم الملك. وعلى ذلك فهى تعنى «الملك عقرب» لتحدد شخصية الشخص المرسوم والذى صنعت المقمعة من أجله.

ويوجد خلف الملك اثنان من حملة المراوح، وصور بعد حملة المراوح مناظر لنبات البردى فى صفين يعلو كل منهما الاخر، ويرى الباحثون انها تمثل البلاد التى فتحها الملك، وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه البلاد المفتوحة تكون حينئذ هى الدلتا وذلك على اعتبار ان نبات البردى يشير إلى الدلتا.

ويأتى بعد نبات البردى منظرين يصور المنظر العلوى منها اشخاص جالسين فى محفات وصور وراءهم شخص يحمل عصا، ويحتمل ان يكون هؤلاء الاشخاص الجالسين فى المحفات امراء أسرى، بينما يميل فريق آخر إلى القول

بأنهن اميرات الوجه البحرى اللاتى ضمهن الملك إلى حريمه. ويؤكد ذلك الرأى وجود نبات البردى الذى يمثل هنا ارض الدلتا المفتوحة وكذلك انه ظهرت اسفل الاشخاص الجالسين فى المحفات صف من النسوة لهن شعور طويلة ويقمن بالرقص ابتهاجا بهذه المناسبة السعيدة.

وتوضح نقوش الصف السفلى جزيرة يحيطها النهر ويعمل فيها عدد من الاشخاص وقد ظهر فيها منظر كوخ ونخله، وتظهر على حافة الصخر مقدمة مركب، وصور الفنان منظر معبدين متباعدين على حافة النهر.

يتضح مما سبق ان نقوش هذه المقمعة توضح قيام الملك عقرب بحروب فى الدلتا والصحراوات المحيطة بها بمساعدة الأقاليم الجنوبية ونجاحه فى هذا العمل. وتوضح أيضا اهتمامه بالاعمال التى تهدف إلى رخاء البلاد فتوضحه وهو يقوم بافتتاح قناة الرى، ولم ينس الفنان ان يعبر عن تقوى ملكه واهتمامه بتشييد المعابد فصور معبدين متباعدين على جانبى النهر.

ب- يوجد بالاضافة إلى رأس هذا الصولج رأسى صولجانين فى مجموعة بترى[1] ويوضح احداهما الملك جالسا على عرش وهو يرتدى تاج الشمال الأحمر تحت محفة ترتفع بواسطة رمحين ويوجد أمام الملك صقر كبير يجذب رجلا ذا ضفيرة طويلة من انفه بواسطة حبل. ويرى الباحث ان نقوش رأس هذا الصولج تمثل انتصار الملك عقرب على الشعب ذا الضفيرة الطويلة وأنها توضح الملك مرتديا تاج الشمال مما يدل على أن الملك عقرب وليس نعرمر هو أول ملك وحد مصر العليا والسفلى.

وبالاضافة إلى نقوش رؤوس الصولجانات التى توضح امتداد نفوذ الملك عقرب شمالا، فقد عثر على العديد من النقوش والاوانى التى تؤيد ذلك، ومن

(1) A. J. Arkel., "Varia Sudanica", in J.E.A. 36 (1950) PP. 31- 35.

بين هذه الاوانى، نقوش آنية عثر عليها فى هيراكوبنوليس[1]. نقش سطحها الخارجى بنقوش بارزة تمثل فى اعلاها الصقر حور مكررا عدة مرات وهو واقف فوق ما يشبه الغصن وظهر تحته علامة العقرب. وعلى ذلك فقد قرنت هذه المجموعة «الحور عقرب» وظهر قوسين على جانبى الاناء يصل بينهما حبل غليظ يظهر ثلاثة طيور يتوسطها طائر الزقزاق.

ويبدو أن هذه المجموعة من العلامات تعبر عن انتصار الملك عقرب على سكان الصحراء الذين يحيطون بالدلتا والذين كانوا يرمز لهم بالاقواس. وربما يرمز الحبل المصور هنا والذى يصل بين القوسين على تمكنه من اخضاعهم له تماما، ويحتمل أن طائر الزقزاق الممثل فى الصف السفلى يشير إلى أن الدلتا كانت تابعة له وراضية بحكمه. فيرى هذا الطائر وقد مثل هنا حرا طليقا، ويرى بعض الباحثين أن هذه المجموعة من العلامات تعنى حور العقرب الذى اخضع الاجانب واخضع أهل الدلتا.

ولقد عثر على عديد من نقوش الأوانى كذلك تحمل الاسم الحورى للملك عقرب وذلك فى كل من طرخان وحلوان، ويلاحظ أن هيئة الصقر متماثلة فى نقوش الاوانى التى عثر عليها فى ابيدوس وطرخان وحلوان مما يؤكد انتماءها لملك واحد وكتابتها فى عصر واحد. يوضح ذلك امتداد نفوذ الملك عقرب شمالا حتى حلوان.

كذلك عثر أحد الباحثين فى سقارة فى المقبرة التى تنسب للملك حور عحا على شكل للعقرب ممسك بفأس أو مذبه. ويشبه شكل العقرب هنا شكله الذى عثر عليه على قطعة عاجية أسطوانية فى المقبرة التى تنسب للملك نعرمر فى ابيدوس، ويشبه شكل العقرب فى هذين الاثرين شكله الممثل فى صلاية الحصون والغنائم، مما دعا بعض المؤرخين إلى نسبتهما إليه. ومن ثم نسب إليه القيام بحروب داخلية دمر فيها الحصون، وحروب خارجية فى أرض التحنو التى غنم

---

(1) J.E. Quibell, Hierakonplis, II, PL XiX, I.

فيها الغنائم التى ظهرت على ظهر اللوحة، وأن كان البعض من الباحثين يقترح أن تكن هذه اللوحة احياء لذكرى انتصار الملك عقرب على بوتو.

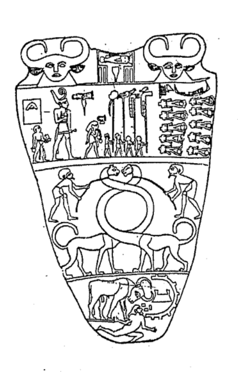
وهكذا فقد خطا الملك عقرب خطوات كبيرة فى سبيل توحيد البلاد والدفاع عنها ضد البدو المغيرين عليها. ولكنه ترك مهمة النصر العسكرى الحاسم على الدلتا لخليفته نعرمر.

وهناك مجموعة من الاثار توضح الجهد الذى بذله الملك نعرمر فى سبيل توحيد البلاد وتتمثل هذه الاثار فى:

١- نقوش الصلاة الاردوازية[1]: شكل (٦، ٧)



(شكل ٦) لوحة نعرمر (من الوجه)



(شكل ٧) لوحة نعرمر (من الخلف)

(1) J.E. Quibell, Hierakonpolis, 1, PL XXiX.

عشر على هذه الصلاية فى معبد مدينة نخن وهى حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة ويبلغ طولها ٦٢سم ويتراوح سمكها ما بين ١٥مم فى بعض الاجزاء الحافة إلى ٤سم فى الوسط. ويوجد الاسم الحورى للملك فى قمة وجه اللوحة داخل مستطيل يرمز إلى واجهة القصر (السرخ) وظهر على جانب الاسم رأسان للمعبودة حاتحور بوجه أنثى لها قرنى البقرة واذنيها. وتعتبر هذه هى المرة الأولى التى يرمز فيها المصريون إلى آلهتهم بصورة تجمع بين الشكل البشرى والشكل الحيوانى.

وتجدر الاشارة إلى أن بعض الدراسات الحديثة ترى أن الشكل المصور هو الثور، ويدعم هذا الرأى أن الملك عندما تُوصف قوته كان يقال «الثور القوى»، ولقد صور الملك على هذه اللوحة فى هيئة ثور ضخم يقتحم قلعة للاعداء، كما ظهر الملك أيضا وهو يرتدى ذيل ثور، وزين الحزام الذى يرتيه بأربعة رؤوس للثيران، ربما لتقابل الرؤوس الاربعة الموجودة على قمة اللوحة.(١)

وظهر فى الصف الاوسط من اللوحة، الملك مرتديا تاج الجنوب ويمسك فى يده اليمنى بمقمعة ويجذب بيده اليسرى شعر عدو راكع امامه ويوجد على يسار العدو المضروب ذا الرأس العارية والشعر الطويل والذقن والمجرد من الثياب عدا حزام ضيق يتصل به سياج صغير من لحاء الشجر علامتين هيروغليفيتين رأى عديد من العلماء أنها تدل على اسمه الذى ربما يعنى خادم البحيرة التى ربما تشير إلى بحيرة الفيوم، بينما يرى البعض الآخر أن هذه العلامة تشير إلى اقليم الأسير نظرا لعدم تسجيل المصريين لأسماء اعدائهم على آثارهم حتى لا يتركوا لهم فرصة للخلود، ورجحوا أن يكون هذا الاقليم منطقة الفيوم أو أن يكون اقليما فى اقصى الاقاليم الشمالية الغربية للدلتا على حدود الصحراء الليبية.

وتوجد فوق الاسير مجموعة من العلامات تصور الصقر حور، وله قدم

(1) W. Davis, Masking the Blow, Oxford, 1992, p. 165.

طائر وذراع أدمية تمسك بحبل يمر خلال الشفة العليا لرأس انسان تحته مستطيل تخرج منه جزوع ستة نباتات بردى، ولقد رأى عديد من العلماء انها تدل على أن الالة حور قد احضر للملك ستة الاف اسير، بينما يرى البعض الآخر انها تمثل نباتات الشمال أى أن هذا المنظر يمثل انتصارا على الشماليين.

ويوجد خلف الملك شخص يحمل صندلا فى يده اليسرى، وفى يده اليمنى اناء له صنبور ويد، ولهذا الشخص شعر قصير مغطى بطاقية سميكة، ويرتدى حول رقبته قلادة عريضة، اتجه بعض العلماء إلى الاعتقاد بأنها سير أو ياقة يرتبط بها الخدم. وظهر فوقه علامتين رأى أغلب العلماء انهما تشيران إلى لقبه، ويوجد بالصف السفلى عدوين مجردين من الثياب وظهر فوق كل منهما علامة هيروغليفية تدل على اسم مدينته.

وتكمل النقوش المسجلة على ظهر اللوحة الاحداث المسجلة على وجهها فظهر الملك مرتديا تاج الشمال الاحمر، ويمسك فى احدى يديه بمقمعة وفى الاخرى مذبه. وظهر خلف الملك نفس الشخص الموجود وراءه على وجه اللوحة وهو يحمل فى احدى يديه نعل الملك، وفى اليد الأخرى الاناء ذا الصنبور واليد. وظهر أمام الملك شخص كتب اسمه فوقه، وسار امام هذا الشخص موكب مكون من اربعة من حملة الاعلام، يتقدمهم علمان عليهما الصقر حور والثالث عليه حيوان ابن آوى رمز الاله وبواوات فاتح الطريق، والرابع عليه شئ يشبه قطعة من اللحم.

ويرى بعض العلماء أن هذه الاقاليم الممثلة شعارتها فى هذا الموكب انما تعبر عن اشتراكها الفعلى مع الملك نعرمر فى حروبه الذى ادت إلى توحيد البلاد.

ويوجد أمام الموكب الملكى مجموعة من العلامات الهيروغليفية يرجح أنها

تعبر عن المكان الذى يتجه إلى الموكب. واسفل هذه العلامات توجد جثث عشرة اشخاص مقيدة ايديهم ومقطوعة رؤوسهم، وقد رتبوا فى صفين، ووضعت رأس كل منهم بين قدميه، ولهم جميعا ذقون، مما يقربهم من هيئة البدو الاسيويين والليبيين.

وفيما يتعلق بالغرض الذى هدف من ورائه الفنان أن يرمز إلى هذه الجثث العشرة[1] فيرى البعض انها تعبر عن تضحية بشرية تقدم للملك ويرى آخرون انها تمثل الاعداء الذين هزمهم الملك، ويرى البعض الثالث أنها تشير إلى مناسبة الزيارة وهى الاحتفال بذكرى نصر قديم انتصر الملك أو احد أسلافه فيه على عشرة احلاف من مناهضيه.

ويوجد فى الصف التالى وحشين غريبى الخلقة التفت اعناقهما الطويلة حول حفرة الصلاية، وقد ربطت بحبال التفت حول اعناقها وامسك بكل حبل أحد الاتباع.

ويرى بعض الباحثين أن رأس هذين الشخصين تشبه تماما رأس الملك وعلى ذلك فهو يرى أن ذلك ربما يرمز إلى اخضاع بعض القبائل ويرى البعض الآخر أن هذا المنظر يرمز إلى اتحاد نصفى مصر.[2]

وفى الصف السفلى مثل الملك كثور واقف على قاعدة ويحطم سور بقرنيه وقد كتب اسم المدينة داخلها، ويطأ الثور عدواً منبطحاً ذا شعر طويل.

ويعد هذه الدراسة التفصيلية لنقوش هذه اللوحة يرى الباحث أن الغرض

(١) انظر في ذلك:

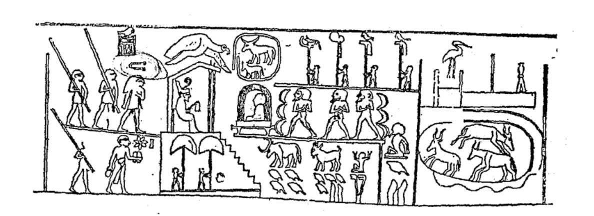
F. Legge, in PSBA, 22 (1900). P. 128.,
A.H. Gardiner, Egypt to the Pharaohs, P. 404.

عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٢٢٦.

(2) A.H. Gardiner. OP. Cit., P. 404.

من هذه اللوحة هو تخليد لذكرى بعض الحروب التى ادت فى النهاية إلى ذلك الحدث التاريخى الهام فى حياة البلاد وهو اتحاد القطرين تحت لواء حاكم واحد، ومما يدعوه إلى ذلك، الهيئة التى صور عليها الملك والتى يغلب عليها الهدوء والمودة كما أن تصوير تابع الملك وآنية التطهير، ووجود كاهن امامه يدعو الباحث إلى الاعتقاد بأن الملك كان يقوم باحتفال رمزى. كذلك فإن صور الاعداء الممثلين على هذه اللوحة تقربهم من هيئة البدو الآسيويين والليبيين مما يدعو إلى الاعتقاد بأن الملك نعرمر قد اكمل اعمال سلفه الملك عقرب فى الزود عن حدود البلاد وتخليصها من البدو المغيرين عليها فى الشرق والغرب.

ثانيا: نقوش مقمعة الملك نعرمر[1]: (شكل ٨)



(شكل ٨) نقوش رأس مقمعة الملك نعرمر

عثر عليها فى معبد نخن وهى مصنوعة من الحجر الجيرى الخفيف نوعا ما، وهى موجودة حالياً فى متحف الأشموليان. والشكل الرئيسى فى مناظر هذه المقمعة، هو الملك الذى كتب اسمه الحورى خلفه فى اعلى المنظر. وقد جلس على عرشه الموجود فى مقصورة يرتفع تسع درجات وقد ارتدى تاج الوجه البحرى الاحمر وثوبا طويلا يصل حتى قدميه وقد أمسك فى يده مذبه.

(1) J.E. Quibell, OP. Cit., PL. XXVI.

وتحلق فوق العرش الالهة الحامية نخبت ووقف أسفل الملك اثنين من حملة المراوح ويوجد خلف الملك صفين من الاشكال نقشت على نفس المستوى، ويحمل ثلاثة منهم هراوات طويلة ويوجد أمام عرش الملك ثلاث صفوف، ويوجد فى الصف العلوى اربعة من حملة الاعلام ويحتمل أن الفناء المواجه لهذه الألوية والتى يوجد فيها ثور وعجل يكون جزءا من المنظر الموجود فى اسفل اللوحة. ويوجد فى الصف الأوسط شخص يرتدى ثوباً طويلا وهو جالس فى محفة مسقوفة فوق اريكة، وخلفه ثلاثة رجال ملثمين يبدو أنهم يرقصون وأيديهم فوق صدورهم داخل سور لم يكتمل من أعلى واسفل.

ويسجل الصف الثالث اعداداً ضخمة من الثيران والماعز والاشخاص تبلغ اعدادها ٤٠٠,٠٠٠ ثور و ١,٤٢٢,٠٠٠ ماعز و ١٢٠,٠٠٠ أسير.

واختلفت الآراء حول ما تدل عليه مناظر هذه المقمعة، فرأى البعض أنها تمثل الحاكم المأسور وقد احضر امام نعرمر وتبعه رعاياه الذين اجبروا على القيام برقص مقدس. وأن الشكل الموجود فى محفة يمثل الملك الأسير أو تضحية بشرية. وفيما يتعلق بالاشخاص الثلاثة الموجودين خلف الشخص الجالس فى المحفة فيرجح أن يكون هذا المنظر معبر عن قيام الاسرى بالرقص فى حضرة الملك، كذلك يرجح أن يكون الملك قد صور هنا وهو يحتفل بعيد زواجه من الاميرة الوارثة للارض التى هزمها. وأن الشخص الموجود فى المحفة هى «نيت حتب».

ورأى بعض العلماء أن مناظر المقمعة تمثل مرحلة من مراحل احتفال الملك بعيد سد وأن الشخصية الموجودة فى المحفة قد تمثل ولى العهد نعرمر أو أحد كبار امراء الوجه البحرى الذين عفا عنهم وقربهم إليه بينما يرى البعض أنها تصور عبد ابتهاج بتعداد الغنائم.

ويرى الباحث أن مناظر هذه المقمعة تسجل أهم الأعمال التى تمت فى عهد الملك نعرمر. وهى زواجه من الاميرة الشمالية نيت حتب التى عثر على مقبرتها فى نقادة. وتعتبر تلك لفتة ذكية من الملك لارضاء أهل الدلتا، وحتى يصبح فى نظرهم حاكما شرعيا للبلاد، لتحل المحبة والمودة مكان الحرب والبغضاء. ويلاحظ أن خلفاء الملك قد اتبعوه فى هذا التقليد، أما عن الاعداد الضخمة من الماشية والماعز والاشخاص التى سجلتها رأس المقمعة فربما تشير إلى الغنائم التى حصل عليه الملك فى حروبه المختلفة التى خاضها فى الشمال لإتمام وتدعيم وحدة البلاد، وفى الشرق والغرب لتطهير ارض الكنانة من البدو والمغيرين عليها.

ويوضح أقصى جزء من رأس المقمعة معبدا بدائيا بسيطا وضعت عند مدخله آنية فوق حامل مرتفع. وارتفع فوقه صار مرتفع كان يخصص لوضع علم المعبود الذى أقيم المعبد من أجله ويظهر فى نهاية المعبد مقصورة الإله التى ظهر فوقها طائر يرمز إلى إله المعبد الذى ربما يكون تحوت فى الاقليم الثالث من الدلتا، أو المعبود جبعوتى اله جبعوت القديمة التى سميت فيما بعد باسم «ب» (بوتو – تل الفراعين، بالقرب من دسوق) وربما يدل ذلك على محاولة الملك الجنوبى ارضاء الشماليين ببناء المعابد لالهة الشمال، ويظهر أسفل المعبد حظيرة كبيرة ظهرت فيها ثلاثة غزلان، يرجح أنها تمثل قرابين مقدمة للمعبد.

يتضح مما سبق أن نقوش هذه المقمعة تعبر عن استقرار الملك نعرمر فى ملكه، وتوضح المحاولات الذكية التى قام بها لإرضاء الشماليين وهى زواجه من اميرة شمالية، وقيامه ببناء المعابد لآلهة الشمال.

أما بالنسبة للموضوع الثانى وهو: بداية استقرار الكيان السياسى الداخلى، فسنبدأ بمناقشة الاراء المختلفة التى ابديت حول مؤسس العصر وهى

مشكلة اختلفت بشأنها أراء المؤرخين اختلافا بيناً. وارتبط ذلك بأربعة ملوك هم عقرب ونعرمر وعحا ومنى.[1]

وبالنسبة **للملك عقرب** فقد عثر على اسمه مكتوبا على العديد من الاثار من اهمها كما اشرت تلك التى تشير إلى جهوده فى عملية توحيد البلاد، وهى رؤوس المقامع التى تسجل مراحل كفاحه والتى يظهر فى اثنين منها مرتديا تاج مصر السفلى، وعثر على مقبرة له فى ابيدوس عثر فيها على آثار تحمل اسمه الحورى «كا» كما عثر على اسمه فى مقبرة حور عحا بسقارة، وذلك بالاضافة إلى العثور على آثار له فى كل من طرخان وطرة وحلوان.

أما **الملك نعرمر** فقد ظهر اسمه على عديد من الآثار من أهمها لوحته الاردوازية، ورأس المقمعة كما ظهر اسمه على ختم مع العلامة «من» ونسبت إليه مقبرة فى ابيدوس أيضا.

وبالنسبة **للملك حور عحا** الذى يعنى اسمه «المحارب» أو «حور المحارب» فقد عثر على هذا الإسم على بعض الآثار فى مقبرة صغيرة بأبيدوس نسبها احد الباحثين إليه، وعثر كذلك على عديد من الاثار له فى مقبرة «نيت حتب» بنقادة من أهمها بطاقة عاجية توجد حاليا فى المتحف المصرى بالقاهرة تحمل الاسم الحورى للملك عحا جنبا إلى جنب مع هيكل بناء بداخله اللقب النبتى السيدتين وعلامة هيروغليفية مفردة تعنى «منى» والتى اعتبرها معظم الكتاب أنها تمثل اسم مينا، وعثر على اسمه على العديد من الآثار فى مقبرة ضخمة بسقارة نسبت إليه.

أما **الملك منى** فلم يرد اسمه فى القوائم الملكية إلا ابتداء من عصر الدولة

---

(١) انظر في ذلك:
أحمد أمين سليم: دراسة تاريخية للحضارة المصرية القديمة اثناء عصر الاسرتين الأولي والثانية، رسالة ماجستير، الاسكندرية، ١٩٧٧، ص٧٦ - ٩١.

الحديثة فهو لم يرد فى حجر بالرمو الذى كتب فى عصر الاسرة الخامسة، بينما وضعته قائمة ابيدوس وبردية تورين على رأس ملوكها، وكان تمثاله يسبق كل التماثيل الملكية المحمولة فى موكب الاحتفال بتتويج فراعنة الرعامسة، ووضعه المؤرخ المصرى مانيتون على رأس اسرته الأولى، وارتبط اسم «منى» فى أذهان المصريين انفسهم ببداية العصرى التاريخى، وعثر على ختم يحمل اسمه فى ابيدوس كما عثر على علامة «من» موضوعة على ظهر بطاقة خشبية فى ابيدوس، وعثر كذلك على اختام تحمل اسمه مع اسم نعرمر بأبيدوس، وعثر ايضا على اسمه مع اسم الملك «حور عحا» كما ذكرت على بطاقة نقادة.

ولقد اختلفت آراء المؤرخين حول ترتيب هؤلاء الملوك وبيان تتابعهم على العرش، ومن منهم يوحد مع «منى» وبالتالى ينسب إليه فضل تأسيس الملكية المصرية.

وفيما يتعلق بالآراء التى تنادى بأن الملك عقرب هو منى فقد نادى بهذا الرأى اركل[1]، واعتمد فى تأييد رأيه على حقيقة عثوره على رأسى الصولجانين ولقد رأى أن الملك عقرب هو أول ملك قام بتوحيد مصر العليا والسفلى، وهو الذى عرف فيما بعد تحت اسم منى وخلفه على عرش البلاد نعرمر الذى أكمل الانتصار على الدلتا واستولى على ميناء آسيوى وصف بالباب الكبير.

ثم يؤيد رأيه بأن الملك عقرب قد نقش على رأسه صولجه الذى صور فيه مرتديا تاج الجنوب الأبيض، قيامه بتحويل مجرى النيل قبل قيامه بتأسيس مدينة منف، والتى ذكر هيرودت أن الكهنة قد اخبروه بأن مينيس أول ملوك مصر، قد قام ببناء سد ليفصل بين النيل وموقع مدينة ممفيس، وعلى ذلك فهو يرى أن المادة الاثرية التى عثر عليها للملك عقرب توضح قيامه بتوحيد البلاد وانه أول من ارتدى تاج الشمال من الجنوبيين فى تاريخ البلاد، وانه قام بتحويل مجرى النيل تمهيدا لبناء مدينة منف لتكون عاصمة لمصر الموحدة، مما جعل توحيد هذا الملك بـ «منى» أمرا مؤكدا من وجهه نظره.

---

(1) A.J. Arkell, oP. cit., PP. 31 - 35.

ولكن يرى الباحث أن هذا الرأى يحتاج إلى تدعيم أكثر بالمادة الاثرية إذ أن الآثار التى عثر عليها لخليفته الملك «نعرمر» توضح أن التوحيد النهائى للبلاد قد تم على يدى «نعرمر»، وأن لم يمنع ذلك قيام الملك عقرب بدور ايجابى وكبير فى هذا المجال. وكذلك فإن محاولة تفسير نقوش المقمعة على أنها تشير إلى قيام الملك عقرب ببناء سد لتشييد مدينة منف هو تحميل للأمور فوق ما تطيق إذ أنه من الواضح أن الملك يقوم هنا بحفر قناة لتخدم الاغراض الزراعية ويؤيد ذلك اهتمام الملوك فيما بعد بالاشراف على شئون الرى والزراعة.

أما فيما يتعلق بالآراء التى تنادى بأن الملك «نعرمر» هو «منى» فقد نادى بها عدد كبير من العلماء[1]، وقد اعتمدوا فى تأييد رأيهم على عدد من الافتراضات من بينها أن الآثار التى عثر عليها للملك نعرمر (الصلاية - رأس المقمعة) توضح أنه فاتح تمكن من السيطرة على الدلتا ووحد البلاد تحت لوائه كما يوضح ختم عاجى صغير عثر عليه فى نخن «هيراكونبوليس» انتصار نعرمر على ارض التحنو الليبيين. وقد كتب اسم الملك فى هذا الختم كسمكة كبيرة لها اذرع آدمية ممسكة بعصا تضرب بها عددا من الأسرى ربطت ايديهم خلفهم، وتوجد فوقها إلهة الكاب ناشرة جناحيها، ويوجد أمامها الصقر، ويوجد على يسار اسم الملك اسم منطقة ارض التحنو، ويرى انصار هذا الرأى أن ذلك يتفق مع ما دكره مانيتون من أن مينيس قد وحد البلاد وحارب الليبيين. ومن ثم اصبح أمر كون نعرمر ومنى شخصية واحدة شيئا واجبا.

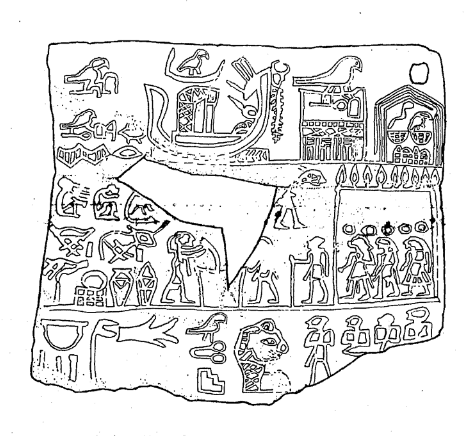
ولكن يرد على ذلك، بأنه إذا كانت آثار نعرمر تظهره كقائد عسكرى همام تمكن من توحيد البلاد تحت لوائه، إلا أنه لا يتبع ذلك بالضرورة أن يكون قد اصبح الحاكم الشرعى لمصر الموحدة، كما أن زواجه من الاميرة الشمالية نيت

(١) من هؤلاء العلماء، انظر:

P.E. Newberry, Great Ones Of Ancient Egypt, London, 1929, PP 37-53.

حتب - والتى توضحها نقوش رأس المقمعة - ليكتسب الشرعية فى حكم الدلتا لا يجعل منه الحاكم المقبول للبلاد.

أما عن الاراء التى ترجع توحيد حور عحا بـ «منى» فقد رأى عديد من العلماء[1] أن الملك حور عحا ومنى يمثلان شخصية واحدة. وقد اعتمدوا فى تأييد رأيهم هذا على بعض الادلة ومنها، ظهور الاسم الحورى عحا على بطاقة نقادة وبجواره الاسم النبتى «من» يوضح انهما اسمان لملك واحد (شكل ٩).



(شكل ٩) بطاقة حور عحا العاجية

(١) انظر في ذلك:
W.M.F. Petrie. The Royal Tombs, II, PI.X, 1; XI, 1-2.,
W.E. Emery. Hor Aha.

وكذلك وجود العلامة «من» على ظهر بطاقة للملك عحا عثر عليها فى ابيدوس يدل على أن منى كان اسما للملك حور عحا، كما تعتبر مقبرة حور عحا الشمالية فى سقارة اقدم مبنى منذ عصر الاسرات فى سقارة، ولم يعثر على أى مخلفات أو بقايا للملك نعرمر، مما يوحى بأن العاصمة الجديدة منف لم تكن قد بنيت بعد، وبالتالى يصبح بناء هذه العاصمة الجديدة لمصر الموحدة من نصيب حور عحا الذى بنى لنفسه مقبرة فى جبانتها سقارة. وبما أن التقاليد تنسب بناء مدينة منف إلى «منى» فإن حور عحا فى هذه الحالة يصبح هو «منى».

وبعد هذا العرض لآراء العلماء المختلفة - يمكن أن نرجح - اعتمادا على المادة الأثرية -أن الملك عقرب قد خطا خطوات كبيرة فى سبيل تحقيق الوحدة السياسية للبلاد. وأن النصر العسكرى الحاسم على مملكة الشمال كان من نصيب الملك نعرمر الذى حاول اكساب حكمه للدلتا صبغة شرعية فتزوج من الاميرة الشمالية «نيت حتب». وأنه لم يتمكن من تنظيم نصره والتمتع بنتائج حروبه، فخلفه على عرش البلاد ابنه حور عحا، الذى وضع اللبنة الاخيرة للتوحيد النهائى وبنى مدينة منف العاصمة المصرية الأولى وعلى ذلك يرجح أن يكون الملك حور عحا هو منى، وأول ملك فى الاسرة الأولى وفى مصر الموحدة وإن كانت هناك بعض الاراء ترى أن نعرمر هو «منى» واتخذ أيضا التسمية «عحا» التى تعنى المقاتل بعد انتصاره على الشمال. وأن كان من الصعب الاخذ بهذا الرأى، ونرجح فى النهاية أن يكون عحا هو منى.

ويمكن ترتيب ملوك الاسرة الأولى حسب المادة الاثرية التى عثر عليها على النحو التالى:

عحا، جر، جت، دن، عج -ايب، سمرخت، قاعا.

ويلاحظ أن القوائم الملكية قد اختلفت فيما بينها اختلافا كبيرا فى ذكر اسماء ملوك الاسرة الأولى، فقد ذكرتهم قائمة ابيدوس على النحو التالى:

منى، تتى، إتى، اتا، حسبتى، مريبابى، سمسم، قبح.

وبينما اتفقت بردية تورين مع بردية ابيدوس فى عدد هؤلاء الملوك على اعتبار انهم ثمانية، إلا انها اختلفت عنها فى بعض الأمور، وهى أنها لم تذكر الملك الثانى فى قائمة أبيدوس وهو تتي واضافت ملكاً آخر فى نهاية الاسرة لم تذكره قائمة أبيدوس وهو باونتر.

ويمكن توحيد ملوك الأسرة الأولى عند مانيتو مع ملوك هذه الأسرة التى ظهرت على آثارهم المعاصرة على النحو التالى:

عحا (مينيس)، جر (اثوثيس)، جت (يونيفيس)، دن (يوسافيس) عج ايب (مايبيس)، سمرخت (سمسم)، قاعا (بينفيس).

أما ملوك الأسرة الثانية فإنه يمكن ترتيبهم حسب الاثار المعاصرة التى عثر عليها على النحو التالى:

حتب سمخوى، رع نب، نى نشر، ونج، سند، سخم ايب (برايب سن) خع سخم، خع سخموى.

ولقد اختلفت القوائم الملكية فيما بينها اختلافا كبيرا بشأن عدد ملوك الأسرة الثانية وترتيب تتابعهم على عرش البلاد، ولم تتفق فيما بينها إلا فى ذكر خمسة ملوك فقط، بينما اختلفت فيما بينها بشأن الملوك الآخرين، والملوك الخمسة الذين اتفقت عليهم القوائم هم.

كاكاو، بانيترن، واد جناس، سندى، جاجاى.

أما مانيتون فقد ذكر أن عدد ملوك هذه الأسرة بلغ تسعة ملوك حكموا البلاد لمدة ٣٠٢ سنة على النحو التالى:

بوبـ س، كـايخـوس، بنوثريس، تلاس، سشنيس، خـايرس، نفـرخـريس سيسو، خريس، خنيريس.

وفيما يتصل **بالموضوع الثالث**، وهو الخاص بالوسائل التى اتبعها ملوك العصر لتدعيم الوحدة بين الجنوب والشمال. فقد عمل ملوك عصر الاسرتين الأولى والثانية على تدعيم هذه الوحدة بعديد من الطرق والوسائل التى من بينها الالقاب الملكية، والزواج من اميرات شماليات، والسماح للوجه البحرى بشخصية متميزة فى إدارته تحت ظل التاجين، وبناء معابد لآلهة الشمال وزيارة الاماكن المقدسة الشمالية والاهتمام بالاعياد الدينية والدنيوية.

وتتضح **الوسيلة الأولى** فى ظاهرة اتخاذ الالقاب الملكية، وهى من أهم الجوانب الحضارية التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الملكى المصرى القديم، وعلى رأس تلك الالقاب اللقب الحورى[1] الذى يتكون من صقر جاسم فوق بناء يكتب على واجهته الاسم الخاص بالملك، ويرى أحد العلماء أن الصقر قد اضيف هنا لتوصيل فكرة أن هذا هو اسم الملك الأبدى ولم يتخذ كلقب اقليمى.

وبينما يرى آخرون أن هذا اللقب مرتبط بعبادة اوزير ويدل على أن الملك هو ابن اوزير وخليفته على الأرض. وبالنسبة لتفسير الاطار الذى يحتوى على الاسم، فقد اختلفت الآراء بصدده، فهناك من يرى أنه أما يمثل بوابة المقبرة أو جدار المقبرة ذا الدخلات والخرجات، بينما يرى معظم المؤرخين أن الواجهة التى يكتب فوقها اسم الملك هى واجهة القصر وليست واجهة المقبرة، وظهر الصقر حور كلقب أول الامر على بعض الآثار التى عثر عليها للملك عقرب ثم ظهر بعد ذلك على آثار الملك نعرمر.

ولقد كان للإسم الحورى الأسبقية على كل الاسماء الأخرى عندما كان

---

(1) W.M.F. Petrie, The Royal Tombs, I, P. 36.

يذكر على الآثار، وهو يعتبر وسيلة تعريفنا الوحيدة المؤكدة لأسماء الملوك التى وجدت على الآثار التى اكتشفت فى ابيدوس وسقارة والمناطق الاخرى التى عثر فيها على آثار ترجع لهذا العصر.

ويلى اللقب الحورى فى الظهور على الآثار، اللقب النبتى، الذى سمى كذلك بسبب قراءة اللقب السيدتان الممثلتان فى صورة رخمة التى تشير إلى الالهة نخبت الجنوبية وجية ترمز للإلهة وادجيت الشمالية ويدل ذلك على رغبة الملك فى التمتع بحماية الإلهة الشمالية والإلهة الجنوبية، كما يشير إلى كونه ممثلا لقطرى الوادى.

ولقد ظهرت أول اشارة إلى هذا اللقب على بطاقة نقادة ويدل هذا اللقب على النظام السياسى فى مظهره وتقاليده، كان يتمسك بالظواهر الحضارية المحلية ويحافظ عليها فى إطار مصرى موحد، أما الأسم الثالث الذى ظهر فى هذا العصر فهو ما يطلق عليه اللقب النسوبيتى الذى يدل على انتساب الملك لنبات البوص أو الاسل شعار مملكة الصعيد والنحلة شعار الدلتا وبذلك يتضح أن هذا اللقب يمثل ملك الوجه القبلى والبحرى. وأن الغرض منه إظهار الفرعون بمظهر الوارث الشرعى لكل من المملكتين القديمتين صاحبتى الشعارين، ويوضح ذلك مدى ارتباط الملكية المصرية القديمة بالمظاهر البيئية المحلية الموجودة فى البلاد ، وكان أول ظهور لهذا اللقب على الآثار فى عهد الملك «دن»، ولكن لا يعنى ذلك بالضرورة أنه لم يكن مستعملا فى عصر من سبقه من الملوك.

ويلاحظ فى هذين الاسمين - النبتى والنسوبيتى - أن إلهة الصعيد وشعاره كانت تسبق تلك الخاصة بالدلتا، وربما يرجع ذلك إلى أن الملوك الذين قاموا بتوحيد البلاد كانوا من الجنوب، وبالتالى جعلوا إلهة قومهم وشعاره فى المقدمة.

أما **الوسيلة الثانية** التى قام بها الملوك فى بداية عصر الاسرتين الأولى والثانية فكانت الزواج من اميرات شماليات، وذلك حتى يدعموا اواصر النسب بين الجنوب والشمال. بالاضافة إلى ما فى ذلك من ارضاء الشماليين وكان له اثره الكبير فى سرعة المزج الحضارى بين شقى الوادى وبلورته حتى ظهر خلال هذا العصر فى صورة مصرية صميمة.

وبدأ الملك نعرمر الزواج من اميرات الشمال، فتزوج من الاميرة الشمالية «نيت حتب» وخلد ذلك الحدث فى نقوش رأس مقمعته كما سبق القول. وينسب معظم الباحثين لها المقبرة الضخمة التى عثر عليها فى نقادة.

ويبرر الاثرى الانجليزى والتر امرى وجود مقبرة الملكة بعيدا فى الجنوب إلى أنها قد ماتت قبل ان يتم اخضاع الشمال نهائيا، وأن الذى قام بدفنها هو ابنها حور عحا.[1]

ويعتمد فى تأييد هذا الرأى على حقيقية العثور على بعض القطع الاثرية التى تحمل اسم الملك حور عحا واسم الملك نعرمر واسم الملكة نيت حتب فى المقبرة التى تنسب إليها.

وتبع نعرمر فى هذا التقليد الملك جر الذى تزوج من الملكة الشمالية «حرنيت» وكشفت الحفائر التى اجريت فى منطقة سقارة وجود مقبرة لها هناك وتؤيد الآثار المكتوبة عليها فى هذه المقبرة انها كانت زوجة للملك جر.[2]

وكان يصحب الملكات الشماليات عدد من الوصيفات. اذ عثر فى ابيدوس على بعض اسماء الإماء التى كان يدخل فى تركيبها المقطع نيت مما كان له اثره الكبير فى انتشار التزاوج بين الشماليات والجنوبيين وبالتالى تدعيم الروابط الاسرية والحضارية بين شطرى البلاد.

---

(1) W.B. Emery, Archaic Egypt., Edinbargh, 1963, P. 49.
(2) Ibid. P. 69.

أما الوسيلة الثالثة التى اتبعها ملوك عصر الاسرتين الأولى والثانية فكانت السماح للوجه البحرى بشخصية متميزة فى ادارته تحت ظل التاجين فلقد كان للملكية فى هذا العصر كل خصائص الملكية فى العصور التالية. واصبحت تنظيمات هذا العصر اساسا لكل التنظيمات التى اعقبتها فى الدولة القديمة، الا انه يلاحظ ان ادارة الوجهين احتفظت فى البداية بطابع ثنائى كان الغرض منه ارضاء الشماليين ولو من الناحية النظرية على الاقل.

وعلى ذلك فقد قام النظام الادارى فى هذا العصر على اساس وجود فرع ادارى لكل افرع الادارة الهامة فى الدلتا.

واعتبر الملك فى هذا العصر حاكما مطلقا له صفة الألوهية وسلطته كاملة على كل الشئون الدنيوية والدينية واستمد ذلك من طبيعته المقدسة التى آمن بها اتباعه. وكان لقبول المبدأ القائل ان مصر لم تكن يحكمها شخص من الوجه القبلى أو شخص من الوجه البحرى ولكن ينتمى لعالم الآلهة بجانب حمله للصفة الانسانية اثره الكبير فى تدعيم الملكية المصرية إذ أنه كان لا ينتمى إلى منطقة اقليمية معينة.

ويبدو ان الملك كان يرأس الادارة المركزية مباشرة، اذ لا تكفى الادلة الاثرية التى عثر عليها لاثبات وجود وظيفة الوزير فى هذا العصر.

وكان يعاونه مستشاران احداهما لشئون الوجه البحرى والاخر لشئون الوجه القبلى ويوضح ذلك رغبة ملوك هذا العصر فى ارضاء أهل الدلتا. وربما كانت أعلى وظيفة ادارية فى هذا العصر وظيفة «حامل الختم» التى تدل على الختام والخازن والامين، وكان اكبر حملة الاختام فى اوائل هذا العصر هم حملة اختام ملك الوجه البحرى الذين كان لهم إشراف واسع على شئون الوجه البحرى ومصالحه.

ويرى بترى أن أول ظهور لهذا اللقب فى عهد الملك دن. وتوضح بطاقة ترجع إلى هذا العهد أن حامل هذا اللقب كان (حما كا).[1]

وظهرت الشخصية المتميزة للشمال فى تكوين الإدارة المالية فى هذا العصر اذ تكونت من بيتين للمال احداهما للشمال والاخر للجنوب واعتمدت موارد بيتى المال على الضرائب المحصلة من المحاصيل الزراعية والحيوانات والمصايد وانتاج المصانع. واعتمدت كذلك على ما تنتجه المحاجر والمناجم وما تعود به التجارة وما تستولى عليه الدولة من اسلاب وغنائم فى حروبها الخارجية. وكان يتولى كل بيت الانفاق على مشروعات الدولة ومرتبات الموظفين.

واوضح نظام الإدارة الاقليمية فى هذا العصر اهتمام الملوك بالشمال وعملهم على تدعيم الاقتصاد القومى للبلاد مما كان له اثره على مظاهر الانتاج الحضارى.

فقد كان من أهم مهام حكام الاقاليم الاشراف على القنوات والمحافظة عليها وتطويرها وكان عليهم الحصول من الأرض بالطرق الممكنة على كل ما يمكن الحصول عليه لزيادة الثروة العامة وبخاصة الخزانة الملكية وكان على حكام الاقاليم كذلك القيام بعمل احصاء عام، كان يجرى ابتداء من الأسرة الثانية كل عامين بانتظام. ويبدو كذلك أن حكام الاقاليم كانوا مسئولين كذلك عن تجهيز الجيوش وقت الحاجة إليها. وكان يقوم باعمال الرصد والتسجيل طائفة الكتبة الذى كان لهم دورهم الرئيسى فى بيوت المال والقصور الملكية لكتابة الاوامر والرسائل ونسخها.

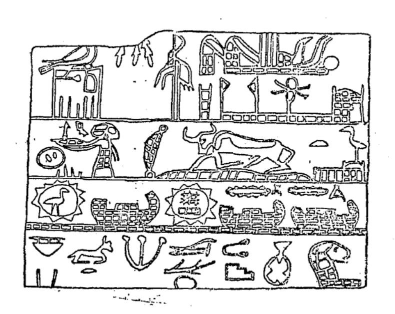
وساعد النظام الإدارى على تقدم البلاد الحضارى ومن ناحية أخرى فقط استلزم النظام الإدارى تدوين كل صغيرة وكبيرة مما ساعد على سرعة بلوغ الخط الهيروغليفى درجة كبيرة من الاتقان منذ هذا العصر.

---

(1) W.M.F. Petrie, The Royal Tombs, I, PL., XV, 16.

أما الوسيلة الرابعة التى اتبعها ملوك عصر الاسرتين الأولى والثانية فكانت الاهتمام باقامة المعابد فى الشمال وزيارة الاماكن المقدسة الشمالية والاهتمام بالاحتفال بالاعياد الدينية والدنيوية وذلك كمحاولة منهم لتهدئة الشماليين وكسب رضاهم ومحبتهم.

ولقد أوضحت الاثار التى عثر عليها لملوك مصر الموحدة الاوائل اهتمامهم بهذا الامر. ويوضح ذلك نقوش بطاقة خشبية عثر عليها فى ابيدوس وهى تخص الملك حور عحا[1]. (شكل ١٠) وتوضح نقوش هذه البطاقة قيام حور عحا بتأسيس معبد للالهة نيت آلهه مدينة سايس الشمالية وذلك رغبة منه فى كسب رضا الشماليين ومحبتهم.



(شكل ١٠) بطاقة خشبية من أيدوس

---

(1) F. Legge, in PSBA, 29 (1907), PP. 19-22.

وتوضح نقوش بطاقة عاجية عثر عليها فى ابيدوس قيام الملك جر بزيارة مدينتى بوتو وسايس المقدستان فى الوجه البحرى.

ويلاحظ أن الأحداث التى سجلها حجر بالرمو لعصر الأسرتين الأولى والثانية هى فى معظمها احتفالات بأعياد دينية قام الملوك بها تجاه معظم الآلهة المعروفة فى ذلك العصر والتى تمثل معظم مناطق البلاد، حتى يكسبوا محبتهم وولاءهم.

ومن هذه الاعياد عيد عبادة حور، وعيد ولادة انوبيس، وعيد سكر، وعيد مولد مين ، وعيد عبادة حور رب السماء.

ويسجل حجر بالرمو كذلك كثيرا من الأعياد الدنيوية التى احتفل بها ملوك العصر ويتضح من اسماء كثير من الاعياد انها تميل إلى تأكيد الشخصية الذاتية للشمال، وذلك لإرضاء اهله.

ومن هذه الأعياد عيد تجلى ملك الوجه القبلى، وعيد تجلى ملك الوجه البحرى، والاحتفال بعيد التاج الاحمر والاحتفال بعيد اتحاد القطرين.

بالاضافة إلى تلك الوسائل السابقة التى اتبعها ملوك هذا العصر فإنه يستدل من الاحداث التى قامت فى أواخر الأسرة الأولى الفرعونية حدوث ميل نحو الشماليين وهو الامر الذى أكدته الآثار المعاصرة، وكذلك اللاحقة، وتتمثل هذه الاحداث فى قيام الملك سمرخت بمحو اسم سلفه الملك عدج ايب من على بعض الآثار وقام الملك قاعا خليفة سمرخت بمحو اسم الاخير من على بعض الاثار الخاصة به.

ويضاف إلى ذلك أن قائمة الملوك بسقارة قد بدأت بالملك عدج ايب واغفلت اسم خليفته سمرخت كما يلاحظ أن مقبرة عدج ايب فى ابيدوس هى اقل مقابر الاسرة الأولى هناك فى بنائها ومحتوياتها.

ويلاحظ كذلك أن الملك عدج ايب اتخذ لقبا جديدا عبارة عن صقرين فوق محطين يدلان على حور وست، ويرى أحد الباحثين انهما يرمزان لحور الدلتا وحور الصعيد وربما يشير إلى سيادة الاله حور على كل من الشمال والجنوب، مما يعنى الحد من نفوذ ست ولو بطريق غير مباشر، اذ كان الصقر رمزا لاحد اقاليم الجنوب وهو اقليم هيراكونبوليس الذى عبد هناك مما اثار حفيظة عبدة ست تجاه الملك.

وتفسر هذه الاحداث على اساس أنها تدل على ميل الملك عدج ايب للشماليين ميلا شديدا جعلهم يعتبرونه كأول ملك شرعى فى نظرهم وعلى ذلك فقد بدأو به قائمة ملوكهم.

ولم ترض هذه السياسة خليفته الملك سمرخت الذى شن عليها غارة هوجاء. مما اثار حفيظة الشماليين نحوه فلم يذكروه فى قائمتهم.

ولكن خليفته الملك قاعا اعاد الامور إلى ما كانت عليه من ود وميل نحو الشماليين، واظهر سخطه بمحو اسم سلفه من على آثاره.

ويتضح مما سبق أن فراعنة مصر الأوائل لم يتركوا فرصة من الفرص لإرضاء الشماليين إلا وانتهزوها، ويمكن القول أن محاولة ارضاء أهل الشمال يساعد المؤرخ فى القول بأن هذه المرحلة الهامة من تكوين الحضارة المصرية القديمة كانت تجمع فعلا بين حضارتى الشمال والجنوب مما يعطيها وحدة حضارية محلية إلا أنه يلاحظ من ناحية أخرى، أن الفراعنة قد اضطروا فى بعض الاحيان إلى القيام بعمليات قمع عسكرية تجاه الشماليين، وذلك عندما يستدعى الامر ذلك حتى يستتب الامن فى ربوع البلاد، وتوضح الاثار التى عثر عليها لملوك هذا العصر قيام بعضهم ببعض العمليات العسكرية فى الدلتا، ومنها قيام الملك خع سخم بحملة حربية فى الشمال وذلك استنادا على ما ورد من نقوش على

بعض اوانى هذا الملك والتى فسرت «بعام محاربه الشماليين» وكذلك ما نقش على قاعدتى تمثالية المصنوع احدهما من الاردواز والآخر من الحجر الجيرى الصلب من تصوير للاعداء المذبوحين فى مختلف الاتجاهات، وسجل فى المقدمة الاعداء الشماليين وعددهم ٤٧٢٠٩.(١)

وفى نهاية الحديث عن السياسة الداخلية فى عصر الاسرتين الأولى والثانية نتناول مسألة تصوير الملك برايب سن لحيوان ست فوق سرخه بدلا من الصقر حور.

فلقد اثار هذا الامر جدلا كبيرا بين علماء المصريات الذين رأى بعضهم أنه يمثل ثورة دينية قام بها برايب سن ضد حور، أو أنه يمثل نوعا من الصراع السياسى والدينى بين الشمال والجنوب.

ويمكن القول - اعتمادا على الادلة الاثرية - أنه لم يكن هناك فى الغالب خصومات سياسية أو دينية ونقترح ترتيب الاحداث فى هذه الفترة على النحو التالى:

لقد هاجم الليبيون الدلتا فى عهد الملك نى نثر واحتلوها وانفصلوا بها عن الصعيد وحاول الملك نى نثر استرداد الدلتا فقام بالحروب هناك ولكنه لم يتمكن من استردادها ودحر الغزاة.

وما يشير إلى سوء الاحوال فى هذه الفترة أن الملكين الذين خلفا نى نثر على عرش البلاد لم يحكما لفترة طويلة، ولم يعثر على أثار تذكر لهما ولما اعتلى العرش برايب سن اتخذ الاسم الحورى سخم ايب الذى يعنى قوى القلب، وتلقب بلقب برن ماعت الذى قد يعنى «الذى خرج للعدالة» ويدل هذان الاسمان «سخم ايب» و«برن ماعت» على أن الملك كان شجاعا، وأن حروبه لم يكن

(1) J.E. Quibell, OP. Cit., P.II.

الغرض منها هو مجرد الحرب وسفك الدماء بل كان يبغى تحقيق العدالة المتمثلة فى تطهير بلاده من المعتدى الاثيم.

وانتسب الملك لإله آخر من آلهة مصر الكبار هو الاله رع الذى ظهر على بعض اختام الملك مع اسمه المنتسب لست. ويتضح من ذلك أن الملك سخم ايب قد اراد خوض غمار هذه الحروب تحت رعاية بعض آلهة مصر الكبار حتى تمنحه تلك الآلهة النصر المؤزر على اعدائه.

ونستدل من نقش غير كامل عثر عليه مكتوبا على جزء من آنية مصنوعة من الديوريت تحت الهرم المدرج بسقارة على قيام الملك بغزو البلاد الاجنبية التى كان المقصود منها الارض التى يحتلها الاجانب أى الدلتا.

ولم تؤد الجهود التى بذلها الملك سخم ايب إلى دحر الغزاء وتطهير البلاد منهم فكان على خليفته الملك خع سخم مواصلة الجهاد لتحرير البلاد حتى تمكن من ذلك وطرد الغزاة، وعاد للبلاد أمنها وسلامها.

هذا موجز مختصر لترتيب الاحداث فى هذه الفترة المضطربة، أما عن الادلة التى تعتمد عليها فى عدم حدوث ثورة دينية أو قيام صراع سياسى بين الشمال والجنوب فى هذه الفترة فتتمثل فى حقيقة العثور على الاختام الخاصة بالملك والتى تحمل اسمه منتسبا لحور فى المقبرة التى تنسب إليه بأبيدوس جنبا إلى جنب مع الاختام التى تحمل اسمه منتسبا لست[1] فلو كانت هناك ثورة دينية ضد حور لما احتفظ الملك باختامه التى يظهر فيها منتسبا إليه.

ويستدل من الالقاب التى ظهرت فى هذا العصر - أن الملوك كانوا مرتبطين دائما مع حور وست فكان من الالقاب التى اتخذتها الملكات فى هذا العصر لقب «التى ترى حور وست».

(1) W M.F Petrie. OP Cit.. P 12

كما ظهر على بعض الاثار لقب حر بجمع بين الإلهين وهو لقب «ساق حور ودراع ست»[1] مما يوضح أنه لم يكن يوجد عداء بين حور وست فى هذا العصر

وقد ظهر فى احد اختام الملك التى كتب فيها اسمه منتسبا لست الاله رع إله مدينة اون (هليوبوليس - عين شمس) وهو من آلهة الشمال الكبرى، مما يشير إلى عدم وجود نزاع بين الملك وبين الوجه البحرى، وإلا لما انتسب إلى أحد آلهتهم.

ثم إذا كان قد حدث صراع سياسى بين الشمال والجنوب اقتصر على آثره حكم برايب سن للبلاد على الجنوب فقط، مما دعاه إلى نبذ الاله حور والاستئثار بالاله الجنوبى ست فلمَ تمسك بإلهة الشمال وشعاره اللذان يدخلان فى الاسم النبتى والاسم النسوبيتى الذى يتكون من النحلة ونبات البوص والاسم الذى يتكون من الإلهتين نخبت الالهة الحامية لمدينة نخب والالهة واجيت الهة مدينة دب فى شمال الدلتا، ويؤكد ذلك أن الملك لم يتعصب للجنوب ولم ينقم على الشمال.

ويضاف إلى ما سبق، أن أهل الوجه البحرى لم يناصبوا ست العداء، ولم يكنوا له ضغينة، بل يلاحظ أن مفكرى مدينة اون عندما كونوا تاسوعهم المقدس جعلوا من الإله ست أحد أفراد هذا التاسوع.

ويتضح مما سبق أنه لم توجد عداوة بين الشمال والجنوب فى ذلك العهد ولم يوجد عداء بين الجانبين، بل استمرت شعائر برايب سن تقام فى سقارة اكبر جبانات الوجه البحرى حتى عصر الاسرة الرابعة

---

(1) Ibid XXVII 96 129

رابعا: سياسة مصر الخارجية فى عصر الاسرتين الأولى والثانية:

يرى كثير من الباحثين أن وجود علاقات وثيقة ومنتظمة بين مصر والاقطار المجاورة لها فى الفترة السابقة أو التالية لتوحيد البلاد مباشرة هو أمر بعيد الاحتمال[١]. إذ توضح الأدلة الأثرية وجود معاملات تجارية غير ثابتة، وحملات عسكرية مصرية للدفاع عن حدود البلاد ولتأمين الحصول على السلع غير المتوفرة فى البلاد فلقد كانت علاقة مصر بالشعوب المحيطة بها يسودها السلام طالما لم تحاول تلك الشعوب غزو البلاد[٢] أما إذا حاولت احداها ذلك، فإنها كانت تلق جزاءها سريعا من فراعنة مصر الذين ما فتئوا القيام بالحملات العسكرية لرد الغزاة الطامعين فى خيرات البلاد.

وعلى ذلك فإنه يمكن القول أن السياسة الخارجية فى عهد الاسرتين الأولى والثانية لم تكن تقوم على اساس الغزو الخارجى بل كانت لمصر علاقات سليمة تجارية منذ عصر ما قبل الاسرات مع جيرانها وخاصة فلسطين ولقد اثبتت الادلة الاثرية المتمثلة فى العثور على مقامع كمثرية واوانى فخارية ذات ايدى مموجة عثر عليها فى مصر، استيراد مصر لها من فلسطين[٣]، وازدادت هذه الصلات فى عصر الاسرتين الأولى والثانية وامتدت حتى الساحل السورى بل ووصلت حتى جزيرة كريت.[٤]

واستخدم المصريون فى هذا العصر المناجم الموجودة فى سيناء لاستخراج الذهب والفيروز واستغلوا المحاجر الموجودة فى الصحراء الشرقية وعلى ذلك فقد كان لزاما على الفراعنة أن يحافظوا على سلامة هذه القوافل بين سورية

---

(1) I.E.S., Edwards, op. cit., P. 40.

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم: المرجع السابق، ص١٤٢ – ١٤٣.

(٣) رشيد الناضوري: جنوبي غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول بيروت، ١٩٦٨، ص١٩٧.

(٤) نجيب ميخائيل ابراهيم: المرجع السابق، ص١٤٣.

ومصر.[1] ولذا تحدثنا الاثار عن قيام الفراعنة بتأديب البدو الموجود فى تلك المناطق حينا بعد حين.

وسنتناول فيما يلى بالدراسة علاقة مصر بالدول المجاورة فى هذا العصر، وهى فلسطين وسوريه والنوبة وليبيا وجزر شرقى البحر المتوسط. وجنوب العراق القديم فى هذه الفترة.

اولا: علاقة مصر مع فلسطين وسورية:

يقابل عصر الدولة القديمة فى مصر (٢٦٨٦ - ٢١٨١ ق.م) عصر البرونز المبكر الثالث فى فلسطين وسوريا، وتجابه الباحث فى دراسة علاقة مصر مع فلسطين وسورية خلال عصر الدولة القديمة عدم وجود نصوص أثرية تتصل بهذه العلاقات فى منطقة فلسطين وسورية، وباستثناء المادة الاثرية النصية التى اكتشفت حديثا فى حفائر إبلا[2] فليس هناك نصوص مكتوبة فى فلسطين وسورية يمكن أن تؤرخ بعصر البرونز المبكر، وعلى ذلك، فإن الاعتماد يكاد

---

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم: المرجع السابق، ص١٤٣.

(٢) تقع إبلا (تل مرديخ حاليا) جنوب مدينة حلب بحوالي ٥٥كم، ولقد بدأت الحفائر العلمية بها منذ عام ١٩٦٤ وذلك بواسطة بعثة ايطالية برئاسة الأثاري «باولو ماتيبه»، وفي موسم ١٩٧٥م تمكنت البعثة من الكشف عن المكتبة الملكية في إبلا والتي احتوت علي أعداد ضخمة من الألواح الطينية المكتوبة بالخط المسماري، وقد رتبت الألواح علي رفوف خشبية بصورة دقيقة، وقد صنفت بحسب مواضيعها، ويبلغ اجمالي عدد هذه الألواح ١٦٥٠٠ تقريبا أكثرها بحالة سليمة، وتتكون هذه النصوص من عدد كبير من النصوص المعجمية وعدد من النصوص الأدبية إلي جانب النصوص الإدارية والقضائية والوثائق المتصلة بشئون المال والاقتصاد، أما النصوص التي تعالج مسائل سياسية فهي نادرة جدا، واستمرت الحفائر بعد ذلك حيث أسفرت عن الكشف عن الكثير من الآثار الهامة التي أوضحت طبيعة الحياة في هذه المنطقة من سورية وكذلك طبيعة العلاقات الدولية والتبادل الحضاري بين هذه المنطقة ومناطق الشرق الأدني القديم، أنظر:

P. Matthiae, *Ebla, An Empire Rediscovered*, Translated by C. Holme, London 1980, p. 150 ff.

يكون كاملا على النصوص المصرية، مع ما يمثله من بعض الصعوبات المتمثلة فى مطابقة أسماء سكان فلسطين وسورية التى وردت فى النصوص المصرية على السكان الموجودين فى هذه المنطقة، وكذلك تحديد الاماكن التى وردت فى النصوص المصرية، فبعض اسماء الأماكن التى وردت فى النصوص المصرية غامض أو مبهم بشكل كبير، مما أدى إلى اختلاف الباحثين حول تحديدها بشكل جدير بالاعتبار، كما أن غياب النصوص الفلسطينية والسورية خلال هذه المرحلة لا يمكن الباحث من معرفة وجهة نظر حكام هذه المناطق فى طبيعة هذه العلاقات خلال هذه المرحلة، إلا أننا سنحاول ترسم طبيعة هذه العلاقات من خلال المادة النصية المصرية وكذلك المادة الأثرية كلما كان ذلك متاحاً.

والمصادر المصرية النصية التى يمكن الاعتماد عليها فى دراسة العلاقة بين مصر وفلسطين وسورية تتكون بشكل أساسى من مصدرين رئيسيين: الأول، وهو السير الذاتية لكبار الموظفين والتى يتناولون فيها النشاط الذى قاموا به فى فلسطين وسورية سواء كان عسكريا أو تجاريا، وتتضمن هذه السير اشارات لمواقع فى هذه المناطق، أما الآخر، فهو نصوص الأهرام التى وردت فيها العديد من الاشارات إلى فلسطين وسورية، إلا أنه نظراً لأن هذه النصوص ليست تاريخية فى طبيعتها فلقد اختلف المؤرخون فى شرح وتفسير الإشارات الواردة فيها، ورغم ذلك فان هذه الإشارات لها أهميتها فى مجال علاقات مصر بفلسطين وسورية ولا يمكن تجاهلها. وبالاضافة إلى هذين المصدرين فهناك اشارات نصية أخرى فى كتب الحكمة التى ترجع إلى هذه المرحلة وكذلك النقوش الملكية التى تتضمن تسجيلات موجزة لأحداث فردية ومراسيم وحوليات فيها بعض الاشارات عن هذه المناطق، وعلاوة على ذلك فإن جزءا كبيرا من المادة الأثرية النصية المصرية المتعلقة بسورية

وفلسطين عبارة عن كلمات مفردة وأسماء وألقاب ملكية مسجلة على مصنوعات مصرية.(١)

ولقد وصفت الاراضي الواقعة شمال شرق مصر في النصوص المصرية التى ترجع إلى عصر الدولة القديمة باسم $C3m$ وكانت تطلق بشكل عام علي الأسيويين(٢)، ويذكر *D.B. Redford* أن هذا الاسم يبدو أنه كان يقصد به أصلا شيئا من قبيل «شعب العصا المعقوفة»(٣).

كما إطلق عليها أيضا في عصر الدولة القديمة *st.t* *var.* وهى تعنى الأرض التى أطلق عليها المصريون «آسيا»(٤) حيث وردت بهذا المعنى فى متون الأهرام (٥)، ويرجع *D.B. Redford* أن تكون هذه التسمية مشتقة من هيئة سكان هذه المنطقة التى لاحظها المصريون ، حيث كانوا يعقدون رداءهم على كتفهم، فأطلق عليهم المصريون «أصحاب الأردية المعقودة على اكتافهم» (٦) ومن التسميات التى أطلقت على الفلسطينيين والسوريين أيضا التسمية *fnḫw* (٧) وربما ترجع هذه التسمية - فيما يذكر *D.B. Redford* - إلى قيامهم بربط شعور رؤوسهم بشريط ، فأطلقوا عليهم «أصحاب الاشرطة» (٨).

---

(1) M. Wright, "Contacts between Egypt and Syro Palestine during the Old Kingdom", in Biblical Archaeologist, September, 1988, pp. 143 - 146.

(2) Wb. 1, 167, 19-20; *Urk*, I, 134. وذلك في نص ببي نخت

(3) D.B. Redford "Egypt and western Asia in the Old Kingdom" in *JARCE*, vol. XXIII, 1986, p. 127.

(4) *Wb.* IV, 348, 3; H. Gauthier, *DG*, V, 95.
وتجدر الاشارة إلي أنه منذ عهد الأسرة الحادية عشر أطلق علي سكان هذه البلاد St. tyw *Wb.* IV, 348, 6.

(5) .O. Faulkner, *op. cit.*, § 1837, p. 268.

(6) D.B. Redford, *op. cit.*,p. 125.

(7) Wb. I, 577, 3.

(8) D.B. Redford, *op. cit.*, p. 125.

وسنتناول فيما يلى تطور العلاقات بين مصر وفلسطين وسورية خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية ونبدأ الدراسة بالعلاقة بين مصر وفلسطين .

أ - علاقة مصر بفلسطين :

اتجهت التجارة الخارجية لفلسطين منذ عصر ما قبل الاسرات وعصر الأسرتين الأولى والثانية بشكل رئيسى مع مصر ، وارتبط اقتصاد وتجارة فلسطين خلال هذه المرحلة بمصر ، واعتمدت تجارة مصر مع فلسطين على الطريق البرى حيث لم تظهر فى فلسطين مدن بحرية لها موانىء وذلك قبل الألف الثانى ق.م [1] .

ولقد استورد المصريون من فلسطين الزيت والقار والنبيذ وعسل النحل ، وكانت تأتى هذه البضائع فى أوانى فخارية كبيرة ، ولقد عثر على العديد من هذه الأوانى وهى تتميز بطابع صناعتها الفلسطينى [2] .

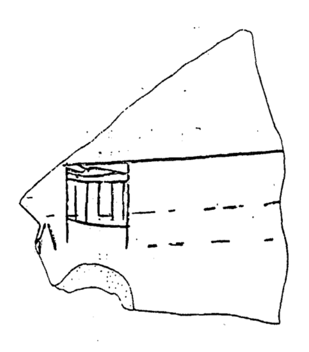
وتوضح الأدلة الأثرية المصرية اهتمام مصر بفلسطين منذ بداية الأسرة الأولى الفرعونية، فلقد عثر فى منطقة تل جاث فى وسط جنوب فلسطين بين مجموعة من الأوانى الفخارية المصرية على قطعة أنية فخارية تحمل اسم الملك «نعرمر» فى داخل السرخ (شكل ١١). وترجع أهمية هذا الكشف الى أنه يمدنا بأول صلة مؤكدة بين مصر وفلسطين عند نهاية الألف الرابع ق.م .[3] كما عثر علي اسم الملك نعرمر أيضا على قطعة فخارية فى الحفائر التى أجريت فى موقع «أراد» فى منطقة النقب (وذلك فى عام ١٩٧٣م) . ولقد

(1) A. Ben- Tor, "The Trade Relations of Palestine in the Early Bronze Age" *JESHO*, vol., XXIX, part 1, February, 1986, p.9.

(2) *Ibid.*, p. 14.

(3) M. Wright, "Contacts between Egypt and Syro - Palestine during the Protodynastic Period" in: *Biblical Archaeologist*, December, 1985, p. 245.

كانت هذه القطعة مكسورة إلى أربعة أجزاء وعندما ضمت إلى بعضها ظهر السرخ الملكى الذى يوجد فى قسمه العلوى علامه هيروغليفية مكتوبة بشكل ردىء «نعر» وهى تعنى الجزء الأول من اسم الملك «نعرمر» ويوجد فوق السرخ الصقر حور (شكل ١٢) . (١)



(شكل ١١) اسم الملك نعرمر علي قطعة آنية فخارية
في تل جاث جنوب فلسطين

(1) *Ibid.*, p. 246.

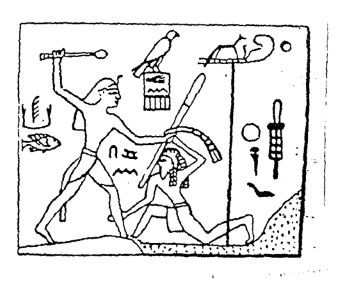
الهيروغليفية الدالة على اسم الملك وهى الثعبان ، ووجد اسم خليفته الملك «دن» منقوشا (محزوزا) على قطعة آنية فخارية وكذلك على طبعة ختم ، ويرجح أيضا وجود طبعات أختام للملكين «عدج إيب» و «سمرخت» [١].

ويرجح من وجود طبعات الاختام والفخار أن المصريين قد استخدموا «عين بيصور» كمنطقة تجمع دائمة خلال عصر الاسرة الأولى ، كما يشير وجود بعض اسماء ملوك الأسرة فى هذه المنطقة إلى أن «عين بيصور» كانت قاعدة ملكية على أحد الطرق التى تربط مصر بفلسطين ويمكن أن تشبه فى طبيعتها التواجد المصرى فى «جات» و «أراد» ، ويمكن أن يشير ذلك إلى أن المصريين قد سيطروا علي منطقة الحدود الجنوبية لفلسطين خلال عصر الأسرة الأولى وذلك من أجل الأغراض الاقتصادية [٢].

وبالاضافة إلى الأدلة الأثرية النصية المصرية التى عثر عليها فى بعض المواقع الفلسطينية ، فإنه توجد بعض الإشارات التى عثر عليها فى مصر وتوضح اهتمام ملوك الاسرتين الأولى والثانية بفلسطين ، ومن هذه الاشارات ما ورد على حجر بالرمو ويرجع إلى عهد الملك «جر» حيث جاء: « عام ضرب الـ *Setjet (sṯt)* » وهو تعبير جغرافى يشير إلى آسيا [٣] . ولقد ورد على بطاقة عاجية للملك «دن» عثر عليها فى المقبرة التى تنسب إليه بأبيدوس ، وصور فيها الملك وهو يهم بضرب عدو أسيوى، وقد ركع العدو فوق أرض ميزها الفنان بأنها أرض رملية بعكس الأرض المسطحة التى يقف عليها الملك ، وسجل علي البطاقة عبارة «أول مرة لضرب الشرقيين» [٤](شكل ١٣).

---

(1) *Ibid.*, p. 249.
(2) *Ibid.*, pp. 249 - 250.
(3) A. Gardiner, *Egypt of the Pharaohs*, Oxford, 1961, p. 414.
(4) P.E. Newberry, and G.A. Wainwright, "King Udy - mu (Den) and the Palermo Stone" in: *Ancient Egypt*, 1, 1914, p. 150, Fig. 3.

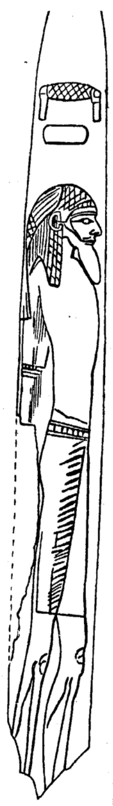


(شكل ١٣) بطاقة الملك «دن» العاجية

وتجدر الاشارة إلى أنه ورد على حجر بالرمو فى السطر الثالث إشارة ترجع إلى عهد هذا الملك أيضا وجاء فيها : «ضرب *Iwntiw* »[١] وتعنى هذه الكلمة «الشرقيين» وهو تعبير غير واضح أو محدد فهو يشير بشكل عام إلي المناطق الواقعة إلى شمال شرق الدلتا [٢].

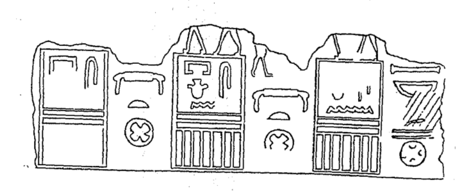
ولقد عثر فى المقبرة التى تنسب للملك «قاعا» (آخر ملوك الأسرة الاولى) فى أبيدوس على قطعة لعب مصنوعة من العاج نحت عليها كلمة *stt* وتحتها نحت شكل لأسير مقيد اليدين ذو هيئة أسيوية (شكل١٤) ، ويرجح أن يكون فى ذلك اشارة لحملة مصرية على فلسطين ، إلا أنه مما قد يضعف من هذا الرأي أن تعبير *stt* كان يطلق خلال هذه المرحلة على غرب آسيا وكذلك شبة جزيرة سيناء [٣] ، مما يجعل القول علي أنها كانت موجهة إلى فلسطين أمراً غير مؤكداً فربما كانت موجهة لتأديب البدو الموجودين فى سيناء .

(1) I. E.S. Edwards, "The Early Dynastic Period in Eypt" in *CAH*, vol., I, Part 2, Cambridge, 1971, p. 27.
(2) A. Gardiner, *op. cit.*, p. 414.
(3) M.Wright, *op. cit.*, p. 250.



(شكل ١٤) قطعة لعب عاجية من عصر الملك «قاعا»

ولقد عثر على طبعة ختم للملك «بر ايب سن» (سخم ايب - بران ماعت) أحد ملوك الأسرة الثانية فى المقبرة التى تنسب اليه فى أبيدوس (شكل ١٥) [١] ولقد كتب عليه *inw st.t* والتى يمكن ترجمتها «منتجات آسيا» [٢] مما قد يشير إلى أن الأشياء التى كانت ملحقة بالبطاقة قد أحضرت من آسيا .



(شكل ١٥) طبعة ختم للملك «برايب سن»

وبجانب الأدلة الأثرية النصية ، فلقد كشف عن العديد من المادة الأثرية المصرية المتنوعة فى العديد من المواقع الفلسطينية والتى ترجع إلى هذه المرحلة ، وضمت البقايا المصرية التى كشف عنها المصنوعات الفخارية والحجرية والأدوات الظرانية والاختام الأسطوانية والخرز الذى صنع بعضه من الذهب [٣].

وتنتشر الآثار المصرية فى العديد من المواقع في جنوب فلسطين مثل : تل أراد *Tel Arad* وتل مالحاتا *Tel Malhata* وعين بيصور *En Besor* وتل حلف

(1) W.M.F. Petrie, *The Royal Tombs of the First Dynasty*, Part,2, London, 1901, pl. 22.

(2) J.R. Ogdon "Studies in Archaic Epigraphy III", in *GM*, 60, pp. 81-84.

(3) A. Ben -Tor, *JESHO*, XXIX, Part1, February, 1986, p. 14.

Tel Halif وتل ماعاحاز *Tel Ma'ahaz* وتل عيرانى *Tel Erani* وافريدار *Af-ridar* [(١)].

ومن المواقع الفلسطينية التى عثر فيها على آثار مصرية ، موقع كفار موناش*Kefar Monash* حيث عثر على أدوات ولوحات نحاسية وخرز ترجع إلى بداية عصر الأسرة الأولى المصرية ، ويرجح من طبيعة هذه الأدوات أنها خاصة بقاطعى الأخشاب ، ونظراً لأن هذا الموقع يوجد فى منطقة تكثر بها الأخشاب ، فإنه يرجح أن المصريين قد جلبوا الخشب من هذه المنطقة خلال هذه المرحلة [(٢)]. ولقد أوضحت الدراسات الأنثروبولوجية لبقايا الهياكل العظمية التى كشف عنها فى جبانة *Azor* أن بعض هذه الهياكل لمصريين [(٣)] .

وتتمثل الآثار الفلسطينية التى عثر عليها فى مصر بشكل رئيسى فى الأوانى الفخارية التى تتميز بأياديها الموجه ، ولقد ظهرت أشكال هذه الأوانى على بعض البطاقات الخشبية والعاجية التى ترجع إلي هذه المرحلة ، واستورد المصريون فى هذه الأوانى الزيوت والنبيذ والعسل .

أما عن طبيعة العلاقات بين مصر وفلسطين خلال هذه المرحلة ، فإنه يرجح أنها قامت على أساس العلاقات التجارية ، إذ لا يدل وجود أسماء الحكام دائما على حدوث غزو حربى ، بل ربما يدل ذلك على وجود صلات اقتصادية وحضارية بين البلدين [(٤)]، وأنه كان لمصر مراكز تجارية شغلها مجموعة من التجار المصريين الذين عملوا بالتجارة مع الفلسطينيين [(٥)].

---

(1) R. Gophna, *Egyptian Trading Posts in Southern Canaan at the Dawn of the Archaic Period*, Edited by F. Rainey, Tel Aviv University, 1987, pp. 13-16., Fig.1.

(2) M. Wright, *in Biblical Archaeologist*, December, 1985, pp. 246-48.

(3) A. Ben Tor, *JESHO*, XXIX, (1986), p. 14.

(٤) رشيد الناضوري: أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، العدد ٢٢، ١٩٦٨، ص٦.

(5) R. Gophna, *op. cit.*, p. 17.

ولقد أعطت علاقة مصر القوية بفلسطين خلال هذه المرحلة قوة دافعة لتطور نظام حكومة المدينة فى فلسطين، ويستدل من تحصينات المدن التى ظهرت فى فلسطين خلال عصر البرونز المبكر الثالث على وجود تنافس وصراع بين هذه المدن مما أدى إلى اضمحلالها [١] .

وعند نهاية عصر البرونز المبكر الثاني الذى يقابل نهاية عصر الأسرتين الأولى والثانية هجرت بعض المراكز الفلسطينية ، وكان لانقطاع علاقات مصر التجارية معها أثره الحاسم فى التعجيل بانهيار هذه المدن ، اذ اتجهت علاقات مصر التجارية نحو الساحل السورى وذلك نظراً لتغير وتطور الظروف السياسية والحضارية لمصر خلال عصر الدولة القديمة .

ب - علاقة مصر مع سورية :

منذ بداية الدولة القديمة اتجهت تجارة مصر بشكل رئيسى من فلسطين إلى الساحل اللبنانى وبخاصة مدينة جبيل ، وقامت علاقة مصر معها ومع المدن الأخرى فى سورية خلال عصر الدولة القديمة على أساس العلاقات التجارية القائمة على الاحترام المتبادل ، وظهر ذلك فى سياسة تبادل الهدايا سواء كانت هدايا للمعابد أو الحكام ، وكانت المصالح ومحاولات ابقاء النفوذ هى العنصر الأساسي فى تلك العلاقات .

فلقد أظهرت الدراسات الحديثة فى مجال الاقتصاد الاجتماعى ما يسمى بنظام الاقتصاد البدائى ، وأوضحت أن تبادل الهدايا على مستوى الملوك والحكام جزء لا يتجزأ من سياسة خلق نطاق من النفوذ عن طريق إرساء حدود من الالتزام المتبادل[٢] .

---

(1) A. Mazar, *Archaeology of the Land of Bible, 10.000* - 586 B.C.E., N.Y., 1992, pp. 140 - 141.

(2) M. Dunand, *Egypt, Canaan, and Esriael,* Biurut, 1993, pp. 40-41.

ومن أشهر الأسماء التى أطلقها المصريون على جبيل وأوسعها انتشارا فى عصر الدولة القديمة هى التسمية «كبن kbn »[1] وتشير هذه التسمية إلى المدينة وأيضاً إلى المراكب المصنوعة من خشب الأرز التى استخدمت فى الرحلات البحرية إلى الساحل السورى، وأيضاً فى بعض الرحلات التى اتجهت إلى البحر الأحمر [2]، حيث كتبت بالشكل [3].

وجبيل هى المدينة الرئيسية فى أرض «نجاو» حيث تأتى الأخشاب ، وهى بالنسبة للمصريين البوابة المؤدية إلى منطقة الجبال التى تؤدى إلى الصحراء ، وهى المنطقة التى اشار إليها أصحابها باسم «قدِمْ Qedem » (الشرق) وهى التسمية التى اتخذوها لمنطقتهم الجغرافية [4]، وسكان هذه المنطقة هم الذين عرفوا باسم الـ «فنخو» وربما تعنى هذه الكلمة «قاطعوا الخشب» [5] .

ولقد كانت مصر فى حاجة إلى الأخشاب الموجودة فى لبنان نظراً لأن الاشجار التى توجد فى مصر لا تصلح لأن يؤخذ منها عوارض خشبية طويلة ، وتشير المصادر المصرية إلى أنواع الخشب التى قاموا باستيرادها ، وهى : $c\check{s}$ [6] ، وهو خشب يميل لونه إلى الصفرة وهو يتطابق ليس فقط مع خشب الأرز ولكن أيضاً مع أنواع مختلفة من أشجار الصنوبر التى تنمو اليوم فى جبال لبنان ، ويبدو أن المصريين قد أطلقوا التسمية $c\check{s}$ على أصناف عديدة من أخشاب الصنوبر كانت مألوفة لديهم وذلك حسب شكل الزنود الخشبية أكثر من تصنيفهم للاخشاب حسب نوعية الشجرة نفسها [7].

---

(1) *Wb.* I, 118.

(2) A. Ward., "Egypt and the Mediterrnean from Predynastic Time to the End of the Old Kingdom", in *JESHO*, 6, 1963 p. 55.

(3) *Wb.* I, 118, 3.

(4) D.B. Redford, *Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times,* Princeton, 1992, p. 43.

(5) M.S. Drower, *op. cit.,* P. 347.,*Wb.* I, p. 577.

(6) Wb. I, 228, 1-2.

(7) M.S. Drower, op.cit., p. 346.

والنوع الثانى من الاخشـاب هو mrw [1]وهو خشب أحمر اللون وهو خشب الصنوبر ، أما النوع الثالث فهو $w^{c}n$ [2] ولقد ذكر هذا النوع بشكل أقل فى عصر الدولة القديمة ، ولقد ذكرت ثماره فى وصفات طبية ، وربما كان نوعاً من الصنوبر وهو «العرعر» . [3]

وبعد قطع وتحميل الاخشاب من الجبال ، كانت تنقل إلى ميناء جبيل ، ويحتمل أن ذلك كان يتم عن طريق نهر ابراهيم ، حيث عثر على فأس نحاسي في قاع النهر ، مكتوبا عليه بالهيروغليفية المصرية اسم فريق قاطعى الخشب الذين ينتمى إليهم هذا الفأس ، وقد يشير هذا إلى أن عملية قطع الأخشاب كان يقوم بها فريق عمل مصرى أو ربما فريقاً مختلطا من المصريين والسوريين تحت اشراف كبير عمال مصرى [4] .

واستورد المصريون أيضاً زيت أخشاب الأرز السميك الذى كان يتساقط من الاشجار نتيجة لشدة الحرارة فى الصيف ، وكان لونه بنى فاتح ، وكان يوضع هذا الزيت الذى يتمتع برائحة ذكية نفاذة فى الأقمشة التى تلف بها المومياوات الملكية [5]، واستورد المصريون كذلك الراتينج وهو من منتجات أخشاب الأرز والصنوبر، واستخدمه المصريون فى عملية التحنيط ، وكان يصدر إلى مصر فى أوانى صغيرة مستديرة الشكل ، ولقد ظهر مرهم الأرز الجيد الذى يصنع من راتينج الصنوبر فى قوائم قرابين عصر الدولة القديمة [6] .

---

(1) *Wb*. II, 108, 14.
(2) *Wb*. I, 285, 16.
(3) M.S. Drower, *op. cit*., 346.
(4) *Ibid*., p. 347-348.
(5) G.Herm, *The Phoenicians, The Purple Empire of the Ancient World*, Translated by, C. Hillier, London, 1975, p. 35.
(6) M.S. Drower, *op. cit*., p. 347.

واستخدم المصريون فى اتصالهم بالساحل السورى وسيلة الاتصال البحرية، وكان لاختيارهم هذه الوسيلة عدة أسباب منها أولاً: أن الاتصال البحرى أقل تكلفة، وثانياً : أنه أسهل ، وثالثاً: وجود بعض الغابات التى يستمد منها الاخشاب قريبة من البحر والتى كانت توجد عند جبيل والموانى الأخرى، ورابعاً : ما كان يتعرض له الطريق البرى عبر جنوب فلسطين من خطر اغارات البدو الموجودين فى هذه المناطق [1]، كما أن هذا الطريق كان مناسبا لنقل السلع القابلة للكسر والتى كانت تحمل المواد السائلة من الزيوت والنبيذ والتى كانت تحفظ فى الأوانى الفخارية والحجرية .

وكانت الرحلة تسير بمحاذاه الساحل وتقطع حوالى ٥٠٠ ميل بحري حتى تصل إلى جبيل، وكانت السفن تعتمد على الشراع وقوة الرياح الشمالية الغربية فى فصل الصيف [2]، وتختلف آراء الباحثين حول من بدأ بالقيام بهذه الرحلات البحرية ، فيقترح الرأى التقليدى أن السفن المصرية هى التى بادرت بالذهاب إلى جبيل أولا ، بينما يلاحظ أن الصلات التجارية البحرية النشطة لجبيل مع رأس الشمرة وقبرص والأناضول وشرقى البحر المتوسط ابتداء من عصر الحجر والنحاس إنما يذكى معرفتهم المبكرة بالملاحة البحرية فى شرقى البحر المتوسط ، وعلى ذلك فلقد كانت جبيل بمثابة محطة مرور للتجارة والحضارة المصرية والحضارات السامية والأناضولية إلى العالم الخارجى . وعلى ذلك فستظل هذه المشكلة فى انتظار رأى نهائى إلى أن تستكمل المادة الأثرية الساحلية فى لبنان وسورية والأناضول وأيضا فى الداخل فى سهل البقاع وجبل الدروز . [3]

---

(1) D. Baramki, *Phoenicia and the Phoenicians*, Beriut, 1961, p. 19.

(2) K. Prag, "Byblos and Egypt in the Fourth Millenium B.C., *Levant*, XVIII (1986), p. 59.

(٣) رشيد الناضوري: أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، العدد ٢٢، ١٩٦٨، ص١٢.

وتوضح الأدلة الأثرية والنصية وجود علاقات بين مصر وجبيل خلال عصر الاسرتين الأولى والثانية، حيث عثر فى جبيل على قطعة من أنية حجرية تحمل اسم آخر ملوك الأسرة الثانية وهو الملك «خع سخموى» فى داخل السرخ ، ووجدت هذه القطعة على سطح كوم الرديم ، ونظراً لعدم وجودها ضمن الطبقات الأثرية ، فإنه لا يمكن تحديد عما إذا كانت هذه الآنية قد جاءت إلى هذه المنطقة خلال عهد الملك«خع سخموى» ، أو أنها قد أحضرت فى وقت متأخر عن عهده [1].

ثانياً: علاقة مصر مع النوبة :

أطلق المصريون على النوبة خلال عصر الدولة القديمة التسمية *T3-stj* [2] كما أطلق على سكان النوبة التسمية *nḥsyw* وهو المصطلح العام لسكان النوبة [3].

وترجع أهمية النوبة لمصر إلى حاجة مصر إلى مواد خام معينة تفتقر اليها او يندر وجودها فيها، وفى مقدمتها الذهب الذي وجدت مناجمه في وادى حلفا ، هذا إلى جانب حاجة المصريين إلى الإبقاء على طريق الجنوب مفتوحاً ، فالبخور والصمغ والعاج والابنوس والفهود انما كانت تأتى من وراء الجندل الثانى بمسافات طويلة فى اتجاه الجنوب [4] ، كما كان للنوبة دورها كممر تجارى فى إقامة حلقة اتصال بين منتجات أفريقيا ودول البحر المتوسط وغربى آسيا منذ الألف الرابع ق.م على الأقل [5].

---

(1) M. Saghieh, *Byblos in the Third Millennium B., C.*, Warminster, England, 1983, p. 130-131.

(2) *Wb.* III, 488, 7.

(3) A.H. Gardiner, *Ancient Egyptian Onomastica*, vol. I, Oxford, 1947, 74*.

(٤) محمد بيومي مهران: تاريخ السودان القديم، الاسكندرية، ١٩٩٤، ص١٩٦.

(5) I, Shaw and P. Nicholson, *op. cit.*, p. 204.

وكان لتطور الفنون والصناعات الحرفية فى مصر وازدياد كمياتها بصفة دائمة أثره فى زيادة الطلب على المواد الخام والسلع النفيسة التى كانت متوفرة فى بلاد النوبة ، هذا بالاضافة إلى حاجة بعض الطقوس الدينية المصرية للزيوت الدهنية والعطرية والبخور والتي كانت بلاد النوبة تشتهر بها ، ومن ناحية أخرى فلقد كانت بلاد النوبة فى حاجة إلى العديد من السلع المصرية وفى مقدمتها الفخار ونسيج الكتان والحبوب .

وفي تتبعنا للعلاقات المصرية النوبية فى عصر الأسرتين الأولى والثانية ، يلاحظ أن ملوك مصر قد اهتموا منذ عصر بداية الأسرات - الذى يقابل حضارة المجموعة الاولى في النوبة - بهذه البلاد ، وكان النشاط التجاري أهم مظهر للعلاقات بين البلدين، فقد وجدت اعداد كبيرة من الفخار المصرى بلغ عددها في خورداور عند النهاية الشمالية لسهل إبكا بالنوبة السفلى حوالى ٥٠٠ إناء كبير ، ويعد هذا النوع من الفخار المصرى من الانواع الجيدة [١]. كما عثر فى بوهن على أوانى حجرية مصرية الصنع شمال شرق نقش الملك «جر» بجبل الشيخ سليمان ويرجع تاريخها للعصر العتيق فى مصر[٢].

وكان لنهر النيل دوراً فى تدعيم هذا النشاط التجارى ، اذ كان أهم الطرق للاتصال واقدمها بين البلدين ، هذا إلى جانب بعض الطرق الصحراوية التى كانت تستخدم لخطورة الملاحة بين صخور الجنادل وايضا تفادياً للتعرض للمناوشات من قبل بعض القبائل النوبية والتى كانت تهاجم القوافل التجارية المتجهه إلى الجنوب رغبة فى نهب خيراتها والاستيلاء عليها [٣].

وأشارت بعض النصوص الملكية من الأسرتين الأولى والثانية إلى ارسال

(1) B. Trigger, *Nubia under pharaohs,* London, 1976, p. 39.

(٢) وولتر إمري: مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة حندوسة، مراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٢٨.

(3) D. O'conner, *Ancient Nubia,* U.S.A, 1993, p.12.

بعض الملوك لحملات عسكرية إلى بلاد النوبة وذلك لتأمين التجارة المصرية وتأديب القبائل النوبية لتعرضها للقوافل التجارية المصرية ، ومن تلك الإشارات ما ورد على بطاقة من خشب الابنوس للملك (عحا) (شكل ١٦) عثر عليها فى ابيدوس ، ولم يتبقى منها سوى جزئها العلوى وأشار فيها إلى قيامه بحملة عسكرية فى النوبة ، أحضر فيها العديد من الأسرى ، الذين سجلت اعدادهم فى الجزء السفلى من البطاقة الذى لم يعثر عليه - كما يرى بترى[1] - أو أنها كانت تعبر عن الاحتفال بضم هذا الاقليم إلى مصر[2]. وبذلك تمكن «عحا» من مد حدود مصر الجنوبية فيما وراء جبل السلسلة الذى يرجح أنه كان يمثل حدود مصر الجنوبية فى تلك الفترة [3].



(شكل ١٦) بطاقة ابنوسية للملك «حور عحا»

(1) W.M.F. Petrie, *The Royal Tombs of the Earliest Dynasties,* Part II, London. 1901, p. 20.
(2) I.E.S. Edwards, "The Early Dynastic Period in Egypt", in: *CAH*, vol. I, Part 2, Cambridge, 1971, p. 50.
(3) *Ibid.*, p. 23.

وتمثل لوحة صخرية في جبل الشيخ سليمان جنوبى بوهن - وهى حاليا بمتحف السودان الوطنى فى الخرطوم - قيام الملك جر بحملة عسكرية فى النوبة (شكل ١٧).



(شكل ١٧) نقش للملك «جر» علي جبل الشيخ سليمان

ويظهر فى هذا النقش اسم الملك «جر» الذى صور امامه أحد الأسرى واقفاً وقد قيدت يداه خلف ظهره بحبل، وأمام الاسير رمز لما يشبه المياه ، الأمر الذى قد يشير إلى ان منطقة الجندل، ربما كانت هى ميدان القتال ، وربما يعنى ان القتال دار على صفحة النهر، على مقربة من المكان الذى دون فيه الحدث، وصورت ايضاً مركبا مصريا صميماً من طراز الأسرة الأولى ، بمؤخرتها العمودية، ومقدمتها العالية ، وتطفو تحتها جثث كثيرة .[1]

ورغم اختلاف الآراء حول طبيعة هذا النقش وهل هو تسجيل لانتصار فعلى على النوبة فى عهد الملك «جر» ، أم أنه مجرد حملة تأديبية قام بها ، فإنه يعبر على أية حال عن اتساع التبادل التجارى مع بلاد النوبة وزيادة استغلال مناجم الذهب فى وادى حلفا ، وقيام الجيش بحماية هذا التبادل أو ذلك الاستغلال [2].

وفى عهد الأسرة الثانية ، قام الملك «خع سخم» بحملة عسكرية فى النوبة وذلك اعتماداً على ما ورد من نقش على جزء من لوحة مصنوعة من الكوارتز وجدت فى نخن (هيراقونبوليس) [3]، ولعل السبب فى ذلك أن اصحاب حضارة المجموعة الأولى فى النوبة قد حاولوا التوغل جنوبى مصر مضطرين إلى ذلك إما بسبب ضغط هجرات جديدة عليهم أو بسبب سوء الأحوال الطبيعية [4].

ويرى بعض المؤرخين ان حملة «خع سخم» قد قضت على إزدهار حضارة المجموعة الأولى ، وان كان هذا امر يصعب إثباته .

---

(1) A.J. Arkell, "Varia Sudanica" in: JEA, vol. 36 (1950) p. 27-29, Fig. I, p. 28.

(٢) عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها ، جـ١ ، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٩١.

(3) J.E. Quibell, and F.W. Green, Hierakonpolis, part, II, London, 1902, pp. 4, 7-8, pl. LVIII.

(٤) محمد ابراهيم بكر: تاريخ السودان القديم، القاهرة، ١٩٨٣، ص٣٣.

ثالثا: علاقة مصر مع ليبيا:

اثبتت الأدلـة الآثريـة والنصيـة وجود علاقات بين مصر وجيرانها الليبيين منذ اقدم العصور، ولقد ظهرت فى المناظر والنصوص المصرية العديد من الأسماء التى تشير إلى القبائل التى تعيش إلى الغرب من مصر، ومن أقدم الأسماء التى ظهرت فى النصوص المصرية التسمية: «تحنو *Tḥnw* ولقـد كتبت بالعديد من الاشكال خلال عصر الدولة القديمة وذلك على النحو الآتى:

ويقصد بها الأرض، التى تقع إلى الغرب من مصر «ليبيا»[1] وقد ظهر هذا الاسم مرتبطا بسكان أهلها على النحو الآتى: *ḥ3.tj - c (m) ṯḥnw* بمعنى «رؤساء (من) تحنو»[2] كما اطلق على الليبيين *ṯḥnw yw*[3].

ومن الأسمـاء التى أطلقـت أيضا فى عصر الدولـة القديمـة التسميـة *ṯmḥ*[4]، وقـد ورد هذا الاسـم مـرتبطـا بكلمـة أرض هكـذا *t3 ṯmḥ* بمعنى «أرض الليبيين»[5].

ولم يرد فى أثار عصر الاسرتين الأولى والثانية سوى سكان المنطقة التى تسمى تحنو *ṯḥnw* وظهر اسم هذه المنطقة على الآثار المصرية فى أول الامر فى لوحة الحصون والغنائم، ويرى نيـو برى أنها تعنى «أرض الزيتـون»، وذلك لان زيت الزيتون كان من أهم منتجات التحنو، ويذكر انه قد سمى في قوائم قرابين الدولة القديمة *ḥ3tt ṯḥnw* التى تعنى «زيت التحنو» والذى يرتبط جيـدا

(1) Wb. V, 394, 5.
(2) Wb. III, 26, 2; v, 394, 8.
(3) Wb. V, 394, 10.
(4) Wb. V, 368, 11.
(5) Wb. V, 368, 12.

بالزيتون، ويرى ان أرض التحنو انما كانت تتكون من بحيرة مريوط وكل المنطقة الواقعة غرب الفرع الكانوبي للنيل، ويحتمل أيضا معظم الدلتا[1]. ويرى أ. د. أحمد فخري انه يحتمل أنها كانت توجد في مريوط وواحات سيوة والبحرية وبرقة[2]، أما جاردنر فيرى أن أرض التحنو اما أنها كانت تحتوى الحدود الغربية للدلتا أو أنها كانت تقع خارجها مباشرة[3]. ويرى هولشر[4] أن أرض التحنو تضمنت أصلا منطقة الفيوم، على الرغم من عدم وجود دليل يؤيد ذلك وترى A. Nibbi أن اضافة مخصص الجزيرة وتل البلاد الاجنبية في كتابه كلمة التحنو يمكن تفسيرها بأن الجزيرة تمثل الامتداد المائي الرئيسي للتحنو وأن مخصص التل يشير إلى التلال التي تحيط بهذه المنطقة وان الكلمة أصلا *ḥnw* وتفيد معنى وعاء أو آنية للمياة، ويمكن ان تشير إلى منخفض طبيعي في الأرض حيث تأتي إليه المياه بعد الفيضان وهي كثيرة في غرب الدلتا، ثم الحق بـ *ḥnw* كلمة *tt* لتشير إلى اسم الشعب، ومن هنا فان الكلمة *t. ṯḥnw* انما تشير إلى الشعب الذي يعيش في أرض المستنقعات أو الاراضي المنخفضة في غرب الدلتا، وهي تتطابق مع الاشارة إلى شعب المنطقة الجغرافية اكثر من اشارتها إلى الأرض، وطبقا لهذا فهي ترى أنه لا يوجد شئ يربط بين هذا الشعب والصحراء الغربية أو منطقة الصحراء[5].

وفي نصوص عصر الدولة القديمة ظهر اصطلاح التحنو ولقد مثلوا في مناظر عديدة ببشرة بيضاء وعيون زرقاء وشعر أحمر، ويرى جاردنر أنها كلمة تطلق على الأرض التي تقع إلى الشمال الغربي من الدلتا وربما تمتد غربا حتى

(1) P.E Newberry., "Ta-Tehenu - Olive Land" in: *Ancient Egypt,* 1951, pp. 97-99.
(2) A. Fakhry, *Bahria Oasis,* I, Cairo, 1942, p.5.
(3) A.H. Gardiner, *Ancient Egyptian Onomastica,* vol., I. 119.*
(4) W. Holscher, *Libyer und Agypten,* Hamburg, 1937, p. 20f.
(5) A. Nibbi, "A Geographical Note on the Libyans so-Called" in: *DE* 15, 1993, p. 47, 49.

اقليم "tripolitania" وان كل من اصطلاح التحنو والتمحو يشير إلى اسم الارض اكثر من اشارته لاسم شعب هذا المكان[1].

أما A. Nibbi فترى أن كلمة التمحو استخدمت فى عصر الدولة القديمة لتشير إلى هؤلاء الذين اطلق عليهم «الليبيين»، وان الكلمة تتكون من *t.t* و*Mh*، وان مصطلح *Mh* يشير إلى وفرة أو امتداد المياه بعد الفيضان وان *t.t* تشير إلى الشعب الذى يتجه إلى هذه المنطقة، وترى أن التحنو والتمحو مصطلحان متكافئان، وكل منهما يشير للشعوب التى تعيش فى منطقة المياه الواقعة فى مناطق شمال غرب الدلتا[2].

وفى تتبعنا للعلاقات المصرية الليبية منذ اواخر عصور ما قبل الأسرات نلاحظ بصفة خاصة قلة المصادر النصية والاثرية المصرية ولا سيما حتى آواخر عصر الاسرة الثامنة عشرة من جهة، وعدم العثور على نصوص ليبية محلية حتى الوقت الحاضر من جهة أخرى.

واصطبغت العلاقات المصرية الليبية منذ أواخر عصر ما قبل الاسرات بصبغة عدائية، وذلك يرجع إلى الجفاف التدريجى المتزايد الذى اصاب المناطق الليبية بعد تقلص العصر المطير خلال فترة العصر الحجرى الحديث إذ تحولت تلك المناطق من صحراء خضراء غنية بالنبات وفيرة الماء، غاصة بالحيوانات إلى مناطق جافة مما جعل سكانها يهجرونها إلى اطراف الدلتا الغربية[3]. وذلك لان هذا الاتجاه كان السبيل الوحيد الذى بقى مفتوحا امامهم إذ انهم لم يكن بوسعهم ان يبقوا فى الداخل لجفافه، كما أنه لم يكن بوسعهم ان يتجهوا إلى الغرب

---

(1) A.H. Gardiner, *op. cit.*, 116f*.

(2) A, Nibbi, *op. cit.*, p. 51.

(٣) نبيلة محمد عبد الحليم: نشأة وتطور العلاقات السياسية بين مصر وليبيا أثناء العصر الفرعوني، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، العدد ١٩٨٤/٣١، ص١.

بسبب وعورة جبال أطلس[1]. ومن هنا فقد بدأوا يتطلعون إلى الاستقرار فى وادى النيل هرباً من قسوة الحياة فى بلادهم وطلبا للرزق والامن فى مصر، ولكن سرعان ما كان ملوك مصر منذ بداية العصر التاريخى يبادرون إلى التصدى لهذه الهجرات ومحاولات الغزو وتأمين حدودهم من تسللات قاطنى الأرض الصحراوية المتاخمة.

وتشير اللوحة التى يطلق عليها "لوحة الليبيين" أو "لوحة الغنائم" والتى يرجح انها قد ترجع إلى عهد الملك العقرب الذى صور رمزه ضمن الرموز المقدسة المسجلة فوق الحصون، أو قد يكون نعرمر أو عحا[2] حيث فقد الجزء العلوى من اللوحة، والذى كان من المفترض أن يسجل عليه اسم الملك، ولم يبق من هذا الجزء العلوى سوى الخط الذى يمثل سطح الأرض وبقايا اقدام فوقه تجاه اليمين[3] (شكل ١٨) وهى منقوشة من وجهيها وصور الفنان على أحد الوجهين سبعة حصون مسورة داخل كل حصن رمز يعبر عن اسمه، وعلى الوجه الآخر للصلاية غنائم الحرب التى شنها الملك، فصور صفوفا من الثيران والحمير والكباش وصور تحتها اشجار زيتيه وبجانبها علامة تدل على كلمة تحنو بمعنى أرض ليبيا أو على الاصح الاراضى الشمالية الشرقية من الصحراء الليبية المجاورة لحدود الدلتا[4].

---

(١) عبد اللطيف البرغوتي: التاريخ الليبي القديم منذ اقدم العصور وحتي الفتح الاسلامي، بيروت، ١٩٧١، ص١٠٤.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٢٢.

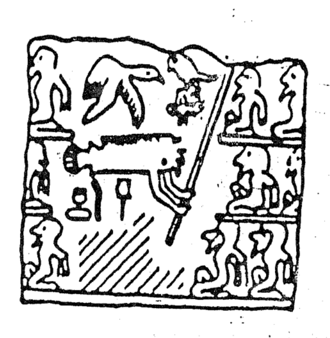
(3) W. Davis, *Masking the Blow*, Oxford, 1992, pp. 229-231, p. 279, 232, Fig. 53.

(٤) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٢٠ - ٢٢١.



(شكل ١٨) لوحة الحصون والغنائم

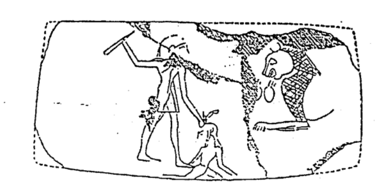
وعثر على ختم عاجى فى هيراكو نبوليس (شكل ١٩) للملك نعرمر ظهر عليه اسم الملك والعلامة التى تشير إلى ارض التحنو ، وثلاث صفوف من الاسرى قيدت أيديهم خلف ظهورهم(١).



(شكل ١٩) ختم عاجي للملك «نعرمر»

وفى المقبرة رقم ٣٤٧١ والتى تنسب إلى الملك جر بسقارة عثر على لوحة من المرمر (شكل ٢٠) عليها نقش يصور الملك وهو فى وضع المنتصر يضرب اسيرا ليبيا(٢).

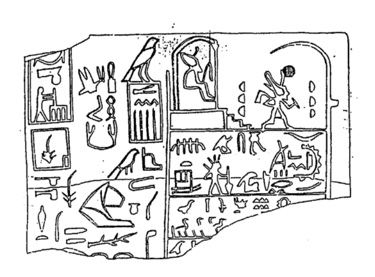
(1) J.E., Quibell, *Hierakonpolis*, part 1, London, 1900, pl. XV, p. 7.
(2) W. B. Emery, *Archaic Egypt,* Harmondswarth, 1961, p. 60, Fg. 23.



(شكل ٢٠) الملك «جر» يضرب أسيرا ليبيا

ورغم تلك الاشارات المتكررة إلى قيام حملات ضد الليبيين، فانه يبدو ان الملك «دن» قد احضر زيت الزيتون من ارض التحنو بالطرق الودية اذ يظهر على احدى البطاقات[1] التى عثر عليها فى ابيدوس علامات فسرها بترى انها تعنى زيت التحنو[2] (شكل ٢١) وذلك على اعتبار ان هذا الجزء من البطاقة يذكر العطايا التى اهداها الملك للمعبد عند التأسيس، ومن بينها الخشب والنبيذ وكذلك الزيت الذى احضره الملك من ارض التحنو، ومما يرجح ان هذا الزيت قد جلب بالطريق الودى عدم اشارة الآثار إلى قيام الملك دن بالحرب فى أرض التحنو.

(1) A.P. Largacha, The Liybia Pallette, *VA*, V, no 4, 1989.
(2) W.M.F. Petrie, *The Royal Tombs of the first Dynasty,* London, 1900, Pl. XV, p. 16.

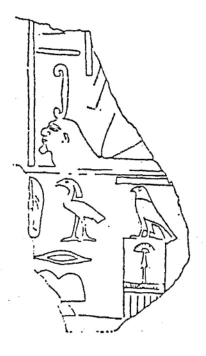


(شكل ٢١) بطاقة عاجية للملك «دن» سجل عليها زيت التحنو

وفى اواخر عصر الاسرة الثانية فى عهد الملك «نى نثر» هاجم الليبيون ارض الدلتا واحتلوها وانفصلوا بها عن الصعيد. وحاول خليفته الملك «بر إيب سن» استردادها ولكنه لم ينجح، وخلفه الملك «خع سخم» الذى هاجم الدلتا وقاتل الليبيين المسيطرين عليها وانتصر عليهم فى نهاية عهده، وعندما أراد رجاله أن يعبروا عن انتصاره أشاروا إلى الدلتا باعتبارها الارض التى كان الليبيون يحتلونها وليس باعتبارها وطنهم الاصيل[١]، وكان ذلك التفسير من جانب بعض المؤرخين اعتماداً على ما عثر عليه من نقش على لوحة حجرية للملك «خع سخم» اشتملت على تصوير لرأس ليبى ملتح تعلوه ريشه تشير بوضوح إلى الاعداء الليبيين[٢] (شكل ٢٢).

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٧٧.

(2) W.B. Emery, *op. cit.*, p. 99-100.



(شكل ٢٢) نقش للملك «خع سخم»

ومن ذلك أيضا نقوش بعض الاوانى التى عثر عليها فى هيراكونبوليس من عهد الملك خع سخم والتى جاءت عليها كلمة بش والتى رأى البعض أنها قد تشير إلى أحد شعوب الليبيين القاطنين بجوار الكاب أو أنها تشير إلى قبيلة ليبية شمالية اتخذت مقرها بجوار الفيوم[١]، هذا بالاضافة إلى تصوير عدد من الاسري والقتلى على قاعدتى تمثالين صغيرين للملك خع سخم وصور معهم نبات البردى اشارة إلى الشماليين[٢]. الذى رجح ارتباطه مع الليبيين اكثر من ارتباطه مع أهل الدلتا الاصليين.

ويرى أ. د. أحمد فخرى انه من المستبعد ان ملوك عصر ما قبيل الاسرات

(1) J.E.S. Edwards, "The Early dynastic Period in Egypt", in: *CAH*, 1, Part 2A, Cambridge, 1971, p. 33.

(2) J.E. Quibell, *op. cit.*, pl. XXXIX-XLI.

أو عصر الاسرة الأولى والثانية قد غزوا مواطن التحنو الاصلية بقصد القهر او جلب الغنائم، ولكن من المحتمل ان اعداداً كبيرة من هؤلاء القوم جاءت إلى حواف الدلتا بماشيتهم بغية الاستقرار فى اراضى النيل الخصبة[1].

رابعاً : علاقة مصر مع بحر ايجه:

يقابل عصر البرونز المبكر الكريتى فى مصر من الاسرة الأولى وحتى بداية عصر الدولة الوسطى (٣٠٠٠ – ١٩٠٠ ق.م)، ويختلف العلماء حول بداية الاتصال بين مصر وكريت، فهناك من يرجعه إلى عصر ما قبل الاسرات[2] بينما نجد البعض الآخر من الباحثين يجعلها فى زمن الاسرتين الأولى والثانية[3] وفريق ثالث يجعلها فى زمن الدولة القديمة[4]. وربما كان الخلاف بين الباحثين مرجعه إلى طبيعة العلاقات بين مصر وجزر ايجه، وهل كان هذا الاتصال مباشرا أو غير مباشر، وكذلك مكان الاتصال بين المنطقتين.

ومن المؤكد أنه كانت هناك علاقات بين مصر وبعض جزر بحر ايجه فرضتها الرغبة المشتركة بينهما فى تبادل السلع سواء تم ذلك مباشرة أو عن طريق وسيط.

ولقد أطلق المصريون على هذه المنطقة منذ عصر الدولة القديمة : *ḥ3w_nbwt* وكان يقصد بها الشعوب الشمالية التى تسكن البحر[5]، وهى تتطابق مع جزر بحر ايجه والايجيين، وان كان «فيركوتيه» يرى

---

(١) أحمد فخري: واحات مصر – المجلد الأول – واحة سيوة، ترجمة جاب الله علي جاب الله، مراجعة جمال الدين مختار، ١٩٩٢، ١٠٢.

(٢) منهم: A. Evans, *The Palace of Minoas at Knossos*, I, London, 1964, p. 16.

(٣) منهم: J.C. Griffith, *From Egypt to Greece via Crete A study in the history of Religion Supplies*, No. 52. Leiden, 1991, p. 280.

(٤) منهم: نيقولا جريمال: المرجع السابق، ١٩٩٠، ص٩٣.

(5) *Wb* III, 11, 2.

أنها منطقة توجد في اسيا ، بينما يرى كل من ريته وبى أنها على ساحل الدلتا (١)

ولقد ورد اسم «الحاونبو» فى متون الاهرام فى التعويذة رقم (٦٢٩)، حيث جاء فيها «إنك دائرى ومحيط مثل الدائرة التى تحيط بالحاونبوت»[٢].

وتوضح الأدلة الاثرية اتصال مصر بجزر بحر ايجه وبخاصة جزيرة كريت منذ عصر ما قبل الأسرات، واختلف الباحثون حول كيفية هذا الاتصال، فرأى البعض أنه يحتمل أن المصريين هم الذين قاموا بهذه الرحلات[٣] خاصة وانهم قد وصلوا إلى سواحل فينيقيا، بينما يرى ايفانز[٤] بأن كريت هى التى قامت بهذه الاتصالات وذلك عن طريق برقة بليبيا ثم تتجه شرقاً إلى الساحل المصرى بغرب الدلتا، بينما يرى الفريق الثالث، أن الاتصال بين مصر وكريت كان عن طريق جبيل[٥]. والتى يرجح أنه كان لها دوراً هاماً فى هذا المضمار طيلة عصر الدولة القديمة[٦]، بينما يرى فريق رابع أن المصريين فى تلك الفترة لم يذهبوا إلى كريت مباشرة بل استخدموا الطريق الشرقى عن طريق جبيل وأن الكريتيين قد استخدموا الطريق المباشر إلى مصر بمساعدة الرياح الشمالية[٧].

ويرجح أن مصر قد استوردت من كريت النبيذ والزيت[٨] وصدرت اليها

---

(1) LA; 11, 1053.

(2) R.O. Faulkner, *op. cit.*, p. 120.

(٣) الكسندر شارف: تاريخ مصر، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، مجموعة الألف كتاب (٢٥٢) ص٤٨.

(4) A. Evans, *op. cit.*, p.10.

(5) A.W. Ward, "Egypt and East Mediterranen from Predynastic Time to the End of the Oldkingdom" *JESHO*. 6, 1963, p. 5.

(6) A. W Ward, *Egypt and East Mediterranen World 2200 - 1900* B.C., Beirur, 1971, p. 120.

(7) W S Smith, *Interconnections in the Ancient Near East*, London. 1965 p. 133

(8) W. B Emery *Archaic Egypt* Edinburgh. 1963, p 180

سن الفيل والذهب والجمشت والاختام والاوانى، ولقد عثر على العديد من هذه الأوانى فى كنوسوس منذ عصر ما قبل الاسرات وحتى الاسرة السادسة، كما قلد أهل كريت أنفسهم الأوانى المصرية[1]. كما يرجح أن تكون قد صدرت اليهم النحاس[2].

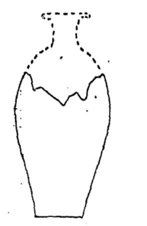
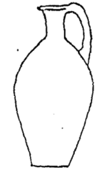
ولقد عثر فى العديد من المواقع المصرية على أوانى أرجعها الاثار يون إلى أصل إيجى، ومن هذه المواقع، أبيدوس التى عثر فيها فى المقابر التى تنسب إلى كل من الملوك جر وسمرخت على أوانى أجنبية نسبها بترى إلى أصل ايجى (شكل ٢٣)[3]، وكذلك سقارة، حيث عثر فى المقبرة التى تنسب للملك «جت» على آنيتين نسبهما ايمرى إلى طراز إيجى (شكل ٢٤)[4].

(1) P. Warren, "Minoan Crete and Pharaonic Egypt" in W.V. Davies and L. Schofield (ed.), Egypt, *The Aegean and the Le vant,* British Museum Press, 1995, pp. 1-2.

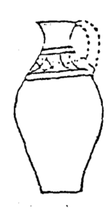
(2) W. B. Emery, *op. cit.,* p. 18.

(3) W. M.F., Petrie, *The Royal Tombs*, II, Pl. LIV, pp, 46-47.

(4) W.B. Emery, *Great Tombs of the First Pynasty*, II, (Excavations at Saqqara). London, 1954, p. 65, fig. 88 (G.9, G.11).


(شكل ٢٣) اواني فخارية ايجيه عثر عليها في أبيدوس




(شكل ٢٤) اواني فخارية ايجيه عثر عليها في سقاره

خامساً: العلاقات بين مصر وجنوب العراق:

أما عن صلات مصر بجنوب العراق فى عصر الاسرتين الأولى والثانية فيرى عديد من المؤرخين أنه وجدت صلات تجارية وحضارية بين مصر وجنوب العراق فى الفترة المبكرة لعصر الاسرتين الأولى والثانية والفترة السابقة لها. وتوضح تلك الصلات حقيقة العثور على مجموعة من الأوانى الفخارية ذات الصنابير المائلة وكذلك على بعض الاوانى ذات الإذات المثلثة فى مستجدة والبدارى، وتنتمى تلك الاوانى إلى العراق القديم فى عصر حضارة جمدة نصر[1] ويلاحظ أن نموذج تلك الاوانى ذات الصنابير يظهر فى لوحة نعرمر الاردوازية، مع اختلاف بسيط وهو أن الأناء الذى يحمله حامل نعلى الملك له يد يمسكه به. وعثر كذلك على اربعة اختام اسطوانية فى كل من جرزه ونجع الدير وهى تنتمى إلى عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة جمدة نصر[2] فى العراق القديم.

ويلاحظ أن الاسطوانة المحفورة قد استخدمت خارج مصر والعراق فى عيلام والاناضول عند بداية التاريخ[3]. وتوضح المادة التى صنعت منها هذه الاختام الاربعة التى عثر عليها فى مصر وكذلك الاشكال التى نقشت عليها بأنها قد صنعت فى بلاد النهرين[4]. ويرى ادواردز [5] أن الدلائل التى تشير إلى اصلها الميزوبوتامى هى اكثر تأكيدا من أى مناقشة يمكن أن تقدم لتفضيل أصل آخر لها.

ولم ينقل المصريون هذه الفكرة كما هى بل استخدموا الاسطوانات المحفورة

(١) رشيد الناضوري: جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، الكتاب الأول، ص٢١٠ - ٢١١، شكل ٥٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٢١١.

(3) Fdwards, I.E.S., op. cit., p. 42.

(4) Frankfort, H., Birth of Civilization in the Near East, London, 1951, p. 101.

(5) Edwards, I.E.S., op. cit., P. 43.

لغاية لا شبيه لها في بلاد النهرين[1]. فاستخدمت كأختام تكتب عليها اسماء الموظفين والقابهم وكذلك بعض اسماء الملوك وهذا يظهر الاختلاف بينها وبين الاسطوانات العراقية التي كانت تحمل رسوما لا نقوشا. وزيادة على ذلك فان الاختام المصرية كانت تصنع عادة من الخشب، وهى المادة التى لم تستعمل فى بلاد النهرين.[2]

ويتضح من ذلك أن المصريين لم ينقلوا الفكرة كليا بل كيفوها وطوروها حسب تقاليدهم الحضارية، وحتى تلائم حاجتهم الخاصة.

ويظهر التشابه الفنى بين مصر والعراق فى هذه الفترة المبكرة على بعض الاثار التى عثر عليها فى مصر والتى رسم عليها اشكال وعناصر زخرفية ظهرت بكثرة فى العراق وكانت من سمات الفن هناك وتأثرت مصر مؤقتا بهذا الاسلوب الفنى العراقى القديم بطريق مباشر أو غير مباشر، ويوضح ذلك أن اكثر هذه التأثيرات والمظاهر الفنية ظلت فى العراق القديم حتى آخر ايامه بينما اختفت من مصر لحد كبير بعد الاسرة الأولى ومن هذه الاساليب الفنية ما نجده محفورا على يد سكين عثر عليها فى جبل العركى بالقرب من نجع حمادى، ويظهر فيها رجل يفصل بين اسدين ومثل هذا المنظر مألوف فى العراق ولكنه نادر فى الاثار المصرية. ويبدو من رداء وهيئة الشخص الذى يفصل بين اسدين انه سومرى، ولا يدع ذلك مجالا للشك فى اصلها العراقى. ويرى أ.د. عبد العزيز صالح انه إذا صح انه صورة هذا الشخص تشبه صور العراقيين أو الساميين الاوائل فلا بأس من افتراض ان الفنان المصرى قد استوحاها من أثر عراقى وصل إليه عن طريق التجارة غير المباشرة وقلدها على مقبضة سكينه.[3]

---

(1) Frankfort, H., op. cit., p. 101.
(2) Ibid., P. 101.

(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص١٨٢.

وسمة أخرى من سمات الفن العراقى تظهر على لوحة نعرمر الاردوازية، وهى نقش اسدين أو نمرين استطالت اعناقهما والتفت حول بعضها. ويتطابق ذلك بشكل ملفت للنظر مع اختام وطبعات اختام اكتشفت فى اورك، وعلى ختم اسطوانى يوجد حاليا فى اللوفر ويؤرخ بعصر اورك - جمدة نصر. وفى كل من لوحة نعرمر والاختام كانت رقاب الوحوش متشابكة، وهو الشكل الذى تقرر فى الفن العراقى. كما ظهرت الثعابين الملتفة على ثلاثة ايدى سكاكين ترجع إلى عصر ما قبل الاسرات فى مصر. ويلاحظ أن ترتيب هذه الوحوش والثعابين هو نفس نموذج الانتاج العراقى.(١)

وتتميز هذه الاشكال بطابع الواقعية الواضح، واستخدمت الاشكال الحيوانية لانتاج رسمى زخرفى وهى خاضعة لغاية فنية محضة. ولم يستعمل المصريون هذا الاسلوب الفنى على هذا الشكل.(٢) وعلى ذلك فانه يلاحظ ان المصريين سرعان ما اتجهوا إلى اسلوبهم المصرى المتفق مع فكرهم الحضارى.

ويرى بعض العلماء(٣) ان مصر قد اقتبست من العراق القديم ظاهرة الفجوات المنتظمة فى العمارة. وهى الظاهرة التى ظهرت فى أول امرها فى مصطبة «نيت حتب» بنقادة. ويبنون رأيهم هذا على أساس انه يمكن تتبع أصل هذه الظاهرة المعمارية فى العراق القديم بينما لا يمكن تتبعها فى مصر.

ولكن يلاحظ ان الاجزاء العليا من مقابر عصر ما قبل الاسرات لم يبق منها شئ على الاطلاق بحيث أن نستدل عما إذا كانت قد اتبعت نظام المشكوات أم لا(٤) ومن ناحية أخرى، فربما كانت مقبرة نقادة تطورا لمقابر عصور ما قبل

(1) Edwards, I.E.S., op. cit., p. 41.
(2) Frankfort, H., op. cit., p. 103.
(٣) من هؤلاء العلماء: ويلسون (جون): الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٥، ص٨٤.
(٤) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٦٦، هامش ٦٥.

الاسرات فى مصر السفلى، خاصة وانها قد بنيت من أجل الملكة الشمالية نيت حتب، وتبنتها مصر بعد التوحيد، وعلى ذلك فانه لا يمكن الجزم برأى قاطع فى هذا الموضوع حتى تستكمل الحفائر ويلاحظ كذلك انه مع تشابه الفكرة المعمارية للمشكاوات فى مصر والعراق، الا أنها اختلفت فى طريقة التنفيذ وفى الاغراض التى استخدمت من اجلها فى كلا من البلدين فبنى المصريون السطوح الداخلية لمشكاواتهم على مستويات متعاقبة كثيرة لم تظهر فى مشكاوات العراق... اما عن استخدامها، فقد استخدمت فى مصر فى واجهات القصر والاسوار والمصاطب. ولم تستخدم فى العراق الا فى تشبيد المعابد فقط.[1]

ويود بعض العلماء كذلك.[2] ان ينسب فضل اختراع الكتابة الهيروغليفية المصرية إلى تأثير عراقى وذلك على اعتبار ان مصر قد اتخذت من العراق القديم فكرة الكتابة ولكن يلاحظ انه لا يوجد أى دليل واضح على أن السومريين قد حثوا المصريين لاختراع الكتابة الهيروغليفية. ولا يمكن أن نعتبر اختراع الكتابة السومرية كان اسبق من الكتابة المصرية. إذ انه بالاضافة إلى حقيقة امكانية تتبع الكتابة الهيروغليفية المبكرة منذ عصر ما قبل وصول التأثير السومرى، فان العلماء يتفقون على ان كتابة الهيروغليفية المصرية فى مرحلتها التصورية قد عبرت عن مظاهر البيئة المصرية الصميمة[3] ولم يظهر أى أثر أو دليل يوضح أن فكرتها ترجع إلى أصل سومرى.

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٢٦٦.

(٢) من هؤلاء العلماء:

Frankfort, H., op. cit., PP. 105 - 108.
Edwards, I.E.S., op. cit., P. 44.

ويلسون (جون): المرجع السابق، ص٨٦.

(3) El- Nadoury, R., "Anote on the Idea of Writing in Egyptian Hieraglyphic and Sumerian Cuneiform" In Bulletin of the Faculty of Arts, Aleexandria University, Vol. XX., 1966. PP 41 - 43.

ولقد حافظت الكتابة المصرية على عناصرها التصويرية أكثر من ثلاثة الاف عام وبلغت بها غاية اكتمالها الفنى والتعبيرى. واضافت إلى مقاطعها الصوتية حروفا هجائية، فى الوقت الذى لم تتطور فيه الكتابة العراقية إلى الحروف الهجائية ووقفت عند حد المقاطع الصوتية.(١)

ويلاحظ ان الاتصال بين مصر والعراق فى اواخر الاف الرابع ق.م كان لفترة محدودة ولم يستمر بعد الاسرة الأولى لانه لم يوافق الذوق المصرى. ولم تكن مصر فى تلك الفترة بالذات اقل ثقافة أو حضارة من العراق بل أنها كانت تتفوق فى بعض النواحى. وان اقتباس المصريين لبعض الاساليب(٢) العراقية لهو دليل على نضج الادراك الفنى فى مصر وتطلعه إلى افاق جديدة ابعد من الافاق المحلية.

أما عن كيفية وصول تلك المؤثرات العراقية لمصر. فهناك طريقان يمكن الوصول بواسطتهما جغرافيا. الطريق الأول وهو طريق البحر الأحمر، ثم احد الاودية إلى وادى النيل مثل وادى الحمامات عن طريق القصير فقط، أو عن طريق وادى الطميلات الموصل بين جنوب شرق الدلتا والبحر الأحمر. أو أن يتصلوا بالمصريين فى احد موانى البحر الاحمر مثل السويس أو القصير.(٣)

اما الطريق الاخر الذى من المحتمل ان تكون قد وصلت هذه المؤثرات بواسطته فهو عن طريق سوريا خلال الهلال الخصيب.(٤)

أو أن يكون الاتصال قد تم فى المناطق التى يجلب منها البخور فى جنوب

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٢٦٥.
(٢) أحمد فخري: المرجع السابق، ص٩.
(٣) ويلسون (جون): المرجع السابق، ص٩٠.
(٤) رشيد الناضوري: جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا، (الكتاب الأول) ص٢١٣.
Edwards, I. E.S., OP. Cit., P 44.

الجزيرة العربية أو الشاطئ الصومالى، إذ عرف البخور فى مصر منذ زمن قديم وإذا صح ذلك بالنسبة لسومر، فان ذلك المكان يصبح ملائما لالتقاء الطرفين، أو لعل الوسطاء كانوا يطلعون المصريين على ما انجزه السومريون[1]. ولعل هذه المؤثرات السومرية قد وصلت مصر عن طريق بعض الوسطاء الذين كانوا يقومون بمهمة نقل السلع بين اقطارالشرق الأدنى القديم، وبالتالى ينقلون الافكار السائدة فى كل مجتمع من هذه المجتمعات.

(1) Engelbach, R., "The A dvent of the Dynastic Race" In An, Serv., Tome X III, (1943), P. 208.,
Frankfort, H., op. cit., PP. 110 - 111.

الفصل الرابع

الدولة القديمة (عصر بناة الاهرام)

٢٧٨٠ ق٠م - ٢٢٣٠ ق٠م

تعرف عصور الدولة القديمة عادة بتعريفين اصطلاحين وهما: العصور المنفية للدلالة على استقرار فراعنتها وحكوماتها المركزية فى مدينة منف، وعصر بناة الاهرام، نظراً لما يتميز به هذا العصر من تشييد الاهرامات الضخمة التى تمتد على طول الصحراء الغربية، وتعتبر مفخرة لهذا العصر دليلا على ما وصلوا إليه من تقدم وكفاية. وتتكون الدولة القديمة من الاسرات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة. وسنقوم فيما يلى بدراسة السياسة الداخلية لكل أسرة من هذه الأسرات الأربع، أما السياسة الخارجية فسوف نجمل سياستها مع العالم الخارجى عند نهاية عصر الدولة القديمة.

الاسرة الثالثة

تبدأ عصور الدولة القديمة بعصر الأسرة الثالثة وتجابه المؤرخ فى دراسة عصر هذه الأسرة أمور رئيسية تتصل بنشأتها وترتيب ملوكها وسياستهم الداخلية والخارجية وسنحاول دراسة هذه الموضوعات فيما يلى:

اولا: نشأة الاسرة الثالثة:

يرتبط تأسيس الأسرة الثالثة بثلاثة ملوك هم: سانخت ونب كا ونثررخت[1] وفيما يتصل بالملك الأول وهو سانخت فإن اسمه يفيد معنى «الحماية القوية» ولقد عثر على العديد من الادلة الاثرية التى تحمل اسمه الحورى سانخت ومنها العديد من طبعات الاختام التى عثر عليها فى المصطبة الضخمة المبنية من الطوب اللبن وهى المقبرة التى تنسب إليه فى بيت خلاف.

(١) انظر عن هذه الاراء: أحمد أمين سليم: دراسة تاريخية لنشأة الأسرة الثالثة وتطورها السياسي والحضاري، رسالة دكتوراه، الاسكندرية.

وعثر على طبعتى ختمين له أسفل مجموعة من الأوانى فى شمال معبد الملك نثروخت الجنزى. بالاضافة إلى ذلك فقد ترك نقشين فى وادى مغارة بسيناء بجوار نقوش الملك نثرخت، وسنخم خت، ويوجد أحد هذين النقشين فى المتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم ٣٨٥٦٥، ويوجد النقش الآخر فى المتحف البريطانى بلندن.(١)

أما بالنسبة للملك نب كا، فقد ظهر اسمه على العديد من الاثار التى ترجع إلى عصر الأسرة الثالث والعصور التالية لها. تمثل الإثار التى ترجع إلى عصر الاسرة الثالثة فى انطباع ختم طينى عثر عليه فى المقبرة التى تنسب إلى الملك سانخت فى بيت خلاف ويظهر فى الختم بقايا خرطوش ملكى ظهر عليه جزء من العلامة الاخيرة من الاسم الملكى المكتوب عليه. وتوصل عالم المصريات الالمانى الجنسية «كيرت زيته» بعد فحصه لانطباع هذا الختم الطينى إلى الاعتقاد بأن هذا الجزء من الخرطوش الملكى خاص بالملك نب كا، وهو الأمر الذى نرجحه. وظهر اسم الملك نب كا كذلك على قطعتين من الحجر عثر عليهما فى أبى صير وتوجدان حاليا فى متحف مدينة برلين ويرجح انهما قد جاءتا من مقبرة الكاهن اخت عا الذى كان يقوم بالخدمة الكهنوتية فى عهد الملك نب كا.(٢)

بالاضافة إلى تلك الآثار المعاصرة، فقد ظهر اسم الملك نب كا على العديد من الادلة الأثرية والنصية التى ترجع إلى العصور التالية لعصر الاسرة الثالثة، مما قد يوضح أن ذكرى الملك نب كا ظلت عالقة فى اذهان المصريين لفترة طويلة بعد عهده. ومن تلك الأدلة الاثرية التى عثر عليها العديد من الجعارين التى عثر عليها فى ابيدوس والتى توجد فى بعض المجموعات الخاصة مثل مجموعة

(1) A.H. Gardiner., T.E. Peet., The Inscripitions Of Sinai Vol, 1, London, 1955, PI. I.

(2) W.S. Smith., in J. E. A., Vol. 46 (1942), PP. 518 - 520, Fig 9.

سايس ولوفتى[1] وبالاضافة إلى تلك الجعارين فلقد سجلت بردية وستكار التى ترجع إلى نهاية عصر الدولة الوسطى اسم الملك نب كا من بين الملوك الذين جاء ذكرهم فى ثنايا احداثها وهى تضع الملك نب كا بين نثر رخت وسنفرو. ووضعته قائمة ملوك ابيدوس بين ملوكها الستة والسبعين وكان ترتيبه فيها الخامس عشر وجاء ترتيبه قبل الملك نثررخت ووضعته بردية تورين كذلك قبل الملك نثررخت.[2]

ولقد عثر على العديد من الادلة الاثرية التى تحمل اسم الملك نثر رخت والتى ترجع إلى عصر الأسرة الثالثة، ومن هذه الأدلة العديد من طبعات الاختام التى عثر عليها فى مصطبة مبنية بالطوب اللبن فى بيت خلاف[3] تقع جنوب المصطبة التى تنسب إلى الملك سانخت وعثر كذلك على العديد من طبعات الاختام الخاصة به فى عدد من المقابر بنفس الموقع.

وبالاضافة إلى ذلك فقد ترك لنا نقشا يحمل اسمه فى وادى مغارة بسيناء كما ظهر اسمه فى نقوش معبده الذى شيده فى مدينة أون، والذى توجد بقاياه فى متحف مدينة تورين. وظهر مرات عديدة على الاثار الموجودة فى مجموعته الجنزية التى شيدها فى سقارة ومن بينها لوحات الحدود التى حددت حدود منطقة بناء مجموعته والحجرات المزينة الموجودة اسفل الهرم، فى بعض دهاليز هرمه المدرج، واسفل المقبرة الجنوبية.

وبجانب هذه الاثار المعاصرة، فقد ظهر اسمه على العديد من الادلة الاثرية

(1) M.A. Gauthier, Le livre des Rois D' Egypte, T. 1, le Caire, 1907, P. 49.

(2) Ibid.

(3) J. Garstang, K., Sethe. Mahasna and Bet kallaf, London, 1903 -, PP. 8-11.

اللاحقة لعصر الاسرة الثالثة، ومن بينها لوحة في السيرابيوم ترجع إلى عصر الاسرة الثانية والعشرين.

كما ظهر اسمه الذى عرف به بعد عهده وهو «جسر» على العديد من الاثار منذ عهد الدولة الوسطى، ومنها نقش على تمثال إقامة الملك سنوسرت الثانى لسلفه الملك جسر كما جاء هذا الاسم فى ثنايا بردية وستكار وقائمة ملوك ابيدوس وسقارة وتورين. وورد هذا الاسم أيضا على العديد من الادلة الاثرية التى ترجع إلى العصر المتأخر ومنها تابوت حجرى خاص بكاهن يقوم بالكهانة فى عصر الاسرة السادسة والعشرين وظهر على نقش فى وادى الحمامات، كما ظهر كذلك على لوحة فى جزيرة سهيل جنوبى اسوان ترجع إلى العصر البلطمى.

واختلفت آراء المؤرخين حول ترتيب هؤلاء الملوك وبيان تتابعهم على العرش ومن منهم ينسب إليه فضل تأسيس الاسرة الثالثة. ويمكن تحديد تلك الاراء فى اتجاهين: يرى اصحاب الاتجاه الأول أن الملك نثر رخت هو أول ملوك الاسرة الثالثة، بينما يرى اصحاب الاتجاه لثانى أن الملك سانخت هو أول ملوك الاسرة الثالثة، ويوجد اصحاب هذا الرأى الملك سانخت مع الملك نب كا.

يعتمد اصحاب الاتجاه الأول فى تأييد رأيهم على بعض الادلة الاثرية ومنها طبعات الاختام التى عثر عليها فى كل من ابيدوس وبيت خلاف التى توضح الصلة المباشرة بين الملك نثر رخت والملك خع سخموى ومنها انطباع ختم طينى عثر عليه فى مقبرة الملك خع سخموى بأبيدوس كتب عليه اسم الملكة مرتبط بعبارة «أم ابناء الملك»[1] وعثر على انطباع ختم فى المقبرة التى تنسب إلى الملك نثر رخت فى بيت خلاف - والتى عثر فيها على طبعات اختام خاصة به - كتب عليه اسم الملكة ثلاث مرات وفى كل مرة كان يذكر بعد اسمها لقب

(1) W.M.F Petrie The Royal Tombs. 11. P. 210.

من القابها واول الالقاب التى ذكرت «ام ملك مصر العليا والسفلى» وهو الامر الذى يرجح كون الملكة «بى ماعت» زوج حع سخموى وام نثر رخت

ومن بين الادلة التى يسوقها اصحاب هذا الرأى كذلك ما ذكره كورت زيته عن وجود وجه شبه قوى بين طبعات اختام الملك خع سخموى التى عثر عليها فى ابيدوس وبين طبعات اختام الملك نشررخت التى عثر عليها فى بيت خلاف. مما يرجع وجهة نظره فى كون عهود هذين الملكين متقاربة وان احدهما قد خلف الآخر.

ويرى اصحاب هذا الرأى أيضا أن تسجيل بردية تورين لاسم الملك جسر بالمداد الاحمر دليل على أهميته كمؤسس لعصر جديد.[1]

أما أصحاب الاتجاه الاخر الذى يذهب إلى القول بأن الملك سانخت هو مؤسس الأسرة الثالثة، فيرون أن الملك سانخت هو الأخ الأكبر للملك نشررخت وأنه لم يقدر له الجلوس على عرش البلاد لفترة طويلة، وعند وفاته لم يكن قد انجب سوى بنت كانت عند وفاة والدها فى سن صغيرة، فخلفه على العرش اخوه نشررخت.

وبناء على الادلة الاثرية والنصيه فأننى ارجح الرأى الاخير وهو كون الملك سانخت أول ملوك الاسرة الثالث، وذلك على اعتبار أن الملك خع سخموى قد تزوج من ثلاث سيدات انجب من زوجه الرئيسية الاميرة حتب حرنبتى ومن زوجته الثانية سانخت ومن زوجته الثالثة نى ماعت حب ابنه الملك نشررخت وكان الملك سانخت الابن الاكبر للملك خع سخموى واكتسب الشرعية فى حكم البلاد نتيجة زواجه من الأميرة حتب حرنبتى الوراثة الشرعية للعرش، واثمر زواجهما عن انجاب الاميرة انت كا اس وعندما وافى الاجل الملك سانخت خلفه على العرش

---

(1) Garstang, K. Sethe OP Cit PP 22-23

اخوه الملك نثررخت الذى اعترف فى بداية عهده بمكانه هاتين السيدتين - زوج اخيه وابنتهما - وعلو قدرهما فنقش اسميهما مع اسمه على العديد من لوحات الحدود، كما ظهر كذلك على العديد من القطع الاثرية التى عثر عليها فى بقايا معبده الذى شيده فى مدينة اونو.

ومن الإدلة الاثرية النصية التى ترجح هذا الرأى حقيقة العثور على طبعة الختم الخاص بالملكة نى ماعت حب فى المقبرة التى تنسب إلى الملك نثر رخت فى بيت خلاف مع طبعات الاختام الخاصة بالملك نثررخت مما يشير إلى العلاقة الوثيقة بينهما، بينما لا توجد أية ادلة نصية أو اثرية تشير إلى وجود اية صلة بين الملك سانخت وبين نى ماعت حب، مما يدل على أنه كان ابنا للملك خع سخموى من زوجة أخرى.

بالاضافة إلى ذلك فقد عثر على العديد من الادلة الاثرية التى تميز الملكة حتب حرنيتى بإتخاذها لألقاب الملكات وظهورها على الآثار وهى ترتدى رداء الملكات مما يشير إلى وضعها المميز كوريثة لعرش البلاد، وهو الامر الذى اعترف به الملك نثررخت فى بداية عهده، فاظهرها هى وابنتها أنت كا إس على العديد من آثاره التى شيدها فى مستهل حكمه للبلاد.

ويضاف إلى تلك الادلة النصية دليل اثرى آخر يتصل بالتطور المعمارى للمقابر التى تنسب إلى الأسرة الثالثة فى بيت خلاف، فالجزء المتبقى من البناء العلوى للمقبرة التى تنسب إلى الملك سانخت يوضح أنه قد بنى اصلاً فى هيئة درجات تشبه شكل الهرم المدرج. ويمكن أن يستدل من ذلك على اسبقية طراز مقبرة سانخت لهذا الشكل من البناء الذى اخذ نثررخت فكرته وعدلها فى بناء هرمه، مما يشير إلى اسبقية سانخت لاخيه الملك نثررخت فى حكم البلاد.

ويلاحظ من ناحية أخرى أن تطور مستوى بناء المقابر الملكية فى عصر

الاسرة الثالثة على هيئة اهرام مدرجة قد ادي إلى وجود خط متواصل يمكن اثباته للترتيب الزمنى لتشيداتهم بدءا من الملك نثررخت. ونظرا لعدم العثور حتى الآن على بناء هرمي يمكن نسبته إلى الملك سانخت غير المقبرة التى تنسب إليه فى بيت خلاف فإن وضعه على رأس الأسرة قبل الملك نثرخت يصبح مرجحا.

ويتجه العديد من المؤرخين إلى توحيد الملك سانخت بالملك نب كا. ولقد كان كورت زيته هو أول من اقترح امكانية توحيد الملك سانخت بالملك نب كا وذلك من واقع فحصه لطبعات الأختام التى عثر عليها فى المقبرة التى تنسب إلى سانخت فى بيت خلاف ويعتمد اصحاب هذا الرأي على ما ذكرته قائمة ملوك ابيدوس وبردية تورين من أن الملك نب كا قد سبق نثررخت فى الجلوس على عرش البلاد، وهو الرأي الذى نرجحه ونأخذ به - فعلى ذلك يصبح توحيد الملك الذى ذكرته آثار عصره بالاسم الحوري - سانخت بالملك الذى ذكرته القوائم باسم نب كا امرا مرجحا.

ترتيب ملوك الاسرة الثالثة:

تعتبر مشكلة ترتيب وتتابع ملوك الإسرة الثالثة على عرش البلاد من أهم الموضوعات الحيوية المتصلة بهذا العصر، نظرا لما يحيط بها من غموض شديد ناجم عن نقص الادلة المتبقية من هذا العصر بشكل كبير، واختلاف قوائم الملوك فيما بينها فى ذكر ملوك هذا العصر وترتيبهم وكذلك الاختلاف بين الروايات المنقولة عن مانيتو.

وسنكتفى فى مجال هذه الدراسة بمناقشة ترتيب ملوك الاسرة الثالثة حسب المادة الاثرية التى عثر عليها لهم. ويلاحظ أن محاولة ترتيب هؤلاء الملوك حسب اسمائهم التى ظهرت على اثارهم المعاصرة يكتنفها المصاعب نظرا لقلة النصوص التاريخية المتبقية من هذا العصر وندرتها بشكل كبير.

وعلى ذلك فإن محاولة ترتيبهم تعتمد بشكل كبير على أسس أثرية من أهمها تتبع خط التطور المعمارى الذى تم خلال عصر هذه الاسرة وتمثل فى تشيد المقابر الملكية على هيئة اهرامات مدرجة.

ويمكن ترتيبهم على أساس ذلك على النحو الاتى:

١- سانخت (نب كا)	٢- نثررخت
٣- سخم خت	٤- خع با
٥- نب كارع	٦- حو (حونى)

واوضحنا من قبل الادلة التى تؤيد اسبقية سانخت كمؤسس للأسرة جاء بعده الملك نثررخت وفيما يتصل بالملك الثالث وهو «سخم خت» فإن اسمه يفيد معنى قوى الجسد ولقد بدأ تشييد هرم مدرج له إلى الجنوب الغربى من هرم نثررخت إلا أنه لم يتمكن من اتمام بنائه[1]، وعثر فى دهاليز هذا الهرم على العديد من انطباعات الاختام التى تحمل اسمه الحورى، كما ترك نقشا فى وادى مغارة بسيناء. ويعتمد ترتيب الملك سخم خت كخلف للملك نثررخت على بعض الادلة ومنها أن البناء الرئيسى فى مجموعة الملك سخم خت عبارة عن بناء مربع له صفة الاهرامات المدرجة، وقد اتخذ هذه الهيئة من أول مرة بعكس هرم الملك نثررخت الذى تعدل تصميمه أكثر من مرة اثناء بنائه ومن ثم فقد استفاد المعمارين الذى شيدوا هرم سخت خت من المحاولات المتتالية التى بذلت فى هرم سلفه نثررخت، مما يبرهن على اسبقية الاخير، ومن هذه الادلة كذلك العثور على قطعة من احدى لوحات الحدود الخاصة بالملك نثررخت والتى تحمل اسمه الحورى فى جدار هرم سخم خت وقد اعيد استخدامها كمادة بناء مما يؤكد على اسبقية عهد الملك نثررخت لعهد الملك سخم خت، ويتصل بذلك ايضا العثور على اسم احد رجال القصر فى عهد الملك نثررخت مكتوبا على بعض قطع الاوانى فى

(1) M. Z. Ghoneim, The Buried Pyramid, London, 1956.

دهاليز هرم الملك سخم خت، ويرجح ذلك أن هذا الموظف قد خدم فى عهدى كلا الملكين، ويستدل على ذلك انهما قد خلفا بعضهما على عرش البلاد.

ومن هذه الادلة كذلك العثور على قطعة من احدى لوحات الحدود الخاصة بالملك نثررخت والتى تحمل اسمه الحورى فى جدار هرم سخم خت وقد اعيد استخدامها كمادة بناء مما يؤكد اسبقية عهد الملك نثررخت لعهد الملك سخم خت.

وفيما يتصل بالملك «خع با» فقد عثر على اسمه منقوشا على ثمانية أوان مصنوعة من المرمر فى احدى المصاطب المشيدة من اللبن بجوار الهرم الذى ينسب إليه فى زاوية العريان[1]، ويتشابه هرم هذا الملك مع هرم سخم خت بشكل كبير مما دعا إلى القول بأنه شيد بعد هرم سخم خت مباشرة. ونظرا لعدم الكشف حتى الآن عن أى آثار ملكية أخرى يمكن نسبتها إلى الأسرة الثالثة وتوضع بين هذين الملكين، فإن خع با يكون هو خليفة الملك سخم خت مباشرة، ومن ناحية أخرى فإنه يلاحظ وجود شبه بين هؤلاء الملوك الاربعة (سانخت - نثررخت - سخم خت - خع با) يتمثل فى التشابه فى نقوش اختام الاوانى التى تحمل الاسماء الحورية لهؤلاء الملوك مما قد يشير بطريقة غير مباشرة إلى تتابع هؤلاء الملوك على العرش وعدم وجود فترات زمنية متباعدة تفصل بينهم.

أما خامس ملوك الاسرة وهو «نب كارع» فينسب إليه هرم إلى الشمال من هرم خع با فى زاوية العريان[2] ويستدل من تخطيطه وابعاده وقطاعاته أنه أكثر تطورا من أهرام اسلافه.

---

(1) A. Barsanti. "Ouverture de la Pyramide de Zaouiet - et - Aryan". in ASAE. Vol II. 1901. PP. 92 - 4.

(2) A. Barsanti, "Foilles de Zaouiet -el - Aryan" in ASAE, tom - 7 (1906) PP. 260 - 286. Tom. 8 (1907) PP? 201 - 210., Tom. 12 (1912). PP. 57 - 63.

أمـا آخر ملوك الاسرة وهو الملك «حـونى» فـقـد ورد اسـمـه فى كل من قائمـتى تورين وسقارة كـآخر ملوك الاسرة الـثالثة، وقد شيد لنفسـه هرما فى ميدوم[1] ويعتبر تصميمه المعمارى مرحلة انتقال بين الهرم المدرج والهرم الحقيقى والذى ظهر فى عصر الاسرة الرابعة، ويكون الجزء الواقع فوق سطح الارض نواة البناء أضـيـفت إليـهـا ثـمـانى درجات من طراز الهرم ذى الطبقات وكسـيت كل درجـة بكسـاء من الحجر المنحوت ثم ملئ مـا بـين المدرجات ثـم كـسـيت بالحجر الجيرى الناعم ليصبح شكله كهرم حقيـقى ويحيط به اقدم مجموعة هرمية كاملة تم الكشف عنها حتى الآن، ومن ثم فإن هذا الهرم يمثل المرحلة النهائية فى تطور الهرم المدرج وأنه يكاد يكون من المؤكد أنه يسبق اهرام سنفرو أول ملوك الاسرة الرابعة مباشرة، وتقدر مدة حكم الملك حونى بحوالى اربعة وعشرين عاما.

ثانيا: السياسة الداخلية فى عصر الاسرة الثالثة:

سنناقش فى هذا الموضوع امرين رئيسين:

يتـصـل الأول منهـا بمدة حكم الاسـرة الـثـالـثـة وتحـديدهـا الزمنى. ويتـصـل الثانى منهما باحوال السياسة الداخلية التى انتهجتها مصر فى هذا العصر.

أ- فيما يتصل بمدة حكم الاسرة الثالثة وتحديدها الزمنى:

فقد اختلفت آراء المؤرخين اختلافا بينا حول التحديد الزمنى لبداية ونهاية عصر الاسرة الثالثة، والفترة الزمنية التى اسغرقها هذا العصر ويمكن اجمال هذه الآراء فى ثلاثة آراء: الرأى الأول، ويمكن تسـمـيـة اصـحابه بأصـحـاب التـاريخ بعيد المدى، ومن أوائل الذين اتجهوا هذا الاتجاه المؤرخ المصرى مانيتون الذى ذكر أن مدة حكم الاسرة الـثالثة قد بلغ ٢١٤ سنة وذلك حسب رواية افركانوس، أو ١٩٨ سنة حسب رواية يوزيبـيـوس فى النسـخـة التى ترجع إلى سـينكليـوس أو ١٩٧ سنة فى النسخة الأرمينيه، ونهج نهجه من المؤرخين المحدثين وليم فلندرز

(١) محمد أنور شكري: العمارة في مصر القديمة، ١٩٧٠، ص٢٩٦ - ٢٩٧.

بترى الذى اتجه إلى القول بأن عصر الاسرة الثالثة قد استغرق حوالى ٢١٤ سنة وذلك على أساس أنه قد بدأ حوالى ٤٩٩١ ق.م. وانتهى حوالى عام ٤٧٧٧ ق.م [1].

أما أصحاب الرأى الثانى، والذين يمكن تسميتهم بأصحاب التاريخ الوسط فيجعلون مدة حكم الاسرة الثالثة تتراوح بين ثلاثة وسبعين عاما إلى مائة عام وذلك فى الفترة من ٢٦٨٦ - ٢٦١٣ ق.م[2]. ومما هو جدير بالذكر بالملاحظة أن بردية تورين التى ترجع إلى عهد الفرعون رعمسيس الثانى ثالث ملوك الاسرة التاسعة عشرة قد قررت مدة أربعة وسبعين عاما لعصر ملوك الاسرة الثالثة.

أما اصحاب الرأى الثالث، والذين يمكن تسميتهم بأصحاب التاريخ القصير المدى، فيجعلون مدة حكم الاسرة الثالثة تتراوح من تسعة واربعين عاما إلى خمسة وخمسين عاما، ومن هؤلاء العلماء كيسن الذى قدر مدة حكم الاسرة الثالثة بتسع واربعين عاما، وذلك على اعتبار انه قد بدأ حوالى عام ٢٦٧٦ ق.م وانتهى عام ٢٦٢٧ ق.م واتجه الكسندر شارف إلى تقدير هذه المدة بحوالى خمسين عاما، وذلك على اساس انها تبدأ حوالى عام ٢٦٥٠ ق.م وتنتهى حوالى عام ٢٦٠٠ ق.م بينما اتجه بعض العلماء إلى تقدير مدة حكم الاسرة الثالثة بخمسة وخمسين عاما، ومن بين العلماء ايتين دريوتون وجاك فاند ييه وذلك على اساس أنها تبدأ حوالى عام ٢٧٧٨ ق.م وتنتهى حوالى عام ٢٧٢٣ ق.م وكذلك مورييه، وذلك على اساس أنها تبدأ حوالى عام ٢٨٩٥ ق.م وتنتهى حوالى عام ٢٨٤٠ ق.م. [3]

---

(1) W.M.F., Petrie, A History of Egypt, Vol, I, P. 39.

(2) I. Shaw, P. Nicholson, op. cit., p. 310.

(3) A., Moret, Histoire de La Nation Egyptienne, t. II, paris, 1932, P.90.

ويتجه الباحث إلى تأييد اصحاب الرأى الثانى الذين يتجهون إلى تقدير مدة حكم الاسرة الثالثة من ثلاثة وسبعين عاما إلى مائة عام، حيث توضح الادلة الاثرية والنصية المعاصرة التى كشف عنها امكانية ملائمة هذا التقدير لمدة حكم ملوك هذا العصر.

ب- سياسة مصر الداخلية فى عصر الاسرة الثالثة:

فيما يتعلق بأمور السياسة الداخلية في هذا العصر فتوضح المادة الاثرية المتبقية من هذه الفترة والمتمثلة فى مقابر ملوك هذا العصر التى شيدت على هيئة اهرامات مدرجة مبنية بكتل الحجر الجيرى المحلى، ومكسوه بالاحجار الجيرية الجيدة، المجلوبة من محاجر طره على شاطئ النيل المقابل وجود تنظيم ادارى قوى ومنظم تمكن من تشييد هذه العمائر الضخمة لأول مرة فى تاريخ البشرية، بما يتطلب مثل هذا العمل من حشد لاعداد ضخمة من العمال نظمت فى مجموعات عمل لكل منها عملها المنوط به، وبالاضافة إلى ذلك فقد كان على الجهاز الادارى كذلك مسئولية تنظيم احوال البلاد الداخلية وحفظ الامن والنظام فى الداخل والدفاع عن حدود البلاد فى الخارج.

وكان الملك على رأس الجهاز الإدارى الذى اتخذ من منف عاصمة له ومقرا. واتخذت الملكية فى هذا العصر القابا جديدة تتمشى مع تطور النظام الملكى فى هذا العصر، وترتبط بالعقائد الفكرية المصرية ارتباطا وثيقا ويتمثل فى اتخاذ اللقب «رع نب» الذى يفيد معنى الشمس الذهبية وتشير إلى انتساب الملك إلى رب الشمس الذهبية وهو المعبود رع ولقد اثبتت الادلة الاثرية المتصلة بالملك نثررخت اتخاذه لهذا اللقب الذى ظهر على العديد من آثاره. وقد يشير اتخاذ الملك نثررخت لهذا اللقب الذى يرتبط بالاله رع الذى تأسست عبادته فى مدينة أون (هليوبوليس - عين شمس) إلى اتجاه الفرعون نحو هذا الاله وارتباطه به.

وبالاضافة إلى هذا اللقب، فأنه يستدل من بعض الادلة الاثرية على احتمال اتخاذ الملك نثررخت للقب ملكى آخر وهو لقب «حورنب» الذى يفيد معنى حور الذهبى والذى يشير إلى ارتباط الملك بهذا المعبود وأنه كان وصفا حوريا جديدا للملك، ويشير هنرى فرانكفورت[1] إلى أن استخدام علامة الذهب فى الالقاب الملكية فى عصر الاسرات الثلاث الأولى يدل على أن هذا اللقب يعبر عن الوهية الملك بتجسيده لحور الذى لا يفقد لمعانه وتلك خاصية من خصائص الذهب وكذلك الشمس، فالذهب - كما يقول - جسد الإلهة وقال رع عند بداية كلماته: أن جسدى من الذهب الخالص.

ويستدل من الادلة الاثرية السابقة اتخاذ الملك نثررخت للقب حورنوب ضمن القابه وبذلك يكون قد جمع فى القابه الملكية اربعة القاب من الالقاب الخمسة التى اتخذها ملوك مصر وهى:

اللقب الحورى واللقب النبتى، واللقب النسويبتى، واخيرا لقب حور الذهبى، ويشير ذلك إلى تطور النظام الملكى فى عصر الاسرة الثالثة.

وتوضح الشواهد الاثرية والنصيه التى ترجع إلى الأسرة الثالثة أن طريقة تركيز السلطة فى يد الملك واسرته ممن يرتبطون به برابطة الدم كما ظهرت فيما بعد فى بلاط الملك خوفو لم تكن قد اكتملت بعد فى عصر الاسرة الثالثة. واظهرت الادلة الاثرية التى كشف عنها فى هذا العصر عدداً كبيراً من رجال الدولة الاكفاء الذين تمكنوا من تنفيذ المشاريع المعمارية الضخمة التى تم تشييدها وتمكنوا من تحقيق تطور حضارى ضخم وملموس ووضعوا بذلك الاساس القوى الصلد للتطور الحضارى الذى شهدته مصر خلال عصر الاسرة الرابعة. وكان لجهدهم الضخم، وما استطاعوا تحقيقه من دعم للاقتصاد الداخلى والدفاع عن حدود البلاد، وما وصلوا إليه من تقدم حضارى اكبر الاثر فى التقدم الذى

(1) H., Frankfort, Kingship and the Gods, Chicago, 1945, P. 46.

حققته الاسرة الرابعة. وتوضح الالقاب التى اتخذها هؤلاء الرجال انهم كانوا مرتبطين بالحرف والاعمال العامة، وكان الطريق ممهدا امام الأكفاء منهم لتولى الوظائف الكبرى فى الدولة[1] فقد كانت الحاجة ماسة إلى هذه النوعية من الرجال الذى يتولون المناصب حسب كفاءتهم ومهارتهم وامكانياتهم، وكان لهذه السياسة اثرها الكبير فى تحقيق هذه الطفرة الكبيرة من التطور التى شهدها عصر الاسرة الثالثة.

وفيما يتعلق بمنصب الوزير فإنه يلاحظ من الادلة الاثرية التى عثر عليها حتى الآن أنه لم يلقب احد من كبار رجال الدولة فى عصر الاسرة الثالثة بلقب «ثاتى» الذى يعنى (وزير) وإن كان قد تقلد بعضهم من الوظائف والمهام ما يصل به إلى هذه الدرجة ولا يعنى ذلك أن هذه الوظيفة لم تكن قد عرفت إذ يبدو أنها قد وجدت على الاقل منذ عصر الاسرة الثالثة، ويستدل على ذلك من العثور على عدد الاوانى يبلغ عددها احدى وعشرين آنية أسفل هرم الملك نثررخت المدرج وتحمل اسم شخص يدعى «من كا»[2] تلقب بلقب الوزير ولقد عثر على هذه الأوانى فى بهوين اسفل الهرم، ويلاحظ أن الكتابات التى عثر عليها فى هذين البهوين تؤرخ بعصر الاسرتين الأولى والثانية ولم يعثر فيها على أية نقوش تخص الملك نثررخت نفسه، ومن ثم فإن هذا الشخص «من كا» يكون سابقا لعصر الأسرة الثالثة.

وحفظت الادلة الاثرية المتعددة التى ترجع إلى عصر الاسرة الثالثة اسماء العديد من كبار رجال الدولة والوظائف التى كانوا يتقلدونها ومن هؤلاء: ايمحوتب، نجم عنخ، حسى رع، خع باوسكر، مثن، آى ان خنم، وغيرهم.

---

(1) W.S., Smith. in CAH., Vol. 1, Part 11, Cambtidge, 1971, P. 160.

(2) P., Lacau, J.P.H. Lauer, La Pyrmide a Degres, t. V., PP. 1-3, Figs 1-4.

ولعل ابرز هؤلاء جميعا المهندس المعمارى ايمحوتب الذى يفيد اسمه معنى «الذى يأتى فى سلام» أو «المجئ فى سلام» ولقد وصل ايمحوتب إلى درجة رفيعة فى البلاط الملكى، بلغت إلى الدرجة التى سجل فيها اسمه وألقابه على قاعدة تمثال الملك نثررخت، وهو أمر نادر الحدوث على الاثار المصرية بشكل عام.

وحمل ايمحوتب العديد من الالقاب والتى من بينها: حامل ختم ملك مصر السفلى، الأول بعد الملك (ملك مصر العليا) ومدير البيت الكبير، الامير الوراثى، كبير الرائين، ونعم ايمحوتب بسمعة طيبة كواحد من أكبر الحكماء المصريين، واعطت شهرته كحكيم انطباعا عميقا حتى أنها أصبحت تقليدا وطنيا لعدة قرون، وتناولت الاجيال جيلا بعد جيل حكمته المتضمنة فلسفة الحياة التى علمتها اياه التجارب التى عاشها. وجعله المتعلمون فى عصر الدولة الحديثة على رأس أهل الحكمة والتعليم واعبتروه من رعاة المثقفين، واعتبر ايمحوتب فى العصور المتأخرة كابن للاله بتاح قد شيد له معبدا على هذا الاساس بالقرب من السرابيوم اطلق عليه معبد ايمحوتب بن بتاح، ومنذ عصر الاسرة الرابعة اعتبر ايمحوتب كطبيب نصف مؤله، ثم عبد فى العصر الفارسى كاله الطب. ويذكر مانيتون الذى اطلق عليه اسم اموثيس أن اليونان قد اعتبروه كاسكليبيوس لمهارته فى الطب وبالاضافة إلى ذلك فقد ارتبط اسم ايمحوتب بعدد من المعابد التى شيدها البطالمة فى مصر مثل معبد ادفو وفيله ودير المدينة.(1)

وكان حسى رع الذى يفيد اسمه معنى «المفضل عند رع»، أو «الممدوح من رع» من كبار رجال الدولة الذين عاشوا فى عهد الملك نثررخت وسجل حسى رع الالقاب التى لقب لها على الاطارات الخشبية الخمس التى تركها فى مقبرته

(1) J.B., Hurry, Imhothep, the Vizier and Physiian of King Zosr, Oxford, 1928.

خلف الابواب الوهمية، والتى تعد نموذجا رائعا لفن النحت فى هذا العصر، وهى توجد حاليا فى المتحف المصرى بالقاهرة. ومن أهم الالقاب التى اتخذها لقب «الكاتب الملكى» ومثل حسى رع فى هذه اللوحات الخشبية فى هيئة تتصل بهذه الوظيفة. إذ مثل إما وهو يمسك بأدوات الكتابة فى يده أو يحملها فوق كتفه.(١)

ويعتبر مثن من آخر الشخصيات الكبيرة التى عاشت فى الاسرة الثالثة فقد امتد به العمر، إلى أن توفى فى عهد الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة وسجل على جدران مقبرته التى شيدها فى سقارة تاريخ حياته والوظائف التى تقلدها والهدايا والمنح التى حصل عليها. ويعتبر ذلك اقدم سجل حتى الآن عثر عليه يحوى تاريخ حياة انسان وترجع أهمية هذا السجل إلى ذكره للإدارة الحكومية فى الدلتا، والتى لا نعرف شيئا عن كيفية ادارتها فى هذا العصر، وذلك من خلال نشاط مثن فى الدلتا والوظائف التى تقلدها ويذكر فى هذه النقوش ترقيه فى الوظائف بدءاً من وظيفة الكاتب، ثم مشرف على مخزن المؤن، حتى وصل إلى درجة حاكم لعدد كبير من المدن والمقاطعات فى الدلتا كما كان أيضا حاكما على بعض المناطق فى مصر العليا مثل، الجزء الشرقى من الفيوم واقليم انوبيس.(٢)

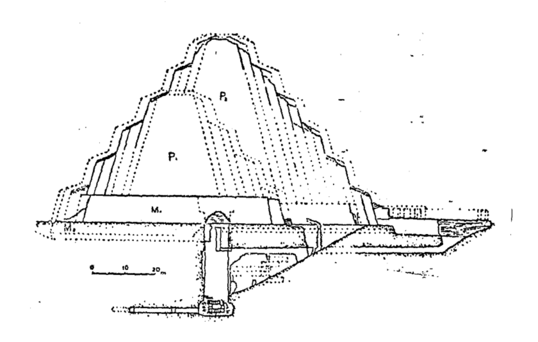
وفيما يتصل بالتشييدات المعمارية فى عصر الاسرة الثالثة:

فلقد كان لظروف البيئة المصرية الصميمة، والتى يتميز مناخها بالاستقرار والثبات وقلة الامطار، كما تتميز مصر من الناحية الجغرافية بكون الظاهرة الغالبة فيها تتمثل فى خطوط متوازية متعامدة. كان لذلك اثره الكبير فى شكل الطرز المعمارية التى اتخذها المعمارى المصرى ومن أهمها جعل اسقف المبانى

(1) J.E., Quibell, The Tomb Of Hesy, le Caire: 1913.
(2) J.H., Breasted, ARE, 1, 170 - 175.

الحجرية على هيئة مستوية، ووجود الافنية كعنصر هام فى العمارية المصرية وهى تتعاقب مع الأبهاء والقاعات على محور مستقيم. ومن ناحية أخرى كان لتوفر الاحجار الجيدة اللازمة للبناء على طول الوادى، اثره الكبير والفعال فى امكانية تشييد عمائر ضخمة على طول الوادى الخصيب.

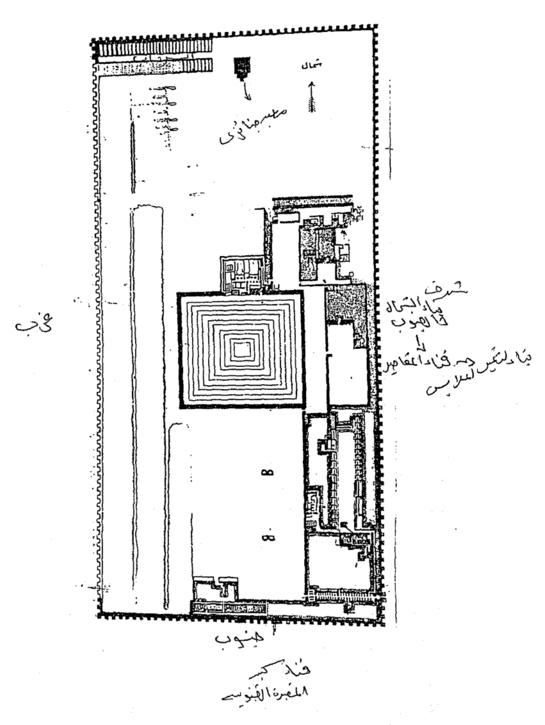
وكان الاستقرار السياسى الذى نعمت به مصر خلال هذا العصر ووجود رجال أكفاء تولوا المناصب الادارية العليا فى الدولة اثره الكبير فى هذا التطور المعمارى. وكان للتطور الذى تم خلال هذا العصر والذى تمثل فى اتجاه الملوك نحو إله الشمس رع اثره الكبير الفعال كذلك فى التطور المعمارى الذى تمثل فى تشييد المقابر الملكية على هيئة اهرامات مدرجة وهو الامر الذى قد يشير إلى كونها كسلم يرمز لصعود الملك إلى السماء.



(شكل ٢٥) هرم الملك نثرخت المدرج في سقارة

(1) C.M.,Firth, T.E., Quibell,The Step Pyramd,Vols. I, II, Caire, 1935.

يعتبر الهرم المدرج الذى شيده الملك نثرخت فى سقارة[1] (شكل ٢٥) من أول الاهرامات المدرجة التى شيدت فى تاريخ العمارة المصرية، وتم الوصول إلى الشكل النهائى لهذا الهرم بعد عدة تعديلات اجريت على التصميم الاصلى للبناء والحق بالهرم عدة مبانى أخرى تتمثل فى وجود معبد جنزى إلى الشمال من الهرم، ويوجد بجوار المعبد فناء السرداب الذى يحوى تمثالا حجريا لمشيد الهرم الملك نثرخت. وإلى الشرق من الهرم توجد مجموعة من المبانى تتمثل فى وجود بنائى الشمال والجنوب، ويقع إلى الجنوب منها فناء المقاصير الذى يوجد إلى الغرب منه بناء صغيرا كان يستخدمه الملك لتغيير ملابسه وشاراته اثناء الاحتفال بطقوس عيد سد. ويوجد إلى الجنوب من الهرم الفناء الكبير الذى يوجد عند نهايته الجنوبية وفى داخل سور المجموعة الجنوبى المقبرة الجنوبية. وكان يحيط بالمجموعة سور ضخم لا يوجد فيه سوى مدخل واحد عند الركن الجنوبى الشرقى، وكان يؤدى هذا المدخل إلى صالة الاساطين التى تفضى بدورها إلى الفناء الكبير الواقع جنوب الهرم. (شكل ٢٦)



(شكل ٢٦) المجموعة الهرمية للملك «نثرخت» في سقارة

واحتوت مجموعة نثرخت على العديد من المظاهر المعمارية التى تميزت بها. ويتضح ذلك فى تقليدها العمارة اللبنية بحذق ومهارة فائقين وظهر ذلك فى الابواب التى اتخذت هيئتين، اما شكل الابواب المنفرجة أو المفتوحة، وكذلك فى اسقف المبانى التى نحتت اسطحها الداخلية ولونت باللون الاحمر بحيث تحاكى هيئة فلوق النخيل ذات القطع نصف المستدير وظهر ذلك ايضا فى ناحية اخرى، وهى الاساطين التى استخدمت فى مبانى هذه المجموعة، والتى لم توضع مستقلة بل شيدت بحيث تستند إلى حوائط ويرجع ذلك إلى أن المعمارى فى ذلك الوقت لم يكن قد تعود على وجود الاساطين المستقلة فى المبانى. ولقد ظهرت اربعة أنواع من الاساطين فى مبانى هذه المجموعة، وهى الاساطين المقناه، والاساطين المضلعة والاساطين التى تحاكى البردي، والاساطين التى تحاكى سيقان نبات اللوتس.

وعبرت مبانى هذه المجموعة من ناحية أخرى عن بعض المفاهيم السياسية للمجتمع المصرى، وهى أن مصر تتكون من اقليمين: مصر العليا ومصر السفلى وانعكست هذه الثنائية فى بعض مبان هذه المجموعة، بحيث كان هناك بناء خاص بالجنوب وآخر خاص بالشمال.

من ناحية ثالثة، فقد عبرت بعض مبانى هذه المجموعة عن بعض النواحى الفكرية التى ظهرت فى المجتمع المصرى القديم خلال هذا العصر مثل ظاهرة الاحتفال بعيد تجديد شباب الفرعون وهو العيد الذى اطلق عليه المصريين حب سد.

وكان للجهود المعمارية التى بذلها المعماريون فى تشييد هرم الملك نثرخت اثرها الكبير والفعال فى التشييدات المعمارية التى شيدها خلفاء الملك نثرخت الذين شيدوا مقابرهم جميعا على هيئة اهرامات مدرجة وهو الامر الذى يمكن على اساسه اطلاق تعبير عصر الاهرامات المدرجة على عصر الاسرة الثالثة، وذلك من الناحية المعمارية.

واستفاد المعماريون الذين قاموا بتشييد هرم الملك سخم خت خليفة الملك نثررخت من التجارب التى مر بها ايمحوتب فى تصميم هرم الملك نثررخت المدرج، فقاموا بتشييد هرمه إلى الجنوب الغربى من هرم سلفه لتكون كهرم مدرج من أول الأمر[1]، ولم يتبق من البناء العلوى لهذا الهرم سوى ما يقرب من سبعة امتار، ويتضح من دراستها انه قصد ان يتكون هذا الهرم من سبع درجات يصل ارتفاعها إلى سبعين مترا، حيث أن نواة هذا الهرم تتكون من طبقة مربعة من البناء تضم اربعة عشرة طبقة تميل نحو المحور المركزى للهرم بزاوية تتراوح بين ٧١، ٧٥ ويفترض أن كل زوج من هذه الطبقات قد صمم ليكون درجة واحدة.

وشيد سخم خت معبده الجنزى إلى الشمال من هرمه وذلك جريا على سنة سلفه نثررخت، ولكن نظرا لاستخدامه فى العصور التالية كمحجر فأنه لم يتبق إلا بعض احجار قليلة لا تمكننا من معرفة التخطيط المعمارى الذى اتبع فى تشييده. ومثله مثل سلفه ايضا فقد شيد مصطبة إلى الجنوب من هرمه بحوالى عشرين مترا، ولكنه لم يشيدها فى لب السور الجنوبى مثل سلفه ولكنها شيدت فى منتصف المسافة بين الهرم وبين السور الجنوبى واحاط بمجموعة سخم خت سور ضخم مشيد من الاحجار الجيرية المحلية ومكسو من الخارج بالحجر الجيرى الجيد المنحوت، وانتظم واجهة السور الخارجية فجوات منتظمة وابراج بارزة.

وكان للكشف عن هرم الملك سخم خت اثره الكبير والفعال فى القاء الضوء على هرم خلفه الملك خع با[2] الذى شيده فى زاوية العريان فيما بين اهرام الجيزة وابوصير، والذى يطلق عليه الهرم ذى الطبقات وتوضح الاجزاء المتبقية من هذا الهرم أنه قد سلك فى بنائه التقاليد المعمارية التى اتخذا الملك سخم خت فى

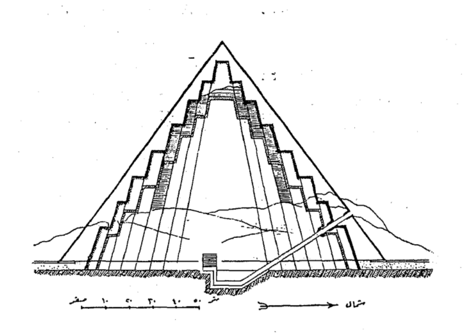
(1) J.P.H.. Lauer, in BIE. t. XXXVi (1953 - 1954), p. 357.
(2) M.A.. Barsanti, in ASAE., t.. II, (1901), PP 29-94.

تشييد هرمه. ويتضح من دراسة الاجزاء المتبقية منه أن النية كانت تتجه إلى أن يرتفع بنيان هذا الهرم إلى سبع درجات وذلك مثل هرم سخم خت ويتضح من ذلك أن المعماريين الذين قاموا بتشييد هذا الهرم قد ترسموا الخطى التى اتبعت فى تصميم هرم الملك سخم خت من حيث وجود الطبقات الجانبية، وبناء المداميك فى وضع مائل وليس افقى، كما أن زاوية ميل الهرم تتقارب مع زاوية ميل هرم الملك سخم خت، وإلى الشمال من هرم الملك خع با بحوالى كيلو متر ونصف، يوجد هرم خلفه الملك نب كارع[1] وهولم يكتمل بناؤه كذلك مثل اهرام اسلافه سخم خت وخع با ولقد وضع تصميم هذا الهرم ليضارع فى حجمه هرم الملك نثررخت، وينسب رايزنر[2] طراز هذا الهرم إلى الأسرة الثالثة ويتجه إلى الاعتقاد بأن مقاييس هذا الهرم، وطريقة عمل الممر الموصل إلى الحفرة الكبيرة، تظهر وجود أوجه شبة بينه وبين هرم نثررخت المدرج. وأنه قصد أن يكون هرما مدرجا مثله. ولقد عثر فى الجهة الغربية من حجرة الدفن على تابوت مصنوع من الجرانيت، وهو على شكل بيضاوى، وهو من الاشكال الفريدة فى التوابيت المصرية، وقد حفر له فى ارضية حجرة الدفن مكان ليثبت فيه، وقد وجد غطاؤه مثبتا عليه، ولكن لم يعثر فى التابوت على أى شئ يشير إلى وجود دفنه فيه.

ويعتبر الهرم الذى شيده الملك حونى فى ميدوم[3] آخر الاهرامات الملكية المدرجة فى عصر الاسرة الثالثة، ويشبه هذا الهرم هرم سلفه نثررخت فى أنه لم يبن من أول الأمر حسب تخطيط سابق وتصميم واحد، بل ظهر هذا الهرم فى شكله النهائى بعد ثلاثة تعديلات رئيسية اجريت على بنائه العلوى، الذى كان يتكون فى أول الأمر من نواة على هيئة سبع درجات ثم اضيفت إليها كسوة سميكة كانت تقل فى الارتفاع عن الدرجات القديمة وشيدت احجار الكسوة من

(1) M.A., Barsanti, in ASAE., t., Vii (1906), PP 262.
(2) G.A. Reisner, The Development of the Egyptian Tomb Down to the Accession of Cheopes, Cambridge, 1936, P. 153.
(3) I.E.S., Edwards, op. cit., P. 64. FF.

الاحجار الجيرية الموجودة فى المنطقة ثم غطيت باحجار جيرية بيضاء. وعندما تم بناء الهرم ذى الدرجات السبع ثم زيادة ارتفاع القمة وزادت كل درجة تليها إلى مستوى أعلى من الدرجة التى فوقها فى التصميم السابق، واضيفت درجة جديدة إلى القاعدة فأصبح الهرم يتكون من ثمانى درجات. أما التعديل الاخير، فقد كان المقصود منه أن يتحول الهرم ذو الدرجات الثمانية إلى هرم كامل، وتوصلوا إلى ذلك عن طريق ملء ما بين الدرجات بالاحجار المحلية، ثم كسى البناء كله بالحجر الجيرى الجيد واصبح طول ضلع الهرم بعد المرحلة الثالثة ١٤٤,٥ مترا. وكان ارتفاع الهرم يصل إلى ٩٢ مترا. ولكن لم يتبق منه حاليا سوى اجزاء من الدرجتين الثالثة والرابعة من مرحلته الأولى. وكل من الدرجتين الخامسة والسادسة وجزء من الدرجة السابعة من المرحلة الثانية، وبذلك يظهر الهرم فى شكله الحالى كهرم له ثلاث درجات. (شكل ٢٧)



(شكل ٢٧) هرم الملك «حوني» في ميدوم

ويرجح أن الاسباب التى ترجع وراء انهيار البناء العلوى تكمن فى كونه قد احتوى عددا من نقاط الضعف التى امكن تجنبها عند تشييد هرم الملك نثررخت المدرج، ومن هذه العوامل أن الاحجار التى شيد بها كانت صغيرة نسبيا ولم تشذب، وكانت توجد فجوات كبيرة غير منتظمة بينها، ومن ثم فإن وقوع هذا النوع من البناء تحت ضغط ثقل كبير يعرضه للتحطم بسهولة ويؤدى إلى كارثة تهدد بتغيير البنيان كله، ومن هذه العوامل كذلك أن عدد الجدران المدعمة فيها كانت قليلة العدد، ومن ثم كانت المسافات بينها بعيدة، وبالاضافة إلى ذلك فقد احتوى هذا الهرم مجموعتين من المبانى الضعيفة تتصل ببعضها بعدة تعديلات فى تخطيط البناء الاصلى، كما أن الاسطح الخارجية للهرم قد سويت وصقلت فى مرحلته الأولى، وبعد أن اجريت الزيادة الثانية تم تسوية اسطح الهرم الخارجية وصلقها مرة أخرى، وكان لهذه الاسطح خطورتها الكبيرة على بناء الهرم الداخلى، حيث أن الكتل الحجرية الموجودة فوقها كانت تنزلق بسهولة نظرا لأنها غير مثبتة فى طبقات البناء الموجود تحتها، أما آخر هذه الاسباب واهمها فيرجع إلى التعديل الذى أجرى على تصميم الهرم ليكون كهرم كامل ويرجع ذلك إلى كون هذا التعديل قد تحقق بواسطة وضع طبقات من الكتل الحجرية الضخمة فى وضع افقى على درجات الهرم، ثم كسيت بغطاء حجرى يصل سمكه إلى سبعة امتار ولم يكن لهذا الغطاء أى اساس يرتكز عليه بل كان يستقر مباشرة على الرمال ومن ثم فإن الانهيار قد حدث فى هذا الغطاء مع السطح الخارجى للتعديل الثانى فى الهرم.

وبالاضافة إلى هذه الاهرامات التى أمكن نسبتها إلى بعض ملوك الاسرة الثالثة، فإنه ينسب إلى الأسرة الثالثة كذلك اربعة اهرامات اخرى فى كل من سيلا[١] بمحافظة الفيوم وزاوية الاموات بمحافظة المنيا[٢] ونوبت بمحافظة قنا[٣] والكولة بمحافظة اسوان[٤].

---

(1) L. Borchardt, in ASAE., t. 1, (1900), P. 212.
(2) R. Weill, in C. R - Ac. Insce., 1912, P, 488 - 490.
(3) W.M.F. Petrie, J.E. Quibell, Op. Cit., P. 65.
(4) T. Stienon, in Chronique de Egypt, no. 49 (1950), P 42.

ولا تعتمد هذه النسبة على اسس نصية أو اثرية محققة، إذ لم يعثر فى أى هرم من هذه الأهرامات على أية نقوش أو كتابات يمكن أن يستدل منها على مشيديها، كما أنه يستحيل القول على وجه التأكد أن تكون هذه الاهرامات خاصة بملوك. وقد نسبت هذه الاهرامات إلى الأسرة الثالثة بناء على وجهة النظر التى ابداها علماء الآثار الذين قاموا بالعمل فيها. وذلك على اساس أنها قد شيدت لتكون اهرامات مدرجة، ونظرا لكون هذا الطراز من المقابر الملكية قد ظهر فى عصر الاسرة الثالثة وتطور فى عصر الاسرة الرابعة إلى الهرم الكامل. فأنها فى هذه الحالة تكون قد شيدت فى عصر الاسرة الثالثة الذى يمكن أن يطلق عليه من الناحية المعمارية اسم عصر الاهرامات المدرجة ولكن يلاحظ من ناحية أخرى أن هذه الاهرامات الاربع لم تدرس دراسة علمية منظمة بشكل كامل، ومن ثم فإنه لا يمكن تحديد تاريخها تحديدا مؤكدا، وهو الأمر الذى لا يمكن الوصول إليه إلابمزيد من الحفائر فى مواقع هذه الاهرامات وكذلك بتعرية اجزاء كبيرة منها حتى يمكن تحديد تاريخها بدقة اكبر.

الاسرة الرابعة

قد يبدو للوهلة الأولى ان عصر الاسرة الرابعة من أكثر الاسرات المعروفة فى مصر القديمة، نظرا لكونها أسرة بناة الاهرام الكبرى. ولكن الحقيقة غير ذلك فليس لدينا إلا الشئ القليل عن تاريخ هذه الاسرة والملك الذى لدينا معلومات أكثر فى عهده، هو الملك «سنفرو» مؤسس الاسرة، أما عن بقية الملوك فلا نملك عنهم الشئ الكثير سوى نشاطهم المعمارى. وسنقوم فيما يلى بعرض لنشأة الاسرة وترتيب ملوكها وسياستهم الداخلية والخارجية.

اولاً: نشأة الاسرة الرابعة:

يمكن حصر وجهات النظر حول نشأة الاسرة الرابعة فى وجهتين: يرى أصحاب الرأى الأول أن انتقال السلطة من الاسرة الثالثة إلى الأسرة الرابعة قد تم بطريقة طبيعية[1]، وأن أم سنفرو مؤسس الاسرة كانت تدعى «مرس عنخ» وأنها قد دفنت فى ميدوم وهى ملكة ذكرتها قائمة بالرمو واحتفظ المصريون بذكراها حتى أوائل الدولة الحديثة، فسجل كاتب من عصر الاسرة الثامنة عشر اسمها داخل خرطوش على جانب من معبد حونى فى ميدوم. ويتجه اصحاب هذا الرأى إلى القول بأن «مرس عنخ» أم سنفرو كانت زوجة الملك «حونى» آخر ملوك الاسرة الثالثة، ولكنها لم تكن الزوجة الرئيسية فتقدمت عليها زوجة أخرى تتمتع بالدم الملكى الخالص انجبت منه ولدا وبنتا ولم يعرف حتى الان اسم الولد الذى كان وليا للعهد، ويرجح أنه مات فى أواخر عهد ابيه وانه دفن فى المصطبة رقم ١٧ فى ميدوم على مقربة من هرم والده هناك، أما الابنة فقد سميت حتب حرس وانحصرت وراثة العرش فيها بعد وفاة اخيها، ولما كان المصريون حينئذ لم يكونوا قد الفوا حكم الاناث منفردات، فقد زوج حونى ابنته «حتب حرس» وريثة

---

(1) G.A., Reisner, W.S., Smith, A History of Giza Necropolis, II, The Tomb of Hetep Heres Cambridge, 1955.

العرش من ولده سنفرو الذى انجبه من زوجه مرس عنخ تجنبا للخلاف بين فروع زوجتيه وحتى تنتقل إلى ابنه سنفرو الصبغة الشرعية الكاملة فى اعتلاء العرش، ولقد احتفظ سنفرو لزوجته حتب حرس بمكانتها فسمح لها بأن تتلقب بلقب بنت الاله (سات نتر).

أما أصحاب الرأى الآخر فيرون أن الأسرة الرابعة كانت بداية لوحدة سياسية جديدة للبلاد، حيث يتجهون إلى القول بأن انقساما قد حدث بين مملكة الوجه القبلى ومملكة الوجه البحرى، ويرون أن الانقسام ظل موجوداً حتى تدخل حكام الاشمونين فى مصر الوسطى وكانوا يمتون بصلة القرابة إلى بيت الملك نشررخت، وناصروا الملك حونى واعتبروه الوريث الشرعى لعرش نشررخت، ولكنه لم يتمكن من استعادة وحدة البلاد كاملة. فلما مات انتهت الاسرة الثالثة، وورثت العرش بعده ابنته حتب حرس التى تزوجت من سنفرو الذى يعتبرونه من غير ابناء الاسرة المالكة وبذلك نقلت حق الحكم إلى زوج من غير اسرتها أو بمعنى آخر نقلت إليه الحق الاوزيرى المقدس التى استندت إليه اسرتها الثالثة القديمة فى الحكم. واعتمد اصحاب هذا الرأى على تفسير خاص بالجانب السياسى والاسطورى مستمد من المذهب المنفى المدون على لوحة شباكا.(١)

وقد ورد فى ثنايا هذا المذهب احداثا سياسية قديمة فى عبارات اسطورية جاء فيها أن نزاعا عنيفا شب بين الملكين حور وست بعد موت اوزير صاحب العرش غرقا فى انب حج التى تمتع فيها بمكانة عظيمة جب رب الأرض ووالد أوزير واستطاع أن يفصل بينهما فقسم المملكة بينهما إلى قسمين فجعل ست ملكا على الصعيد ويمتد حكمه شمالا حتى بلدة سو قرب الفيوم، وجعل حور ملكا على الوجه البحرى إلا أن جب إدرك أنه اجحف بحق حور فرجع فى حكمه واعلنه ملكا على مصر كلها وتوجه بالتاجين فى مدينة انب حج، واضطر ست

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٢١ - ٣٢٢.

إلى قبول هذا الحكم. وهكذا استقر اوزير مرة ثانية فى ارض المملكة وتجلى ولده حور ملكا على الصعيد والدلتا بين ذراعى ابيه شأنه شأن الارباب والملوك الذين من قبله والذين من بعده.

وحاول اصحاب هذا الاتجاه تأييد رأيهم بالقول بأن هذا الانشقاق السياسى الذى اشير إليه قد حدث خلال الاسرة الثالثة وذلك على اساس أن تأليف المذهب المنفى لم يسبق اوائل الدولة القديمة.

ويلاحظ ان هذا الرأى الأخير، قد اعتمد على أن مصر قد فقدت وحدتها فى الأسرة الثالثة، وهو امر لا نوافق عليه ولا نأخذ به. والأمر هنا أن أم سنفرو انما كانت تسمى مرس عنخ وان زوجته كانت حتب حرس وهى التى قامت بالدور الرئيسى فى انتقال العرش إليه، فهى حامله الدم الملكى النقى. الذى يمثل الفرع المباشر للوراثة، على أساس أنها ابنه حونى آخر ملوك الاسرة الثالثة.

وهناك من الادلة ما يشير إلى أن زواج سنفرو من حتب حرس انما تم ابان عصر سلفه حونى ولم يكن قبيل أو بعد ارتقائه العرش ذلك لأن ولدها خوفو كان لابد أن يكون زاد عن العشرين عاما. عندما اعتلى العرش ليصبح له ولدان اكتملت رجولتهما عند نهاية الثلاثة والعشرين عاما. فقد شوهد الامير «خوفو خغ اف» فى منظرين على احدى حوائط قبر انتهى العمل فيه فى نهاية حكم والده. مرة كشاب ومعه امه، واخرى كرجل بدين أما الامير «كاوعب»، الذي يبدو مرجحا انه توفى فى فترة معاصرة لوفاة ابيه فقد صور وعليه الوقار ومكتمل الرجولة وذلك على احدى حوائط قبر ابنته الملكة مرسى عنخ الثالثة، وإذا قدرنا أن سنفرو قد تزوج من حتب حرس فى سن الثامنة عشرة لينجب منها ولده البكر، عند ذلك لابد أن يكون قد تزوجها فى منتصف عصر سلفه حونى لكى يدعم حقه فى وراثة العرش المصرى.

أما عن صلة سنفرو بحونى، فهناك من يجعله ابنا له، ومن يجعله زوجا

لابنته وفى الواقع فأننا لا نعرف تماما على وجه اليقين صلة الواحد منهما بالاخر، فيرى الدكتور مهران أنه لا يميل إلى اعتبار سنفرو ابنا لحونى ولما كان هناك ما يدعو إلى قيام اسرة جديدة، اللهم إلا إذا كان ذلك يعنى أن فترة حكمه انما تمثل بداية عهد جديد من تاريخ مصر أبان عصر الدولة القديمة، تتميز بتركيز الحكم فى الشمال فضلا عن وجود اهرامات فى الجنوب. ومهما يكن من أمر فإن سنفرو انما يدين بعرشه إلى الرابطة التى تربطه بحونى واسرته.(١)

ولقد مات «حونى» بعد أن حكم اربعة وعشرين عاما وتولى العرش بعده سنفرو الذى ظل وفياً لذكرى ابيه وعمل بمعاونة مهندسيه على الاستفادة من خبرات عهده فى اتمام هرمه ومعبده فى ميدوم. وعندما اراد أحد الادباء فى عصر الدولة الوسطى أن يعبر عن انتقال العرش من حونى إلى سنفرو قال:

«وبعد أن توفى جلالة الملك حونى، نصب جلالة الملك سنفرو باعتباره ملكا فاضلا فى هذه الدنيا كلها».

ثانيا: ترتيب ملوك الاسرة الرابعة:

أ- سنفرو:

مؤسس الاسرة الرابعة اطلق عليه مانيتون التسمية سوريس وسماه ابوه «بتاح سنفرو» بمعنى (الاله بتاح جملنى) وعثر على اسمه داخل خرطوش فيما اصطلح على تسميته بالهرم المنكسر فى دهشور (أو الهرم الجنوبى) وذلك بين العلامات التى تركها العمال على بعض الحجارة التى بنى بها الهرم، وكتب اسمه الحورى «نب ماعت» فى تاريخ للتعداد الخاص عثر عليه فى مبانى الهرم الشمالى للملك بناحية دهشور وذلك فى الزاوية الجنوبية الغربية للهرم. كما ظهر اسمه على حوائط معبد الوادى للهرم المنكسر، وعلى لوحات مقوسة اعلاها

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص١٣٥.

اقيمت فى المقصورة عند قاعدة الهرم الجنوبى. وكشف كذلك عن لوحتين مستديرة اعلاهما خاصتين كانتا مقامتان عند مقدمة الطريق الصاعد من ناحية معبد الوادى. وعثر على اسمه على كتلتين حجريتين فى فناء المعبد الصغير عند قاعدة ميدوم.

لقد كان سنفرو بناء عظيماً وسنناقش منشآته المعمارية فى الجزء الخاص بسياسة الاسرة الرابعة الداخلية، وكان محبوبا من الشعب فظلت ذكراه عالقة فى اذهان المصريين قرون عديدة، وكانوا يشيرون إليه بقولهم الملك المحسن والملك الرحيم والملك المحبوب والملك الفاضل وتلقب سنفرور بلقب حورى معبر وهو «نب ماعت» أى (رب العدالة.)(1)

واحتفظ الادب الشعبى لسنفرو بذكرى عطره قلما احتفظ بها لملوك سواه وتضمنت هذه الذكرى ثلاث روايات ادبية صورته جميعا على وتيرة واحدة فوصفته بأنه ملك فاضل، وصورته متواضعا يميل إلى المعرفة ويكرم العلماء ويحسن الاستماع ويكتب بنفسه ولا يأبى أن يسأل عما لا يعرفه كما صورته يميل إلى المرح والاستمتاع.

واقدم هذه الروايات ورد فى بردية وستكار التى كانت قد احضرتها الانسة وستكار من مصر وسلمتها إلى ليبسيوس حينما كان مقيما فى انجلترا عام ١٨٣٨ - ١٨٣٩ ثم أودعت فى متحف برلين بعد وفاة ليبسيوس ويرجح أن تكون هذه البردية ترجع إلى عصر الهكسوس وأن موضوعها قد كتب ايام امنمحات الأول مؤسس الاسرة الثانية عشرة الذى قام بكتابة بعض التنبؤات والقصص، وتشير مقدمة القصة إلى أن الملك خوفو اراد أن يسرى عن نفسه فنادى ابناءه الثلاثة وطلب منهم أن يقصوا عليه بعض القصص، فنظر هؤلاء إلى الماضى وبدأوا فى سرد ما أذهب عنه الملل.

(1) B., Gunn, Concerning King Sneferu. J. E.A.. 12 (1926) PP. 250 - 251.

فلما جاء دور الامير «جدف رع». وقف يتكلم وقال لوالده: سوف أقص عليك اعجوبة حدثت فى عهد والدك سنفرو وهى من الاعمال العظيمة التى قام بها كبير الكهنة المرتلين جاجا -م - عنخ وذلك أنه ذات يوم كان الملك سنفرو حزينا، ومن أجل ذلك جمع رجال القصر ليجد لنفسه تسلية ولكنه لم يجد شيئا، وحينئذ استدعى جاجا - م - عنخ، الذى اشار على الملك أن يلتمس التسرية فى الخضرة والماء والوجه الحسن، وأن يستقل قاربا ويصطحب معه عددا من العذارى، فإن قلبه سوف ينشرح حينما يراهن يجد فن جيئة وروحه، وحينما يرى الاماكن التى على البحيرة وينظر إلى ما حولها وشاطئيها الجميلة.

وعمل سنفرو بالنصيحة واصطحب فى قاربه الكبير عشرين عذراء واحضر عشرين مجدافا من الابنوس مرصعه بالذهب، وعهد اليهن بالتجديف والغناء، فاصطففن على جانبى القارب، واخذن فى التجديف والغناء وكانت كل منهن تحلى جبينها بإكليل تزينة حلية على هيئة السمكة ولما تدلى شعر رئيستهن على وجهها فازاحته بيدها، وعندئذ سقطت حليتها فى الماء فسكتت عن الغناء وسكتت بعدها الباقيات، ولما سألها عن سبب سكوتها، فاخبرته بما حدث، فوعدها أن يعوضها عن حليتها بما هو خير منها ولكنها أبت إلا حليتها، فاسقط فى يد سنفرو واستدعى كبير الكهنة المرتلين، وقال له يا جاجا - عنخ ياأاخى لقد فعلت كما قلت ولكن حدث كذا وكذا وقص عليه ما حدث وعندئذ تلا كبير الكهنة المرتلين عزيمة سحرية، وجعل ماء أحد جانبى البحيرة على الجانب الآخر، أى أنه طوى الماء فى البحيرة، كما تطوى الملابس، ووجد الحلية موضوعة على قطعة خزف فى قاع البحيرة فاحضرها واعطاها صاحبتها، وعند ذلك تلا تعويذه سحرية فرد ماء البحيرة ثانية إلى مكانه وذلك كما زعمت القصة.(١)

وسواء كانت القصة صحيحة أو اسطورية فقد اظهرت سنفرو ملكاً أليفا

(1) A. Erman, The Literature of Ancient Egypt, P. 33 FF.

يحسن المجالسة عذب الحديث يحب المداعبة محدث لبق. وترمز هذه القصة إلى حياة الرفاهية التى عاشها سنفرو، ومن ناحية أخرى فإنها توضح أن قصاصها لم يتخيل ملكه ربا مطلقا قادرا مقتدرا، كما تعودت النصوص الرسمية أن تصف ملوكها، ولم يجد بأسا فى أن يصوره عاجزا عن أن يفعل بعض ما يستطيع كاهن من رعيته أن يفعله، وأن هذا الملك وأن خاطبه رعاياه بلقب الربوبية إلا أنه لم يكن يعتقد فى نفسه الربوبية الفعلية ولم يكن من المستبعد عليه فى هذه الحالة تبعا لذلك أن يخاطب أهل العلم فى عصره بلفظ الاخوة، كما خاطب كاهنه المرتل.

والرواية الادبية الثانية التى اشارت إلى ذكرى سنفرو فقد وردت فى التعاليم الموجهة إلى الوزير كاجمنى[1]، وعثر على جزئها الاخير فى بردية بريس التي توجد فى المكتبة الاهلية فى باريس منذ عام ١٨٤٧ حينما اشتراها العالم الفرنسى بريس من إحد الفلاحين فى الأقصر. ويبدو أن هذه النسخة قد نقلت فى عصر الدولة الوسطى عن اصل قديم. وقد اراد كاتب هذه التعاليم أن يؤرخها فذكر أن وقت كتابتها بعد أن توفى جلالة الملك حونى نصب جلالة الملك سنفرو ملكا فاضلا فى هذه الدنيا كلها وبذلك فقد شهد له بنفس الشهادة التى ذكرتها له القصة السابقة.

أما الرواية الثالثة، فهى تؤكد ما جاء فى الرواية الأولى من تواضع سنفرو وشغفه بمجالسه العلماء. ونعرف هذه الرواية باسم نبؤة نفر رهو[2] وهى مكتوبة على بردية توجد حاليا بمتحف لننجراد واول من تعرف عليها الاستاذ جولينشف وتبتدئ هذه النبؤة بعبارة والآن اتفق فى عهد جلالة الملك سنفرو وهو الملك

(1) F. Grifftith., "Notes on Egyptian Texts of the Middle Kingdom", in PSBA, Vol. XIII.

(2) J.H. Breasted., The Dawn Of Conscience, P. 200 FF.

المحسن فى كل هذه الأرض، ثم تأخذ فى سرد ما حدث من أن الملك أمر حامل اختامه بأن يستدعى إليه أهل بلاطه وقال لهم:

يا آخوتى. لقد امرت بطلبكم لتبحثوا لى عن ابن من ابنائكم يجيد الفهم أو أخ من أخوتكم بارع، أو صديق من أصدقائكم أدى اعمالا باهرة، أى فرد يتحدث إلى بكلمات جميلة والفاظ مختارة عندما يسمعها جلالتى يجد فيها تسلية. فسجد الرجال امامه وأشاروا عليه بكاهن مرتل من تل بسطه يدعى نفر - رهو، وصفوه له بأنه طويل الباع شديد الايدى كاتب طلق الاصابع، ذو مقام يزيد عن ثراء اقرانه، فامرهم بأن يستدعوه اليه. وعندما وفد الحكيم على سنفرو سجد امامه فقال له الفرعون. تعال الان يا نفر رهو يا صاحبى، وحدثنى بمواعظ مختصرة سديدة أو احاديث طريفة استمتع بسماعها وسأله نفر رهو: هل مما حدث أو مما سيحدث يا مولاى فقال له سنفرو بل ما سوف يحدث فإن ما حدث تم وانقضى وعندما تهيأ نفر رهو للرواية مد الملك يده إلى صندوق ادوات الكتابة وسحب منه لفافه بردى ولوحة وتهيأ للكتابة، فى جلال الحكام وتواضع العلماء.

ويلاحظ فى هذه الرواية أن كاتبها قد نعت سنفرو بصفة الملك المحسن وان الملك عندما يخاطب احد رجال رعيته يقول له: «يا صاحبى» وحينما يوجه الكلام إلى رجال حاشيته يخاطبهم بقوله «يا أخوتى» ثم نراه ينزل من عليائه الإلهية ويقوم بعمل كاتب، ويكتب هو ما يمليه عليه أحد صغار رعيته. وأن ملكا يتصف بهذه الصفات ويتحدث إلى رجال شعبه بهذه الوداعة والالفة ليليق به بأن يعد أول ملك شعبى فى العالم.

ولا غرابة إذن أن نرى الشعب المصرى قد قابل هذه الروح الديمقراطية بطاعة واخلاص فبادل سنفرو الحب بالحب والاعتراف بالجميل، واصبح هذا الحب لذلك الفرعون العظيم ينتقل من جيل إلى جيل طوال التاريخ المصرى، ولا ادل

على ذلك من اننا لا نجد فرعونا من فراعنة الدولة القديمة قد استمرت عبادته باقية منتشرة اكثر من الملك سنفرو الذى استمرت عبادته فى أكثر من مدينة مصرية حتى عهد البطالمة هذا بالاضافة إلى دخول اسمه فى اسم كثير من المدن المصرية لتعظيم تقديسه واحترامه وتجاوز عدد هذه الاماكن العشرين.

وورد ذكره على صخور سيناء على انه من الاسلاف المبجلين وعد عهده من العهود التى تقدمت فيها شئون التعدين. ومن أجل ذلك قدسه الناس، وترجع إلى عهد الاسرة الثانية عشر العديد من النقوش الخاصة به ويبدو أن شعبيته قد وضحت فى هذا العهد، فاتخذ بعض ملوك الاسرة الثانية عشرة اهراماتهم بجوار هرميه، كما احبه الناس فى هذا العهد فتسموا باسمه مما يشير إلى مكانته بين الناس وتقديرهم له.

وتبدو مظاهر الرفاهية والغنى والحياة الرغدة واضحة فى مقابر أسرة سنفرو فى ميدوم ودهشور والجيزة، وبصفة خاصة مقبرة زوجته حتب حرس التى نهبت اغلب محتوياتها فى عهد ابنها الملك خوفو، ولكن توضح البقايا المتبقية منها مدى الذوق الفنى الرفيع الذى اتبع فى صناعتها. ولم تقتصر مظاهر الرخاء فى سنفرو على آثاره وآثار اسرته وحدها، وانما كان مجال الثراء ومجال الترقى فى المناصب الحكومية متاحين للنابهين من افراد الشعب.

٢- خوفو:

خلف خوفو (خنوم خو - اف - وى) اباه سنفرو بعد أن جلس على عرش الكنانة قرابة اربعة وعشرين عاما حسبما ذكرت بردية تورين. وتزوج من اخته «مريت ايتس» فكانت زوجته الرئيسية وقد وجد اسمها منقوشا على حجر فى مزار قبر الامير «كاوعب»، ويحتمل أنها دفنت فى الهرم الصغير الواقع إلى أقصى الشمال من الثلاثة اهرام الموجودة إلى الشرق من هرم خوفو. ولكن لم يعثر على أى إسم لها هناك، كما أنها كرمت فى عهد «خفرع» رغم ما يرجح من أنها ليست أمه.

واستفاد خوفو من خبرات رجال ابيه وجهود عهده، وعلى ذلك فقد خطت البلاد فى عهده خطوات كبيرة اكثر مما وصلت إليه فى عهد ابيه من النواحى الفنية والامكانيات المادية، ورغم كل ذلك فليس لدينا عن اخبار عهده سوى القليل.

وعثر على اسمه منقوشا على محاجر فى الصحراء الغربية شمال شرقى ابو سنبل وشمال غرب توشكا على مقربة من طريق القوافل الذى يربط اسوان بدرب الاربعين حيث قطعوا من هذه المحاجر حجر الديوريت. وظهر اسمه على آثار معبد فى جبيل (اطلق عليها المصريون عليها كبنى، وسماها الاغريق بيبلوس لبنان الحالية) وظهر مع اسمه بعض فراعنة الدولة القديمة ممن جاءوا قبله أو جاءوا بعده على العرش.

وعثر على خرطوشة الذى يحمل اسمه «خنوم خواف وى» فى محاجر متعددة وفى مقابر اقربائه ونبلائه، وكذلك فى عدد من الكتابات من العصر المتأخر.

وقد عثر على اسمه مكتوبا على بقايا عدة اوان فى معبد حور فى نخن كما عثر له على تمثال صغير يصوره جالسا فى معبد خنتى امنتيو فى ابيدوس وهو محفوظ الآن بمتحف القاهرة[1]، ولا يتعدى طوله بضعة سنتيمترات ويمثله جالسا على كرسى متوجا بالتاج الاحمر، هذا وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن خوفو ليس منفى الاصل، وانما من بنى حسن بالمنيا مقر عبادة خنوم، ومن ثم فقد سمى المصريون هذه الناحية «منعت خوفو» أى (مرضعة خوفو)، وهناك عدة افتراضات منها أن منعت خوفو قد يكون مسقط رأسه، ومنها، أن مرضعه خوفو قد تكون من بنى حسن.

(1) J. Vandier.. Manuel d' Archeologie Egyptienne, III, Paris, 1958, P 15

واعتبر اسم خوفو فى العصور التالية تميمة قوية لمن يحملها. ومن ثم فإننا نرى اسمه مذكورا على جعارين كثيرة كان يحملها المصريون القدماء. كان الاسم الكامل لخوفو «خنوم خواف وى» وهو اسم يفيد معنى (خنوم هو الذى يحمينى) ويدل على الايمان بحاجة خوفو إلى معبود أكثر قدرة منه يرعاه ويحميه ويحتمل أن يكون الاله خنوم الذى انتسب إليه خوفو رب منابع الفيضان الذى قدسه أهل اسوان، أو خنوم الفخرانى الذى يشكل الانسان من الصلصال على عجلة الفخار وهو الاله الذى عبده اهل بلده «هو» فى ألمنيا، أو ان يكون خنوم المنفى الذى لقبه اتباعه لقب من يتصدر وظلت صلة خنوم بالملكية باقية بعد خوفو، فنسبت متون الاهرام ملكها إليه واعتبرته ابنه، وتلقبت بعض الملكات بلقب حبيبه الكبش على اساس تشبيه الملك بالكبش (إلى جانب تشبيهه بحيوانات أخرى مثل الفحل والسبع) وكان الكبش رمزا حيوانيا للمعبود خنوم باعتباره ربا من ارباب الاخصاب.

واطلق على نفسه بعد اعتلائه العرش لقباً صعبت قراءته قراءة سليمة حتى الان ويحتمل قراءته «حور مجرو» والذى قد يعنى حور سديد المرمى أو حور الحصين، وانتسب بنفس الكلمة مجرو أو جرو إلى الربتين نخبت إلهة الصعيد وواديت إلهة الدلتا بمعنى المهتدى بهما أو ما يشبه ذلك من صفات طيبة. ولقبه رجال بلاطه بلقب آخر تحتمل قراءته «حور نب رخو» ربما يعنى الملك الحورى رب المعرفة أو حورى نب رخو، بمعنى رب العلماء المنتسب إلى الصقرين (حوروست) أو حورى نب رخيتيو، بمعنى رب الشعب المنتسب إلى الصقرين، وايا ما صح من هذه القراءات فأنه يدل من غير شك على رغبة اصحابها من وصف ملكهم بصفة طيبة يحبونها فيه.[1]

وصور المصريون فى قصصهم الشعبى جوانب أخرى من شخصية الملك

---

(١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٢٠٤.

خوفو ويظهر ذلك فى بردية وستكار التى اشرنا إليها من قبل وأثناء حديثنا عن الملك سنفرو، وجاء فى هذه البردية انه بعد ان انتهى الامير جدف رع من ذكر القصة التى اشرنا إليها وحدثت فى ايام والده سنفرو.

قام ابنه حور ددف ليتكلم فقال لوالده يوجد فى زمنك ساحر اسمه جدى يعيش فى بلده تسمى جد سنفرو (مدينة بالقرب من ميدوم الحالية شمالى مدخل الفيوم) بلغ من العمر مائة وعشرة اعوام ويأكل خمسمائة وخمسين رغيفا من الخبز وفخذ ثور من صنف اللحم ويشرب مائة ابريق من الجعة.

وهو يستطيع أن يجبر اسداً على أن يسير اليفا طائعا خلفه، وأنه يستطيع أن يقطع الرقبة ثم يتلوا عليها تعاويذه فتعود إلى مكانها من الجسم وتسترد حيويتها، كما أنه يعرف عدد الاقفال التى يحتوى عليها معبد تحوت، وكان خوفو دائم البحث عن هذه الوثائق المقدسة.

وعندئذ أمر خوفو ابنه أن يذهب بنفسه ويحضره إليه، وذهب حورددف إلى جدى واقر له بمكانة تليق بسنه وعلمه، وركب معه فى سفينة حتى وصل إلى مقر الملك، وعندئذ قال له خوفو ما هذا يا جدى وكيف لم نراك حتى الآن فأجاب جدى يا مولاى من دعى اجاب، ولما دعوتنى لبيت، ويتضح من ذلك أن الرجل لم يكن يجد ما يلزمه لأن يتمسح ببلاط الملك من تلقاء نفسه أو يقصد أعتابه من تلقاء نفسه.

فقال خوفو لجدى أصحيح ما يقال من أنك يمكنك أن تركب ثانية رأسا قد قطع فقال جدى: نعم أعرف ذلك يا مولاى فقال جلالته احضروا لى سجينا من السجن حتى يوقع عليه عقابه، فقال جدى ليس على رجل يا مولاى؟ انظر اليس من الخير أن نجرب شئ مثل هذا على الماشية فاحضرت إليه اوزة ثم فصل رأسها، ووضع الاوزة فى الجانب الغربى من القاعة ورأسها فى الجانب الشرقى منها، وتلا

جدى تعويذة سحرية، فوقفت الاوزة ومشت وكذلك فعل رأسها ولما وصل أحد الجزئين إلى الآخر وقفت الاوزة وصاحت.

واضافت القصة وهذا هو الاهم أن خوفو سأل جدى عن طائفة من الخزائن والوثائق المقدسة، ذكر له اتباعه أنها تخص رب الحكمة تحوتى فأجاب جدى بأنه يعرف مكانها فعلا، ولكنه حاوره عنها وداوره وأبى أن يقوده إليها. وظل خوفو على جهل بها على الرغم من أن نصوص الملكية ونصوصه الرسمية ونصوص رجال حاشيته كانت تلقبه «نثرعا» أى الاله العظيم.

ويتضح مما جاء فى هذه البردية، أن خوفو جلس بين اولاده يسمع منهم ويسامرهم وينصت لما يقصه كل منهم ما تناهى إلى علمه من اخبار الماضى واخبار اهل المعجزات فيه، ورووا عنه أنه كلما سمع من ابنائه عن معجزة قام بها فرعون قديم أو عالم قديم، ترحم على هذا العالم كما ترحم على الفرعون، وأمر بأن تخلد لكل منهما ذكراه وأن تجزل العطايا والقرابين لمقبرته.

ولسنا نشك فى أن ذكر السحر فى هذه القصة محض اختلاق وان اعتذار الحكيم عن أدائه لا يزيد عن مجرد تخلص لبق لطيف ولكن يستفاد من القصة انها كشفت عما كان مؤلفها يتخيله من بشرية خوفو واحتمال عجزه عن اداء ما يؤديه بعض رعاياه، وكشفت عما كان يود الناس أن يظهر به حكيم من الشعب فى مواجهة الملك العظيم، صاحب الهرم الاكبر، من عزة النفس والاعتراف لقومه بنبالة الاصل.

حكم خوفو ٢٣ سنة حسب رواية بردية تورين، وظلت ذكراه باقية بعد وفاته بآلاف السنين. وحينما وفد الاغريق إلى مصر وسمعوا عنه روايات متعددة نقل لنا المؤرخ اليونانى هيرودوت احداها، وذكر فيها أن خوفو اغلق معابد الارباب، وحرم على المصريين تقديم الاضاحى فارضا عليهم أن يكدوا فى العمل

من اجله واضاف هيرودوت أن المصريين لم يذكروه بخير هو وولده «خفرع» بينما أحبوا حفيده «منكاورع» حين استنكر مسلك ابيه وجده، وفتح المعابد ويسر للناس أن يقدموا اضاحيهم وينصرفوا إلى اعمالهم.

واتجه بعض المؤرخين إلى تفسير هذه الرواية بشكل مقبول فرأوا أن ما ذكره هيرودوت ما هو إلا تفسير خاطئ لبعض الروايات المصرية القديمة التى تحدثت عن الاوضاع التى خضعت لها مقاصير القربان فى المصاطب فى عهد خوفو وولده خفرع فقد حرم خوفو على اصحاب هذه المقاصير أن يضعوا لانفسهم فيها تماثيل مكشوفة، أو يقيموا فيها ابوابا وهمية يكتبون عليها نصوصهم ويقدموا امامها قرابينهم واضاحيهم على نحو ما اعتادوا فى عهد ابيه سنفرو، وربما اقدم خوفو على هذه الخطوة لرغبته فى أن يجعل اقامة التماثيل والابواب الوهمية فى المقابر حقا لأسرته وحدها وبعض المقربين إليه، أو ربما لرغبته فى أن يجعل تقديم القرابين والأضاحى أمام التماثيل حقا لتماثيل الارباب والفراعنة دون سواهم.

ومما قد يشير كذلك إلى محافظة خوفو على معابد الارباب، من حقيقة العثور على بقايا عدة آوان له فى معبد حور فى نخن، وتمثال له فى معبد خنتى أمنتيو فى ابيدوس وأن احد احفاده تسمى خوفو مرى نثرو أى خوفو محبوب الالهة وفى هذا ما يشير إلى أن أهل عصره يعتبرونه محبوبا من اربابهم وليس مكروها منهم.

٣- جد فرع:

كان من المقرر أن يخلف خوفو على عرش مصر ولده الاكبر من زوجته الرئيسية الامير كاوعب فزوجة ابوه من اخته حتب حرس، وهيأة لتولى هذه المهمة إلا أنه مات قبل وفاة ابيه بقليل، ولم ينجب على ما يبدو سوى بنتا واحدة وادت

وفاته إلى حدوث انقسام فى الاسرة الحاكمة إلى فروع حاول كل فرع منها أن يستأثر بالحكم. إذ يبدو أن الملك خوفو كان متزوجا من زوجات ثلاث انجب من زوجة الرئيسية بجانب ابنه كاوعب أميران صغيران لم يستطيعا الوصول إلى العرش أو المطالبة به أما الزوجة الثانية فكان اكبر ابنائها جد فرع وكان اكبر ابنائه من زوجة الثالثة خفرع.

وتمكن جد فرع من اعتلاء العرش بعد وفاة والده خوفو، واتخذ لقب «خبر» واشرف جد فرع على دفن ابيه وتغطية مركبه الجنزى التى كشف عنها جنوبى هرمه، إذ عثر على اسمه مكتوبا عدة مرات على الاحجار الكبيرة التى كانت تغطى المركب، وتزوج جد فرع من ارمله اخيه كاوعب ليزكى حقه فى العرش عن طريقها. إلا أنه لم يشيد هرمه بجوار ابيه بل شيدة فى منطقة ابى رواش إلى الشمال من هرم والده بحوالى ثمانية كيلومترات.

ويتميز عهد جد فرع باستمرار تقدم الاساليب الفنية فى عهده. فقد عثر له على عدة تماثيل صور الفنان وجه مليكه فيها باسلوب واقعى صارم حزين ويعتقد أنه ابتدع فى عهده أول نموذج لتماثيل ابى الهول برأس انسان وجسم اسد رابض.

هذا وقد استمرت ذكرى جد فرع فى نصوص افراد من الاسرة الخامسة كانوا يعملون بالكهانة فى معبده ونسبوا إليه عدة ضياع. هذا فضلاً عن نص فى وادى الحمامات يرجع إلى الأسرة الثانية عشرة، كتبه رجل بعد وفاته بنحو سبعة قرون ولم يطل العمر بجدف رع إذ لم يحكم أكثر من ثمان سنوات.[1]

خفرع:

تولى خع اف رع العرش بعد اخيه جدفرع فى ظروف غير معروفة فلا يمكن

(1) H. Cauthier., "Le Roi Zadfre Successeur Imediate de khoufou-Kheops", in ASAE, 25, P. 175 - 180.

الجزم بأن جد فرع قد قتل، فليس لدينا وثائق تؤكد ذلك، وأعاد خفرع للجيزة أهميتها ولبقية افراد الاسرة الحاكمة مكانتهم، وحتى يضمن ولاء أسرة اخيه كاوعب - ولى العهد الذى توفى إبان حياة ابيهم خوفو - فقد تزوج ابنته.

ويلاحظ أن هيرودوت قد نطق اسم هذا الملك خفرن واخذ بعض المؤرخين هذه التسمية واستخدموها، أما مانيتون فقد ذكره باسم سوفيس أو ساروفيس ولقد رأى هرمان رانكه أن اسمه يقرأ «رع خع اف» وقد ذكر اسمه فى كل من قائمة ابيدوس وسقارة وبردية تورين.

ولسنا نستطيع أن نحدد تماما الفترة التى حكمها الملك خفرع ولكن يبدو محتملا أنها خمسة وعشرين عاما، إذ ورد على بعض جدران مصطبتين ترجعان إلى عهده وتقعان فى الجبانة الشرقية لهرم خوفو ما يفيد ذكر التعداد الثالث عشر أى أنه حكم خمسة وعشرين عاما.

ولا تمدنا المصادر الاثرية بصورة واضحة عن مشاريع الملك خفرع العمرانية أو اعماله الحربية فلم تصلنا سوى إشارات قليلة. وتبرز آثاره المعماريه والفنية المختلفة من عهده أن العمارة والفن فى عهده قد خطا تحت حكمه خطوات واسعة لا تقل عن الخطوات التى خطاها فى عهد ابيه وعهد جده.

وتلقب الملك خفرع بعدة ألقاب منها[1] حور سخم ايب بمعنى حور الجسور وحور سخم نوب بمعنى حور الذهبى الشديد، (ونثر نفر بمعنى الاله الخير كما لقبه بعض اتباعه بلقب «خفرع حبيب الارباب»).

أما أهم الالقاب التى اتخذها فكان لقب «سارع» أى ابن رع وهذه هى المرة الأولى التى يصرح فيها ببنوته للإله رع، وهدف الملك من اتخاذه لهذا اللقب مسايرة مذهب الشمس فى نشاطه الواضح خلال عصر الاسرة وهى مسايرة بدأها

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٤٨.

الملوك منذ عصر الاسرة الثانية وفى اوائل الاسرة الثالثة. وربما سار عليها كذلك سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة حين شيد معبده الجنزى ومعبد ابيه الجنزى إلى الشرق من هرميهما بدلا من ناحية الشمال التى شاد ملوك الاسرة الثالثة معابدهم فيها. واستمر الملك خوفو فى هذه السياسة حين سمى ثلاثة من ابنائه على اقل تقدير باسماء يتداخل فيها اسم رع.

ومن ناحية أخرى فقد هدف الفرعون من اتخاذ هذا اللقب أن يدلل على أنه يعتلى العرش بناء على بنوته للاله رع صاحب العرش القديم وبتفويض منه. وربما عن رغبة منه كذلك فى أن يكتب له الدوام فى العالم الاخر مثل رع.

ولم يخصص خفرع جبانه لافراد عائلته كما فعل خوفو. فقد دفنت الملكات واولاده فى مقابر نحتت فى الصخور الواقعة فى المنحدر الواقع شرقى هرمه وإلى الجنوب من الطريق الصاعد. وقد استخدم بعض افراد حاشيته بعض المصاطب التى لم تتم فى الجبانه الغربية للملك خوفو كما قام غيرهم ببناء مقابرهم فى الجبانة الشرقية للملك خوفو. وقد دفنت زوجة الملك خفرع الرئيسية وكانت تسمى خع مرايرنبتى فى قبر نحت فى المكان الذى كان يؤخذ منه الحجارة شرقى هرمه. وجاء فى بعض النقوش الموجودة على جدران هذا القبر ذكر للاميرة «خع ايرنبتى» الثانية التى اصبحت فيما بعد الزوجة الرئيسية للملك منكا ورع.

وافترض بعض المؤرخين حدوث نزاع على العرش بعد وفاة الملك خفرع وإعتمدوا فى رأيهم هذا على ما ورد فى قائمة تورين من وجود ملك بين خفرع ومنكاورع، ولكن اسمه تمزق فيها، واعتمدوا كذلك على نقش عثر عليه فى وادى الحمامات عام ١٩٥٠م سجله كاتب مصرى من عصر الدولة الوسطى وتضمن جدولا به اسماء فى خانات ملكية مرتبة على النحو الاتى[1]:

(1) ASAE., 1951, 89.

خوفو - جدف رع - خفرع - حورددف - باوف رع. وعلى ذلك فإنه يلاحظ أنه وضع ملكين بعد خفرع على العرش المصرى. من ناحية اخرى فإنه يلاحظ أن حورددف كان أحد ابناء خوفو وقد دفن فى مصطبة كبيرة شرقى الهرم الاكبر. وأما باوف رع فلا توجد آثار معروفة له. وأن كنا نعرف من بردية وستكار أن القصة التى قصها باوف رع لوالده خوفو كانت بعد القصة التى قصها خفرع وقبل تلك التى قصها حورددف.

ويرى الاستاذ الدكتور/ عبد العزيز صالح[1] أن الاستشهاد بالنص الوارد فى وادى الحمامات على وجود ملكين حكما مصر بعد خفرع هو استشهاد ضعيف فكاتب النص كان يهدف من كتابته لنصه أن يسجل ما احتفظت به القصص فى عهده من اسماء خوفو وابنائه دون أن يحفل باسماء احفاده، ودون أن يبغى التاريخ فى نصه لتتابع ملوك الاسرة الرابعة، لانه لو اراد التاريخ لهم لكتب مع الاسماء الخمسة اسم منكاورع على اقل تقدير خاصة وانه من الصعب أن يتجاهله وهرمه موجود فى الجيزة وبجوار والده وجده، وظلت ذكراه باقية فى قوائم الملوك وافواه المصريين الذين اعتبروه اكثر تساهلا مع رعيته وأكثر قربا منهم من أبيه وجده. وذلك على حين لم تشتهر للأميرين حورددف وباوف رع آثار تضعهما فى مصاف الملوك، وأن استمتع اولهما بسمعة طيبة، باعتباره من حكماء عصره المتدينين اصحاب التعاليم. أما ثانيهما فربما ولى الوزارة فى عهد أخيه.

ومهما كان الامر فلقد اعقب خفرع من الاسماء الكبيرة فى الاسرة الرابعة اسم منكاورع.

الملك منكا ورع:

اتخذ منكاورع القاباً عديدة منها «كاخت» أى فحل الجماعة، جماعة

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٥٤.

الارباب ولقب «حور نوب واج ايب» بمعنى الصقر الذهبى منتعش القلب الشاب، واسماه هيرودوت موكيرينوس، واطلق عليه مانيتون منخريس[1]. أما بردية تورين فقد ذكرت انه حكم ثمانية عشر عاما، إلا أنه يحتمل أنه قد حكم ثمانية وعشرين عاما.

ومما هو جدير بالذكر أنه حينما فتح المدخل الموجود فى الناحية الشمالية لهرم منكاورع عام ١٨٣٩ عثر على تابوت خشبى قيل فى ذلك الوقت انه تابوت الملك،، وقد كتب عليه نص بالهيروغليفية باسم هذا الملك. كما وجد بداخل التابوت الخشبى بقايا جثة لرجل، وقد نقل كل من التابوت وهذا الجزء من الجثة إلى المتحف البريطانى، إلا أنه يستبعد أن يكون هذا التابوت للملك منكاورع، وقد اكتشف الاثرى الانجليزى بيرنج فى الحجرة تابوتا من البازلت منحوتا نحتا جميلا، ولما حاول نقله إلى انجلترا غرقت السفينة التى كانت تحمله عند شواطئ اسبانيا.

ولقد ظهر التقدم الفنى واضحا فى عهد هذا الملك فى النحت الذى زين به تابوته المصنوع من البازلت وكذلك فى التماثيل التى نحتت له وحده أو مع زوجته أو مع بعض المعبودات المصرية.

واتيح لكبار الافراد فى عهده من الثراء وحرية التصرف فى مقابرهم أكثر مما تهيأ لهم ولاسلافهم فى عهد ابيه وجده، فكثرت تماثيلهم فيها، وزادت نقوشهم ومناظرهم على جدرانها. ونحتت بعض هذه المقابر فى هضبة الجيزة بينما بنى الاخر فوق سطح الأرض. كما سمح منكاورع لأبناءهم بالتعليم فى القصر الملكى مع ابنائه لينشأوا اوفياء له مخلصين لبلاطه. ويبدو أنه كان لهذه السياسة أصلا فيما يبدو لما سمعه هيرودوت فى العصر المتأخر من أن المصريين قد احبوا الملك منكاورع أكثر مما أحبوا أباه وجده.

(١) نفس المرجع السابق، ص٣٥٤.

شبسسكاف:

خلف والده على العرش، واتخذ اسما حوريا هو «شبس خت» وشيد لنفسه مقبره على هيئة تابوت ضخم يبلغ طوله ١٠٠م وعرضه ٧٢م وارتفاعه ١٨م وآثار هذا العمل بالإضافة إلى عدم وجود اسم رع فى اسمه جدلا كبير بين العلماء فرأى بعضهم أن ذلك يشير إلى عدم مناصرته له ورغبته فى البعد عن كل رموزه بينما اتجه آخرون إلى الاعتقاد بأن الفاء الاخيرة فى اسم شبسسكاف وهى فاء الضمير المفرد المذكر الغائب تشير إلى رع اله الشمس بالذات وأن إحلال الضمير محل اسمه يدل على مغالاة الملك فى تبجيل ربه.

هذا ويرجح أن شبسسكاف لم يتخذ سياسة ضد الاله، بل ناصره وسار على السياسة التى سار عليها اسلافه، ومما يبرهن على ذلك احتفاظه بلقب سارع الذى ظهر منذ عهد جده خفرع أما عن اختيار مقبرته بهذا الشكل فيمكن تفسير ذلك بأنه يرجع إلى نقص الموارد فى عهده ورغبته فى أن يتحاشى بناء هرم صغير تتضح ضآلته إذا شيده بجانب اهرام اسلافه الكبار فى الجيزة خاصة وأنه قد اضطر إلى اكمال معبد والده الجنزى بالطوب اللبن، وكذلك معبد الوادى الذى شيده له من اللبن كذلك.

واتبع شبسسكاف سياسة سلفه فى اكتساب ود عظماء قومه عن طريق رعايته ابنائهم فى قصره، ويذكر له من ذلك أنه زوج ابنته من أحد أفراد رعيته وهو شبس بتاح. وكانت هذه المرة الأولى والتى زوج فيها فرعون ابنته من أحد افراد رعيته وسلك شبسسكاف سياسة مماثلة فى سبيل اكتساب ود عظماء كهنة المعابد فى عهده عن طريق اعفائهم واعفاء معابدهم من بعض التكاليف المفروضة عليهم.

ولم يطل عهد شبسسكاف فربما لم يزد عن اربع سنين. ثم انتهت وراثة

العرش فى اسرته إلى الاميرة خنتكاوس التى اختلف المؤرخون حول صلتها بالملك شبسكاف فرأى البعض انها ابنة منكاورع واخت شبسسكاف وزوجة، بينما رأى آخرون انها ابنته وعلى اية حال فهى صلة الوصل بين الاسرتين الرابعة والخامسة.

ثالثا: سياسة مصر الداخلية فى عهد الاسرة الرابعة

ا- التنظيمات السياسية والإدارية:

اتخذت الملكية فى عصر الاسرة الرابعة لقبين جديدين بالاضافة إلى الالقاب الثلاثة التى اتخذتها من قبل فى عصر الاسرتين الأولى والثانية، فكانت الالقاب الثلاثة السابقة هى: اللقب الحورى وقد ظهر منذ بداية عصر الاسرات تقريبا. واللقب النبتى الذى يعنى الربتان أو السيدتان وقد ظهر منذ عهد الملك حور عحا ثم اللقب النسوبيتى أى ملك الوجهين القبلى والبحرى، وقد ظهر منذ عهد الملك دن.

أما اللقبين الجديدين فهما: لقب حور نوب وقد ظهر ابتداء من عهد الملك سنفرو مؤسس الأسرة[1] ويفسره الباحثين على اساس انه يفيد معنى حور الذهبى وذلك اعتمادا على ما ورد فى النصوص المصرية التى اطلقت على هذا اللقب الاسم الذهبى بينما يرى بعض العلماء انه يعنى حور المنتصر على عدوه ست اشارة إلى ما ورد فى قصة اونو من انتقام حور لوالده اوزير من عمه ست وهزيمته فى عاصمته المسماه نوبت القريبة من قفط.

أما اللقب الثانى فهو سارع. وقد ظهر منذ عهد الملك خفرع ومعناه ابن الشمس وقد اصبح هذا اللقب فيما بعد يسبق الاسم الشخصى للملك الذى يسمى به منذ ميلاده. وكان اسم الملك الذى يتبع لقب ابن الشمس يكتب داخل شكل

(١) وإن كان الراجح أنه ظهر في عهد الملك نثرخت كما سبق الاشارة.

مستدير اشارة إلى أن اسم الملك وبالتالى حكمه تمتد فى العالم الذى تحيط به دائرة الشمس. وعندما كثرت الحروف والعلامات فى اسماء الملوك استطالت هذه الدائرة حتى اتخذت شكل الخرطوش منذ عصر الملك سنفرو.

وبهذين اللقبين اكتملت الالقاب الخمسة للفرعون واستمرت على ذلك حتى آخر العصر الفرعونى، وبالاضافة إلى هذه الالقاب، فقد اطلقت على الملك عدة نعوت من بينها نثر نفر ومعناه الاله الطيب وكان يطلق على الملك فى حياته، ثم نثرعا، ومعناه الاله العظيم وكان يطلق على الملك بعد موته. وقد ظهر منذ عهد الملك خفرع.

وفيما يتصل بوظيفة الوزير. فقد ظهرت بوضوح فى عصر الدولة القديمة ولم تكن واضحة خلال الاسرتين الأولى والثانية. كذلك عصر الاسرة الثالثة وأن كان هناك من المؤرخين من يرى فى صورة الرجل الواقف أمام الملك نعرمر فى رسوم لوحته الاردوازية الشهيرة ما يشير إلى أنه كان وزير بدليل كتابة كلمة «ثت» فوقه، وهى قريبة من نطقها من كلمة ثات التى كانت تعنى وزير فى العصور التالية. كذلك يرى البعض انها قد ظهرت عند نهاية الاسرة الثانية وبداية الاسرة الثالثة، بدليل العثور على اسم شخص يدعى «من كا» مكتوبا على عدة اوانى مصحوبا بعلامة واضح أنها تشير إلى كلمة (وزير) فى مجموعة الملك نثررخت الجنزية بسقارة.

أما أول ظهور مؤكد لهذه الوظيفة فقد كان فى عهد الملك سنفرو وقد شغل هذه الوظيفة ابنه المدعو كانفر[1] وظلت الوزارة محصورة فى ابناء الفراعنة حتى عصر الاسرة الخامسة عندما تولى الوزارة رجال من صفوف الشعب ولما كانت اعمال الوزير تتناول ثلاث مجالات رئيسية هى حماية ورئاسة القضاء والاجهزة الحكومية والادارية فى الدولة فقد عبر المصريون تعبيرا دينيا كعادتهم عن هذه

(١) نجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الادني القديم، جـ١، ص٤٢٩.

الاختصاصات فاعتبروا الوزير كاهنا للآلهة الثلاثة التى ترمز إلى هذه الاختصاصات وهى الإله تحوت رب الحكمة والقانون والالهة ماعت أو معات رب العدالة والقضاء والإلهة سشات ربة الادارة والكتابة.

وكان يعاون الوزير على ما يبدو، مجلس استشارى فى شئون الوجه القبلى تكون هذا المجلس من عشرة من كبار الشخصيات حملوا لقب علماء عشرة الوجه القبلى، وكان يشترط لعضوية هذا المجلس أن يمر الموظف بوظيفة حاكم المقاطعة أولا وفى هذا توكيد السلطة المركزية واخضاع حكام الاقاليم لهذه السلطة ولكن عصر الاسرة الخامسة الغى ذلك الشرط.

واصبح الوصول إلى عضوية مجلس العشرة مفتوحا أمام كل من شغل وظائف فى سلك الكهنوت أو القضاء، وكانت الوظائف الكبيرة مثل وظيفة مدير ادارة السجلات والمحفوظات ومدير مصلحة الاشغال والمبانى وقد مارس هؤلاء العظماء سلطات قضائية كبيرة يختار منهم رؤساء المحاكم والدوائر القضائية الكبيرة.

ب- السياسة الاقتصادية:

عمل ملوك الاسرة الرابعة على زيادة موارد مصر الاقتصادية باستغلال المناجم والمحاجر الموجودة بالبلاد وبصفة خاصة تلك الموجودة بالصحراء الشرقية وسيناء وكذلك الاتساع فى التبادل التجارى مع جيرانها، وسنناقش الامر الاخير عند حديثنا عن صلات مصر الخارجية بجيرانها.

أما فيما يتصل بموضوع الاستثمار الاقتصادى الداخلى فأنه يسجل للملك سنفرو قيامه بجهود كبيرة لتأمين حدود مصر الشرقية وسيناء ولتيسير وحماية البعثات الاقتصادية والقوافل بها[1]، فقد كانت لسيناء أهمية كبيرة فى اقتصاديات البلاد وصناعتها، إذا ظلت المورد الرئيسى للفيروز والذهب

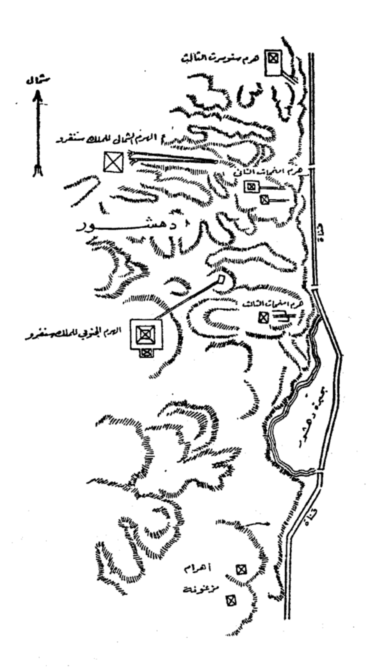
(1) W.M.F., Petrie, Researches in Sinai, London, 1906.

والاحجار الكريمة ونصف الكريمة، ولقد سماها المصريون مدرجات الفيروز وكانت تحف بطريق التجارة البرية بين مصر وفلسطين، غير أنها لتطرفها واتساعها وصحراويتها ظلت مهبطا لقبائل بدوية يدفعها الفقر من حين إلى حين إلى تهديد بعثات وقوافل التجارة والاعتداء عليها ونهب مؤنها وبضائعها، وعلى ذلك فقد عمل فراعنة مصر على حماية بعثاتهم وقوافلهم بقوات عسكرية تكفل لها الامان والهيبة ولم يخلو الامر من بعض المعارك الحربية بين القوات الحكومية وبين البدو، وقد حرص قادة هذه القوات على أن يسجلوا انتصاراتهم على صخور سيناء ولا سيما صخور وادى مغارة وينسبونها إلى ملوكهم، ويصوره على الصخر وهو يؤدب كبير شيوخ البدو ويهوى على رأسه بمقمعه، واحتفظت صخور وادى مغارة بصورة من هذا القبيل للملك سنفرو. وظلت ذكرى سنفرو ماثلة فى شبة جزيرة سيناء اجيالا طويلة واعتبره خلفاؤه من حماتها وقدسوه فيها وضموه إلى اربابها ورعاتها وظلت اماكن الحراسة على الحدود الشمالية الشرقية تعرف باسمه حتى عصر الدولة الوسطى على اقل تقدير.

ويواصل خوفو سياسة والده الاستثمارية فعمل على استغلال مناجم سيناء واحضر الفيروز من هناك، وربما النحاس كذلك، كما عمل على استغلال المناجم والمحاجر فى جنوب البلاد، فقد عثر على اسمه منقوشا بالقرب من توشكا على مقربة من طريق القوافل الذى يصل من اسوان إلى درب الاربعين وقد اطلق رجاله على هذه المنطقة اسم مصايد (؟) خوفو واستغلوا فيها مناجم الجمشت وقطعوا منها الديوريت، اقصى الاحجار المصرية صلابة، ونقلوا عددا من كتلة الضخمة نحو ٧٥٠ ميلا شمالا إلى العاصمة.

(جـ) التشييدات المعمارية:

تمثل اهرام سنفرو وملحقاتها مرحلة جديدة من مراحل العمارة المصرية القديمة. (شكل (٢٨)



(شكل ٢٨) منطقة أهرام دهشور

وقد شيد فى أول الأمر الهرم الجنوبى فى دهشور والمعروف باسم المنكسر الاضلاع، فقد اراد سنفرو بناء هرما كاملا من أول الامر، فبدأ البناء بزاوية ميل مقدارها ٥٤,١٤ درجة وبعد أن بلغ إرتفاع البناء ٤٩ مترا لوحظ أنه لو استمر البناء فإن الهرم سوف يرتفع إلى اكثر مما قدروه له أو أكثر مما تحتمل قاعدته، فتغيرت زاوية الميل إلى ٤٣,٢١ درجة واستكمل بناء الهرم حتى بلغ ارتفاعه نحو ١٠١ متر، وطول ضلع قاعدته ١٨٨,٦٠ متر، وكان يوجد فيه ممر يخترق البناء ينفتح ناحية الشرق، كما شيد معبد على طرف الوادى يعرف باسم معبد الوادى وأن كان لم يعثر عليه حتى الآن، ويصل بين المعبدين طريق ممهد يعرف باسم الطريق الصاعد وقد تطلب بناء كل ذلك ثمانية عشر عاما.

وقد شيد سنفرو هرما آخر شمال هرمه السابق بما يقل عن الكيلو مترين واستفاد فيه معماريوه من تجاربهم فى الهرم السابق. وقد بدأ فيه بزاوية ميل مناسبة تبلغ ٤٣,٤٠ درجة وعندما استكمل بناءه اصبح أول هرم صحيح النسب حاد الزاوية مستوى الجوانب، وقد بلغ ارتفاعه نحو ٩٩ مترا وقد كسى هو والهرم الاكبر باحجار جيرية بيضاء ملساء، أما طول ضلع قاعدته فهو ٢٢٠ مترا ويسمى هذا الهرم الان: الهرم الاحمر، لأن الاحجار التى شيد منها يميل لونها إلى الحمرة واطلق على كل من الهرمين إسم خع سنفرو بمعنى شع سنفرو أو تجلى سنفرو.[1]

واضاف سنفرو إلى مجموعة عمائره بدهشور معبداً آخر شيده إلى الشمال الشرقى من هرمه الجنوبى فى غير الاتجاه العادى لمعابد الشعائر ومعابد الوادى وعلى ذلك فقد اتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأنه قد شيد بمناسبة الاحتفال بعيد سد الخاص بالملك بينما رأى آخرون بأنه يمثل معبد الوادى. وقد زينت جدران المعبد بنقوش تمثل الملك سنفرو وهو يقوم ببعض الطقوس الدينية المعروفة، وأهمها مناظر من عيد سد، ومناظر تمثل زيارة للهياكل فى مدينتى بوتو ونخن،

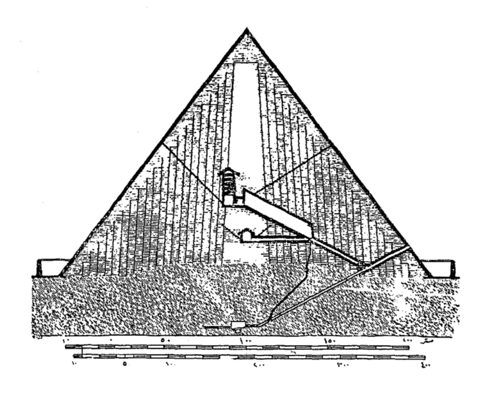
---

(1) J. Vercouthier, Op. Cit.

كما نرى فيه كذلك مناظر تمثل اقاليم مصر وأهم بلادهم فى ذلك الوقت التى كان يمتلك فيها سنفرو ضيعه من ضياعه، ورمز لكل منها بسيدة تحمل القرابين وكتبوا امامها اسم البلد أو الاقاليم مرتبة طبوغرافيا من الجنوب إلى الشمال مما ساعد على تحديد امكنتها الحالية.

واستفاد مهندسوا خوفو من الخبرات التى توصلت إليها العمارة المصرية فى عهد والده سنفرو فى بناء هرمه الذى اختار له هضبة الجيزة مكانا ويشغل هرم الملك خوفو مساحة تقرب من ١٣ فدان، ويلغ ارتفاعه فى الاصل ١٤٦ متر (ارتفاعه حاليا ١٣٧م) وطول ضلع قاعدته المربعة ٢٣٠ مترا واستخدم فى بنائه، ما لا يقل عن ٢,٣٠٠,٠٠٠ كتلة من الحجر قطعوها من محاجر فى الهضبة نفسها ويزيد وزن بعضها عن ثمانية اطنان ويقل وزن البعض الآخر (الجزء الاعلى من الهرم) عن طن واحد. واما الكساء الخارجى للهرم فقد قطعت لوحاته السميكة الضخمة من محاجر طره المعصرة على جانب النيل المقابل.

تضمن الهرم ثلاث حجرات كبيرة للدفن، حجرة منحوتة فى باطن الصخر، واخرى فى داخل بناء الهرم نفسه وتسمى خطأ باسم غرفة الملكة، والثالثة فى نصف الهرم العلوى وقد دفن الفرعون فيها. وأدى تعدد حجرات الدفن فى الهرم إلى القول بأنه قد بنى على ثلاث مراحل. فبنى الهرم فى مرحلته الأولى ليكون هرما متوسط الحجم مائل الجوانب حاد الزوايا تقع حجرة الدفن اسفله. ثم ازداد حجمه بعد فترة ما قبل أن يتم بناءه وشاد حجرة دفن جديدة فى باطنه. ثم ازداد للمرة الاخيرة وشيدت حجرة الدفن الثالثة فى نصفه العلوى من احجار جرانيتيه ضخمة وتكون سقفها من تسعة الواح ضخمة تزن حوالى ٤٠ طن، وشيد فوق هذه الحجرة خمسة حجرات صغيره يتعاقب كل منها فوق الآخر رغبة فى تخفيف الضغط عن سقف حجرة الدفن، وقد بنى سطح الغرفة الخامسة مثلثا على هيئة الجمالون لتوزيع ضغط الجزء العلوى من الهرم على جوانب الحجرات دون وسطها.



(شكل ٢٩) هرم الملك خوفو

ويوجد إلى الشرق من الهرم مباشرة المعبد الجنزى الذى مازالت بعض بقاياه موجودة وعلى الاخص ارضيته المشيدة من حجرة الديوريت الاسود ويلاحظ أن بعض جدران المعبد كانت مزينة بالنقوش. وشيد فى الناحية الشرقية من المعبد جسرا ضخما نزل من حافة الهضبة إلى الوادى واستخدم هذا الجسر ليكون الطريق الموصل إلى معبد الوادى الذى لم يكتشف مكانه حتى الآن، وإن كان من المؤكد أنه تحت منازل بلدة نزله السمان الحاليه.(١)

وقد عثر إلى الشرق من الهرم على ثلاث حفر للمراكب، وقد نزعت منها مراكبها الخشبية فى عصور سابقة، واقتصرت حاليا على مجرد حفر طويلة

---

(١) محمد أنور شكري، العمارة في مصر القديمة. ص٦٣ ٣٢

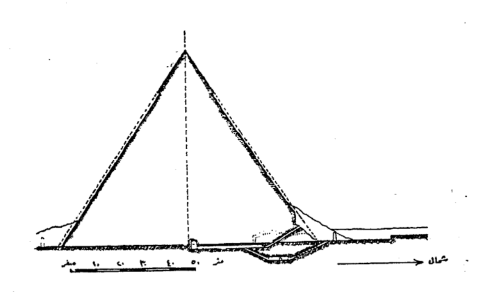
عميقة منحوتة فى الصخر على هيئة المراكب. وعثر على موضعين لمركبين فى الجانب الجنوبى للهرم، وتم فتح احداهما ووجد به الواح كثيرة لمركب خشبية يبلغ طولها ٤٣,٢٠ م ويبلغ أكبر عرض لها حوالى ستة أمتار. وقد اتجه البعض إلى القول بتسمية هذه المراكب «مراكب الشمس»، إلا أنه يصعب قبول هذا الرأى لعدة أسباب أهمها أن اشكال الحفر التى نحتت لمراكب خوفو اشكال متباينة تختلف من واحدة إلى أخرى. كما أن المراكب التقليدية التى صورتها المناظر المصرية لرحلة اله الشمس، تمتاز عادة برموز خاصة لم يعثر على واحدة منها فى المراكب التى كشف عنها.

أما «جد فرع» فقد ترك منطقة الجيزة وشيد هرمه ومعبده إلى الشمال الغربى من هرم والده بحوالى ثمانية كيلو مترات فى منطقة ابى رواش. وقد شغل هذا الهرم مساحة تقل عن مساحة هرم والده، ولم يبق من جزئه العلوى غير القليل، وربما كان مكسو كله باحجار كبيره من الجرانيت وشيد جزئه المنحوت فى باطن الارض على هيئة خندق مكشوف وبدء عموديا وهذا اسلوب الاسرة الثالثة، وشيد المعبد الجنزى إلى الشرق من الهرم وقد بنيت بعض اجزائه من اللبن. أما الطريق الصاعد فقد بنى إلى الشمال وليس إلى الشرق ويرجح أن ذلك مرجعه إلى طبيعة سطح الأرض.(١)

واختار «خفرع» ربوة عالية خلف هرم والده شيد عليها هرمه ويخيل إلى الناظر أنه أعلى من هرم والده. وحقيقة الأمر أن ارتفاعه ١٤٣,٥ مترا وطول ضلع قاعدته المربعة ٢١٥,٥م. ولهذا الهرم مدخلان وجدا من الناحية الشمالية أحدهما يرتفع ١١م عن سطح الأرض أما المدخل الثانى فقد نحت فى الصخر على سطح الأرض ويبعد قليلا عن قاعدة الهرم. ويؤدى المدخل العلوى إلى دهليز كسى سقفه وجدرانه بالجرانيت الاحمر ثم بهو افقى ينتهى بحجرة الدفن التى

(1) I.E.S. Edwards. The Pyramids of Egypt, 1965, P. 164.

قطع جزؤها السفلى فى الصخر وفى الجهة الغربية من الحجرة يوجد تابوت مثبت فى الأرض وهو من الجرانيت ولم يبق من كسوته الخارجية سوى جزء بسيط فى اعلى الهرم.



(شكل ٣٠) هرم الملك «خفرع»

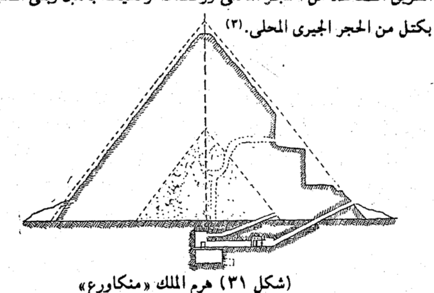
يقع معبد خفرع الجنزى فى الناحية الشرقية من الهرم وشيدت جدرانه من الحجر الجيرى وكسيت غالبا بالجرانيت ورصفت ارضيته بالمرمر وتعددت حجراته وأبهائه ومقاصيره وعلى مقربة منه كشف عن خمس حفرات سفن قطعت فى الصخر كما توجد حفرة أخرى فى الصخر شمال شرقى المعبد ويحتمل أن تكون مكانا لسفينة أخرى سادسة.

يقع معبد الوادى على حافة الصحراء بالقرب من قرية نزلة السمان، وشيدت جدرانه من الحجر المحلى وكسيت بالجرانيت الأحمر، واستخدمت كتلا من احجار المرمر فى ارضية المعبد. ويوجد بالمعبد ٢٨ عمودا مربعا من الجرانيت الاحمر وشيد فى الطرف الشمالى الغربى لمعبد الوادى الطريق الصاعد الموصل

إلى المعبد الجنزى، وهو مقطوع فى الصخر لا تزال بعض اجزاء من جدرانه باقية.(١)

وعندما اراد خفرع أن يشيد هرمه اضطر إلي الإنحراف بالطريق الموصل بين المعبدين ليتفادى محجرا كان موجودا فى هذه المنطقة. وكان وجود هذه الصخر يشوه المكان ولهذا اتخذ منها تمثالاً جسده على صورة اسد ليعبر عن القوة ورأسه على صورة لرأس خفرع نفسه، أى أنه كان جامعا للقوة والعقل.(٢)

وشيد منكا ورع هرمه بجوار هرمى والده وجده. فقد بلغ ارتفاعه ٦٦,٥ مترا وطول قاعدته المربعة ١٠٨,٥ مترا. مدخله فى الناحية الشمالية وقد مات قبل أن يستكمل كسوته التى كانت من الجرانيت الاحمر، وبنى معبد الوادى على مقربة من جبانة نزلة السمان الحالية وشيد من اللبن ما عدا بعض قواعد الاعمدة وبعض اجزاء من أرضية وعتبات ابوابه فقد شيدت من الحجر الجيرى وشيد الطريق الصاعد من الحجر المحلى ورصفت ارضيته باللبن وبنى المعبد الجنزى بكتل من الحجر الجيرى المحلى.(٣)



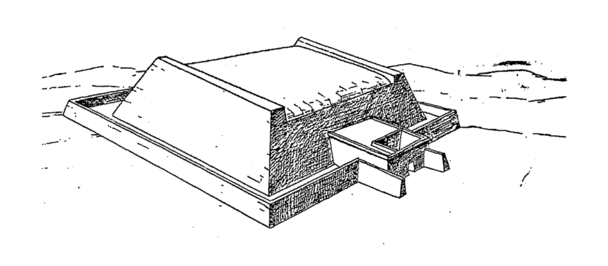
(شكل ٣١) هرم الملك «منكاورع»

(1) Ibid, PP. 151 - 152.

(٢) سليم حسن: ابو الهول، ترجمة جمال الدين سالم، القاهرة، ١٩٦٨، ص٥٦-٥٧.

(3) G.A. Reismner, Mycrinus, Cambridge, 1931.

ولم يحاول شبسسكاف أن يبنى لنفسه هرما. وانما بنى مقبرة فى جنوب سقارة تعرف الان باسم «مصطبة فرعون» على هيئة تابوت ضخم مستطيل مائل الجوانب يبلغ طوله ١٠٠م وعرضه ٧٢م وارتفاعه ١٨ متر وكسيت جدرانه باحجار بيضاء وأحيطت أعمدته بأحجار من الجرانيت واحاطوه بسور خارجى كما شيدوا له معبدين صغيرين وطريقا صاعدا بينه وبين معبد الوادى الذى لم يكشف عنه بعد.[١]



(شكل ٣٢) مصطبة الملك «شبسسكاف»

(1) I.E.S. Edwards, OP. Cit., 166 - 167.

الأسرة الخامسة

يعتبر عصر الأسرة الخامسة فاتحة عصر زاهر جديد، اتسعت فيه آفاق دين الشمس وشملت أمور الدنيا والاخرة، وازداد التقارب خلاله بين الملوك وكبار افراد الشعب وبلغ فن العمارة والنحت والتصوير والنقش مرتبة عالية واستأنفت مصر خلاله صلاتها التجارية الخارجية على نطاق واسع فامتدت إلى فينيقيا فى شمالها الشرقى وحتى بلاد بونت فى جنوبها الشرقى.

نشأة الاسرة الخامسة:

انحصرت وراثة العرش فى اخريات عصر الأسرة الرابعة فى «خنت كاواس» التى تعتبر الصله بين الاسرتين الرابعة والخامسة وقد تباينت آراء المؤرخين تباينا كبيرا فى بيان تلك الصلة، فرأى البعض أنها كانت زوجة لشبسسكاف الذى مات دون أن ينجب منها وليا للعهد، فتمكن الامير جدف بتاح من الاستيلاء على العرش ولكنه لم يستمر سوى عامين تمكن بعدهما أو سر كاف من اعتلاء العرش وتأسيس الاسرة الخامسة ورأى البعض الأخر أن خنت كاواس كانت زوجة لـ «وسررع» ولما لم يكن ملكا شرعيا من دم ملكى، فقد صار ابنها «أوسركاف» هو الملك الشرعى، الذى عرفته قوائم الملوك على رأس الأسرة الخامسة.(١)

والرأى الارجح فيما يتصل بموضوع نشأة الأسرة الخامسة وهو الرأى الذى ذهب إليه العديد من المؤرخين، ان الاسرة الخامسة قد جمعت بين فرعى الاسرة الرابعة الكبيرين المتنافسين فرع خفرع الذى مثلته خنت كاواس ورع جدف الذى مثله اوسر كاف وهكذا يمكن القول أن اوسر كاف لم يرث عرش الفراعنة عن ابيه، الذى يبدو انه كان من انصار الإله وكهانته، وفى نفس الوقت من فرع

---

(١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٣٥٩.

ثانوى من عائلة خوفو، وانه قد اشترك مع خنت كاواس من فرع رئيسى من عائلة خوفو - عن طريق الزواج بها فى تأسيس الأسرة الخامسة.[1]

غير أن انصار الاسرة الجديدة لم يقنعوا لفراعنتهم بحق الحكم عن طريق زواج أو سر كاف بسليلة البيت الحاكم فى الاسرة الرابعة وحدها وابتغوا أن يردوا شرعية حكمهم إلى ارادة ربانية قديمة وأصل مقدس، فخرجوا على الناس بأسطورة جعلتهم من صلب رع، وبقيت من نسخها المكتوبة نسخة كتبها اديب من عصر الدولة الوسطى فى بردية عرفت اصطلاحا باسم «بردية وستكار» وهى التى ذكرنا جزءا منها خلال حديثنا عن الاسرة الرابعة. وفى سياق قصة الملك خوفو مع الحكيم جدى ذكروا أن خوفو سأل الحكيم عن الخزائن المقدسة والذخائر المقدسة لرب الحكمة تحوتى وطلب إليه ان يدله عليها الا أن الحكيم قد اعتذر لخوفه بأنه لا يستطيع ولكنه الذى يمكنه القيام بذلك هو أكبر اطفال ثلاثة فى بطن زوجة لكاهن حملت بهن من الإله رع نفسه، وان الآلهة قد اخبروها بانهم سيتولون عرش البلاد وان اكبرهم سيكون الكاهن الاعظم فى مدينة «أون» ويضطرب خوفو ولكن الساحر يطمئنه بان ذلك لن يكون قريبا. وانه لن يحدث فى عهده وان ابنه سيحكم من بعده ثم سيحكم ابن ابنه، ثم يتأتى بعد ذلك واحد منهم، وتستمر القصة فتذكر حمل زوجة الكاهن وماتلا ذلك من ظهور عجائب ومعجزات وكيف حضرت آلهات الولادة مولدهن.[2]

والواضح أن الهدف الذى كان يرمى اليه واضع القصة هو اقناع الناس بأن استيلاء كهنة الشمس على عرش البلاد انما كان شيئا مقدرا منذ عهد بعيد وأن هؤلاء الذين جلسوا على عرشها وإن لم يكن يجرى فيهم الدم الإلهى الملكى انما كانوا خيرا ممن سبقهم من الملوك لانهم كانوا ابناء الاله رع من صلبه.

---

(1) W.S., Smith, in CAH., 1, Part 2, Cambridge, 1971, p. 178.
(2) A.M. Blackman, in J.E.A., 22, 1936, P. 42 FF.

ملوك الاسرة الخامسة:

تكاد قوائم الملوك والاثار المعاصرة تتفق على اسماء ملوك هذه الاسرة وهم على التوالى:

١- أوسر كاف	٢- ساحورع	٣- نفراير كارع
٤- شبس رع	٥- نفر اف رع	٦- نى وسررع
٧- من كاوحور	٨- جد كارع	٩- ونيس

١- أوسركاف:

استمر حكمه سبع سنوات حسب ما جاء فى بردية تورين وذكر مانيتون انه حكم ثمان سنوات وتلقب وسر كاف بلقب معبر يناسب وضعه كمؤسس لاسرة جديدة وهو «اير ماعت» الذى يفيد معنى واضح النظام أو محق الحق.

ولقد عثر على اسمه منقوشا على عمود من الجرانيت فى طيبة، كما عثر على آنية من المرمر تحمل اسمه فى جزيرة «سريجو» على مقربة من الشاطئ الجنوبى لليونان مما قد يشير إلى وجود علاقات تجارية مع هذه المنطقة.[1]

وسجل حجر بالرمو لهذا الملك قيامه بتشييد المعابد فى مختلف انحاء مصر فبنى معبدا فى بوتو فى الدلتا لاجل عبادة الالهة حاتحور، كما اوقف الكثير من الارض لمعبد الاله رع. أما هرمه فقد شيده فى سقارة بالقرب من هرم الملك نثررخت المدرج ويلاحظ أن مجموعته الهرمية ونقوش معبده لا تختلف عن اهرام ونقوش الاسرة الرابعة، ويعرف هرمه فى سقارة باسم الهرم المخربش[2] وقد اضطرتهم طبيعة الأرض فى هذه المنطقة وعدم وجود المكان الكافى لاقامة معبد جنائزى فى الناحية الشرقية إلى الاكتفاء ببناء هيكل صغير فى هذه الجهة وبنوا

(1) W.S., Smith, OP. Cit., P. 181.
(2) C.M., Firth, in ASAE, XXIX, (1929), PP. 64 -70.

المعبد الكامل فى الجهة الجنوبية من الهرم[1] ويرجع انه بنى معبدا للشمس فى ابى صير.

٢- ساحورع:

ذكرت بردية تورين ان ساحورع حكم لمدة ١٢ سنة، وذكر مانيتون انه حكم لمدة ١٣ سنة بينما يلاحظ بأنه قد جاء ذكر السنة التالية للتعداد السابع للماشية على حجر بالرمو مما يشير إلى انه حكم ما لا يقل عن ١٤ سنة، ولقد اختار منطقة أبو صير لبناء هرمه على مسافة غير كبيرة من معبد أوسركاف.

ولم يعتنى ساحورع بتشييد هرمه فهو اقل ارتفاعا من هرم خوفو وخفرع الا أنه استعاض عن ذلك بتشييد معبد فخم استخدم فى بنائه اثمن المواد المعمارية وزين قاعاته وابهائه المحمولة على اساطين من الجرانيت ذات تيجان، وغطيت ارضيته بحجر البازلت. وزود المعبد بمازيب على هيئة رؤوس اسود لتصريف مياه الامطار كما زود المعبد بمواسير مصنوعة من النحاس وضعت اسفل ارضية المعبد لتصريف المياة المستخدمة فى المعبد.

ويستدل من بقايا النقوش التى كانت تغطى جدران معبدى ساحورع والطريق الموصل بينهما على الكثير من نشاط هذا الملك العسكرى والتجارى وكذلك العديد من مناظر الحياة اليومية مثل حملة القرابين ومناظر الصيد فى الصحارى وعمل شرك لافراس النهر فى الماء.[2]

---

(1) J.P., Lauer, in ASAE, L, II (1953). P. 119 FF.
(2) I.E.S., Edwards, Op.cit., P. 179 FF.

وكذلك:
أحمد فخري مصر الفرعونية، القاهرة، ١٩٧١، ص٣٢.

٣- نفرابر كارع:

تولى نفرابر كارع واسمه الحورى وسرخاعو العرش بعد اخيه ساحورع ويلاحظ أن مدة حكمه قد فقدت من بردية تورين، لكن سجل له على حجر بالرمو التعداد الخامس للماشية مما يدل على أنه حكم على الاقل عشر سنوات.

لم يكن نفرابر كارع اقل طموحا من اخيه، وقد فكر فى تشييد هرم أكبر من هرم ساحورع، ولكنه مات قبل أن يتم جميع آجزاء مجموعة الهرمية فقام خليفته باكمالها ولكن بالطوب اللبن.

ولم يكن نفرابر كارع يشبه من سبقه على العرش فى نشاطه الحربى بل كان شخصا طيب القلب محبا لتقديم الهبات للمعابد. وقد عمل على ارضاء كهنة اوزير فأقام معبدا له فى ابيدوس واصدر مرسوم إلى كبير الكهان «حم ور» جاء فيه ما يلى»:

«مرسوم ملكى إلى كبير الكهان حم ور: أننى لا أسمح لاى رجل الحق فى نقل أى أدوات خاصة بالعمل إلى حقل (أى مقاطعة) أى إله آخر به كهنة آخرين انهم معفون (يقصد كهنة معبد اوزير بابيدوس) إلى الأبد بمرسوم ملك مصر العليا والسفلى نفرابر كارع... وأن أى موظف رسمى أو ملكى يقف حجر عثرة فى سبيل تنفيذ هذه الاشياء التى اصدرت بها مرسوم سيفصل وسيقدم إلى المحاكمة ويصادر بيته ومزارعه وما عليها من رجال كل شئ يملكه...» ولقد سجل حجر بارمو العديد من المنح التى منحها للعديد من الالهة ومن بينهم آلهة التاسوع والإلهة حاتحور.

ومما يدل على مبلغ سلطان الموظفين أن الملوك بدأوا يعاملونهم معاملة طيبة، لا كما يتصور البعض نظرا لطيبة قلب نفرآير كارع، بل خشية سلطانهم كما فعلوا مع رجال الدين،ومما يشير إلى ذلك قصة الملك مع واش بتاح الذى كان

يشغل وظيفة كبير القضاة والمشرف على جميع الاعمال الانشائية للملك والذى سقط مغشيا عليه اثناء تفقد بعض الانشاءات الملكية مع الملك، ثم مات وحزن الملك عليه وأمر له بتابوت من خشب الابنوس المطعم واجزل لابنه العطاء. والقصة الثانية حدثت مع احد كبار رجال الدولة ويدعى رع ور الذى اصابته عصا الملك فى ساقه دون قصد منه، فما كان من الملك، إلا أن اعتذر له وأمر بأن يسجل ذلك.

٤- شبس كارع:

تولى الحكم بعد نفراير كارع وحكم مدة قصيرة بلغت سبع سنوات حسبما جاء فى بردية تورين وفى تاريخ مانيتو، ومعلوماتنا التاريخية عن اعماله وتشييداته قليلة لا يمكننا تتبعها.

٥- نفرآف رع:

تولى الحكم بعد شبس كارع، ولم يظل حكمه اكثر من اربع سنوات واتخذ الاسم الحورى نفر خعو، ورد اسمه فى قائمة ابيدوس، وكذلك فى بردية تورين إلا أن الجزء الخاص بمدة حكمه فقد منها. ولقد بدأ فى انشاء هرم له فى أبى صير ولكنه لم يتمه.

٦- نى اوسر رع:

ورد اسمه فى قائمة ابيدوس وبردية تورين التى ذكرت أنه حكم إحدى عشر عاما بينما يتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأنه حكم حوالى ٣٠ سنة وذلك اعتمادا على تسجيله احتفاله بعيد سد على جدران معبد الشمس، ولقد شيد لنفسه هرما بين هرمى ساحورع ونفراير كارع.[١]

---

(١) محمد أنور شكري، المرجع السابق، ص١٥١.

٧- من كاحور:

اسمه الحورى من خاعو، ورد اسمه فى بردية تورين التى سجلت له حكم ثمانية اعوام - وشيد لنفسه هرما لم يعثر عليه حتى الآن وأن كان يرجح وجوده فى سقارة إلى الجنوب من مكاتب مصلحة الاثار.

٨- جد كارع - اسيسى:

ورد اسمه فى بردية تورين التى اعطته مدة حكم وصلت إلى ٢٨ سنة وعثر على اسمه مسجلا فى محاجر الديوريت بالصحراء الغربية والنوبة السفلى على صخور توماس فى منتصف المسافة بين اسوان ووادى حلفا، شيد هرمه فى سقارة القبلية وظهرت فى معبده عناصر معمارية جديدة مثل تزيين بعض مداخله بأعمدة فى شكل علامة «جد» كما ظهر فى حفائر المعبد ايضا تماثيل لأسود وثيران وتماثيل لبعض الأسرى من الاجانب وارتبط اسم جد كارع - اسيسى بعدد من الاسماء الشهيرة من كبار الموظفين ومن اشهرهم بتاح حتب صاحب الحكم والارشادات الشهيرة.

٩- ونيس :

آخر ملوك الاسرة الخامسة، اعطته بردية تورين مدة حكم بلغت ثلاثين عاما. يتجه بعض المؤرخين إلى اعتباره أول ملوك الاسرة السادسة نظرا لارتباط حكمه ببعض التغييرات الجوهرية ومنها ظهور متون الاهرام فى داخل الاهرامات لأول مرة فى عهده وكذلك وفاء الملك تتى أول ملوك الاسرة السادسة له واتمام ما لم يتمه من آثاره، لكن ذلك لا يكفى لتغيير التقسيم القديم الذى اورده مانيتون.

ترجع شهرة ونيس إلى ذلك التجديد الذى احدثه فى كتابة ما عرف باسم

نصوص الاهرام على جدران هرمه الداخلى، وهذه النصوص كانت محفورة فى الصخر ومملؤة بعجينة زرقاء، لم تكتب النصوص على جدران الحجرات الداخلية للاهرام قبل عصره ولقد امدنا بالكثير من المعلومات الهامة عن عقائد المصريين القدماء.(١)

وشيد ونيس هرمه فى سقارة إلى الجنوب الغربى من مجموعة الملك تشررخت ويتميز الطريق الذى يصل بين معبديه بالنقوش التى حفظها لنا الزمن التى تجمع بين موضوعات مختلة ففيها مناظر لـ «ونيس» وهو يؤدى بعض الطقوس الدينية، وتمثله مناظر أخرى يقضى على اعدائه. ومن بين تلك المناظر ما يمثل الزراعة والحصاد، ومن بينها مناظر الصيد فى الصحراء وفى الماء، كما نرى أيضا مناظر تمثل بعض إعمدة المعبد واعتابه المصنوعة من الجرانيت وهى تنقل فوق سفن على صفحة النيل.

ومثلت تلك المناظر كذلك بعض الاجانب الذين جاءوا إلى مصر وبعض الذين اضرت بهم المجاعة، كذلك صور بعض العمال وهم يقومون بصناعة بعض المعادن كما شوهد على كتلة من الحجر صورة زرافة، وهى نادرة فى المناظر التى كشفت عنها فى الاثار المصرية.(٢)

سياسة الاسرة الخامسة الداخلية

أ- التنظيمات السياسية والادارية:

سارت الاوضاع الإجتماعية والسياسية بخطى واسعة فى سبيل التطور خلال عصر الاسرة الخامسة، فزاد الملوك من التزاماتهم المادية والادبية لكبار

(1) S.A.B., Mercer, The Pyramid Texts in Transleation and Commentary. 4 Vols, N. Y., Toronto, 1952.

(2) I.E.S., Edwards, Op. Cit., P. 189.

كهنة الشمس ومعابدهم حتى يضمنوا ولاءهم لحكمهم كما سمحوا لكبار افراد الطبقة العليا أن يصلوا إلى منصب الوزارة أكبر مناصب الدولة بعد أن كان قاصرا منذ انشائه فى عهد سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة على كبار الامراء وحدهم. كما تصاهروا معهم وزوجوا كثيرا منهم من اميرات من البيت الملكى. وفتحت القصور الملكية أمام ابنائهم ليتعلموا فيها مع أولاد الملوك وسمح لعدد منهم بأن يرثوا مناصب آبائهم.

اتسعت التنظيمات الادارية خلال عصر الاسرة الخامسة، كان الوزير على رأس الجهاز الادارى بعد الفرعون، وكان هو المسئول عن شئون الدولة امامه واصبح الوزير فى نظر الشعب الامين على العدالة ووصلت النصوص بينه وبين الإلهين تحوتى رب الحكمة وماعت ربة العدالة وعندما اكتملت للوزير اختصاصاته اصبحت تعرض عليه امور الدولة جميعها، يتولى هو عرضها على الفرعون واصبح يعتبر محافظا للعاصمة ورئيسا للبلاط والديوان الملكى، ويتولى الاشراف الأعلى على الخزائن وشئون الغلال وعلى المنشآت العامة والاشغال المعمارية الكبيرة، ويتولى الاشراف على دور القضاء ودور المحفوظات ودور السلاح.

واكتملت للقضاء تنظيماته فضلا عن لقب القاضى «ساب» وجد لقب الكاتب القضائى «ساب» أو «سش ساب» كاتب الشكاوى. وذلك مما يعنى الحرص على تسجيل القضايا من ناحية، وتقديم الشكايات مكتوبة من ناحية أخرى.

واستمر حكام الاقاليم حتى عصر الاسرة الخامسة مجرد ممثلين للحكومة المركزية وزاد على لقبهم القديم «عج مر» لقب «ساب» بمعنى القاضى ولقب «سشم تا» بمعنى موجه الأرض أو مديرها ولقب «حقا حت» أى نظار القصر.

وترتب على الظروف السابقة جميعها أن توفر لأهل الطبقة العليا وكبار

أهل الطبقة الوسطى من الامكانيات المادية والقيم الاعتبارية اكثر مما توفر لاسلافهم قبل عصرهم فلم يعودوا يتقيدون كثيرا بتشييد مقابرهم حول اهرام ملوكهم كما كان شأن امثالهم فى الاسرة الرابعة. فلم يأب بعض حكام الاقاليم أن يعملوا على نحت مقابرهم فى الصخر فى مناطق حكمهم بعيدا عن جبانة العاصمة، واستطاع بعضهم أن يشيد مقابر فخمة ذات حجرات متعددة وابهاء ذات عمد وضعوا فيها العديد من التماثيل لهم ولاتباعهم.

٢- الاستثمار الاقتصادى :

حاول ملوك الاسرة الخامسة أن يوجهوا اغلب جهدهم نحو تنشيط الاقتصاديات المصرية، وفى هذا المجال تجدر الاشارة إلى أن نقوش وادى الحمامات التاريخية، قد بدأت بعصر الأسرة الخامسة. وهى نقوش اعتاد رؤساء البعثات الحكومية أن يسجلوها باسماء فراعنتهم واسمائهم على سفوح الجبال كلما اوفدتهم حكومتهم لاستغلال محاجر الوادى ومناجمه وكلما اوفدتهم لركوب البحر الاحمر.

واستمرت الجهود الاقتصادية المصرية المعتادة، والجهود العسكرية المعتادة لاستغلال مناطق الحدود فى الجنوب والغرب والشرق وشبه جزيرة سيناء وتأمينها من قبائل البدو ووصلت التجارة المصرية حتى منطقة بوهن فى النوبة على اقل تقدير.

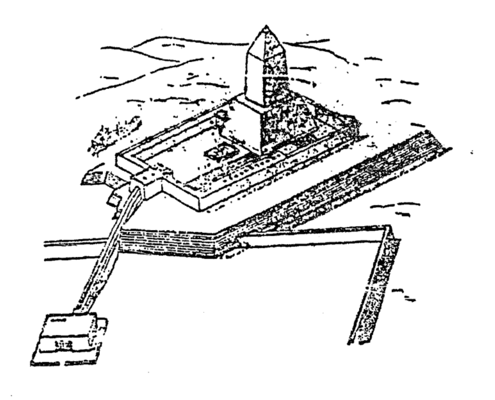
٣- التشييدات المعمارية:

اهتم اغلب ملوك الاسرة الخامسة بمعبد اله الشمس فى مدينة أون (عين شمس الحالية) وأقاموا لإله الشمس ستة معابد اطلقوا عليها اسماء تربطها به مثل «نخن رع» أى حصن أو ساحة رع «ست أيب رع» أى موضوع قلب رع. «وشبسو اب رع» أى ملاذ قلب رع و«أخت رع» أى افق رع.

ويدأ وسر كاف مؤسس الاسرة بناء هذه المعابد. وقام ببناء معبده من اللبن في منطقة ابو غراب جنوبي الجيزة وليس في مدينة اون نفسها وقلده خلفاؤه في ذلك، فلم يكتفوا ببناء معابدهم قرب معبد سلفهم في ابي غراب وانما زادوا على ذلك فبنوا اهرامهم ومعابدهم بجواره في منطقة أبو صير التي لا تبعد عن ابي غراب باكثر من ميل واحد. وأكثر المعابد بقاء حتى الان هو معبد ني وسررع سادس ملوك الاسرة، وهو معبد ضخم شيد هو وملحقاته من الحجر، وتكونت عمارته وملحقاته من ثلاثة عناصر متمايزة: مبنى ضخم مشيد على حافة الهضبة ويطل على الوادي، ويعتبر مدخلا إلى منطقة المعبد وهو يشبه معبد الوادي بالنسبة إلى مناطق الاهرام، ويخرج منه طريق صاعد يؤدي إلى معبد الشمس ذاته، وهو بناء ضخم ولكنه بسيط التكوين يتألف من فناء واسع مكشوف ارضيته مرصوفة وتقوم في مؤخرة هذا الفناء مسلة حجرية ضخمة بلغ ارتفاعها الاصلي عند «ني وسر رع» نحو ستة وثلاثين مترا، وقد اتخذت قمتها هيئة الشكل الهرمي الصغير، وكانت فيما يرجح مكسوه بصفائح من النحاس أو مموهه بالذهب ليتألق نورها ويتوهج حين ينعكس عليها اشعة الشمس. ويوجد إلى الشرق من قاعدة المسلة مائدة مصنوعة من المرمر تقدم عليها القرابين الطازجة، وربما احرق بعضها ليتصاعد عبيرها إلى اله الشمس في سمائه ويوجد في المعبد موضعين لذبح الاضحية، وقد زود هذين الموضعين بمجار تجري فيها الدماء وتنتهي بأحواض حجرية مستديرة واسعة، حتى يظل فناء المعبد نظيفا، وجاورت المعبد من الخارج بالقرب من جداره الجنوبي مركب مشيده من اللبن وكانت تتضمن مركبا خشبيا حقيقية بلغ طولها عند«ني وسررع» نحو ثلاثين مترا كانت ترمز إلى مركب رب الشمس رع التي يعبر سماءه فيها، يحتمل انه كانت تقابلها سفينة أخرى، بحيث ترمز احداهما إلى مركب النهار معنجة وترمز الأخرى إلى مركب الليل مسكتة.[1] (شكل ٣٣)

---

(١) محمد انور شكري المرجع السابق، ص. ١٧٠ - ١٧٥.



(شكل ٣٣) معبد «نى وسرع» الجنزى

ويلاحظ أن معابد الشمس لا تتضمن تماثيل لاله الشمس أو محاريب مقفلة يعبد فيها واستمرت هذه المظاهر تميز معابد الشمس عن معابد بقية أرباب المصريين فى اغلب عصورها التاريخية القديمة.

الأسرة السادسة

يعتبر ملوك الأسرة السادسة نهاية المطاف بالنسبة لعصر الدولة القديمة، إذا انتقلت مصر بعدها إلى عهد جديد من عهود تاريخها مختلف بشكل كبير عما شاهدناه فى عصر الدولة القديمة، وهو ما يعرف بعصر الانتقال الأول أو عصر الثورة الاجتماعية الأولى.

اولا: نشأة الاسرة السادسة:

يتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بأن مؤسس هذه الأسرة وهو الملك (تتى) قد اكتسب شرعيته للعرش عن طريق زواجه من الأميرة «إيبوت» ابنة الملك ونيس آخر ملوك الاسرة الخامسة وانه تزوج بعدها من اميرة تدعى «خويت» رأى البعض فيها أنه كانت ابنه الملك اسيسى الذى حكم قبل ونيس وإذا صح ذلك فانه يفسر رغبة تتى فى جمع شمل فرعى الأسرة السابقة تحت ظله وقد عثر على مقبرة ايبوت فى سقارة وهى مشيدة على هيئة هرم.

واتخذ تتى عند اعتلاته العرش اللقب الحورى «من سحتب تاوى» أى مرضى الوجهين، واتخذ كذلك لقب «المحبوب من بتاح» اله منف. وربما كان السبب فى ذلك انه اعتمد على كهنة بتاح فى منف فى توليه العرش، أو ربما كان من أهل الدلتا، وحاول بعض المؤرخين اعتمادا على بعض النصوص التى سجلها فى هرمه والتى اعتبرته ولدا للمعبودة ايزه ربه اتريب فى الدلتا القول بأنه كان ينتمى إلى اقليم فى شمال اتريب يرجع سكانه إلى بدو الصحراء الشرقيه.[1]

ثانيا: ترتيب ملوك الاسرة السادسة:

حكم مصر فى عهد هذه الاسرة سبعة ملوك لمدة ١٤٠ سنة حسب الترتيب الآتى:

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٨١.

١- تتى (سحتب تاوى) لمدة ١٢ سنة.
٢- وسر كارع لمدة ٤ سنوات.
٣- ببى الأول (مرى رع) لمدة ٢٥ سنة.
٤- مرى أن رع عنتى أم ساف لمدة ١٠ سنوات.
٥- ببى الثانى (نفر كارع) لمدة ٩٤ سنة.
٦- مرى أن رع الثانى (عنتى أم ساف الثانى) سنة واحدة.
٧- الملكة نيت اقرت (أونيتوكريسى) لمدة سنتان.

١- تتى (سحتب تاوى) :

أول ملوك الاسرة السادسة، شيد هرمه بالقرب من الشمال الشرقى لهرم وسركاف على مقربة من حافة الهضبة فى سقارة ولم يبق من الهرم الا القليل وكذلك الطريق الصاعد لم تتبق منه الا اجزاء بسيطة عند نهايته الغربية، أما معبد الوادى فلم يعثر عليه حتى الآن وقد عثر على بقايا مومياء داخل هرمه، واقام بالقرب من هرمه هرمين احدهما لزوجته الرئيسية ايبوت والأخر لزوجته الثانية خويت وكان للملك زوجة ثالثة هى تسشت ظهرت لها صورة على قطعة صغيرة من الحجر فى اجزاء من معبده الجنزى ويبدو أن هذه الزوجة كانت من نسل عريق لان عددا من زوجات موظفى البلاد تسمين باسمها.

وجد اسم تتى على بعض اجزاء من اناء عثر عليه فى جبيل، كما عثر على اناء له فى نجع الدير صورت عليه صفات أهل بونت، وسجل اسمه كذلك على صخور توماس فى الجنوب، وسجل على محاجر حتنوب التعداد السادس للماشية فى عهده.[1]

ويذكر مانيتون أن تتى قد مات مقتولا بين حراسه، وربما كان ذلك

(1) J. Vandier., Manuel d' Archeologie Egyptienne, 11, P. 128.

صحيحا لأن مؤسسى الحكم الجديد يكونون معرضين دائما للانتقام ممن أبعدهم عن السلطان. وربما كان ذلك نتيجة وقوعه صريعا بين قوتى الكهنة المتنافسين وهو صراع بدأ فى اواخر الاسرة الخامسة، بدليل أن ونيس لم يحمل فى اسمه كلمة رع. ويلاحظ هنا ان قائمتى ابيدوس وتورين ذكرتا الفرعون الذى جاء بعده وهو وسر كارع، بينما غفلت ذكره قائمة سقارة، كما أنه لم يبق فى الحكم، الا فترة قصيرة ولم يخلف وراءه آثار ذات بال، مما دفع إلى الظن بانه كان من البيت المالك القديم واستعاد عرش اسرته.(١)

ومن كبار رجال الدولة الذين عاشوا فى عهد الملك تتى الوزيران مرى روكا وكاجمنى.

٢- وسر كارع:

اتجه بعض المؤرخين إلى اعتباره مغتصبا للعرش، بينما اتجه البعض الآخر إلى اعتباره ابنا للملك تتى من زوجته خويت، وانه لم يستطيع أن يلى الحكم لغير فترة قصيرة لا تزيد عن اربع سنوات ودب النزاع على العرش بينه وبين اخيه غير الشقيق ببى، وربما استعان فى هذا النزاع باله الشمس وكهنتها وضم اسم رع فى اسمه على خلاف ما ذهب إليه ابوه وعلى خلاف ما ذهب إليه اخوه ببى، ولكن كفة ببى ظلت ارجح، لانه كان ابن للملكة إيبوت بنت الفرعون ونيس التى نقلت شرعية الحكم إلى ابيه عن ابيها. ولم يبق من عهد وسر كارع اثار تذكر له غير خاتمين اسطوانيين وعدة نقوش فى وادى الحمامات.

٣- ببى الأول (مرى رع):

تمكن ببى الأول من اعتلاء العرش بعد وسر كارع. واتخذ ببى الأول العديد من الالقاب التى ارتبط فيها ببعض الارباب، فاتخذ لقبا ادعى فيه بنوته

(١) أحمد فخري المرجع السابق، ص١٤٦ - ١٤٧.

للمعبود «حور» هو «نفر ساحور» واتخذ لقبا آخر انتسب فيه إلى الالهة حاتحور ربه دندره، وقد ارسل إلى جبيل أوان عليها اسمها مع اسمه، كما اتخذ لقبا انتسب فيه إلى رع وهو مرى رع، وانتسب كذلك إلى الاله اتوم رب أنو القديم.(١)

وقد شيد هرمه فى سقارة وهو أقل حجما من اهرامات ونيس وتتى وعندما دخل الاثاريون حجرة المدفن عثروا على تابوت من البازلت الاسود كان يحتوى على بقايا بعض العظام، وقد عثر فى مدينة نخن على تمثال رائع لهذا الفرعون مع ابنه بالحجم الطبيعى من النحاس وهو موجود الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة.

ولدينا بعض التفاصيل عن حياة هذا الملك بفضل تاريخ حياة كبار موظفيه التى تركوها ووصلت إلينا سليمة، فنعلم منها أنه قد تزوج على التوالى من ابنتين الواحدة تلو الأخرى لاحد كبار الموظفين فى ابيدوس وانجب من كل منهما اولادا ذكورا حكموا على التوالى من بعده.

ولقد تمتعت مصر فى عهده بعصر زاهر نعمت فيه بشئ من الرخاء والاستقرار وارتقت الفنون، وحدثت ابان هذا الحكم فضيحة فى البلاط الملكى، فقد تعرضت الملكة ايمتس للمحاكمة بتهمة عمل اقترفته لا يزال أمره مجهولا حتى الان. وقد تكفل بالتحقيق فى هذا الامر ونى، المشرف على القصر، وكان ونى فخورا بذلك واشار إلى هذا الموضوع فى النقوش التى تحدثت عن سيرة حياته.

٤- مرى ان رع الأول (عنتى ام ساف):

كان أول خليفة لببى الأول هو ولده مرى ان رع الذى كان يسمى ايضا عنتى ام ساف، واتخذ الاسم الحورى عنخ خعو، وكانت امه «مرى رع عنخ ان

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٨٢.

اس» ابنة خوى أمير ابيدوس الكبرى. ويبدو أنه قد توفى صغيرا حيث لم يطل حكمه أكثر من خمس أو ست سنوات. ويبدو محتملا انه قد اشترك مع والده ببى الأول فى الحكم، وذلك اعتمادا على قلادة ذهبية ضمت اسم الملكة والقابها معا، وكذلك وجود تمثالين مصنوعين من النحاس لببى الأول وآخر صغير بجواره رجح ان يكون لابنه مرى أن رع.

وعثر على نصين من عهده احدهما فى محاجر حتنوب ويؤرخ بالاحصاء الخامس للماشية أى بالسنة العاشرة من حكمه، والاخر عند الجندل الأول ويؤرخ بالاحصاء الخامس أيضا[1] ويلاحظ ان اسمه لم يرد فى نقوش سيناء وكذلك فى الاثار التى عثر عليها فى جبيل وقد شيد مرى ان رع هرمه إلى الجنوب الغربى من المجموعة الهرمية للملك اسيسى، وقد عثر بداخل الهرم على تابوت اتقن صنعه من الجرانيت الاسود وجد بداخله مومياء محفوظة جيدا لشاب متوسط القامة يضع خصلة الشعر الجانبية المميزة لشباب قدماء المصريين، وقد اثبت اليوت سميث ان هذه المومياء قد جهزت عن طريقة الاسرة الثامنة عشرة ولا يمكن أن تكون قبل ذلك. وأن هذا التابوت قد اعيد استخدامه فى عهد لا يمكن أن يكون قبل الأسرة الثامنة عشرة.

٥- ببى الثانى (نفر كارع):

نتيجة لوفاة مرى أن رع المبكرة فان اخاه من أم ثانية وهى الزوجة الثانية لببى الأول ابنه امير ابيدوس - قد تولى العرش بعده وهو يبلغ من العمر ست سنوات فقط واخوه هذا هو «ببى الثانى» الذى اتخذ اسما آخر هو «نفر كارع» اما اسمه الحورى فكان نشر حعو، وحكم ببى الثانى مدة ٩٤ سنة، وتعتبر فترة حكمه من اطول فترات الحكم فى مصر القديمة. وبدأ ببى الثانى حكمه تحت وصاية امه حيث جاء ذكرها معه فى احد البعثات التى ارسلت إلى سيناء فى

---

(1) J.H. Breasted., ARE., I, Parag. 145.

السنة الرابعة من حكمه. واسند منصب الوزارة إلى خاله «زعو» وعلى الرغم من طول عهده فلم تصل الينا وثائق من حكمه.

وكان لديه الوقت الكافى لبناء هرم فى جنوب سقارة كانت مساحته اكبر من اهرام غيره من اسلافه القريبين، وقد كشف عن مجموعته الهرمية ووجدت فى حالة لا بأس بها، وشيد الملك إلى الشمال من هرمه هرمين وإلى الجهة الجنوبية هرم واحد، لثلاث من زوجاته وهن «نيت وايبوت الثانية وواجبتن».

وكان لطول مدة حكم الملك ببى الثانى اثره فى ضعف الاسرة، فنجد انه فى النهاية بسبب كبر سنه، كان غير قادر على ان يكتسب طاعة امراء الاقاليم الاقوياء، الذين زادت سلطتهم ولم يدينوا بالولاء للملك، ولم يدفعوا الجزية للخزانة الملكية. وظهرت المجاعة والمرض. وظهر عدم استقرار الأمن وانتشرت العصابات فى كل مكان، واصبحت البلاد عرضه للغزو الخارجي وسادت الفوضى فى كل مكان، واهملت القوانين، ونهبت المقابر وتوقفت الطقوس الدينية، وعقب وفاة الملك كانت هناك حالة من الفوضى الكاملة ولم يكن فى امكان الملك المحافظة على وحدة البلاد التى تقوم فى الواقع على قوة شخصيته. وهكذا بدأ انهيار الدولة القديمة.[١] وفى نهاية حكم ببى الثانى، يذكر لنا مانيتون فى قائمته اسم ملك وملكه.. حكما بعد ببى الثانى ولا نعرف الا القليل عن احداث عصرهما.

٦- مرى ان رع الثانى:

لا نعرف عن احداث حكمه الذى دام قرابة عام واحد الا القليل إذ سارت احداث التاريخ مسرعه نحو عصر الانتقال الأول، واضافت قائمة ابيدوس بعده ملكين فى قائمة ملوك الاسرة السادسة.

---

(١) محمد بيومي مهران: الثورة الإجتماعية الأولي (رسالة ماجستير غير منشورة) الاسكندرية، ١٩٦٦، ص٤١ - ٤٣.

٧- الملكة نيت اقرت (نيتوكريس):

ورد اسمها فى بردية تورين، وقد اختلف المؤرخين بشأنها اختلافا كبيرا، فاعتبرها بعضهم أم ببى الثانى، وبذلك تكون قد سبقت عهده واعتبرها بعضهم زوجته واخته وربما عاشت بعده، واعتبرها بعضهم رجلا أتى بعده واعتبرها البعض الاخر امرأة انتهت إليها وراثة العرش فى آخر الاسرة السادسة، ويعتقد اصحاب هذا الرأى الأخير ان هذه السيدة هى التى اشتهرت بين المؤرخين المتأخرين باسم نيتوكريس، انها استطاعت ان تنفرد بالحكم لمدة عامين غير ان ايامها انتهت دون أثر يذكر لها الا انهيار العرش الفرعونى بعدها ولامر ما فقد دخلت ذمة الاساطير، فروى مانيتون أنها كانت أنبل وأجمل اهل زمانها، وروى هيرودوت انه سمع قصتها من المصريين الذين عاصروه فذكروها له بأنها كانت ذات جمال طاغ، وانما وليت العرش بعد مقتل زوجها فاتجهت إلى محاولة معرفة قاتليه والفتك بهم. وكادت لهم طويلا ولجأت فى خطتها الاخيرة إلى أن اعدت بهوا ضخما فى باطن قصرها، وامرت بحفر سراديب خفيه حوله تصله بنهر النيل، واستبقت امر هذه السراديب سرا لا يعلمه الا خاصة المقربين اليها، ثم دعت من حامت الشكوك حولهم فى مقتل زوجها إلى افتتاح البهو الجديد فلما اكتملت اعدادهم فيه، وانصرفوا إلى اللهو والشراب امرت بفتح السراديب عليهم وأغرقتهم اجمعين وحين ثابت «نيتوكريس» إلى رشدها تخوفت نقمة شعبها وثورته على فعلتها فرمت نفسها فى أتون متأجج من النار وقضت على نفسها بنفسها.[1]

وقد تكون هذه القصة مختلقة فى معظمها، ولكن مغزاها خطير، فاعتزاز المصريين بترديدها أمام الاغريق يشير فى اغلب الظن إلى اعتزازهم بعهد قديم كان الفراعنة يخشون فيه انتقام رعاياهم ويفضلون ان يلقوا حتفهم بأيديهم عن

(١) محمد بيومي مهران: مصر، جـ٢، ص٢٥٥ - ٢٥٦.

ملاقاة ثورتهم وبطشهم. وبهذه النهاية الغامضة ينتهى عصر الاسرة السادسة وعصر الدولة القديمة، لتبدأ مصر عصراً جديداً فى تاريخها هو عصر الانتقال الأول أو عصر اللامركزية الأولى أو عصر الثورة الاجتماعية الأولى.

سياسة الاسرة السادسة الداخلية

أ- التنظيمات السياسية والادارية:

استمرت سياسة التقارب بين الفراعنة وكبار موظفيهم فى عهد الاسرة السادسة فزوج بعض فراعنتها بناتهم من كبار موظفيهم مثل كاجمنى ومرروكا الذى تزوج من ابنه الفرعون تتى، كما تزوج احد فراعنة الاسرة وهو الملك ببى الأول من ابنتى احد كبار موظفيه وهو امير ابيدوس، وتوسع الفراعنة فى تربية ابناء كبار موظفيهم فى قصورهم وزادوا مراسيم الاعفاء التى كانوا يعفون المعابد فيها من بعض التكاليف المفروضة عليها، وكانوا يكتسبون بذلك ولاء وحسن السمعة فى سبيل فقدان جزء غير قليل من موارد خزائن الدولة.

وزادت اهمية كبار الموظفين خلال عصر الأسرة السادسة، وكانت المناصب التى شغلوها ثلاثة وهى: منصب الوزارة ومن ألمع وزراء الاسرة السادسة الحكيم المشهور كاجمنى فضلا عن الوزير زعو، الذى كان فى فترة وزارته يكاد يكون صاحب النفوذ الأول فى البلاد، خاصة فى الفترة التى كان فيها ابن اخيه الملك ببى الثانى طفلا وكانت أمه وصية عليه، ومناصب حكام الاقاليم الكبيرة ومنصب والى الصعيد فضلا عن مناصب اخرى كبيرة كانت تندرج تحت اختصاصات هذه المناصب الثلاثة.

واختلف نفوذ حكام الاقاليم تبعا لشخصياتهم وشخصيات الفراعنة الذين عملوا فى عهودهم فاستمر اغلبهم يرد أوجه نشاطه فى إقليمه إلى امر الفرعون

وتوجيهه وفضله، بينما امتاز إلى جانبهم عدد قليل آخر حرص اقرانه على ابراز مجهوداتهم الشخصية ومآثرهم الفردية فى نقوش مقابرهم فشرحوا كيف عملوا فى تعمير أقاليمهم وتوطيد الأمن فيها والعمل على رفاهية اهلها، وإلى جانب ذلك سجلوا صورا من طاعتهم لفرعونهم وحرصهم على القرب منه وارضائه. ورضى الفراعنة بنشاط اصحاب الشخصيات القوية من حكام اقاليمهم، أو هم اضطروا إلى الرضى به ولكنهم تخوفوا ان يؤدى هذا النشاط إلى انفلات السلطات من ايديهم، أو يشجع البعض منهم على الاستقلال بحكم اقاليمهم، فحاولوا معالجة هذا التطور بوسيلتين: الوسيلة الأولى: تربية ابناء كبار الحكام فى قصورهم أملا فى أن يشبوا أوفياء لهم ويخلصوا لطاعتهم إذا تولوا حكم اقاليمهم. أما الوسيلة الثانية فهى اعادة الغاء منصب والى الصعيد الذى استحدثته الاسرة الخامسة، وعهد إلى اصحابه الرقابة باسم الفرعون على ضرائب الصعيد، وشئون حكامه وكان قد ألغى فيما يبدو فى عهد تتى أول ملوك الاسرة، ثم اعيد فى عهد مرى ان رع الأول رابع ملوكها.

٢- الاستثمار الاقتصادي:

واصل الملك تتى مؤسس الاسرة السادسة سياسة اسلافه الاقتصادية مع جبيل وبلاد بونت، واحضار احجار الديوريت من الجنوب، وقام الملك ببى الأول بارسال البعثات لاحضار الديوريت من توماس بالنوبة، ~~كما قام بتأديب البدو فى سيناء لتأمين استثمار الديوريت من توماس بالنوبة~~، كما قام بتأديب البدو فى سيناء لتأمين استثمار مناجمها ومحاجرها. وواصل مرى ان رع الأول سياسة اسلافه فى استغلال محاجر حتنوب والفنتين. الا انه لم يعثر على اسمه فى سيناء أو جبيل واستمر ببى الثانى فى سياسة اسلافه فارسل البعثات لاستغلال مناجم سيناء ومحاجرها كما اهتم بمحاجر الجنوب واستثمارها.

٣- التشييدات المعمارية:

تجمعت اهرام فراعنة الاسرة السادسة فى منطقة سقارة، فيما عدا هرم ببى الثانى الذى شيد إلى الجنوب منها بقليل، وشابهت هذه الاهرامات اهرام الاسرة الخامسة فى بساطة احجامها وصغر الأحجار المستخدمة فى بنائها وضعف متانتها ومقاومتها، وسار فراعنة الاسرة السادسة على السنة التى ابتدعها الملك ونيس، فى نقش متون الاهرام على جدران حجرات الدفن وفى بعض الحجرات الملحقة بها ثم ما لبثت هذه المتون أن سجلت كذلك فى اهرام الملكات، فكانت منقوشة فى هرم الملكة ايبوب زوجة تتى مؤسس الاسرة، وكذلك فى هرمى نيت واوجبتن زوجتى الملك ببى الثانى آخر الملوك الكبار فى الاسرة السادسة.

ثانياً: سياسة مصر الخارجية في عصر الدولة القديمة

أولاً: علاقة مصر مع فلسطين وسوريه

أ- علاقة مصر مع فلسطين:

مع بداية عصر الدولة القديمة تشهد العلاقات بين مصر وفلسطين تطوراً سلبياً حيث نشطت الاتصالات البحرية لمصر مع جبيل على الساحل السورى، وكانت جبيل البوابة التى دخلت من خلالها التأثيرات المصرية إلى الساحل السورى ، وكان السبب الرئيسى وراء تحول التجارة المصرية إلى جبيل هو أن مصر قد أصبحت فى حاجة لاستيراد كميات كبيرة من الأخشاب التى تم نقلها عن طريق البحر من ميناء جبيل ، ويرجح أن المصريين قد جلبوا مع الأخشاب حاجاتهم من المنتجات الأخرى من الزيوت وغيرها ، وهى البضائع التى كانوا يستوردونها من فلسطين [1] ، وربما كان لتوصل المصريين إلى مناجم النحاس فى سيناء مباشرة عند بداية الأسرة الثالثة ، والاستغلال المصرى المباشر لهذه المناجم [2]، من العوامل التى أدت إلى خمول التبادل التجارى بين الطرفين .

ورغم ما يشير إليه بعض الباحثين من انقطاع التجارة بين مصر وفلسطين خلال عصر الدولة القديمة، إلا أنه لا يمكن الأخذ بهذا الرأى بشكل نهائى ، ولكن يمكن القول بأن العلاقات التجارية لم تصبح كسابق عهدها ، ولكنها كانت موجودة بشكل أو بآخر ، كما قام المصريون بالعديد من الحملات العسكرية فى فلسطين خلال هذه المرحلة .

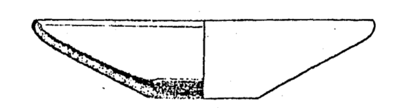
ومما يشير إلى وجود علاقات تجارية بين مصر وفلسطين منذ بداية عصر الدولة القديمة العثور فى معبد عاى (شمال شرق اريحا - جريكو) فى الهيكل A

(1) A. Ben - Tor, JESHO, XXIX (1986), p. 20

(2) A. Kempinski, "Early Bronze Age Urbanization of Palestine: Some Topics in a Delbate", in: IEJ, 33 (1983), p. 239.

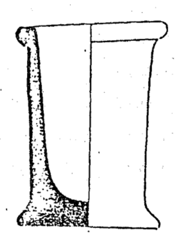
والذى تؤرخ محتوياته بمرحلة عصر البرونز المبكر الثالث [1] وهو الذى يقابل عصر الدولة القديمة فى مصر على العديد من الأوانى الحجرية التى ترجع إلى عصر الأسرة الثالثة وما يليها ، ومنها ، آنية متسعة مصنوعة من الألبستر ذات قاعدة مسطحة ولها حافة داخلية (شكل ٣٤)[2] ، ولقد ظهرت الأوانى المشابهة لها من حيث تقنية الصنع والشكل فى هرم الملك «نثررخت» فى سقارة ، ومنها إناء ذو شكل اسطوانى مصنوع من الألبستر له قاعدة مفلطحة (شكل ٣٥) [3].

ولقد ظهر هذا الشكل من الأوانى فى مصر منذ عهد الملك «قاعا» عند نهاية الأسرة الأولى ، ولكنه لم يصبح شائعا حتى عصر الأسرة الثالثة والأسرة الرابعة. كما عثر أيضا على طبق من الجرانيت الوردى لا يمكن أن يكون قد تم استيراده متأخرا عن الأسرة الثالثة [4].



(شكل ٣٤) آنية من الألبستر عثر عليها فى معبد عاى

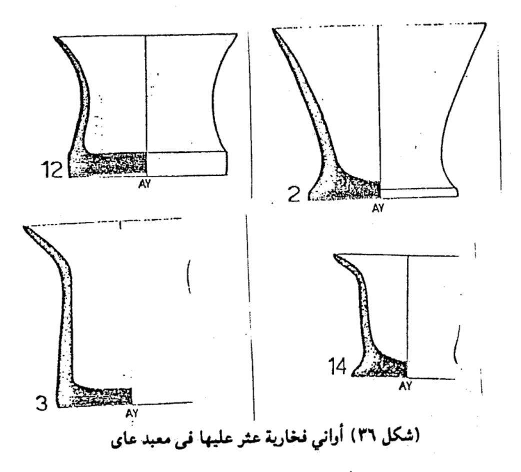
(1) R. de. Vaux, "Palestine in the Early Bronze Age", in CAH, vol., I,, part2, Cambridge, 1971, p. 231.
(2) J.B. Hennessy, The Foreign Relations of Palestine during the Early Bronze Age, London, 1967, p. 69, pl. LVI. 3.
(3) Ibid., p. 70, pl. LVI, 10.
(4) R. de. Vaux, op. cit., pp. 231 - 232.



(شكل ٣٥) إناء حجرى عثر عليه فى معبد عاى

وبالإضافة إلى المصنوعات الحجرية ، فلقد كشف عن بعض الأوانى الفخارية فى نفس هذا الموقع «عاى» وهى عبارة عن سلاطين وأكواب اسطوانية ذات لون أسود فاتح أو أحمر مصقول (شكل ٣٦)[1] . وهذا الشكل من الأوانى ظهر فى مصر منذ عصر الأسرة الأولى ، ولكنه كان مصنوعا من الحجر، ولكنه صنع من الفخار منذ عصر الأسرة الثالثة وحتى الأسرة السادسة، وبمقارنة الاوانى التى عثر عليها فى معبد «عاى» بالأوانى الفخارية المصرية يرجح إنها ترجع إلى عصر الأسرتين الرابعة والخامسة، وأنها كانت صادرات مباشرة من مصر [2].

(1) J. B. Hennessy, op. cit., p. 70, pl. LVIII, 1-3, 6,7,12,14.
(2) Ibid., p. 70.



(شكل ٣٦) أواني فخارية عثر عليها فى معبد عاى

وتجدر الإشارة إلى أن الآثار المصرية الموجودة فى معبد A فى عاى تؤرخ بالفترة الممتدة من نهاية الأسرة الثانية وحتى الأسرة الخامسة ، وهى تشمل معظم عصر البرونز المبكر الثالث، وغالبية المادة الأثرية المكتشفة ترجع إلى عصر الأسرتين الرابعة والخامسة والقليل منها مثل الأواني المصنوعة من الالبستر لا يمكن أن تكون متأخرة عن بداية الأسرة الثالثة [١].

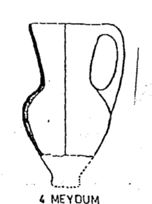
ومن ناحية أخرى فلقد عثر فى العديد من المواقع المصرية على

(1) Ibid., p. 71.

أوانـى فلسطينية بكميات كبيرة ومتنوعة وذلك حلال عصر الدولة القديمة واحتوت بعض هذه الأوانى على زيت أو نبيذ أو عسل [١]

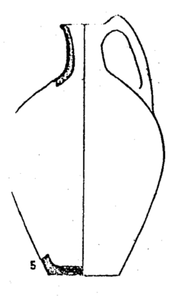
فلقد عثر فى ميدوم على إناء رمادى له فتحة واسعة تميل نحو الخارج ويرجع تأريخه بعصر الأسرة الثالثة ، وكان شكل هذا الاناء شائعا فى فلسطين خلال عصر البرونز المبكر الثالث (شكل ٣٧) [٢] وعثر فى مقابر الجيزة على العديد من الأوانى الفخارية الفلسطينية ومنها ابريق بسيط عثر عليه فى مقبرة حتب حرس ، يوجد له نظائر عديدة فى فلسطين فى مخلفات عصر البرونز المبكر الثالث وذلك فى جريكو ومجدو وغيرها (شكل ٣٨) . [٣]





(شكل ٣٧) آنية حجرية من ميدوم وما يقابلها فى فلسطين

(1) M.S. Drower, "Syria Before 2200 B.C.", in: CAH, vol. 1, Part II, Cambridge, 1971, p. 357.
(2) J.B. Hennessy, op. cit., p. 71. pl., LIX, 4, 8.
(3) Ibid., p. 72, pl. LIX. 5.



(شكل ٣٨) آنية فخارية عثر عليها فى مقبرة الملكة «حنب حرس»

وتجدر الاشارة إلى أن الأوانى المصرية كانت صغيرة نسبيا اذ لا يتعدى ارتفاعها ٥٠ سم وهى بذلك تصبح مناسبة لعمليات النقل ، بينما كان الأواني الفلسطينية فى مجملها ضخمة يتعدى ارتفاعها غالبا اكثر من متر [١].

ويتضح من هذه البقايا الأثرية وجود عمليات تبادل تجارية بين مصر وفلسطين خلال عصر الدولة القديمة بدليل تواجد الأوانى المصرية فى المواقع الفلسطينية والأوانى الفلسطينية فى بعض المواقع المصرية ، وإن كان عمليات التبادل التجارى هذه لم تكن بنفس المستوى الذى كانت عليه من قبل إلا أنها لم تنقطع نهائياً .

أما فيما يتصل بالأدلة النصية المتصلة بعلاقات مصر الخارجية مع

(1) Ibid p 72

فلسطين فتجابه الباحث فى هذا المجال مشكلة تحديد المواقع الفلسطينية فى نصوص عصر الدولة القديمة بشكل نهائي ، حيث لا يمكننا تحديد المناطق المقصودة بما ورد فى هذه النصوص . ونلاحظ عدم وجود إشارات معينة مباشرة من عصر الأسرة الثالثة تشير إلى وجود علاقات مع هذه المنطقة ، وإن كان قد ترك بعض ملوك هذه الأسرة الأوائل نقوشا فى وادى مغارة بسيناء توضح قيامهم بتأديب البدو الموجودين فى هذه المنطقة [1]. وتجدر الإشارة إلى ان النقش الذي تركه الملك «نثررخت» قد ظهر فيه أحد موظفي الملك وقد كتب أمامه لقب «قائد الجيش» *imy-r-ms*^{c} ويعتبر ذلك من أقدم الألقاب العسكرية التى ظهرت فى هذا العصر . ويوجد إلى اليسار قليلا كلمات تفيد معنى «المهمة الملكية» عليها نقش مكتوب فى عمودين رأسيين يبدو أنهما مرتبطان بطبيعة هذه المهمة حيث أن العلامات باليه بشكل لا يمكن معه تفسيرها بشكل دقيق ، وبطبيعة الحال لا يمكن الجزم بطبيعة هذه المهمة التى كلف بها قائد الجيش ، وهل كانت القيام بعلميات عسكرية ضمن المناطق الفلسطينية الواقعة على حدود مصر لتأديب البدو من سكان هذه المناطق لمنعهم من استخدام المناجم الموجودة فى سيناء ؟ أم أنها كانت لتأديب البدو الخارجين على القانون من سكان هذه المنطقة فى سيناء ؟

ولقد ورد فى لوحة كوه بمقبرة بسقارة لأحد الموظفين فى نهاية الأسرة الثالثة وبداية الأسرة الرابعة ويدعى « Iyka-nezes [2]

ومن بين الألقاب التى اتخذها هذا الموظف «مجند مرشدى الصحراء لـ «ونت Wenet» وكل أرض أجنبية أو «قائد القافلة للحصون وكل الأراضى الأجنبية»

---

(١) ترجع هذه النقوش إلي كل من الملوك: سانخت ونثرخت وسخم خت، انظر:
A.H. Gardiner and T.E. Peet., The Inscriptions of Sinai, vol. I, London, 1955, pls., I, II, IV., vol., II, London, 1956, pp. 52 - 56.

(2) PM, III2 Memphis, part II, Fascicle, 2, p. 749.

وفى كلا الحالتين فإن كلمة «ونت» يبدو أنها تشير لمكان أجنبى يحتاج لمرشد ماهر فى الوصول إليه [١].

وورد اسم «ونت Wenet» أيضا فى مقبرة الموظف «Kai - aper» فى سقارة حيث حمل هذا الموظف الذى عاش فى بداية الاسرة الخامسة الألقاب «القاضى ، موظف الحدود، كاتب الحملات الملكية فى ونت»[٢]. وارتبط اللقب الاخير بعدة أماكن اخرى كان بعضها يوجد فيه مناجم التركواز ، ويلاحظ أن اسماء الأماكن قد كتبت مع شكل يمثل سياج الشرفات على سطح حصن مما يشير بوضوح إلى كونها قلاع محصنة ويتضح من طريقة كتابتها أنها مدن فلسطينية محصنة. [٣] مما يشير إلى أنه لم يُرسل فقط إلى سيناء ، ولكن أيضا إلى حصون أخرى خارج الحدود المصرية، حيث أصبحت كلمة «ونت» فى الأسرة السادسة لا تشير إلى مكان محدد ، ولكنها أصبحت مصطلحا عاما للتشييدات الأسيوية المحصنة .[٤]

ويوضح منظر منقوش على جدار الطريق الصاعد لمعبد الوادى الخاص بالملك ساحورع (نب خعو) مناظر لبعض الأسرى المقيدة إيديهم ، ويبدو من هيئتهم أنهم آسيويون حيث مثلوا بشعور طويلة وذقون مدببة ، وربط

(1) M. Wright, "Contacts between Egypt and Syro- Palestine during the Old Kingdom", in: Biblical Archaeologist, September, 1988, p. 153.

(2) PM. III2, Memphis, part II, Fascicle 1, p. 501.

(3) B. J. Kemp, and others, Ancient Egypt, a social History, Cambridge, 1994, p. 144.

(4) M., S. Drower, op. cit., p. 358.

ويلاحظ أن المدن الفلسطينية قد تميزت خلال هذه المرحلة باحاطتها بالحصون التي تتطلب قوة تنظيمية وادارية واقتصادية كبيرة، ولقد كان الدافع وراء اقامة هذه الحصون هو الخوف من قوة مصر، هذا الخوف الذي كان كامنا في عقول مخططي هذه المدن وساكنيها A. Mazarm op. cit., pp. 122 - 123 ويرجع ذلك أن هذه المواقع المحصنة هي مدن فلسطينية.

شعرهم بعصابة حول مقدمة الرأس ، وينقسم هذا المنظر إلى صفين ، صور فى الصف العلوى الآلهة ، وفى الصف السفلى الأسرى ، ويظهر من هؤلاء الآلهة، الاله ست نويتى والإله سويد [١]، ويرى بعض الباحثين أن هذا المنظر لا يمثل قيام الملك بحرب في آسيا كان من نتيجتها إحضار هؤلاء الأسرى ، ولكنهم يرجحون أنه مجرد تصوير رمزى لبعض الأحداث التاريخية .[٢]

وتصور المناظر المسجلة على جدران مقبرة «انتى»وهو أحد كبار رجال الدولة فى دشاشة (جنوب اهناسيا بحوالى ١٢ كم) اقتحام حصن أسيوى ، ويرجع وليم فلندرز پترى أنها ترجع إلى أواسط الأسرة الخامسة [٣]وبخاصة عهد الملك ساحورع [٤] بينما يرجعها بعض الباحثين إلى بداية عهد الأسرة السادسة[٥]، ويصور المنظر (شكل ٣٩) [٦]حصنا أو مدينة مسورة ، وهى ذات شكل بيضاوى، ويسجل المنظر عملية اقتحام الحصن أو المدينة حيث تمكن المصريون من اقتحامها واقتياد العديد من سكانها كأسرى ، وللأسف فان النص المصاحب للمنظر مهشم بشكل سيء باستثناء بعض كلمات قليلة، منها الاسم «نديا» ، الذى يرجح ان يكون اسم هذه المدينة، ولا نستطيع تحديد مكانها بالضبط فى فلسطين نظراً لعدم ذكر اسم هذه المدينة فى أى نص آخر[٧] وإن رجح پترى أن تكون فى شرق الاردن على البحر الميت [٨]ولقد ميز المنظر الأسيويين

(1) L. Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahu- Re^{c}, I, Leipzig, 1910, pp. 11-12, pls. 5-7.

(2) M.S. Drower, op. cit., p. 358.

(3) W. M. F. Petrie, Deshasheh (E.E.F. 15th Memoir), London, 1894, p. 4.

(٤) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٢٣٠ - ٢٣١.

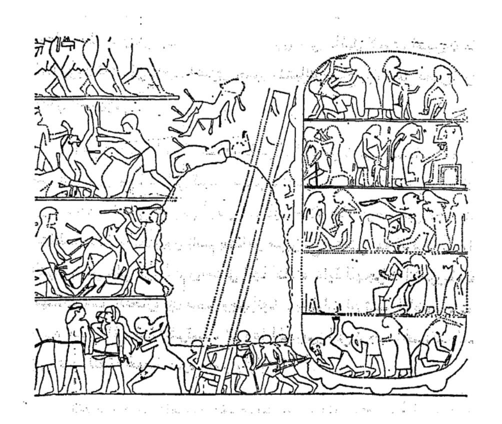
(5) M.S. Drower, op. cit., p. 358.

(6) W.M.F. Petrie, op. cit., pl. IV.

(7) M.S. Drower, op. cit., p. 360.

(8) W.M.F. Petrie, op. cit., p. 5.

عن المصريين بشعورهم الطويلة المنسدله على أكتافهم وقد ربطت بعصابه ، ويلحاهم القصيرة المدببة [1].



(شكل ٣٩) منظر محاصرة مدينة «نديا» في فلسطين

ويوجد على كتلة حجرية فى الطريق الصاعد لهرم الملك ونيس في سقارة مناظر تسجل معركة، والمناظر المتبقية على الكتلة الحجرية المحطمة بشكل سيء تصور مصريا يستعد لقتل أحد الأعداء، بينما يتصارع شخصان وهما متشابكى

(1) M.S. Drower, op. cit., pp. 359 - 360.

الأيدى ، وفى أعلى المنظر كلمة محطمة تنتهى بالعلامات الهيروغليفية *sw* . ولقد رجح العديد من الباحثين أن يكون هذا الجزء مكملا لكلمة *ḫ3sw* وهو الاسم الذى أعطى فيما بعد للشعوب الفلسطينية والسورية التى تعيش فى المنطقة الصحراوية التى تقع فى شمال شرق مصر [١] . ونظراً لأن هذا الاسم لم يظهر فى النصوص المصرية قبل عصر الدولة الحديثة [٢] فإن هذه الكلمة تصبح محل بحث . وعثر أيضا فى معبده الجنزى على تماثيل لأسرى أسيويين مقيدين، كما يوجد نقش فى المعبد الجنزى يصور اشتباك مسلح بين سفن مصرية وأسيوية تحمل أسيويين [٣].

وفى عصر الأسرة السادسة تزداد الاشارات فى المصادر المصرية عن فلسطين ، ويرجع ذلك إلى قيام مصر بالعديد من الحملات فى هذه المنطقة ، وربما يرجع ذلك إلى تعرض أرض فلسطين خلال هذه المرحلة الى هجرات بدوية متقطعة سماها المصريون باسم «عامو حريو شع» بمعنى بدو الرمال أو «القبائل التى تعيش على الرمال» ويحتمل انها كانت بداية للهجرات الآمورية القديمة ، فهددت سبل التجارة بين مصر وجيرانها ، وحاولت ان تثير الاضطرابات وتعبر حدود مصر الشمالية الشرقية ، مما دعا المصريون إلى توجيه الحملات العسكرية إلى هذه المنطقة لحماية حدود مصر وتجارتها [٤].

فلقد ورد فى المعبد الجنزى الخاص بالملك «تتى» أول ملوك الأسرة السادسة كلمة «مونتيو» التى تشير إلى اسيا [٥]ونظراً لعدم اكتمال النص فإنه

---

(1) M. Wright, op. cit., p. 155.

(2) Wb. Iv, 412, 10-11; A.H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, vol. I, Oxford, 1947, 183*, 193*; R.O. Faulkner, Aconcise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford, 1976, p. 216.

(3) D.B. Redford, "Egypt and Western Asia in the Old Kingdom", JAECE, XXIII (1986), p. 138.

(٤) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٨٤ - ٣٨٥.

(5) D.B. Redford, op. cit., p. 138.

لم يمكن معرفة المقصود بها ، ولكن نظراً للعثور فى المعبد الجنزى أيضا على تماثيل لأسرى أسيويين (١)، فإنه يمكن القول ، بأنه ربما تشير كلمة «مونتيو» إلى مجهود حربى مضرى فى فلسطين خلال عهد هذا الملك .

وتسجل نقوش لوحة مقبرة «ونى» فى أبيدوس والتى توجد حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة قيامه بعمليات عسكرية ضد الأسيويين وذلك فى عهد الملك ببى الأول ،فيذكر «ونى» فى نصه : «حين أراد جلالته أن يوقع العقوبة على الأسيويين الساكنين على الرمال جمع جلالته جيشا من عشرات الآلاف الكثيرة....» (٢) ، ولقد اختلف الباحثون فى معرفة المنطقة التى يقصد بها أولئك القوم الذين أطلق عليهم المصريون فى هذا النص *hryw - š*^{c} فيذكر جاردنر (٣) أنه من خلال دراسة طبيعة الحملة التى تكونت من جيش بالآلاف وكذلك ماورد في تقرير «ونى» من إشارات للتين والعنب ، فإن هذه العمليات الحربية قد وصلت إلى جنوب فلسطين، وعلى ذلك فإن تعبير «حريوشع» لا يشير فقط إلى أولئك البدو فى شبه جزيرة سيناء .

ويرى ويلسون (٤) أن هذا التعبير كان يعنى فى أول الأمر بدو الصحراء ، ولكنه أصبح اصطلاحا يطلق على الأسيويين ، ويذكر انه كما يظهر فى نص ونى فان «ساكنى الصحراء» هؤلاء كانوا يقومون بالزراعة ويبنون المنازل .

ويذكر «ونى» أنه قام بقيادة الجيش من (الجزيرة الشمالية او الحصن) و(بوابه ايمحتب) (٥) و(منطقة حورس سيد العدالة «سنفرو») ويرى

(1) Ibid., p. 138.
(2) Urk, 1, 98 - 110; J.A. Wilson, "Asiatic Campaigns under Pepi I", in: ANET, 1969, pp. 227-228.
(3) A.H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 97.
(4) J.A. Wilson, op. cit., p. 228, no. 3.
(5) Urk., 1, 102, 18, 103, 1.

R. Gundlach [1] أن المقصود بالحصن الشمالي أو الجزيرة الشمالية هي منطقة على حدود الدلتا الشرقية ، وربما توجد الآن في منطقة «قناة السويس» ، والمقصود بمنطقة حورس هي منطقة سنفرو في منطقة المناجم الواقعة إلى الغرب من سيناء ، وأما المنطقة المعروفة باسم «بوابة ايمحتب» فهي تقع بين المنطقتين السابقتين .

ويتضح من نص وني أن ساكني الرمال هؤلاء الذين توجه إليهم بحملته كانت أعدادهم كبيرة ويعيشون في أماكن محصنة ، ويعملون بالزراعة ، ومنها التين والعنب ، ولقد اضطر وني إلى الخروج اليهم في أربع حملات تالية للحملة الأولى ، على أقل تقدير ، كانت أربعة منها عن طريق البر، والخامسة عن طريق البر والبحر حيث حصر العدو فيهما بين فكي كماشة [2]، ومن المناطق التي ورد ذكرها في فلسطين في نص وني منطقة «أنف الغزال» التي يشير النص إلى أنها تقع إلى الشمال من أرض ساكني الرمال ، ويمكن القول بأنها منطقة جبل الكرمل وإن كان ذلك غير مؤكدا .[3]

أما عن سبب قيام هذه الحملات المتتالية لهذه المنطقة من جنوب فلسطين ، فيرجح أنها كانت لتأديب أهل هذه المنطقة الذين كانوا يهددون المصالح المصرية والحدود المصرية الشرقية ، وليس هدفها السلب والنهب ، فلقد كان أهل هذه المناطق أقل بالفعل من ناحية الثروة من مصر ، ولا يوجد لديهم ما يغري بالقيام بخمس حملات متتالية اشترك فيها آلاف الجنود المصريين بجانب بعض القوات من أهل النوبة الموالين لمصر من قبائل إرثت والمجاو وأيام وواوات وكاو وكذلك

(1) R. Gundlach, Die Zwangsumsiedlung aus wärtiger Bevölkerung als mittel ägyptischen Politik bis zum Ende des Mittleren Reiches, Stuttgart, 1994, pp 109 - 110.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٨٤ - ٣٨٥.

(3) M. Wright, op. cit., p. 154.

أهل ليبيا الموالين لمصر من التمحو . ومما قد يؤيد ذلك ماأشار اليه ونى من أنه لا أحد من جنوده الذين اشتركوا فى الحملة قد نهب مدنيا أو سرق أغذية من القرى التى عبروها [١].

وتوجد العديد من الإشارات إلى الأسيويين من عهد الملك بيبى الثانى ، حيث عثر فى معبده الجنزى على عدة تماثيل لأسرى أسيويين أيديهم مقيدة ، كما يوجد فى معبده الجنزى منظر للملك وهو يضرب عدوا ، وصاحب المنظر عبارة «نفر كارع، سيد الأراضي الاجنبية ، المونتيو (الاسيويون) يقومون بتحيته»[٢].

ولقد ورد فى الفقرة رقم ١٨٣٧ في متون الأهرام والموجهة إلى ببى الثانى : «لقد وضع مصر العليا تحت سيطرته ، ووضع مصر السفلى تحت سيطرته ، وأنه دمر حصون آسيا من أجله .. »[٣].

ويتضح من ذلك أن المصريين فى عصر الأسرة السادسة قد واجهوا ضغوطا من آسيا خلال هذه المرحلة ، وأن هذا العدد الكبير نسبيا من الحملات التى وجهت اليهم فى فترة زمنية قصيرة يشير إلى أنهم لم يكونوا مجرد أقوام بسطاء من البدو ، بل كانوا يمثلون فى الواقع أول موجه من الضغط الآسيوى الذى أزعج مصر بعد ذلك [٤] .

ب- علاقة مصر مع سوريه:

تشير الأدلة الأثرية التى ترجع إلى عهد الأسرة الثالثة إلى وجود علاقات بين مصر وسورية خلال هذه المرحلة ، حيث عثر فى هرم الملك «نثررخت» المدرج

---

(١) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول، منذ أقدم العصور حتي نهاية عصر الانتقال الثاني، القاهرة ١٩٨٨، ص٢٢٥.

(2) D.B. Redford, op. cit., p. 139.
(3) R.o. Faulkner, op. cit., p. 268.
(4) A.H. Gardiner, op. cit., p. 98.

على تابوت مصنوع من أربعة أنواع من الخشب ، أحدها مصرى أما الأنواع الثلاث الأخرى فهى الأرز والصنوبر والسرو ، وهى من الأخشاب التى توجد على الساحل السورى [1]، كما عثر فى جبيل على أوانى حجرية ترجع إلى الأسرة الثالثة، وعثر أيضا على قطعة من لوحة قربان في جبيل أيضا وهى تؤرخ بالأسرة الثالثة أو بداية الأسرة الرابعة ، ويشير النص المسجل عليها إلى اسم وألقاب الموظف المسئول عن الكتبة الملكيين الخاصين بالجالية المصرية التجارية فى جبيل [2].

وازدادت العلاقات مع جبيل منذ عهد الأسرة الرابعة حيث تسجل حوليات حجر بالرمو قيام الملك «سنفرو» بإحضار أربعين سفينة محملة بالاخشاب ، ولقد جاءت من مدينة عند جبل لبنان ، حيث أن مصدر هذه السفن لم يحدد ، ولكن من المتفق عليه بشكل عام ان هذه البعثة كانت قادمة من جبيل[3] واستخدمت هذه الاخشاب فى تشييد سفن كبيرة كان منها «سفينة تكريم (الأرضين)» [4] ويبلغ طول بعضها مائة ذراع أي نحو ٥٢ مترا، ويبدو أن عهد «سنفرو» كان ذا اهتمام خاص بالملاحة إذ ذكرت حولياته مشروعا لتشييد ستين سفينة لكل سفينة منها ستة عشر مجدافا دفعة واحدة [5]، كما استخدمت اخشاب الصنوبر لأبواب قصر سنفرو [6].

ولقد عثر فى الحجرة العلوية بهرم سنفرو الجنوبى (المنحنى) فى دهشور على عدد من عروق كبيرة من خشب الأرز ملتصقة بالجدران (شكل ٤٠) واثبت الفحص الدقيق لهذه الأخشاب انها ربما تكون نوعا من مظلة فوق التابوت

---

(١) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٨.

(2) W. Ward, op. cit., p. 21.

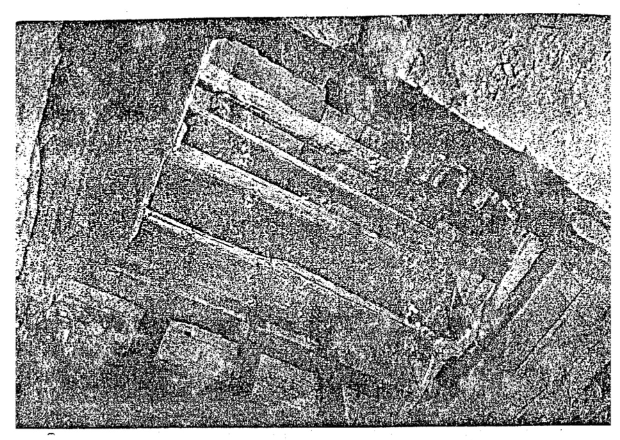
(3) M. Wright, op. cit., p. 146.

(4) G. Herm, op. cit., p. 34.

(٥) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص٣٢٦.

(6) M.S. Drower, op. cit., 346.

الموجود فى الحجرة [١]، ويــؤدى بعضهــا إلــى الآن مــا أقيمت من أجلـه فى تثبيت بعض كتل الاحجار أو حملهــا رغم مضى أكثـر من ثلاثة آلاف وستمائة عام [٢].



(شكل ٤٠) أخشاب الأرز داخل الحجرة العلوية في هرم «سنفرو» الجنوبي.

وازدادت أهميـة جبيل فى عهد الملك خوفو حيث أصبحت أكبر ميناء تجارى بين مصر وغربى آسيا، كما أصبحت السفن التى تتعامل مع جبيل أو المصنوعة من أخشابهـا تسمى «الجبيلية» أحيانا [٣].

(١) أحمد فخري: الأهرامات المصرية، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٣٤ - ١٣٥، شكل ٥٤.

(2) A. Fakhry. The Bent Pyramid of Dahshur, Cairo, 1954, p. 4.

(٣) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٢٢٨.

ولقد عثر فى معبد جبيل علي العديد من الأوانى التى تحمل اسماء بعض ملوك مصر خلال عصر الدولة القديمة ، ويختلف العلماء حول تأريخ هذا المعبد ، ولكن يغلب أنه ينتمى إلى عهد الأسرة الرابعة [١]. ويذكر أ.د. عبدالعزيز صالح أن هذا المعبد قد يكون آمورى الأصل، أراد الملوك المصريون أن يجاملوا أصحابه فأهدوهم هدايا ثمينة تحمل أسماءهم ، وقد يكون معبداً مصري الأصل شيدته جالية مصرية تجارية أقامت فى جبيل حيث قامت بعبادة أربابها المصرية فيه ، أو أن يكون معبداً مصَريا أقامه أمراء جبيل أنفسهم مجاملة للمصريين ، وتقبلوا فيه بعض العقائد المصرية، كما تقبلوا فيه هدايا الملوك المصريين [٢].

وتشير أقدم الطبقات المكتشفة فى هذا المعبد أنه شيد خلال عصر الدولة القديمة ثم أعيد بناءه فى فترة لاحقة عاصرت الدولة الوسطى فى مصر ، حيث خصص فى هذه الفترة اللاحقة للإلهة بعلة السورية [٣] . ويرجح أنه قد أحتوى على إحدى المقاصير فى فترة تأسيسه الأولى وأنها مخصصة للجالية المصرية المقيمة هناك لعبادة أربابها[٤].

ويوضح وجود المعبد ، والآثار التى اكتشفت فيه ، وجود علاقات ود وتسامح بين الجانبين المصرى والسورى خلال هذه المرحلة ، فلقد عثر على العديد من الأوانى الحجرية المصرية الصنع المدون عليها اسماء العديد من ملوك الدولة القديمة ، ولقد إزدادت هذه الأوانى اعتباراً من عصر الأسرة السادسة . ولم تقتصر الأوانى التى عثر عليها علي الملوك فقط بل وجدت أوانى أخرى سجل عليها اسماء بعض الموظفين المصريين الذين كانوا مكلفين ببعض الأعمال فى

(١) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٩.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٣٤.

(3) H. Frankfort, "Egypt and Syria in the First Intermediate Period", JEA, vol. XIV (1922) p. 84.

(4) H. Nelson, Fragment of Egyptian Old Kingdom Stone Vases from Byblos, I, Beuriets, 1934, p. 19.

جبيل . كما عثر على أوانى أخرى صغيرة الحجم مصنوعة باتقان ، وهى من طرز الأوانى التى كانت منتشرة فى مصر خلال عصر الأسرتين الأولى والثانية والدولة القديمة كما استلهم المعبد بعض العناصر المعمارية من طرز العمارة المصرية القديمة. (١)

ومما يشير إلى روح التسامح بين الطرفين ، عبادة الإلهة حتحور المصرية فى هذا المعبد حيث عثر على لوحة تشير إلى تقديم القرابين للإلهة حتحور ، التى اتخذت لقب «سيدة جبيل» ، وقد اتجه البعض إلى القول بان ذلك يعنى تشبيه حتحور المصرية ببعلة جبيل وهى سيدة جبيل ، ولكن الواقع يؤكد أن حاتحور قد ذكرت بنفس الطريقة فى عدة أماكن أخرى مثل حاتحور سيدة الفيروز فى سيناء، ومن ناحية أخرى فقد أتخذت المعبودة بعلة سيدة جبيل بعض رموز وزى الإلهة المصرية حاتحور، مما قد يشير إلى محاولة المصرى القديم التوفيق بين آلهته المحلية وبين الآلهة الأجنبية (٢) فى المناطق التى يوجد فيها، وربما كانت تلك محاولة من الانسان المصرى حتى لا يتخلى عن عبادة معبوداته فى المناطق الاجنبية التى يوجد فيها ، فكان يصبغ على الآلهة المحلية الاجنبية صفات آلهته المصرية.

ومما قد يشير إلى ذلك أيضا ، محاولة أهل جبيل استخدام الكتابة الهيروغليفية على بعض القطع الفنية الخاصة بحكامهم ، ويتضح ذلك فى أحد الاختام الخاصة بحاكم جبيل والتى حاول كاتبها السورى كتابتها بالهيروغليفية إلا أنه لم يستطع تنفيذ ذلك بنفس الاتقان الذى يقوم به الكتبة المصريون ، ومن ثم فقد خرج النص غير واضح نظراً لوجود خطأ فى توزيع العلامات (شكل ٤١). (٣)

(1) M. Wright, op. cit., p. 150.

(٢) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٩ - ١٠.

(3) M. Wright, op. cit., p. 151.



(شكل ٤١) ختم اسطوانى لأحد حكام جبيل مكتوب بالخط الهيروغليفى

وتثير مارى رايت Mary Wright العديد من التساؤلات حول هذا الختم ، فتذكر انه بالرغم من أن هذا الختم يستخدم غالبا لتحديد الدرجة الكبيرة التى تظهر التأثر من جانب جبيل بالحضارة المصرية ، فان مثل هذه التخمينات لابد من التعامل معها بحذر شديد ، فغير معلوم ما إذا كان هذا الختم قد تم صنعه فى مصر أو فى جبيل ، أو أنه كان مع حاكم جبيل لكى يحاكى أسلوب القصر المصرى، أو أنه منح له كهدية من مصرى ، ولو كان هذا الختم هدية ، فإنه ليس بالضرورة دليل على أن حاكم جبيل يقر بأسلوب القصر المصرى ، حيث لا يوجد دليل على أنه سبق واستعمله .[١]

ويرى بعض المؤرخين ، أنه نظراً لأن الأوانى التى عثر عليها بمنطقة المعبد لا تحمل دليلا على أنها وقف للمعبد ، فإنهم يرجحون إعتماداً على ذلك أنها كانت المقابل الذى يدفعه المصريون للخشب الذي يتم تصديره إلى مصر.[٢]

(1) Ibid., p. 151.
(2) R. Stadelmann, Syrisch-Palästinensische Gottheiten in Ägypten, Leiden, 1967, p. 6.

بينما يرى آخرون أنه يمكن النظر إليها على أنها أشياء نذرية مقدمة من المصريين لكى يكتسبوا حب وحماية الإلهة بعلة صاحبة المعبد ، التى عبدها المصريون فى شكل إلهتهم حاتحور، أو أنها قد منحت للمعبد كملكية شخصية خاصة للحكام السوريين .[١]

ولقد عثر فى معبد جبيل على آنية فى شكل قرد تؤرخ بعصر الملك خوفو[٢] ، وعثر على اسمه أيضا فى داخل سرخ على قطعة من آنية مصنوعة من الألبستر، كما عثر على جزء آخر من آنية من الألبستر تحمل الجزء الأخير من اسم الملكة مريت ايتس زوجة خوفو ، كما ظهر إسم الملك منكاورع منقوشا أيضا على قطعة آنية مصنوعة من الألبستر [٣]، أما اسم الملك خفرع فلقد ورد على ختم اسطوانى. [٤]

ويوجد على عارضة الباب الوهمى لمقبرة أحد الموظفين بالجيزة ويدعى «كبن ونتت» *kbn wntt* من عصر الأسرة الرابعة تسجيلا لاسم «كبن» ويعتبر هذا التسجيل من أقدم التسجيلات المصرية الخاصة باسم هذه المدينة ، ويلاحظ أن كلمة «كبن» فى النقش قد كتبت داخل علامة سياج محزز ، وهى العلامة التى كانت تستخدم فى الكتابة المصرية لرسم المدينة أو المستوطنة المحصنة . ويرجح أن يكون هذا الموظف سوريا وكان يقوم بانجاز نوع من التماثيل فى الإدارة المصرية الملكية .[٥]

ويلاحظ أنه لم يعثر على أدلة أثرية تحمل اسم أول ملوك الأسرة الخامسة الملك «أوسركاف» (٢٤٩٤-٢٤٨٧ ق.م) في منطقة جبيل ، رغم اتساع

---

(1) M. Wright, op. cit., pp. 150 - 151.

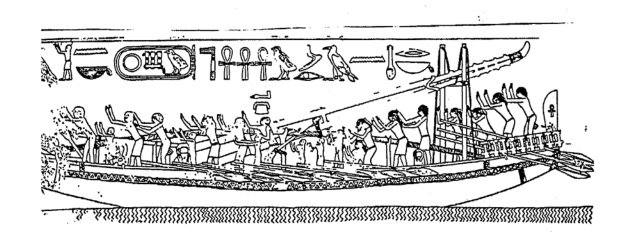
(٢) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٨.

(3) W. Ward, JESHO, 6, 1963, p. 21.

(4) W. S. Smith, in: CAH, vol. I, part II, p. 181.

(5) M. Wright, op. cit., p. 147; B. J. Kemp, op. cit., p. 147.

اتصالات مصر التجارية بفينيقيا عن طريق البحر. حيث تكثر الأدلة الأثرية فى الظهور منذ عهد خليفته الملك ساحورع (٢٤٨٧ - ٢٤٧٥ ق.م) حيث ظهرت فى نقوش معبده فى أبى صير مناظر اقلاع وعودة أسطول مصرى إلى شواطىء فينيقيا، ولقد صور الفنان الأسطول المصرى فى هيئة تعبر عن مدى قوة هذا الأسطول، ولقد خرج الملك بنفسه لاستقبال هذا الأسطول ، الذى عاد محملا بالبضائع وبعض السوريين ، ولقد سجل فوق أحد هذه المراكب (شكل ٤٢) نص جاء فيه «التحية لك ، يا ساحورع ، إله الاحياء ، ليتنا نشاهد بهائك» .[1]



(شكل ٤٢) إحدي سفن «ساحورع» العائده من جبيل

ويتضح من استقبال الملك لهذا الأسطول مع كبار حاشيته ، وما تضمنه الأسطول من وجود مترجم مع الأسطول أن هذه الرحلة قد حظيت باهتمام خاص

(1) D. B. Redford, Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times, Fig. 4, p. 52.

من الجانب المصرى وأن هذا الاسطول لم يذهب للحرب أو التجارة وانما كان فى رحلة ودية إلى تلك البلاد . وان رأى البعض انها كانت للتجارة وذلك لاحضار الأخشاب الثمينة من هناك [١] حيث أن الاهتمام الكبير باستقبال هذا الاسطول يشير إلى كونه يمثل حدثا غير عادى . رأى بعض العلماء فيه أنه ربما كان يحمل أميرة من هذه البلاد لتصبح زوجة للملك ساحورع . [٢]

ولقد تناول مونتيبه بالدراسة مناظر هذه الرحلة ، وخرج من دراسته بفكره محورها ، أن هذه الرحلة كانت متجهة إلى جبيل لإحضار أميرة من هناك ليتزوجها «ساحورع» ، سميت هذه الاميرة «نفرت» حيث يقترح مونتيبه أن وجهة السفن كان متجهه إلى بلد صديق ، حيث لا يوجد على متن السفن جندي واحد سواء فى مناظر الذهاب أو العودة وكانت السعادة والبهجة تعم المكان وتغمر الفرحة الجميع وهم يلقون بتحياتهم للملك ، ولم تكن تحمل السفن فى رحلة العودة البحارة المصريين وحدهم ، بل كان على متنها مجموعة من الأجانب لهم شعور طويلة وهم من السوريين وكانت معهم زوجاتهم وأولادهم . [٣] ولم يكن هؤلاء الاجانب السوريين من الأسرى حيث لم يتم تقييدهم بالأغلال والقيود . بل كانوا يتحركون بحرية تامة ، فهى ليست رحلة تأديبية ولم تكن لغرض الغزو ، بل هى رحلة سلمية .

ويرى أ.د. عبدالعزيز صالح فى تفسيره لمناظر هذه الرحلة بأنه اذا صح الاعتقاد بأن هذه الرحلة كانت لغرض احضار أميره تزوجها الملك «ساحورع» ، فإن ذلك أقدم دليل على اتخاذ مصاهرات الملوك والبيوتات الحاكمة سبيلا إلى تدعيم العلاقات الدولية بين الشعوب. [٤]

---

(1) W. S. Smith, CAH, vol., I, part. 2. p. 183.

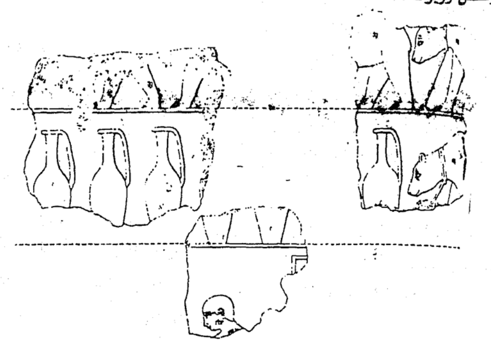
(٢) عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٧، ص٦٤.

(3) P. Montete. "Le Roi Sahure et la princesse Liontaine" in Mel. Dussaud. Tome 1, Paris, 1939, pp. 191 - 194.

(٤) عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، جـ١، القاهرة، ١٩٩ ، ص١٤٢

هذا وتؤيد الباحثة الرأى القائل بأن هذه المناظر المصورة تشير إلى رحلة سلمية عادت وعلى متنها أميرة ليتزوجها الملك ساحورع ، وذلك اعتمادا على استقبال الملك بنفسه لهذه الرحلة ، ويدعم ذلك طبيعة العلاقات الودية التى كان تربط بين مصر وسورية خلال هذه المرحلة ، ويرجح أن البضائع التى وجدت على ظهر السفن كانت هدايا أحضرتها الأميرة معها .

ومما يشير إلى طبيعة العلاقات الودية المتسمة بالطابع التجارى بين مصر وسورية خلال عهد «ساحورع» ، ما صور على جدران معبده الجنزى من مناظر للأوانى السورية التى تتميز بكونها أوانى طويلة ولها مقبض واحد (شكل ٤٣)[1] وكانت تحتوى هذه الأوانى على منتجات هذه المنطقة من نبيذ وعسل وزيوت .



(شكل ٤٣) منظر لأوانى السورية على جدران معبد «ساحورع»

(1) W. S. Smith, Interconnections in Ancient Near East, London, 1965, p. 7, Fig 7.

وعثر على بقايا علامتين هيروغليفتين من اسم الملك «تقر اير كارع» (٢٤٧٥ - ٢٤٥٥ ق.م) على شقفة آنية مرمرية وذلك فى جبيل [١]، وعثر فى هذه المنطقة على جزء من تمثال للملك «نى وسررع» [٢](٢٤٤٥ - ٢٤٢١ ق.م) كما عثر على اسم الملك «جد كارع» (٢٤١٤ - ٢٣٧٥ق.م) على شقفة آنية مرمرية [٣] . وظهر اسم الملك «ونيس» آخر ملوك الأسرة الخامسة (٢٣٧٥ -٢٣٤٥ ق.م) فى البقايا الأثرية التى كشف عنها فى جبيل. [٤]

وبمجىء الأسرة السادسة تصبح الأدلة الأثرية أكثر وفرة وتنوعا، فلقد عثر على اسم الملك «تتى» أول ملوك هذه الأسرة (٢٣٤٥ - ٢٣٢٣ ق.م) فى منطقة معبد جبيل ، وتزداد هذه الآثار فى عهد الملك «ببى الأول» (مرى رع) (٢٣٢١ - ٢٢٨٧ ق.م) ومن هذه الآثار آنية مصنوعة من الألبستر عثر عليها فى معبد بعلة جبيل بالقرب من جبيل وهى توجد فى متحف الآثار بالجامعة الامريكية فى بيروت، وتجدر الاشارة إلي أن النقوش المنسجله عليها (شكل ٤٤) تسجل الاحتفال بعيد سد للملك «ببى الأول» . [٥] وتكرر نفس الأمر بالنسبة للملك "ببى الثانى" (٢٢٧٨ - ٢١٨٤ ق.م) ، ويرجح أن هذه الأوانى قد أرسلت كهدايا ملكية فى مناسبة احتفال محلى لنفس الحدث الهام ، أو أن تكون هذه الأوانى خاصة بالمصريين المقيمين فى جبيل وأنهم قاموا بهذه الاحتفالات مشاركة للمصريين فى مصر . [٦]

---

(١) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٨.

(2) B.V. Bothmer, "A bust of Ny-user-ra From Byblos in Beirut, Lebanon", Kemi, 21 (1971), pp. 11-16; B. J. Kemp, op. cit., p. 146.

(٣) رشيد الناضوري: المرجع السابق، ص٨.

(٤) رمضان السيد: المرجع السابق، ص٢٢٣.

(5) M. Wright, op. cit., p. 149.

(6) M., S. Drower, op. cit., p. 345 - 346.



(شكل ٤٤) نقش آنية من الألبستر للملك «ببى الأول» عثر عليها فى جبيل

ويلاحظ أنه خلال عـهـد الملك «ببي الأول» و «ببى الثـانى» أرسلت إلى جبيل أوانى صغيرة الحجم مصنوعة من الحجر وشكلت في هيئة قرود قصيرة

وعريضة وهى ترضع صغارها ، وربما تم تصميم هذه الأوانى من أجل الزيوت المقدسة التى كانت تستخدم فى الطقوس الخاصة بالعبادة .(١)

ولقد عثر على بعض لوحات الزينة المستخدم فيها بعض الزيوت المستوردة اعتبارا من الدولة القديمة ، ولقد عثر على بعض منها فى حجرة دفن هرم الملكة «ابوت» زوجة الملك ببى الثاني في سقارة.(٢) ولقد تضمنت هذه اللوحات المصنوعة من الألبستر أسماء السبعة زيوت المقدسة التى كان يتم الحصول عليها من سورية وليبيا والنوبة وبونت ، وكانت تستخدم فى آداء بعض الطقوس الدينية والسحرية واستخدمت أيضا للأحياء .(٣)

وبالإضافة إلي الآثار التى تحمل اسماء ملكية والتى عثر عليها فى جبيل، فلقد عثر على بعض الآثار الخاصة ببعض الموظفين المصريين فى هذه المنطقة ، ومن هذه الآثار لوحة قربان مصنوعة من الألبستر تخص أحد الموظفين المصريين ويدعى «نفر سشم رع» الذي كان كاتبا ومقيما فى جبيل للإشراف على تقارير وتسجيلات التجارة المصرية .(٤)

وتعبر بعض النقوش التى عثر عليها فى مصر عن طبيعة العلاقات بين مصر وسورية خلال عصر الأسرة السادسة ، ومن هذه النقوش التى ترجع إلى بداية الأسرة السادسة ، نقش سجله الملاح المصرى خنوم حتب فى مقبرة «خوى»

---

(1) Ibid., p. 345.

(2) S. Taufik, Die Alabaster Palatten fur die Sieben Salbole in Alten Reich, GM, 30, 1978, p. 77.

(3) Ibid., p. 80.

من هذه الزيوت التي استوردت من سورية: زيت عش ^{c}s وزيت stf وهما مستخرجان من خشب الارز، وزيت عنو وهو يستخرج من خشب العرعر الصنوبري، وزيت المورنجا وهو مستخرج من نوع من الاشجار الموجودة في هذه المنطقة.

(4) W. Ward, "The Inscribed Offering - Table of Nefer-Seshem - Ra from Byblos", BMB, 17, (1964), pp. 3- 46.

في منطقة أليفنتين ، وذكر فيه أنه ذهب مع كل من ثثى وخوى إلى كبن (جبيل) وبونت [١] ولم يحدد النص الغرض من هذه الرحلة ، ولكن يرجح أنها كانت بهدف أعمال تجارية ، حيث ورد فى نقوش مقبرة ثثى الموجودة فى أليفنتين إن (ثثى) كان أحد الذين أحضروا منتجات البلاد الأجنبية الجنوبية للملك ، وقد يستدل من ذلك أن «خوى» وصديقه «ثثى» كانا مسئولان بشكل ما عن العلاقات التجارية الخارجية لمصر فى كل من جبيل وبونت [٢]، ويوجد أيضا نقشان على صخور وادى الحمامات وقد ظهر فيهما اسم وألقاب الموظف «ثثى» والذى يؤكد نيو - برى [٣] أنه نفس الشخص الذي ذكر اسمه فى مقبرة أليفنتين ، وتسجل هذه النقوش اشتراك هذا الموظف فى بعثه إلى بلاد أجنبيه ، وهو الأمر الذى قد يؤكد اشتراكه فى أعمال التجارة الخارجية الملكية خلال هذه المرحلة .

ولقد سجل «ببى نخت» على جدران مقبرته بالفنتين أنه قد كلف من قبل الملك ببى الثاني ليقوم بإحضار قائد مصرى وبحار هو «عنخت» من أرض العامو وكان هذا القائد قد كلف ببناء مركب «كبنت » للابحار بها إلي بونت. [٤] ولكنه هُزم هو ومن معه من قبل الآسيويين وساكنى الرمال، ولكن عندما ذهب ببى نخت بحملته بحراً حتى جبيل لاحضار القائد ومن معه لم يجد أحدا منهم على قيد الحياة . [٥]

وتجدر الاشارة إلى أن مركب «كبنت» تشير إلى المراكب الصالحة للإبحار ومواجهة العواصف ، وهو التعبير المضاد للمراكب الأصغر التى تستخدم فى الملاحة النهرية ، ولا يوجد لدينا ما يؤكد عما إذا كانت هذه السفن تصنع فى

(1) Urk., I, 140 - 141.
(2) M. Wright, op. cit., pp. 147-148.
(3) P.E. Newberry, "Three Old Kingdom Travellers to Byblos and Pwent", JEA, 24 (1938), pp. 182 - 183.
(4) Urk., I, 134, 13 - 15.
(5) R. Gundlach, op. cit., p. 134.

جبيل حيث توجد الاخشاب ، أم أنها كانت تصنع فى مصر من أخشاب جبيل، وسميت بهذا الأسم لأنها استخدمت فى أول الأمر فى التجارة البحرية مع جبيل.[1]

ومنذ النصف الثانى من عهد الملك «ببى الثانى» بدأت العلاقات مع سورية في التوقف حيث توقفت تماما عند نهاية عصر الدولة القديمة.[2] ويرى بعض الآثاريون حدوث حريق في جبيل بعد عهد الملك «ببى الثانى» ، فقد لاحظوا في أعمال الحفائر وجود رماد يقع فى مستوى الطبقة التى عثر فيها على آثار من عهد ببى الثانى ، وأن طبقة الرماد كانت سميكة، وقد عثر فيها على أجزاء من إناء يحمل اسم ببى الثانى ، وقد تكلست هذه الأجزاء بفعل الحريق، وتكفى هذه الأكوام من الرماد لتوضح ما أصاب هذه المنطقة من دمار .[3]

ولقد كان لطابع العلاقات الودية بين مصر وسورية القائم على العلاقات التجارية أثره فى تأثر أهل هذه المنطقة ببعض مظاهر الحضارة المصرية المادية والفكرية ، ففى المجال المادي ، تأثر أهل جبيل بالملابس المصرية وتزينوا بالحلى المصرية ، [4] ومن الناحية المعمارية أخذوا من المصريين تقنية قطع الأحجار وبناءها بالطريقة المصرية واستخدام بعض طرز العمارة المصرية مثل الأفاريز .[5]

وفى المجال الفكرى ، فلقد حاول بعض الباحثين ايجاد علاقة بين أسطورة أوزير والأساطير الكنعانية ، وذلك من حيث أوجه التشابه بين موت وظهور الإله مرة أخرى فى الأساطير الكنعانية وبين أوزير بل وحاولوا أن يجعلوا من أوزير

---

(1) M. Wright, op. cit., p. 148.
(2) J. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, 102.
(٣) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، القاهرة، ص١١٤.
(4) G. Herm, op. cit., p. 35.
(5) M. Dunand, op. cit., p. 40.

إلها سوريا ، وكذلك بين المعبود السامى الغربى «بعل» و «خبرى» (الجعل).[1]
إلا أنه يلاحظ أن عملية المقارنة بين المعبودات والعقائد الفكرية المختلفة يمكن أن تؤدى إلى بعض النتائج المتمثلة فى بعض أوجه التشابه وكذلك بعض أوجه الاختلاف، وعلى ذلك فان بعض الباحثين اليوم الذين يقومون بالدراسة المقارنة بين الأديان القديمة يفضلون التعامل مع كل معبود حسب طبيعته الوطنية والبيئة التى ظهر فيها ودوره بين المعبودات المحلية ، وهو ما تفضله الباحثه .

وفى نهاية دراستنا لعلاقات مصر مع سورية خلال عصر الدولة القديمة نتناول علاقة مصر مع إبلا (تل مرديخ) ، حيث كشفت الحفائر التى أجريت في هذا الموقع وذلك فى منطقة القصر الملكى(G) والذى تؤرخ بقاياه الأثرية بالفترة من ٢٧٠٠ - ٢٢٥٠ ق.م عن ثلاثة قطع من أوانى حجرية ، تحمل إثنتان منهما نصوصا هيروغليفية قصيرة عبارة عن أجزاء من مجموعة القاب الملك «خفرع» ، أما القطعة الثالثة فهى تحمل اسم الملك «ببى الأول»[2]، وهى عبارة عن غطاء لآنيه اسطوانية مصنوعة من الالبستر .

ويثور التساؤل حول وجود هذه الأوانى المصرية داخل القصر الملكى فى إبلا، هذه المدينة التى تعتبر أبعد نقطة فى الشمال وفى الشرق وصلت إليها آثار مصرية يعود تاريخها إلى عصر الدولة القديمة ، ويفترض للإجابة على هذا التساؤل ثلاثة افتراضات ، الأول ، يحتمل وجود روابط مباشرة بين بلاط إبلا والبلاط المصرى ، وأن يكون ملوك إبلا قد قايضوا تلك الأوانى بقطع من اللازورد ، وهو الحجر الذى كان يستخدم فى صناعة الحلى ، ومن المحتمل أن

(1) D. B. Redford, op. cit., pp. 43 - 44.
(2) P. Matthiae, Ebla, An Empire Rediscovered, Translated by C. Holme, London, 1980, p. 9.
M. Roaf, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Neart East, Oxford, 1990, p. 89.

هذه البضاعة كانت تصل إلى البلاط المصرى من سورية الشمالية بطريق القوافل أو بطريق البحر من الميناء الذى جعله ملوك إبلا الميناء الرئيسى على ساحل البحر المتوسط حينذاك ، ومن الممكن أن يكون هذا الميناء «أوجاريت» التى ورد ذكرها كثيرا فى قائمة الاسماء الجغرافية فى نصوص إبلا .

والفرض الثانى ، أن تكون إبلا قد جلبت تلك الأوانى المصرية من ميناء جبيل على الساحل السورى ، ويعتمد هذا الفرض علي حقيقة ما عثر عليه فى جبيل من أوانى حجرية عليها بعض أسماء ملوك مصر من عصر الدولة القديمة ، بحيث أصبح من المؤكد أن مصر كانت تصدر مثل هذا النوع من الأوانى الى الموانى السورية ، ويرجع أن جبيل كانت تحتكر الحركة التجارية لبلاد الشام الداخلية ، حيث كان تتم فى أسواقها المقايضة بين البضائع المستوردة من مصر والمصدرة اليها ، اما الفرض الثالث ، فهو أن تكون هذه الأوانى قد وصلت إلى إبلا نتيجة غزو إبلا لمدينة جبيل وهو أضعف الفروض [1].

ثانياً : علاقة مصر مع النوبة :

وفيما يتعلق بالعلاقات المصرية النوبية فى عصر الدولة القديمة، فقد اختلف الباحثون حول ما يقابل عصر الدولة القديمة فى النوبة، فهناك من يرى أنه يعاصر أصحاب المجموعة الحضارية الثانية والتى تتميز بفقرها كما يتضح من قلة ورداءة مخلفات أصحابها وانهم ينحدرون من نفس عنصر المجموعة الأولى ، وهناك من يرى أن أصحاب المجموعة الحضارية الثانية ما هم الا عناصر من المجموعة الثالثة، عاشت فى ظروف سيئة فانحدرت حضارتهم ، وخلفت تلك الآثار التى تقل فى الجودة عن آثار المجموعة الثالثة فى بداية عهدها [2].

---

(١) علي القيم: امبراطورية إيلاء دمشق، ١٩٨٩، ص١٤٥ - ١٤٧.
(٢) محمد ابراهيم بكر: المرجع السابق: ص٣٤.

ويضع «سميث» عصر الأسرتين الأولى والثانية (فى مصر) مقابل اصحاب المجموعة الحضارية الأولى ثم يشير إلى وجود فجوه فى النوبة تعاصر الأسرات من بداية الثالثة وحتى نهاية الخامسة، ويجعل الاسرات من السادسة إلى نهاية الثامنة معاصرة لبدايات المجموعة الحضارية الثالثة فى النوبة [١].

ومن خلال دراسة الأدلة الاثرية والنصية فى هذه الفترة يتضح تزايد العلاقات المصرية والنوبية فى عصر الدولة القديمة نتيجة لاعتبارات كثيرة، أهمها اعتبار المصريين منطقة النوبة السفلى القريبة من اسوان متممة لحدودهم الجنوبية، كما كان لها دور فى الاقتصاد المصرى باعتبارها المنجم الطبيعى لاستخراج الذهب الذى تزايدت حاجة الملوك اليه، وكذلك بعض الأحجار الكريمة مثل العقيق والجمشت[٢]، إلى جانب حرص المصريين على استغلال محاجر الديوريت التى بدأ استخدامها منذ عصر الاسرة الرابعة على اقل تقدير، ورغبتهم فى فتح أسواق للتبادل التجارى فى مناطقها المسكونة[٣].

وفيما يتعلق بالعلاقات المصرية مع النوبة فى عصر الأسرة الثالثة، فيتضح من وجود بعض السلع النوبية فى مقابر ملكية ومقابر خاصة بالافراد إلى إستمرار النشاط التجارى بين البلدين، فقد وجدت قطع من خشب الأبنوس الذى كان يستورد من النوبة أسفل الهرم المدرج الخاص بالملك «نثررخت» بسقارة [٤]، وكذلك فى مقبرة حسي رع بسقارة [٥]، كذلك أشارت بعض نصوص مقابر

(1) S.T. Smith, Askut in Nubia. The Economics and Ideology of Egyptian Imperialism in the Second Milennium B. C., London and New York, 1995, p. XIII.

(2) J. H. Taylor, Egypt and Nubia, BM Press, 1991, p. 6.

(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٨٨.

(4) A. Lucas, "The wood of Third Dynasty plywood coffin from Saqqara", ASAE, 36, 1936, p. 2.

(5) J. E. Quibell, The Tomb of Hesy, Cairo, 1913, p. 28.

الأفراد إلى اسماء السلع التى كان مصدرها النوبة وعلى رأسها زيت الحكنو الذى ورد فى نصوص مقبرة حسي رع بسقارة وايضاً بمقبرة حع باوسكر بسقارة [1].

ورغم هذا النشاط التجارى كان المصريون حريصون على حماية حدود بلادهم الجنوبية، فنجح الملك نشررخت بجهوده العسكرية فى السيطرة على القبائل النوبية جنوب الجندل الأول [2].

ووجدت قطعة من الجرانيت الاحمر ذات شكل مخروطى نقش عليها خرطوش يحمل اسم الملك «حونى» اخر ملوك الاسرة الثالثة وعثر عليها فى اليفنتين، وقد سجل على هذه القطعة تأسيس بناء، اتجه سميث إلى القول بأنه يشير إلى الاستحكام أو الحصن الذى شيده الملك حونى فى هذه المنطقة لتأمين حدود مصر الجنوبية [3].

أما فى عصر الاسرة الرابعة فقد ازدادت العلاقات المصرية النوبية وظهر ذلك من خلال ظهور السلع النوبية – ليس فقط فى الاستخدامات الملكية – ولكن فى مقابر الملكات والافراد بشكل واضح مما يشير إلى استمرار النشاط التجارى بين البلدين، وكذلك فى الحملات العسكرية التى خرجت من مصر إلى الجنوب، بالإضافة إلى إقامة مستوطنه مصرية فى منطقة بوهن الشمالية، وزيادة استغلال المحاجر فى شمال شرق ابو سمبل وشمال غرب توشكا.

وقد أشارت بعض نصوص مقابر الأفراد إلى أسماء السلع التى كان

---

(1) W. Barta, Die alt ägyptische Opferliste, MAS, 3, 1963, p. 33.

(٢) نبيلة عبد الحليم: نشأة وتطور العلاقات السياسية المصرية ببلاد النوبة خلال العصر التاريخي، مجلة كلية الأداب، جامعة الاسكندرية، العدد ٣١، ١٩٨٤، ص٢٧.

(3) W.S. Smith, "The Old kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate period" in: CAH., vol. I, part 2, Cambridge, 1971, p. 159.

هذه القطعة محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة تحت رقم ٤١٥٥٦ ويرجع الفضل في اكتشافها إلي لبيب حبشي.

مصدرها بلاد النوبة، فذكر اسم زيت الحكنو ضمن نصوص القرابين الخاصة بمقبرة «رع حوتب ونفره» بميدوم وكذلك وردت الاشارة إلى البخور الذى كان يتم الحصول عليه من النوبة ويعرف باسم *sntr* فى نفس المقبرة السابقة[١]. واستخدم خشب الابنوس والذهب على سبيل المثال فى مقبرة الملكة «حتب حرس» زوجة الملك «سنفرو» بالجيزة، فى تطعيم سريرها ومقعدها ومحفتها. وصفحت برقائق الذهب، وصنعت ملاعقها من الذهب[٢].

وهذه الإشارات وهى قليل من كثير تشير إلى استمرار النشاط التجارى بين مصر وبلاد النوبة فى عصر الاسرة الرابعة.

وأشارت حوليات الملك سنفرو الواردة على حجر بالرمو إلى قيامه بارسال حملة عسكرية إلى النوبة، وجاء فيها:

ضرب النحسيو، إحضار سبعة الاف اسير، و٠٠٠ر٢٠٠ رأس ماشية[٣].

ورغم أن النص قد اشار بإيجاز إلى الحملة ، فإنه من غير المرجح أن هذه الحملة الحربية قد أرسلت لوقف تسرب مجموعات نوبية قليلة العدد ناحية الشمال، ولكن الاكثر احتمالاً انها كانت موجهة ضد قبائل نوبية كانت تعيش إلى الجنوب من بوهن وكانت ذات كثافة سكانية مرتفعة وكانوا يحترفون تربية الماشية، ولاسيما ان هذه الغنيمة التى استولى عليها سنفرو وعاد بها إلى مصر من المستبعد ان تكون من النوبة السفلى[٤]، وان كان هناك من يرى أن هذه الارقام التى وردت فى حوليات «سنفرو» مشكوك فى امرها ومبالغ فيها[٥].

(1) T.S. Soderberg, Agypten und Nubien, Lund, 1941, p. 22.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٣٠.

(3) Urk., I, p. 236.

(4) B. Trigger, op. cit., p 47.

(5) B. Gratien, "La Bass nubia a l'ancien impire: egyptiens et autochtones" JEA, vol. 81, 1995, p. 44-45.

ومن المرجح ان سنفرو قد ارسل هذه الحملة لعدة اغراض منها تأمين الطريق امام البعثات المصرية المتجهة إلى المحاجر جنوب غرب توشكا وايضاً المتجهة إلى مناجم الذهب فى جنوب شرق وادى العلاقى، وكذلك تأمين الطريق التجارى إلى جنوب الجندل الثانى[١].

وقد استخدمت هذه الأعداد الكبيرة من الأسرى الذين جلبهم سنفرو كخدم فى البلاط الملكى، واستمر نسلهم فى العمل بهذا المجال فى عصر الأسرة الخامسة[٢].

وان كان Meurer يرى ان هؤلاء الأسرى قد تم توطينهم فى شرق الدلتا فى الاقليم الثالث عشر والرابع عشر من أجل توسيع الاراضى التابعة للدولة والاستفادة منها[٣].

وقد أدت حملة سنفرور إلى اخضاع سكان هذه المنطقة مما اتاح الفرصة لارسال البعثات التعدينية والقوافل التجارية وتوفير الامن والامان لها.

ووجدت اشارة فى منطقة Khor el Aquiba تؤرخ بأواخر عصر الاسرة الرابعة ورد فيها ارسال حملة عسكرية إلى النوبة السفلى مكونة من ٢٠,٠٠٠ رجل قوى، وأنها نجحت فى اسر ١٧,٠٠٠ من النوبيين، وانهم احضروا إلي مصر كأيدي عاملة.[٤]

ولم يرد بالنص تحديد الملك الذي ارسلت الحملة في عهده.

---

(1) A. Schulman, "Beyoned the Fringe Sources for Old Kingdom foreign affair" JSSEA, IX, No. 2, 1979, p. 82.

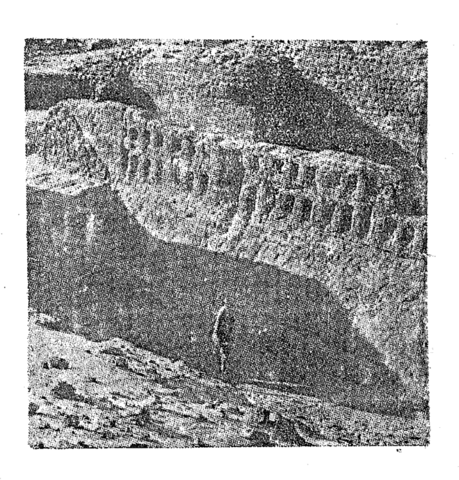
وكذا نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة، القاهرة، ١٩٩٣، ص٨٤

(2) S. Smith, "A model for Egyptian Imperialism in Nubia" in : GM, 122, 1991, p. 81.

(3) G. Meurer, Nubier in Agypten bis Beginn des Neuen Reiches, AR 13, Durring, 1996, p. 100.

(4) B. Gratien, op. cit., p. 45.

واثبتت الاكتشافات التى تمت فى النوبة منذ عام ١٩٦٠ وما يليها وجود مدينة مصرية محصنة بمنطقة بوهن الشمالية التى تقع بالقرب من النهاية الشمالية للجندل الثانى، وهذه المدينة كانت محصنة بحوائط حجرية خشنة يصل ارتفاعها إلى متر ونصف، ووجد أيضا بقايا خندق حجرى يحف بالنهر ليدعم كفاءتها الدفاعية، وعلى جانبى الجدار على مستوى اعمق وجدت ثلاثة افران محفوظة جيدا كان يصهر فيها النحاس الخام[1]. (شكل ٤٥) .



(شكل ٤٥) أطلال مستوطنة بوهن

(١) ووالتر امري: المرجع السابق، ص١١٢ - ١١٦.

وعثر فى الموقع على طبعات اختام طينية ورد عليها اسماء ملوك من الأسرة الرابعة[1] وهم «خفرع» و«من كاورع» ، كما وجدت كمية كبيرة من الفخار المصرى الاحمر الجوجنى الشكل الذى ينتمى إلى النوع المعروف لرجال الاثار بسلطانية ميدوم والذى يرجع إلى الأسرتين الرابعة والخامسة، وتقدر نسبة الفخار المصرى فى هذا الموقع بنحو ٩٥٪، بينما لا يزيد وجود الفخار النوبى عن ٥٪، وهو ينتمى إلى اصحاب المجموعة الحضارية الثانية بالنوبة[2].

ومن المرجح أن المستوطنة كانت مصرية خالصة، وان النوبيين لم يكن لهم وجود بها، ربما لانهم أصبحوا أقلية ضعيفة بعد احتلال المصريون لوطنهم، وأن هذا الفخار النوبى الذى وجد بالمنطقة قد جاء مع التجار أو الأسرى النوبيين الذين استخدمهم المصريون فى هذا الموقع[3].

ومن خلال كمية الأوانى والبردى والأختام التى عثر عليها فى هذا الموقع يتضح إنه كان هناك اتصال دائم بين الادارة فى هذه المدينة وبين الحكومة المركزية فى العاصمة منف سواء كان ذلك عن طريق الواحات الداخلة والخارجة أو عن طريق واحات كوركور و دنقل وطريق توشكا أو باستخدام الطريق النهرى عبر ألفنتين وكوبان وتوماس[4].

ومن خلال البقايا الأثرية المصرية التى كشفت عنها فى هذا الموقع يمكن

---

(١) يري سميث أن الطبقات المبكرة في هذا الموقع يمكن ان تنسب إلي عصر الأسرة الثانية، وذلك اعتمادا علي حجم قوالب الطوب اللبن وكذا اعتمادا علي اختام الجرار البالية بدرجة كبيرة، ويدعم هذا الرأي استخدام طريقة الكربون ١٤ المشع في تحديد تأريخ بعض بقايا هذه الطبقة، وكذلك النقوش الموجودة علي التل القريب من هذه المنطقة تعطي تاريخا مبكرا لهذه الآثار عن الاسرة الرابعة، انظر:

H. S., Smith, "The Rock inscripitions of Buhen" in: JEA. 1972, pp. 43 - 61.

(٢) ووالتر امري: المرجع السابق، ص١١٦.

(3) B. Trigger, op. cit., p. 46.

(4) B. Gratien, op. cit., p. 46.

القول بأن العمران المصرى الحقيقى لمنطقة النوبة السفلى والسيطرة المصرية عليها، ربما كان بعد حملة سنفرو مباشرة أو قبل ذلك، أذ ان هجمات الملك «خع سخم »فى اواخر الأسرة الثانية، ومن بعده حملة «سنفرو» كان لها اثرها فى تحقيق سيطرة مصرية في النوبة، ويؤيد ذلك الاثار والنصوص المصرية التى تسهب فى الحديث عن ارسال البعثات التعدينية والتجارية نحو الجنوب دون أن تعترضها العقبات الممثلة فى اصحاب الحضارات المحلية كما كان يحدث فى الماضى(١).

وكان الهدف الأساسى من اقامة الملوك المصريين للمستوطنة المصرية فى بوهن هو السيطرة على النوبة السفلى وذلك بواسطة إقامة مراكز دائمة لهم فى هذه المنطقة، وايضا لإتخادها كقاعدة لمواصلة التجارة مع الجنوب(٢)، كما انها اتخذت كمدينة سكنية محصنة لحماية العمال المصريين والمشتغلين بصهر النحاس وايضاً للسيطرة على مصادره فى تلك المنطقة التى يرجح أنها كانت فى مكان ما شمال السودان(٣).

وأدى الاستقرار المصرى فى بوهن منذ الأسرة الرابعة على الأقل إلى تحقيق طموحات الحكومة المصرية فى مجال التجارة وازدهار اقتصادها وكذلك السيطرة على المواد الخام التى تزايدت الحاجة الملكية اليها من بلاد النوبة (٤).

كذلك فإن وجود الفخار المصرى والأوانى الحجرية المصرية فى منطقة كوبان والتى تؤرخ ببدايات الدولة القديمة يمكن أن تعد دليلاً على وجود مستوطنة

---

(١) محمد ابراهيم بكر: المرجع السابق، ص٣٥، وكذا

B. Gartien, op. cit., p. 45.

(2) B. J, Kemp, op. cit., pp. 124 - 125.

(٣) ووالتر امري: المرجع السابق، ص١١٥.

(4) B. Winkehman, Buhen, KMT, 6 No. 2, 1995, p. 74.

مصرية فى هذا الموقع، وان بوهن لم تكن المستوطنة المصرية الوحيدة فى النوبة السفلى[١]، أو انها على أقل تقدير تشير إلى وصول البعثات المصرية حتى كوبان أو بالقرب منها لاستغلال مناجم الذهب بوادى العلاقى[٢]، وهذا الموقع اصبح فيما بعد حصناً كبيراً فى عصر الدولة الوسطى، حيث انه يحتل موقعاً استراتيجياً فى مواجهة مدخل وادى العلاقى.

وفيما يتعلق بالتوسع فى ارسال البعثات لجلب الأحجار فى عصر الأسرة الرابعة، فقد عثر على إسم الملك «خوفو» منقوشاً على المحاجر التى تقع فى شمال شرق أبو سمبل وشمال غرب توشكا وعلى مقربة من طريق القوافل الذى يصل بين أسوان ودرب الاربعين، واطلق رجاله عليها اسم منطقة «مصايد خوفو» واستغلوا فيها منجم الجمشت وقطعوا حجر الديوريت وهو اقسى الاحجار المصرية صلابه، ونقلوا عددا من كتله الضخمة نحو ٧٥٠ ميلا إلى عاصمتهم ليصنعوا منها تماثيل ملكهم وربما ليرصعوا بها ارضية معبده فوق هضبة الجيزة[٣]. ويفهم من حوليات «خوفو» انه نحت له أربعة عشر تمثالا تمثله وهو واقفا دفعة واحدة، ووجدت بقايا كثيرة متناثرة لتماثيله قرب هرمه[٤].

كذلك وجد اسم كل من الملك «جدف رع» و «خفرع»[٥] منقوشا على هذه المحاجر، وقد استخدمت احجارها فى نحت تماثيلهم، ومنها تمثال الملك خفرع الشهير الذى وجد فى معبد الوادى الخاص به فى الجيزة .

(1) B. Trigger, op. cit., pp. 46-47
(2) H.S. Smith, and L.L. Giddy. "Nubia and Dakhla Oasis in the late third Millennium B. C". The present balance of Lextual and archaeological Evidence", in Melanges Vercoutter, Paris, 1985, p.319.
(3) R. Engelbach, "The quarries of the Western Nubia desert and the Ancient Road to Tushka" in: ASAE., 38 (1938), pp. 369 f
(4) Urk., I, 238, 1.
(5) R. Engelbach, op. cit., p. 369.

وتزايد النشاط المصرى فى هذه المحاجر يعد دليلاً على ان المنطقة التى تقع إلى الجنوب من اسوان كانت تحت السيطرة المصرية مما اتاح الفرصة لهذه البعثات لاستئناف سيرها فى ارض جافة لمساحة تقدر بنحو ٥٠ ميلاً من النهر دون أن تعترضها أية عقبات أو عوائق[١].

وفى عصر الاسرة الخامسة استمرت العلاقات المصرية النوبية مثلما كانت فى عصر الاسرة الرابعة، فقد عثر على أختام طينية وقطع من الفخار تحمل أسماء بعض ملوك الاسرة الخامسة وهم «اوسركاف» و «ساحورع» و «نفر اير كارع» «ونى اوسررع»[٢]، وذلك ضمن المخلفات الاثرية التى وجدت فى المستوطنة المصرية فى بوهن، ووجد كذلك فى نفس الموقع أوانى فخارية مصرية وقطع من الأوستراكا وكذلك أوراق بردى تؤرخ بعصر الاسرة الخامسة. وتثبت هذه الادلة الأثرية بقاء السيطرة المصرية على النوبة السفلى حتى نهاية الاسرة الخامسة وإستمرار هذه المستعمرة المصرية فى تحقيق اهدافها التجارية[٣].

وعثر أيضا فى منطقة المحاجر شمال غرب توشكا على أسماء الملوك «ساحورع» و «جد كارع» (اسيسى) مما يشير إلى إستمرار الملوك فى سياسة ارسال البعثات المصرية لقطع أحجار الديوريت اللازم للعمائر والتماثيل الملكية[٤].

ويرى تريجر ان عدم وجود إجراءات دفاعية من جانب المصريين فى منطقة المحاجر بتوشكا ترجع إلى عدم وجود مقاومة جادة من جانب السكان المحليين للنشاط المصرى سواء على امتداد النيل أو الصحراء الغربية المتاخمة له، وهذا يرجع إلى قوة الحكومة المصرية وإحكام سيطرتها على هذه المناطق[٥].

---

(1) W. S. Smith, CAH, I, part II, 1971, p. 167.
(2) H.S. Smith, and L.L. Giddy, op. cit., p. 319.
(3) B. Winkelman, op. cit., p. 74.
(4) R. Engelbach, op. cit., pp. 369 - 370.
(5) B. Tigger. op. cit., p. 48.

وصور الملك ساحورع فى معبده الجنزى بأبى صير وهو فى هيئة ابو الهول ويقوم بسحق أسرى نوبيين، وقد تم تمييز هؤلاء النوبيين فى هذا المنظر بتسريحة الشعر التى تظهر فيها الضفيرة من اعلى الجبهة، بارتداء غويشة فى اعلى الذراع على شكل حرف v، وتكرر نفس هذا المنظر فى معبد الملك «نى أوسررع» بأبى صير وايضا على كسرة من المعبد الجنزى للملك «ونيس» حيث ظهر عليها اسير نوبى مقيد يتميز بنفس الميزات السابقة[1].

ولا نستطيع الجزم عما اذا كان هؤلاء الأسرى النوبيين هم نتاج حرب فعلية من ملوك مصر ضد بلاد النوبة، ام أن هذه المناظر اصبحت جزءاً تقليديا فى النقوش الملكية على جدران المعابد. وأن كانت الباحثه تميل إلى الرأى الثانى لعدم وجود ادلة تشير إلى قيام هؤلاء الملوك بمثل هذه الحملات العسكرية ضد النوبة.

وحمل بعض الموظفين المصريين فى الاسرة الخامسة ألقابا سجلت على مقابرهم تشير إلى توليهم ادارة وقيادة مناصب لها علاقة ببلاد النوبة والوجود المصرى بها ومن هؤلاء «نسوت - نفر» الذى سجل على جدران مقبرته بالجيزة وتحمل رقم ٤٩٧ G لقب «رئيس حراس الحد الجنوبى» وصور فى مقبرته نوبيين مهزومين امكن تمييزهم من خلال البشرة السوداء وتسريحة الشعر والزى[2].

كذلك حمل *sn - jwnw* لقب «قائد الحصون» وذلك فى نقش مؤرخ من الاسرة الرابعة أو الخامسة فى منطقة Khor el Aquiba بالنوبة السفلى[3].

---

(1) G. Meurer, op. cit., p. 92.
(2) B. Gratien, op. cit., 49.
(3) Ibid., p. 49.

وشهدت مصر فى عصر الاسرة السادسة تطورا فى علاقاتها بجيرانها النوبيين، كان نتيجة لكفاءة عدد من كبار الموظفين المصريين الذين قاموا بدور هام فى انتعاش النشاط التجارى مع النوبة حيث خرجوا تحت راية ملوكهم فى بعثات كشفية ورحلات تجارية وحملات تأديبية ، وعاصر هذه الفترة ظهور مجموعة حضارية جديدة فى بلاد النوبة عرفت باسم المجموعة الحضارية الثالثة والذين تمركزوا فى منطقة الشلال الثانى[1] وحضارة كرما التى ظهرت جنوبى الشلال الثالث بالنوبة العليا، وسكنت منطقة دنقلة.

وكان لهذه الحضارات الجديدة فى بلاد النوبة اثرها فى العلاقات المصرية النوبية فى عصر الاسرة السادسة[2].

واذا تتبعنا العلاقات المصرية النوبية فى عهد الملك «ببى الأول» نجد أنه ليس هناك دليل اثرى أو نص فى المستوطنة المصرية ببوهن يشير إلى استمرار الوجود المصرى بها فى عصر الأسرة السادسة فلم يعثر فيها على أى اوانى فخارية أو اية اسماء ملكية من عصر هذه الاسرة، مما يرجع هجرة المصريين لها بعد نهاية الاسرة الخامسة[3] وربما يرجع ذلك إلى أن اصحاب المجموعة الحضارية الثالثة الذين جاءوا إما من الصحراء الشرقية أو الصحراء الغربية نتيجة للجفاف المتزايد فى اراضيهم الرعوية اضطروا إلى الاتجاه إلى وادى النيل والاستقرار بمنطقة النوبة السفلى[4]، ورغم ذلك فقد عثر على اوانى فخارية مصرية فى

(1) S.T. Smith, Askut in Nubia, The Economics and Ideology of Egyptian Imperialsim in the Second Millennium B. C. London and New York, 1995, p. XIII.

وكذا. I. Show. and P. Nicholson, op. cit., p. 205

(٢) يري كل Show و Nicholson أن بداية حضارة كرما في جنوب الشلال الثالث من عام ٢٥٠٠ واستمرت حتي ١٥٠٠ ق.م.

انظر: I. Show, and P. Nicholson, op. cit., p. 205.

(3) B. Gratien, op. cit., p. 47.

(4) B. Trigger, op. cit., pp. 52 - 53.

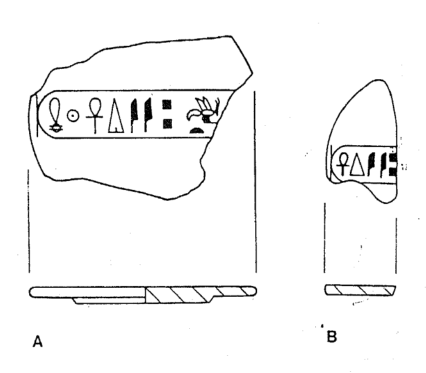
مواقع المجموعة الحضارية الثالثة بالنوبة وغالبية هذه الاوانى لها قاعدة مستديرة ورقبة واستخدمت كأوانى لحفظ السوائل والمواد الغذائية مما يشير إلى استمرار النشاط التجارى بين البلدين[١].

وترك الملك «ببى الأول» ثلاث نقوش تحمل اسم «نفر - حور» على صخور توماس بالنوبة[٢]، كذلك وجد اسمه مسجلا فى محاجر توشكا[٣]، مما يشير إلى استمرار السياسة الملكية المصرية فى جلب الاحجار اللازمة للإستخدامات الملكية، وأن رأى Trigger[٤] أن المصريين توسعوا فى استخدام الالباستر الذى كان متوفرا محليا فى مصر الوسطى وحل محل الديوريت الذى كان يجلب من محاجر توشكا، وذلك نتيجة لتراخى السيطرة المصرية على النوبة السفلى[٥].

ولقد كشفت عن اوانى حجرية عليها اسماء الملوك «ببى الأول» و «مران -ع» و «ببى الثانى» فى كرما[٦] (شكل ٤٦) مما يرجح ان ببى الأول قد اقام علاقات ودية مهدت الطريق امام النشاط التجارى المصرى وسهلت مرور القوافل التجارية المصرية لأراضيهم. وهناك من يرى أن منطقة كرما ضمت مركزا تجاريا مصريا منذ بداية الاسرة السادسة لاقامة الموظفين المصريين الذين ارتبط عملهم بالقوافل التجارية مما يدعم التواجد المصرى هناك منذ الألف الثالث ق.م

(1) Ibid., p. 54.
(2) Urk., I, 208.
(3) B. Gratien, op. cit., 96.
(4) B. Trigger, op. cit., p. 48.
(٥) في أواخر عصر الدولة القديمة كانت النوبة السفلي ممثلة في ثلاث مناطق هي: واوات وتمتد من أليفنتين حتي منطقة دكه يليها ارثت وتمتد من دكه حتي منطقة توشكا ثم اخيرا ستيو وتمتد من توشكا إلي الجندل الثاني، انظر:
D. O. Connor "The Locations of Yam and Kush and their historical implications" in: JARCE, vol. XXIII (1986) p.35.
(6) G. A. Reisner, Excavations at Kerma, (Harvard African Studies), vol. V., pp. 29 -33, vol. VI, pp 506-510, Cambridge, 1923.

بالقوافل التجارية مما يدعم التواجد المصرى هناك منذ الألف الثالث ق.م [١]، وان كان هناك من يرى ان هذه الأوانى ترجع إلى عصر الانتقال الثانى [٢].



(شكل ٤٦) أوانى من الألبستر عثر عليها في كرما في عهد الملوك «ببى الأول» و«ببى الثانى»

ويستدل من نص «ونى» الذى سجله فى مقبرته بابيدوس أن جلالة الملك «ببى الأول» قد كلفه بقيادة حملة ضد الآسيويين الساكنين على الرمال ، فجمع

(1) F. Heintza, Alte Kultur in Sudan, Munchen, 1960, p. 12.
(2) P. Zacorva, "The Stone vase Deposite at Kerma" Egypt and Africa," 1990, p. 118.

جيشا من عشرات الآلاف من كل أرض مصر العليا والسفلى ومن نوبى ارثت وواوات وايام وكاو والمجاو[١]ومن ارض التمحو [٢]

وقد اختلفت آراء المؤرخين حول طبيعة هؤلاء الجند النوبيين ، فهناك من يرى ان حشد الجنود النوبيين كما ورد فى نص «ونى» انما يشير إلى سيطرة المصريين على النوبة السفلى [٣]، وأن هؤلاء النوبيين كانوا موالين لمصر وانهم رحبوا بالانضمام إلى الجيش المصرى حيث تتاح لهم فرصة العمل فى ارض كانوا يعدونها انسب من ارضهم وفى هذا ايضا دليل على نجاح «ونى» فى توطيد علاقاته بزعماء النوبة ، حتى انه نجح فى ان يضم الى جيشه رجالا من قبائلهم[٤].

بينما يرى فريق آخر من المؤرخين أن هؤلاء الجند النوبيين انما كانوا جنود مرتزقة وهم الذين أشار اليهم «ببى» فى مرسومه الخاص بهرمى سنفرو فى دهشور بوصفهم النوبيين المسالمين ، كما ان نص «ونى» قد اشار اليهم بكلمة النحسيو وهو الاسم الذى اطلقه المصريون فى عصر الدولة القديمة على سكان النوبة السفلى والعليا [٥] ، ويضيف اصحاب هذا الاتجاه إلى ذلك ان العديد من

---

(١) فيما يتعلق بتحديد موقع إيام، يري اوكونر أنها تقع في غرب شندي بالنوبة العليا انظر D. O. Connor, op. cit., p. 35, 37 بينما يري Belova أنها تشمل واحتي الخارجة والداخلة بالصحراء الغربية انظر G. Belova. op. cit., p. 47 أما ارثت فيري «اوكونر» انها تقع في اقليم نباتا أو اقليم كرما بالنوبة العليا، انظر D.O., Connor, op. cit p 39 بينما يري Meurer أنها مصطلح يطلق علي المنطقة المعروفة باسم توماس الممتدة من Dakka حتي Aniba انظر: G. Meuer. op. cit., p., 17 اما واوات، فيري اوكونر انها مصطلح يطلق علي النوبة السفلي باكملها في عصر الدولة القديمة. D. O Conner, op. cit., p. 38 اما المجا فتقع علي الضفة الشرقية للنيل في منطقة النوبة السفلي انظر G. Meurer, op. cit., p. 17.

(2) M. Lichtheim, op. cit., p. 18.

(٣) ووالتر امري: المرجع السابق، ص١٣٣.

(٤) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٢٠٢ - ٢٠٣.

(5) G. Meurer, op. cit., p. 125.

المنتجات المصرية التى وجدت فى مواقع أصحاب المجموعة الحضارية الثالثة انما كانت اجورا للمرتزقة النوبيين واسرهم(١).

وتشير فقرات عديدة من مرسوم الملك «ببى الاول» الخاص باعفاء اتباع هرمى الملك سنفرو فى دهشور من خدمات معينة - كان رعايا الفرعون الاقل حظا يكلفون بها - إلى النوبيين المسالمين ، وقد أمر جلالته بعدم اغتصاب أى جزء من الأراضى التابعة للمدينتين الهرميتين بواسطة أى نوبى مسالم، كما يحرم على هؤلاء النوبيين الاستيلاء على أى جزء تابع لهاتين المدينتين الهرميتين ويحرم عليهم أيضا الدخول ككهنة فى المعبد الملحق بالمدينتين الهرميتين (٢).

ونستدل من الفقرات السابقة على استقرار بعض النوبيين فى منطقة دهشور وربما كانوا هم الجنود الذين حاربوا مع «ونى» ، وان كان بعض المؤرخين يرى أن اصطلاح النوبيين المسالمين فى مرسوم دهشور انما يعنى رجال الشرطة من المجاو النوبيين (٣) .

وفى عهد الملك «مرأن رع» ، أشار «ونى» فى نقوش مقبرته بأن الملك قد عينه واليا على الصعيد، وكلفه بالذهاب الى النوبة السفلى لحفر خمس قنوات بين صخور الجنادل عند الشلال الاول، لأنها كانت تعوق حركة الملاحة النهرية المتجهه إلى الجنوب ، ولتسهيل مرور السفن ، والقوارب ، وذكر ايضا انه قام بالاشراف على صناعة سبع سفن كبيرة فى عام واحد صنعت من خشب اللبخ فى النوبة لاستخدامها فى نقل مطالب المشاريع الملكية من جرانيت اسوان ، وحين أوحى الى زعماء النوبة برغبته اطاعوه (٤).

(1) B. Trigger, op. cit., p. 54.
(2) G. Meurer, op. cit., p. 100.
(٣) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٢٤١.
(٤) انظر النص كاملا: M. Lichtheim, op. cit., p. 21.

ويستدل من نص اونى على طبيعة العلاقات السلمية بين مصر وهذه القبائل النوبية والتى ورد ذكرها فى النص وهى واوات وارثت وايام والمجا، واحترام حكام هذه القبائل لمطالب القصر الملكى، هذا بالاضافة إلى ان بقاء «ونى» عاما كاملاً بين هؤلاء النوبيين انما يؤكد العلاقات الودية بين مصر وهذه القبائل النوبية .

ويشير نقش عند الجندل الاول إلى زيارة الملك «مران رع» لاقليم الجندل الاول ومقابلة حكام قبائل الماجا وارثت وواوات وقبول الخضوع والمديح من رؤساء القبائل [١] وذلك فى العام الثامن والعشرين من حكمه ، ويرى «نيقولا جريمال» أن هذه الزيارة جاءت نتيجة خوف الملك المصرى من سيطرة كرما على حركة التجارة جنوب الشلال الثالث والقيام بدور الوسيط التجارى بين النوبة العليا والسفلى، ومن هنا فقد حاولت كرما عقد اتفاق مع اصحاب المجموعة الحضارية الثالثة ، للوقوف فى وجه القوافل المصرية المتجهه إلى الجنوب [٢]، ويرجح ان هذا اللقاء بين الملك المصرى وحكام القبائل النوبية تم لكسب مؤيدين فى النوبة السفلى لمواجهة طموح كرما فى التوسع شمالاً [٣] . ويرى بعض المؤرخين ان هذا اللقاء كان جزءاً من دبلوماسية مصرية تهدف إلى تعزيز النشاط التجارى المصرى بين القبائل التى تعيش على امتداد الحد الجنوبى المصرى [٤].

وخلال عهد الملك «مران رع» والملك «ببى الثانى» تمثلت الصلات بين مصر والنوبة فى هيئة بعثات كشفية ورحلات تجارية وحملات تأديبية من جانب مصر ، وتكفل بها عدد من كبار حكام أسوان ، جمعوا فيما يحتمل بين الدم

---

(1) J. H. Breasted, A History of Egypt from the earlist Times to the Persian Conquest, London 1906, p. 137.

(٢) نيقولا جريمال: المرجع السابق، ص١٠٨.

(3) G Belova, op. cit., p 60

(4) B Tigger, op cit p 56

المصرى والدم النوبى وعرفوا اللهجات النوبية والسودانية وتفاهموا بها مع أهلها وحملوا لذلك القاب رؤساء المترجمين إيميراعو . imyr ^{c}(w)[1]

وفى عهد الملك «مران رع» قام «حر خوف» الذى حمل لقب حاكم اسوان بثلاث رحلات ، كما تحدثنا نقوش مقبرته بأسوان ، وفى الرحلة الأولى كان مساعدا لوالده «ايرى» فى قيادة القافلة التجارية المتجهه لكشف الطريق إلى الجنوب ووصل إلى إيام وعاد محملا بالهدايا العظيمة النادرة ، واستغرقت الرحلة سبعة شهور [٢].

اما رحلته الثانية فقد خرج فيها على طريق (آبو) اليفنتين ، ووصل فيها إلى «ارثت» «ومخر [٣]و ستيو[٤] وعاد منها محملاً بهدايا عظيمة وبكميات ضخمة[٥]ويقدر «إيدل» المسافة بين نقطة انطلاق الرحلة وعودتها ذهابا وإيابا بنحو ١٧٢٥كم على ظهور الحمير بلغ فيها دنقله الاوردى (دنقله العرضى) قرب الشلال الثالث [٦].

ويصف«اوكونر» طريق العودة من إيام إلى مصر فى الرحلة الثانية بأن الرحلة غادرت إيام واستخدمت الطريق البرى إلى أرثت وسشو ثم استكمل حرخوف رحلته عبر طرق فرعية من ارثت إلى مكان غير معروف تنقل فيه المنتجات من فوق ظهور الحمير إلى المراكب فى النيل [٧].

اما الرحلة الثالثة لحرخوف فقد بدأها من ابيدوس متجها إلى ايام

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٨٩.

(2) J.H. Breasted, op. cit., p. 138.

(٣) تقع «مخر» إلي الجنوب من واوات، ما بين ابو سنبل والشلال الثاني. انظر: محمد ابراهيم بكر، المرجع السابق، ص٣٩.

(٤) يري Belova أنها تقع في منطقة سليمة، انظر: Belova. op. cit., p. 7

(5) B Trigger. op. cit., p. 59.

(6) D O Conner. op cit., p. 27

(7) Ibid , p 32.

واستخدم طريق الواحات، ويحتمل ان يكون هو نفس طريق درب الاربعين الذى يصل بين منطقة دارفور والواحة الخارجة ثم يمتد منها إلى اسيوط ، وعندما وصل إلى ايام ، وجد حاكمها قد خرج لضرب التمحو فذهب وراءه وعمل على اصلاح ما بينهما [١] رغبة منه فى اظهار مسعاه الحميد بين الطرفين ، وحرصا منه على تأمين سبل التجارة التى انتدبه الملك إليها ، وعاد حر خوف من هذه الرحلة ومعه ثلاثمائة حمار، متحملة بالأبنوس والبخور وزيت الحكنو وجلود الفهود ، ومعه ايضا فرقة قوية من المجندين من ايام لحراسته وللعمل فى خدمة الجيش المصرى .

ويرى بعض المؤرخين ان تكرار رحلات حرخوف إلى ايام انما توحى بأنها كانت تمثل منطقة مزدهرة، ربما نتيجة تحكمها فى تنظيم التجارة فى هذه المنطقة من النوبة مما أدى إلى ازدهارها اقتصاديا وسياسيا ، وانه لم يكن مسموحا للمصريين بالتجارة فى هذه الجهات إلا بالحصول على تصريح من حاكم إيام ويدلل اصحاب هذا الرأى على صدق ترجيحهم بأن حرخوف قد اشار فى رحلته الثانية إلى وجود حاكم مستقل لكل من ارثت وسثو ولكن فى رحلته الثالثة اشار إلى حاكم واحد لكل من ارثت وسثو وواوات مما يشير إلى تحالف بينهم مع ايام[٢].

وفى عهد الملك «ببى الثانى» قام حر خوف برحلته الرابعة الذى اكد فيها لملكه انتشار نفوذه على المناطق الجنوبية التى زارها أو اكتشف سبل الوصول إليها، وعاد منها محملا بخير متاجرها وهداياها وزاد عليها باحضار قزما من اسواق السودان، وقد أثار هذا القزم اهتمام الملك اكثر من أى شئ آخر فى رحلة حرخوف[٣].

(1) J.A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt., U.S.A, 1975, p. 90.
(2) B. Trigger, op. cit., pp. 57, 59.
(3) J.H. Breasted, op. cit., pp. 451 f

وتابع «ببى نخت» الذى كان حاكما لاسوان بعد «حرخوف» فى عهد الملك «ببى الثانى» والذى كان يكنى بـ «حقا ايب» - بمعنى المتحكم فى نفسه أو صاحب القلب المسيطر - سياسة سلفه فى اعمال الكشف وتأمين التجارة فى النوبة[1]، ويذكر ببى نخت فى نقوش مقبرته باسوان ان الملك «ببى الثانى» قد ارسله إلى النوبة على رأس حملتين للهجوم على واوات وارثت، وانه نجح فى مهمته وفى تهدئه الاحوال فى هذه البلاد الاجنبية بعد أن ذبح العديد منهم وقاد أخرون كاسرى إلى مصر وذلك فى الحملة الأولى. أما الحملة الثانية فقد احضر فيها قادة هذه البلاد للمثول أمام ملك مصر، إلى جانب اعداد كبيرة من الابقار والماعز[2].

ويتضح من نص «ببى نخت» أن العلاقات المصرية مع النوبة السفلى قد ساءت فى أواخر عصر الاسرة السادسة، وربما وصل الأمر إلى حد تهديد المصالح التجارية المصرية فى هذه المناطق، مما اضطر الملك «ببى الثانى» إلى ارسال «ببى نخت» بحملتين متتاليتين للقضاء على هذه الاضطرابات وربما كان إحضار قادة هذه القبائل بهدف ضمان ولائهم للبلاط المصرى. وكان من نتيجة هذه السياسة التى اتبعها ببى نخت فى حملاته أن استمرت التجارة المصرية مع النوبة، بل وربما وصلت إلى كرما فى جنوب الجندل الثالث، إذ عثر ريزنر على اوانى حجرية فى هذه المنطقة عليها اسم الملك «ببى الثانى»[3].

وتحدثنا نقوش مقبرة «نيساب»[4] الذى خلف اباه «ميخو» فى منصب حاكم اسوان أن والده قد تعرض للقتل فى النوبة السفلى اثناء قيامه بإحدى الرحلات التجارية[5]، هناك، وقد ذهب نيساب لاحضار جثه ابيه وأخذ معه

(1) Ibid., pp. 353 - 360.
(2) J.H. Breasted, ARE, vol. I, 161 - 162.
(3) W. S. Smith, in: CAH, vol., I, Part 2, p. 194.
(4) PM, V, Upper Egypt: Stites, pp. 231 - 232.
(5) BAR, 1, pp, 164 - 165.

هدايا للنوبيين التى كانت اما بغرض استرداد جثه ابيه أو كمكافأة لهم مقابل محافظتهم على جثمان والده[١].

ويتضح من نص نيساب ان الاضطرابات قد تجددت مرة أخرى وتعرض قائد القافلة التجارية المصرية للقتل على يد النوبيين، ويرجع Belova قيام هذه الاضطرابات بطموح اصحاب المجموعة الحضارية الثالثة ورغبتهم بان يكون لهم دورا قياديا فى تجارة النوبة السفلى[٢].

وكانت أهم الطرق المؤدية للجنوب طوال عصر الدولة القديمة، الطريق النيلى فى الذهاب والعودة ويمتد من اسوان إلى النوبة مخترقا الوادى ولكن يعيبه وجود الكثير من الجنادل التى كانت تعوق مرور المراكب والسفن إلى جانب بعض الانحناءات جنوب الشلال الثالث، اما الطرق الاخرى فكان احداهما يسير موازيا للنيل على البر ويبدأ من دراو شمال اسوان ويمر بسلسلة من الابار حتى يصل إلى انحناءه دنقله ومن هناك تستمر الطرق إلى سواكن أو اثيوبيا أو عبر الصحراء الى مروى ومن سننار الطرق مفتوحة إلى كوردفان ودرافور غرب افريقيا ويوازى هذا الطريق طريق كورسكو وابو حامد الذى كان يقطع بالطريق النهرى عند انحناءة دنقله[٣]، أما الطريق الثالث فهو طريق الواحات ويبدأ من اقليم ثنى ويمر بواحة الخارجة ثم يسير فى طريق درب الاربعين متجها إلى واحة سليمة[٤].

ويتضح من دراسة العلاقات المصرية النوبية أن المصريين قد اعتبروا الجندل الثانى بمثابة الحد الطبيعى لمصر، كما انهم اعتبروا النوبة السفلى فيما بين

(1) B. Trigger, op. cit., p. 59.
(2) G. Belova, op. cit., p. 60.
(3) G. Reisner, "Excavations at Kerma" Harvand African Studies, vol., I, Cambridge Mass, 1923, p. 539.
(٤) نيقولا: جريمال: المرجع السابق، ص١٠٦

الجندل الأول والثانى بمثابة منطقة نفوذ لهم منذ اقدم العصور، ولقد كان العامل الاقتصادى والسياسى هما الدافع وراء اهتمام المصريين بهذه المنطقة، ومن هنا فقد كانت العلاقات تجاريه فى المقام الأول، ثم حملات تأديبيه إذا كان هناك ما يهدد هذه المصالح التجارية المصرية أو يعترض طرق القوافل والبعثات التعدينية أو يهدد سلامة وامن الحد الجنوبى لمصر. وكان للعلاقات المصرية النوبية طابع عام مميز خلال الاسرتين الرابعة والخامسة. ثم تطورت فى عصر الاسرة السادسة فزادت الحملات المصرية إلى النوبة للتجارة والاستشكاف والتأديب، وكان لهؤلاء الموظفين المصريين الذين تولوا منصب حاكم اسوان دورا واضحا فى مجال تنظيم علاقة مصر بجيرانها النوبيين وتهذيب العلاقات الدبلوماسية وبداية وضع الاسس الدبلوماسية المصرية التى اتضح دورها فى عصر الدولة الوسطى والحديثة.

ثالثا: علاقات مصر مع ليبيا:

تميزت العلاقات المصرية الليبية خلال عصر الدولة القديمة بتراوحها ما بين علاقات ودية تجارية وحملات ردع عسكرية قام بها ملوك مصر لتأمين بلادهم من ناحية الغرب.

وتشير الأدلة الاثرية والنصية إلى جلب المصريين لبعض السلع والمنتجات الليبية مثل الزيوت والماشية، اذ أن اقتصاد هذه القبائل كان قائما على الزراعة والرعى، وكان الزيتون من أهم محاصيلها، وتركز نشاطها الرعوى فى رعى الماشية والاغنام والحمير[1] ومن الادلة على ذلك ما ورد فى نصوص الاهرام فى الفقرة(٧٨):

(1) A. R., Schulman, "Narmer and the Unification: Arevisioist View" in: BES, Vol.. 2, (1991 - 1992) p. 87.

«ايها الملك أوزير، لقد احضرت لك عين حورس، التى كان قد أخذها لاجل وجهك، افضل نوع من زيت تحنو»[1] ويتضح من النص أهمية الزيت الليبى والذى كان يُعد من من افضل انواع الزيوت، وحرص الملوك على احضاره لأهميته فى الطقوس الدينية. وأشارت نصوص القرابين الخاصة بمقابر الافراد فى الجيزة وسقارة إلى زيت التحنو، والذى كان يحفظ فى اوانى بعضها اسطوانى والاخر ذو مقبض أو مقبضين[2]، ومن هذه المقابر مقبرة حسي رع من الاسرة الثالثة بسقارة[3]. واشارت العديد من نصوص القرابين التى تعود للاسرة السادسة إلى الأبقار المستوردة من ليبيا[4] والتى تتميز بالقرون القصيرة.

ورغم ذلك فان النشاط التجارى المصرى مع ليبيا لا يمكن مقارنته بالنشاط المصرى مع النوبة أو مع آسيا، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى عدم توافر الموارد الاقتصادية أو المواد الخام المرغوب فيها من قبل المصريين فى هذه البلاد ومن هنا فلم يكن هناك الدافع القوى لاقامة علاقات تجارية مستمرة بينهما.

ويغلب الطابع العدائى على العلاقات المصرية الليبية منذ عصر الأسرة الرابعة، فتسجل حوليات الملك «سنفرو» على حجر بالرمو قيامه بارسال حملة تأديبية ضد التحنو الليبيين، عادت محملة بألف ومائة أسير ومائه وواحد وثلاثين ألف رأس من الماعز والاغنام[5]. ويرى أ. د عبد العزيز صالح، أن هذه الآلاف لا تدل فى اغلب الظن على اسرى فعليين وغنائم منقولة، ولكنها تدل

(1) R. O. Faulkner, op. cit., p. 19.
(2) S. Hassan, Excavations at Giza, VI, Part 2, Cairo, 1948 p. 114.
(3) A. H. Müller, "Das Ölmagazin im Grab des Hesire in Saqqara", in: SAK, 4, 1976, p. 12.
(4) S. Hassan, op. cit., p. 106.
(5) W. S. Smith, "The Old Kingdom in Egypt and the Begining of the first intermediate period" in: CAH, I, part2, p. 167.

على أعداد من أعلنوا له الخضوع والطاعة، إن لم تكن من مبالغات تقارير الحروب المعتادة فى مصر الفرعونية[١].

وتشير النقوش التى وجدت فى الجانب الغربى من الجدار الجنوبى لفناء الأعمدة فى المعبد الجنزى للملك «ساحورع» من الأسرة الخامسة فى أبى صير، إلى انتصار الملك على قبائل التحنو الليبية، ويظهر فى النقش الملك ممسكاً بناصية اسير ليبى راكع وذراعه الأخرى ممسكة بمقمعه، وظهر عدد من الليبيين والليبيات يركعن على الأرض، واعداد كبيرة من الاسرى الليبين وزوجاتهم واطفالهم، ونقش فوقهم اسماء اقليمين من أقاليمهم هما باش وباكت، وخلف اسرة امير التحنو صور الإله أش[٢] اله بلاد التحنو، وهو يقدم للملك ساحورع خيرات هذه البلاد والممثلة فى صفوف من الثيران والحمير والاغنام وقطعان من الماعز. ووردت فى نقوش ساحورع إيضا عبارة «ضرب التحنو» وصورت الإلهة سشات إلهة الكتابة وهى تحصى الغنائم وتسجل الحدث.[٣](شكل ٤٧)

ويرى بعض المؤرخين ان هذه النقوش تسجل انتصارا فعليا للملك ساحورع على التحنو، الذين ربما تحركوا نحو دلتا مصر نتيجة حدوث جفاف وقحط فى اماكن اقامتهم[٤].

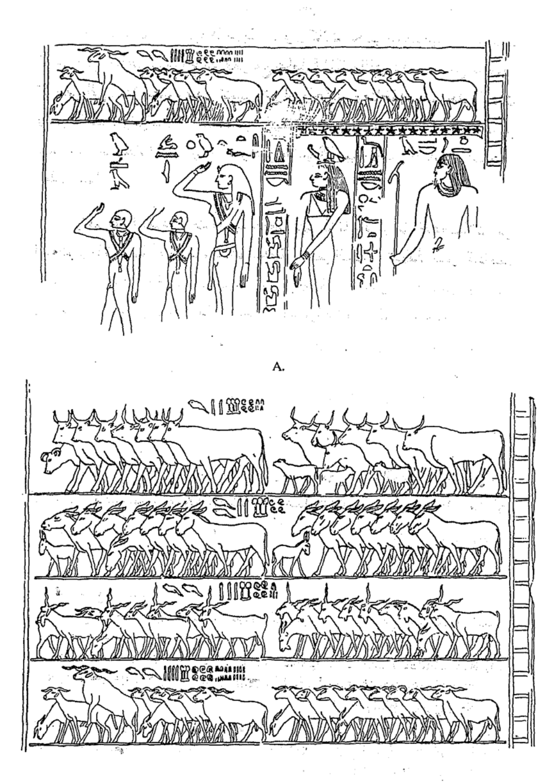
---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٦.

(٢) يري بعض الباحثين أنه معبود ليبي الأصل، ظهر علي الالواح المصرية منذ الاسرة الثانية، وبرز في الاسرة الخامسة، وفي الاسرة ٢٢ سيطرت عبادته خاصة في الواحات، وكان يقرن بالمعبود ست في الاسطورة المصرية، وذلك راجع إلي الصلة الوثيقة بين جنوب مصر الذي ظهرت فيه عبادة ست وواحات الصحراء التي شاعت فيها عبادة آش، وهو يمثل احيانا برمز ست (حيوان ذئبي الشكل)، ويعتبر آش أحد رموز الموت فهو من آلهة القبور، وارتبطت عبادة آش بمفهوم الصحراء القفر التي لا حياة فيها، ولقبه المصريون بلقب «نب تحنو» أي رب تحنو. انظر:
LÄ, 1, 49- 52.

(3) W. S. Smith, op. cit., p. 182.

(٤) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص١٢٩.



(شكل ٤٧) نقوش من معبد «ساحورع» الجنزى

وربما نتيجة لضغط مجموعات التمحو ضدهم من الغرب مما دفع بهؤلاء إلى الاتجاه شرقا نحو الحدود المصرية[١]. وان كانت الكميات الوفيرة من الغنائم المصورة فى مناظر ساحورع تتناقض مع عامل الجفاف الذى دفع بهم من موطنهم الاصلى إلي دلتا مصر، فهى تشير إلى ان واحاتهم ومناطقهم الساحلية كانت وفيرة العشب والمراغى[٢]. بينما يرى البعض الآخر من المؤرخين ان هذه المناظر تعبر عن استسلام اختيارى أو هجرة من جانب الليبيين وليس انتصارا عسكريا فعليا للملك[٣].

وتعد هذه النقوش ذات أهمية خاصة فهى تمدنا بكثير من التفصيلات عن التحنو رجالاً ونساءً فهم قوم طوال القامة ، سمر البشرة، تتهدل فوق اكتافهم شعورهم السوداء الطويلة المتموجة، وتزين جباههم خصل من الشعر، وتظهر وجوههم نحيفة، ويتميز رجالهم بلحى قصيرة تنتهى بطرف مدبب، اما الزى الخاص بهم رجالا ونساء فهو عبارة عن شريطين عريضين من الجلد يتقاطعان على الصدر ويتمنطق بحزام مزين بخطوط عمودية وأخرى افقية وينتهى من الأمام بجراب يستر العورة، وكان الرجال يتميزون عن النساء بما كانوا يتحلون به من ذيول الحيوانات، وبوضع الريشة أو الريشتين فى شعورهم[٤].

وتكررت أجزاء كثيرة من مناظر نقوش ساحورع وانتصاره على الليبين فى كثير من تفاصيلها وباختلافات قليلة فى عهد الملك «نى وسررع» على جدران معبد الشمس الخاص به فى ابو غراب[٥]، وفى المعبد الجنزى للملك «ببى

(١) أحمد فخري: المرجع السابق، ص١٠٤.

(٢) نفس المرجع السابق، ص١٠٣.

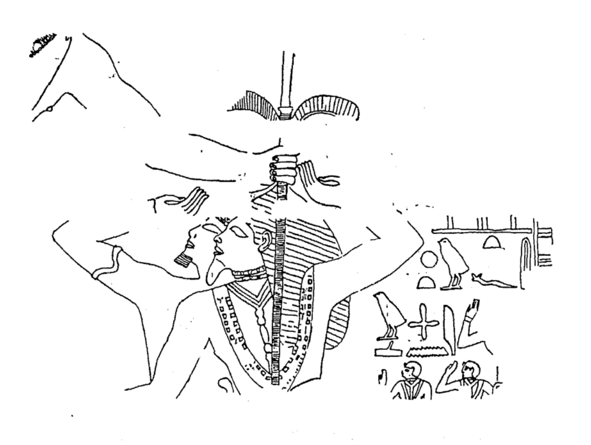
إذ يرجع د. أحمد فخري: أنهم كانوا يقيمون إلي الغرب من مريوط وفي واحتي سيوة والبحرية وفي برقة بليبيا.

(3) R. Gundlach, Die Zwangsumsiedlung auswartiger Bevolkerung als mittel agyptischer Politik bis zum Ende des Mittleren Reiches, Stuttgart, 1994, p. 97.

(٤) عبد اللطيف البرغوتي: المرجع السابق، ص١٠٧.

(5) E.S. Hall, "The Pharaoh Smites his enemies, a comparative study, MAS, 1986, p. 11. Fig 18.

الأول»[1]، وكذلك على الجانب الجنوبى من الحائط الشرقى للصالة الكبرى فى المعبد الجنزى للملك «ببى الثانى»[2] (شكل ٤٨). ثم سجلت نفس النقوش ضمن مناظر معبد طهرقا فى كاوا بالنوبة[3].



(شكل ٤٨) نقش للملك «ببى الثانى» فى سقارة

(1) J. Leclant, "La Familie libyenne au temple haut de pepi Ier" in: MIFAO, 104, (Cairo, 1980) pp. 50-51.
(2) W. S. Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt, Revised with additions by W. K. Simpson, Penguin Books, 1981, p. 133.
(3) M. Wright, op. cit., p. 156.

ولقد اتفقت المناظر السابقة فى اظهار نصر الملك على الليبيين وقيامه بتأديب اميرهم وتصوير زوجته واطفاله والاسرى الليبيين، وكذلك فى اسم زوجة الامير واسماء ولديه، ما عدا مناظر ونقوش نى وسررع فلم تذكر الاسماء، وكذلك انفردت نقوش ساحورع فى تفصيل اعداد الحيوانات التى آخذت كغنائم من هؤلاء الليبين.

وقد دفع هذا التكرار فى المناظر والاحداث رغم الاختلاف الزمانى والمكانى إلى اعتبار بعض المؤرخين هذه المناظر لا تخرج عن كونها مناظر تقليدية ولا تمثل احداثا حقيقية[1]، وإن رأى A. Schulman أن انتصار ساحورع على الليبيين كان انتصارا حقيقيا بل وانتصارا حاسما إلى حد أن بعض الملوك الذين جاءوا من بعده وجدوا ضرورة ان يعيدوا تسجيل هذه المناظر والاحداث بشكل رمزى، كما لو كان هم الذين قاموا بها بالفعل[2].

وهناك من يرى أن الملك «ونيس» أخر ملوك الاسرة الخامسة لم يكن من صلب حكامها وأنه كان من نسل ملوك الأسرة الرابعة، وأن امه كانت من اميرات القبائل الليبية القريبة من حدود الفيوم، وأنه قام بانقلاب استعان فيه بأهل الفيوم وجيرانهم، ووصل اخيرا إلى العرش، ولكن، هذا الرأى أصبح غير ذى موضوع بعد أن أوضحت البحوث الحديثة، ان الأساس الذى قال به أنصار هذا الرأى وهو تصوير إحدى أميرات الأسرة الرابعة بشعر أحمر أو أصفر ورداء ذى شرائط عريضه يشبه رداء الليبيات، أساس ضعيف، حيث يبدو شعرها أقرب إلى المستعار، وحيث ظهر لثوبها ما يشبه عند غيرها من المصريات السابقات لعهدها.[3]

---

(1) Ibid., p. 156.
(2) A. R. Schulman, op. cit., pp. 81 - 82.
(٣) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٧٨ - ٣٨٠.

وتشير الأدلة النصية من عصر الملك «ببى الأول» إلى التمحو الليبيين لأول مرة فى النصوص المصرية، إذ ذكر ونى فى سيرة حياته الذاتيه على جدران مقبرته بأبيدوس، انه جمع جيشاً كبيراً لمحاربة البدو الآسيويين، وكان هذا الجيش يضم فرقة من التمحو.[١]

وينتمى التمحو اى الشقر إلى عنصر يختلف عن التحنو، فبشرتهم بيضاء ولون شعرهم اشقر وعيونهم رمادية أو زرقاء، وتميزت ملابسهم بالعباءة المزركشة من الجلد التى تلتف حول الجسم مارة تحت الإبطين وفى ذيلها شريط مخطط عريض، وكان للرجال منهم لحى مدببه الاطراف.[٢]

ويرجح أ. د. أحمد فخرى أنهم قد انحدروا من عنصر اوربى شمالى (نوردى) وانهم قد وفدوا بالمراكب من الشمال أو عبروا مضيق جبل طارق، وشغلوا كل اقليم التحنو وربما الشاطئ، وتحولت بعض قبائلهم نحو الجنوب واحتلت الواحات الخصيبة حتى دارفور.[٣]

واتجه بعض المؤرخين إلى اعتبار هؤلاء التمحو الذين شاركوا فى جيش ونى، أنهم جنود مرتزقة، مثلهم فى هذا مثل الفرق النوبية الأخرى التى وردت فى نص ونى[٤]، وأن هؤلاء وجدوا فى الانضمام للجيش المصرى فرصة مناسبة للعمل والإقامة فى مصر، وتؤيد الباحثه أصحاب هذا الإتجاه، إذ من الصعب اعتبار هؤلاء التمحو اسرى حرب أو أنهم كانوا خاضعين للسيطرة المصرية بشكل ما فى هذه الفترة الزمنية.

ووردت اشارة ثانية إلى التمحو فى عهد الملك «مرنرع»، فى النقوش التى

---

(1) M. Lichtheim, op. cit., p. 19.

(٢) أحمد فخري: المرجع السابق، ص١٠٤.

(٣) نفس المرجع السابق: ص١٠٤

(٤) عبد اللطيف البرغوثي. المرجع السابق، ص١٠٧، وكذا B. Trigger, op. cit., p. 44.

تركها حرخوف على جدران مقبرته بأسوان، إذ ذكر فيها ان جلاله الملك قد ارسله للمرة الثالثة إلى «ايام»، فوجد حاكمها قد خرج إلى أرض التمحو ليقاتل التمحو فى الركن الغربى للسماء، فذهب خلفه إلى ارض التمحو، وعمل على تهدئه الاحوال بينهما.(١)

ومن النص السابق، يرجع انتشار التمحو فى طريق الواحات الذى يمتد غرب النيل وامتدادهم حتى واحة «سليمة» على اقل تقدير.(٢)

وربما تفسر محاولة بعض المؤرخين للربط بين اصحاب المجموعة الحضارية الثالثة فى النوبة وبين الليبيين ذلك الصراع القائم بين قبائل أيام والتمحو والذى اشار إليه حرخوف فى نصه والذى ربما كان نتيجة رغبة هؤلاء التمحو فى الاستقرار بارض النوبة.(٣)

رابعاً: علاقة مصر مع بونت:

توضح الأدلة الاثرية والنصية أن مصر خلال عصر الدولة القديمة قد اتصلت ببلاد بونت، والتى أطلقت عليها نصوص هذه المرحلة التسمية *pwn. t*، وهو الأسم الذى أطلق على أرض البخور على البحر الاحمر(٤) ويرى البعض أن هذا الاسم ربما أطلق على جميع البلاد التى كانت تنتج البخور سواء كانت افريقية أو آسيوية، ولقد عبر عنها المصرى القديم خلال عصر الدولة القديمة بأنها خلف البلاد التى زارها فى الجنوب.(٥)

---

(1) M. Lichtheim, op. cit., p. 25.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٣٨٩.

(٣) محمد ابراهيم بكر: المرجع السابق، ص٥٠.

(4) Urk., 1, 506, 15.

(٥) ابو العيون بركات: «بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة» مجلة اليمن الجديد، السنة الخامسة عشرة، ١٩٨٦، ص١٠٤

أما بالنسبة لمعنى اسم «بونت» فيذكر أ.د رمضان عبده على أنه تعبير جغرافى مكون من كلمتين P بمعنى «موضع/ مقر» وwnt جاءت من فعل wn بمعنى «يفتح و يخترق»، وأن التعبير يعنى «مقر أو موضع أو مكان استغلال (المحاجر)» وأنه مما يؤكد ذلك أن مخصص الاسم فى أغلب النصوص إن لم يكن جميعها هو مخصص سلسلة الجبال.(١)

أما عن موقع بلاد بونت، فلقد تباينت آراء الباحثين حولها، فمنهم من يرى أنها تقع على الساحل الغربى للبحر الأحمر من سواكن وكذلك الجزر الموجودة فى مواجهة هذا الساحل ومنهم من يرى أنها على الساحل الصومالى، ومنهم من حددها شمال شرق الصومال، أو أنها تقع على الشاطئين الإفريقى والآسيوى حول بوغاز باب المندب، أو أنها فى محيط ايريتريا والصومال، أو أنها تمثل مساحة كبيرة من شرق السودان وشمال غرب الحبشة، وأخيرا فهناك من يرى أنها تقع فى بلاد ظفار فى جنوب عمان(٢). ويتجه الرأى إلى أن بلاد بونت كانت تشمل المنطقتين بالشاطئ الآسيوى والإفريقى للبحر الأحمر، وهو ما يعرف الآن باسم جنوب الجزيرة العربية والصومال واريتريا(٣).

ولقد اتصل المصريون بمنطقة بونت مباشرة، ونظراً لوجود ممالك فى النوبة العليا أغلقت بشكل فعال الطريق المباشر الذى يصل مصر بهذه المنطقة عن طريق نهر النيل أو بواسطة الطرق البرية، وعلى ذلك فلقد اتجه المصريون إلى الطريق عبر البحر الأحمر الذى أوصلهم فى النهاية إلى المنطقة التى يرغبون فى الحصول

(١) رمضان عبده علي: «بونت وتانتر واثر منتجاتهما في الحياة اليومية في مصر القديمة منذ اقدم العصور حتي العصر البلطمي الروماني (دراسة وثائقية)»، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب - جامعة المنيا، العدد الثاني، يوليو، ١٩٩٩، ص٨٨.

(٢) انظر في ذلك الدراسة التي اعدها أ.د رمضان عبده علي، حيث قام باستعراض ومناقشة الارا، المتعددة التي ابديت حول موقع بونت مند عام ١٩٤٨ وحتي عام ١٩٩٤م. انظر: المرجع السابق، ص٦٠.

(٣) نفس المرجع السابق، ص٩٣

على منتجاتها[١]. وان كـان ذلك لم يمنع من وجـود بعض رحـلات عـبـر الـطرق البرية الداخلية فى النوبة والسودان.

وبطبيعة الحال، فإن منتجات هذه المنطقة لابد وأن تكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمصرى خلال هذه المرحلة مما دفعه إلى القيام بهذه الرحلات إلى هذه المناطق، ومن هذه المنتجات التى احضرها المصريون من بونت خلال عصر الدلة القديمة نذكر:

العنتيو: *ᶜntyw* varr. [٢] وهو الصمغ الذى يستخرج من شجر المر[٣]، وتم استخدامه كبخور حيث كان يحرق عند تقديم القرابين للآلهة وفى الطقوس الجنزية عند دفن الموتى وكذلك فى الاحتفالات العامة[٤]، كما استخدم ايضا فى تركيب بعض الأدوية، فاستخدم فى التهابات الفم واللثة المنتفخة الملتهبة وفى آلام الأذن ولطرد البلغم وغسل الاسنان وندخل ثمـاره فى صنع العطور[٥]. ومن هذه المنتجات كذلك التى احضرها المصريون من بونت «المرح» *mrḥt* [٦] وهو صمغ راتنجى كان يستخدم كمرهم لدهان الجسد وعلاج الجروح كما دخل فى صناعة الأدوية، وفى البخور لرائحته الذكية[٧] وهو ما يرجح دخوله فى مواد التحنيط الملكية. وأحضر المصريون كذلك من هناك الذهب والأبنوس، والعاج، والاحجار

(1) B. J. Kemp, op. cit., p. 136.
(2) Wb. I, 206.
(3) B. J. Kemp, op. cit., p. 136.
(٤) يوسف محمد عبد الله: «طريق اللبان التجاري»، مجلة اليمن الجديد، السنة الخامسة عشرة، ١٩٨٦، ص٦٦.
(٥) سمير يحي الجمال: تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الفرعوني، القاهرة، ١٩٩٤، ص٣٣٢.
(6) Wb. II. 111.
(7) R. Germmar. "Myrrh" LÄ. IV. 1982. p. 257

الكريمة وثروات المناجم والابنوس والجلود والنباتات العطرية وبعض الحيوانات كالقرود، ويبدو كذلك أنهم أحضروا من هناك الأقزام [1].

وترجع أقدم الإشارات التى وردت فى النصوص والاثار المصرية عن بلاد بونت وعلاقة مصر بها إلى عصر الاسرة الرابعة، حيث كان يوجد شخص من بونت يدعى «نحسي» الملقب بـ «حر إيزى» يعمل فى خدمة أحد أبناء الملك خوفو[2].

أما أقدم الاشارات النصية المصرية التى ذكرت بونت، فترجع إلى عصر الاسرة الخامسة، حيث ورد على حجر بالرمو فى الجزء الخاص بالملك «ساحورع» أنه احضر من بونت ٨٠ وحدة من العنتيو، ٦ وحده من الالكتروم، ٢٩ عصا (ربما من الابنوس). ولم يذكر النص بالتحديد الطريق الذى اتبع لجلب هذه المنتجات، ولكن يرجح أن يكون قد جلب إلى مصر بواسطة الطريق البحرى[3].

ويرجع إلى عهد الملك «ساحورع» أيضا تصوير لأهل بونت، حيث صور فى نقوش معبده الجنائزى أسرى من أهل بونت وقد أوثقوا بالحبال (شكل٤٩)[4]. ولا يشير ذلك إلى أنه قد اخضعهم عسكريا، بل قد يكون

(1) I. Shaw, and p. Nicholson, op. cit., p. 231.

(٢) رمضان عبده علي: المرجع السابق، ص٧

وان كان K. A. Kitchen يري بان المنظر المفترض بانه خادم من أهل بونت والمصور علي جدران احدي مقابر الاسرة الرابعة غير مؤكد. انظر.

K.A. Kitchen "Punt" LA IV, 1982, p. 1198

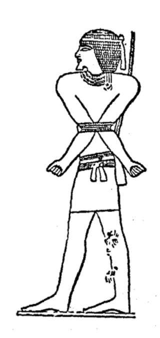
(3) BAR, I, 161, 8

وكذلك عبد المنعم عبد الحليم سيد: دراسة لعلاقات مصر القديمة ببلاد بونت ونشاطها في البحر الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨، ص٧٢-٧٣

(4) L. Borchardt, op. cit., pp. 19-20, pls. 5-7.

وكذلك: أدولف ارمان وهرمان رانكه: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة ١٩٥٣ ص ٥٨ شكل ٢٥٣

تصويراً رمزيا للشعوب التى تحت سيطرة الملك أو تلك التى كان لمصر حينذاك ميزة التفوق عليها، حيث لا تشير نصوص هذا الملك إلى قيامه بحملة عسكرية على بلاد بونت.



(شكل ٤٩) منظر لأسير من أهل بونت

وتشير نصوص الملك «جد كارع» (إسيسى) أنه أرسل حملة إلى بونت تحت قيادة «باور جدت» حيث أحضر من هناك المنتجات التى تشتهر بها هذه البلاد، ومنها حوالى ثلاثة آلاف عصا من الابنوس وبعض الاخشاب الثمينة والصمغ والجلود، وقد كافأه الملك بعد عودته من انجاز هذه المهمة بنجاح[١] ويبدو أنه قد أحضر معه أيضا أحد الاقزام من هذه المنطقة[٢].

---

(١) رمضان عبده علي: المرجع السابق، ص٧-٨.

(2) K. A. Kitchen. op. cit., p. 1199; B J. Kemp. op. cit., p. 136.

وكشفت الحفائر التى أجراها رايزنر فى نجع الدير عن العثور على آثار مصنوعة من الالبستر تحمل اسم الملك «تتى» أول ملوك الأسرة السادسة، ويظهر على هذه الآثار صورة أنثى وهى تعبر عن التشخيص النسائى لبونت، ويوجد هذا الاناء حاليا ضمن مجموعة جامعة كاليفورنيا فى بيركيلى، ويلاحظ أن غطاء الاناء قد كتب عليه اسم الملك «وناس»[١]. وربما كان هذا الإناء يحتوى على زيوت عطرية من بونت أو أطعمة مصدره من مصر إلى بونت[٢].

وفى عهد الملك «ببى الثانى» أشارت نصوص مقبره «حرخوف» الموجودة فى اسوان أنه قد أحضر معه فى إحدى رحلاته التى قام بها جنوبا قزما راقصا للملك «ببى الثانى» وأن الملك قد بعث إليه برسالة جاء فيها: «لقد قلت فى رسالتك هذه أنك أحضرت قزما راقصا للإله من بلاد «الأفق» مثل القزم الذى سبق أن أحضره حامل ختم الإله المسمى «باور جدت» من بونت فى عهد الملك «اسيسي» وفى موضع آخر يقول الملك «إن جلالتى يفضل رؤية هذا القزم اكثر من كل ثروات مناجم سيناء وبلاد بونت»[٣].

وتقدم لنا نقوش مقبرة «ببى نخت» فى أسوان أقدم إشارة إلى أن السفر إلى بونت كان يتم عن طريق البحر الأحمر، حيث أشار «ببى نخت» إلى أنه قد كلف من قبل الملك بالذهاب إلى إحدى المناطق الساحلية فى شرق مصر لإحضار جثه «عنخ ببى» الذى قتل أثناء قيامه ببناء سفينة إلى بونت[٤]. ويشير هذا النص بوضوح إلى أن المصريين خلال هذه المرحلة، قد توجهوا إلى بلاد بونت بواسطة الطريق البحرى عبر البحر الأحمر، وكانوا يقومون ببناء سفن خاصة تصلح لمثل هذه الرحلة الطويلة نسبياً.

---

(1) W. S. Smith, in: CAH, I, part 2, p. 195.

(٢) رمضان عبده علي: المرجع السابق، ص٨.

(3) BAR, I, 339; M. Lichtheim, op. cit., pp. 26-27, no. 7.

وكذلك: كلير لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الأول، ترجمة ماهر جويجاتي ومراجعة طاهر عبد الحليم، القاهرة، ١٩٩٦، ص٢٢٦، ٢٢٨.

(4) BAR, I, 3.

وآخر الاشارات التى وصلتنا عن بونت فى عصر الدولة القديمة وردت فى مقبره «خوى» بالفنتين، حيث سجل أحد أتباعه وهو «خنوم حتب» أنه ذهب إلى بونت وكبن (جبيل) احدى عشرة مرة مع سيده ثثى وأيضا خوى لإحضار منتجات هذه البلاد[١].

ويتضح من ذلك أن مصر فى عصر الاسرة السادسة قد ازداد نشاطها الملاحى المتجه إلى بلاد بونت، حيث وصل إلى قيام ملاح واحد وهو «خنوم حتب» بإحدى عشرة رحلة إلى بونت ومثلها إلى جبيل على الساحل السورى، وهو الامر الذى يعكس زيادة الخبرة الملاحية البحرية لدى المصريين فى البحرين الاحمر والمتوسط وكذلك زيادة حجم الاحتياجات التجارية المصرية خلال هذه المرحلة، وأهمية السلع التى كانوا يجلبونها فى حياتهم اليومية ومعتقداتهم الجنائزية مما دفعهم للقيام بهذا العدد الكبير من الرحلات.

خامسا: علاقة مصر مع بحر ايجه:

تشير الادلة الاثرية إلى وجود علاقات بين مصر وبحر ايجه فى عصر الاسرة الثالثة، وتمثلت هذه العلاقة فى حقيقة العثور على العديد من الاوانى الحجرية فى كنوسوس والتى لوحظ أنها تشبه الاوانى الحجرية التى ترجع إلى عهد الملك نثروخت[٢]، كما عثر على أباريق حجرية فى بحر ايجه تشبه فى صناعتها الأباريق الحجرية التى ترجع إلى عصر الاسرة الرابعة[٣]. كما يوجد نقش بارز يرجع إلى عصر الاسرة الرابعة ويؤرخ بعهد الملك خوفو وقد ظهر عليه اسم «الحاونبو»[٤].

(1) BAR, I, 361; Urk., I, 140 - 141.

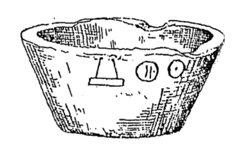
وكذلك: رمضان عبده علي: المرجع السابق، ص٩.

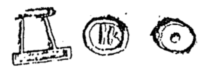
(2) W. Helck, Die Beziehungen Ägyptens und Vorderasiens Zur Ägäis bis Zum ins 7. Jahrhunder V. chr., Darmstadt, 1979, pp. 13-14.

(3) A. Evans, op. cit., pp. 80 - 82, figs. 48 a, 49a, b, 50.

(4) P. Montet, Eternal Egypt, Translated from the French by D. Weightman, N. Y. 1964, p. 129.

وعثر فى جزيرة كيثيرا Kythera التى تقع بين كريت والبلوبونيز على أوان حجرية ترجع إلى عهد الأسرة الخامسة، وربما منذ عهد أوسركاف [١] ومنها آنية صغيرة تحمل اسم معبد الشمس الخاص بالملك «أوسركاف» (شكل ٥٠)[٢]، ويستدل من هذا الاثر الملكى فى هذه المنطقة على وجود علاقات تجارية بينه وبين جزر بحر ايجه، وقد يرجع أن هذه الآنية قد أرسلت إلى هذه الجزر ضمن بعض الهدايا التى رافقت السلع المصرية إلى هذه الجزيرة، وانه قد يمثل هدية ملكية، وهو يعد من أقدم القطع المصرية التى عثر عليها فى جزيرة كيثيرا[٣].





(شكل ٥٠) كأس صغير عليها اسم معبد الشمس الخاص
بالملك «أوسركاف»

ويستدل من شكل الأوانى الحجرية التى عثر عليها فى جزيرة بيسارا التى تقع فى منتصف الطريق بين جزيرة كريت والساحل السورى على تأثرها

---

(1) W. Helck, op. cit., p. 15.

(٢) توجد هذه الآنية حاليا بمتحف أثينا تحت رقم ٤٥٧٨. انظر:
W. S. Smith, CAH, I, part II, p. 180.

(٣) نيقولا جريمال: المرجع السابق، ص٩٣-٩٤.

بالاسلوب المصرى فى صناعة الأوانى وكذلك شكلها[1]، كما عثر فى جزيرة موخلوس على العديد من المصنوعات المصرية التى ترجع إلى عصر الدولة القديمة مثل الخرز المصنوع من الفيانس وكذلك آنية مصنوعة من الحجر[2].

ويستدل من ذلك على أن مصر قد اتصلت بالعالم الايجى خلال عصر الدولة القديمة وانه كان لها صلاتها التجارية مع هذه المنطقة من العالم خلال هذه المرحلة.

---

(1) P. B. Philip, "The Stone vessels of pseria," Expedition, 32, no. 3, 1990, p. 15.

(2) A. Evans, The Palace of Minoas at Knossos, p. 85.

الفصل الخامس
عصر الثورة الاجتماعية الأولى

عصر الثورة الاجتماعية الأولى

أطلق المؤرخون على هذا العصر تسميات عديدة منها: عصر الاقطاع الأول أو عصر الانتقال الأول أو عصر اللامركزية الأول أو عصر الفوضى الأول أو عصر الأضمحلال الأول، وذلك نظرا لما أصاب مصر أثناء ذلك العهد من فوضى واضطراب، صورتها بعض الادلة النصية والمادية، وبصفة خاصة بعض البرديات التى كتبت أثناء هذا العصر، وعبر فيها كاتبوها عن آرائهم فى الحياة ونظام الحكم وقدم بعضهم مقترحات للخروج من هذه الازمة التى ألمت بمصر، بينما كان بعض المفكرين قد وصل إلى درجة من التشائم جعلته يفقد الثقة فى عقيدة البعث والخلود، وفى نفس الوقت فقد وصل مفكرون آخرون إلى درجة عالية من النضج السياسى الذى جعلهم ينادون بالديمقراطية وعلى ذلك، فلقد أطلق أحد المؤرخين الحديثين وهو جيمس هنرى برستد على هذا العصر تسميته «فجر الضمير»[1].

ولقد كان لحكم ببى الثانى الطويل، وعدم مقدرته على ادارة شئون الدولة بكفاءة فى أواخر عهده، اثره الكبير فى التمهيد للثورة والاعداد لها فلقد اعطى سوء الاحوال فى كافة المجالات للثورة كل مبرراتها.

ولكن الثورة لم تقم فى عهده، بل يبدو مرجحا انها قد قامت فى عهد خليفتيه الضعيفين.

ويتكون عصر الثورة الاجتماعية الأولى من الاسرات السابعة

(1) J.H., Breasted, The Dawn of conscience, New York, London, 1939.

والثامنة والتاسعة والعاشرة، وينتهى فى عهد «منتوحتب الأول» (نب حبت رع) الذى تمكن من القضاء على الفوضى السياسية واعاد توحيد البلاد مرة ثانية.

وسنتناول فى هذا الفصل الاسباب التى أدت إلى قيام الثورة الاجتماعية الأولى والاحوال السياسية والفكرية خلالها واخيرا أهم النتائج التى ترتبت عليها.

اسباب الثورة الاجتماعية الأولى

يمكن إيجاز الأسباب التى أدت إلى قيام هذه الثورة إلى أسباب أقتصادية وأسباب اجتماعية واخرى سياسية وخارجية وفيما يتصل **بالأسباب الاقتصادية** فهى كثيرة، فلقد أدت التراكمات المتعددة إلى انحدار الاقتصاد القومى بالتدريج، حتى وصل إلى ذروة الانحطاط عند نهاية الأسرة السادسة، وتعددت هذه الأسباب ومنها تشييد مبان تهدد الاقتصاد القومى، وتشييد أهرام لكل ملك جديد، ولقد كان بناء الإهرامات وغيرها من المبانى الدينية، نتيجة سطوة الدين على المصريين وأثره فى حياتهم وتفكيرهم. فالدين كان ولا يزال وسيظل أكبر قوة فى حياة الإنسان، وهو الذى أوحى إلى المصرى القديم بفكرة الخلود، أو الحياة بعد الموت، وكان من نتائج ذلك أن ترك لنا المصريون القدامى عدداً هائلاً من المقابر والأهرامات والمعابد لا يمكن حصرها، غير أن هذه العقيدة وما نتج عنها من مبان ضخمة هائلة أرهقت الاقتصاد القومى، وألقت عبئاً ثقيلاً على خزائن الدولة، وحملها ما لا تطيق، خاصة فى أخريات الدولة القديمة عندما وصلت مواردها إلى حد أن أصبحت حكومتها شبه عاجزة عن تنفيذ أوامرها، وممارسة حقوقها، وتحمل تبعاتها، ومع ذلك لم ينسى الفراعين أن يقيموا لأنفسهم أهراماً يدفنون فيها، مما أرهق الشعب أيما إرهاق، وجعل بوادر السخط تتجمع ضدهم، وهكذا

يمكن أن يقال إن ما أنفق من أموال على هذه الجبانات الضخمة إنما كان واحداً من عوامل الثورة.[١]

وأدى إلى سوء الأحوال الاقتصادية العبء الناتج عن تخصيص هبات دائمة للصرف منها على العناية بمقابر الملوك والملكات، فضلاً عن الأمراء والنبلاء، ومن ثم فقد كان الملوك يبعدون تدريجياً جزءاً من الأراضي التي أعفيت أيضاً من الضرائب عن أراضي الدولة، وتبع ذلك إلقاء تبعات ثقيلة على الأراضي الأخرى[٢]، وأدى ذلك بالتدريج إلى إرهاق الاقتصاد القومي وتقلص موارده، وفي نفس الوقت زادت المعاناة على أفراد الشعب.

وسار حكام الأقاليم على سنة ملوكهم، فقاموا بنحت قبورهم في صخور أقاليمهم وخاصة في مصر العليا والوسطى وكان ذلك عبئاً جديداً على الخزينة، كلف الكثير من المال.

ومما زاد من سوء الأوضاع الاقتصادية عبء مشترى الولاء من حكام الأقاليم المصرية البعيدة عن العاصمة، وذلك حين بدأ هؤلاء الحكام يتباعدون عن الملوك، ويشيدون مقابرهم في عواصم أقاليمهم، وبذا تولدت لديهم نزعة فردية دفعتهم إلى أن يتباهوا بما فعلوه. وكلما مر الزمن، ونتيجة لضعف الملوك، زاد حكام الأقاليم في تباهيهم بما نجحوا فيه، مما اضطر الملوك آخر الأمر أن يعملوا على اكتساب رضاهم، وإقطاعهم الأراضي لربط دخلها على مقابرهم التي كانوا يقومون ببنائها من خزائن الدولة. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل سمح الملوك بأن يرث الأبناء آباءهم في إقطاعياتهم، وعلى ذلك فقد توزعت ثروة البلاد بين الأسر القوية، في الوقت الذي تناقصت فيه ثروة الملوك تدريجياً، ولجأ الفراعنة

---

(١) محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم، جـ١ مصر، الكتاب الأول ص٤٢٦ - ٤٩٩.

(2) J.A., Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago. 1963. p. 98.

إلى وسائل عدة لإسترداد سلطانهم، إلا أن ذلك كله لم يغير من الوضع شيئاً، ولم ينجح الملوك فى كسب الحكام الذين أخذوا يستقلون عن الفراعين بأقاليمهم، مما أدى آخر الأمر إلى قيام حكومات متنافسة أحياناً، ومتعاونة أحياناً أخرى. وحين تأزم الموقف للغاية، عمت الفوضى البلاد، وبالتالى قامت الثورة الاجتماعية الأولى.

وأخيراً فقد كان لانقطاع أو احتمال انقطاع الموارد التى كانت تأتى من التجارة الخارجية، والتى كانت حكراً ملكياً، فقد كانت مصر على علاقات تجارية مع بلاد غربى آسيا، ومع جزر البحر المتوسط ومع النوبة وليبيا، وتدلنا نصوص أواخر الدولة القديمة على وجود أضطرابات فى تلك البلاد الاجنبية التى كانت تتجر معها مصر، مما استدعى بعض إجراءات حربية فى النوبة والسودان.[1]

أما عن **الأسباب الاجتماعية** التى ساعدت على قيام الثورة، فيلاحظ أن الفرعون قد تمتع فى المجتمع المصرى القديم بوضع خاص بين طبقات المجتمع، فقد اعتقد المصريون أنه ليس واحداً من البشر وإنما هو إله، ورغم تلك الألوهية التى أصبغها على نفسه وآمن بها رعاياه، فهناك بعض النصوص التى تكشف عن وجود الكثير من المشاعر الإنسانية الطيبة لدى بعض هؤلاء الملوك، ومن هذه النصوص ما يعرف باسم «نبوءة نفرتى» والتى تتحدث عن «سنفرو» على أنه كان ملكاً محسناً، وأنه كان حين يخاطب أحد رعاياه، إنما يقول: (يا صاحبى)، وحين يوجه حديثه إلى رجال بلاطه إنما يخاطبهم بقوله: (يا أخوانى)[2].

وارتبطت الطبقة الحاكمة بالملك بروابط كثيرة، ويمكن تتبع ذلك منذ

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق: ص٥٠١ - ٥٠٢.

(2) A., Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London. 1927 P. 112.

النصف الأول فى الدولة القديمة حيث كان أمراء الأسرة المالكة يعينون فى منصب الوزارة، كما كانت هناك مصاهرات بين أفراد البيت المالك وآخرين من الشعب. وكان وجود أبناء الملك وأقاربه إنما يجعل الخط الفاصل بين الملك والطبقات الأخرى غير واضح المعالم ولكن من ناحية أخرى، فإن هذه الطبقة إنما كانت بمثابة همزة الوصل بين الملك ورعيته، وأنها تمتعت بالمناصب الكبيرة، ثم الحصول على امتيازات كانت من قبل وقفاً على الملوك دون سواهم.[1]

وفيما يتصل بطبقة العامة فقد تضمنت التجار والصناع والعمال والفنانين والفلاحين. ويلاحظ أن التجار هم أصحاب التجارة الداخلية، والتى كانت محدودة لدرجة كبيرة، ومن ثم فإن النصوص لا تتحدث عن التجار، مما يدل على أن التجارة الداخلية إبان تلك الفترة لم تلعب دوراً هاماً ومن ثم فإن التجار لم يقوموا بدور هام فى الثورة أو فى دوافعها.

وفى مقابل قلة عدد التجار وضآلة دورهم وأهميتهم، فقد كان الصناع والفنانون أكثر عدداً، وأشد خطراً من التجار، وذلك يرجع إلى حرفتهم نفسها وأهميتها بالنسبة إلى الحضارة المصرية القديمة، ومع ذلك فليس هناك دليل على أن الصناع والفنانين كانوا يحيون فى بحبوحة من العيش وإن لم يكونوا فقراء كبقية الطبقة العاملة. وقد أطلق عليهم البعض تسمية «الطبقة الوسطى»، وهى الطبقة التى تقوم على أكتافها فى معظم الأحوال مهمة إيقاظ الشعوب من غفواتها والقيام بالثورات.

أما طبقة العمال، وهم الذين كانوا يعملون فى المناجم والمحاجر، وفى بناء الأهرامات والمقابر والمعابد. وكانت الدولة هى التى تشرف على العمال، بطريقة تضمن العناية بهم، ولقد أسهمت طبقة العمال بنصيب وافر فى تشييد العمائر

---

(1) J.A., Wilson, op. cit., p. 76.

وكذا: محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٠٥.

المصرية الضخمة من أهرامات ومعابد ومقابر. ومع ذلك فيبدو أنها لم تعش حياة تتفق والجهد الذى كانت تقوم به، ومع ذلك فقد كان النظام الدقيق الذى اتبع معهم، قد أعطاهم بعض حقوقهم، وضمن لهم مأكلاً وملبساً وربما كانوا أحسن حالاً من الفلاحين. أما دور هذه الطبقة فى الثورة فربما كان أكثر أهمية من دور الفلاحين. وأقل خطراً من دور الصناع والفنانين.

وكانت طبقة الفلاحين تؤلف الغالبية العظمى من الشعب، وكانت تتكون من قسمين، الأول يملك أرضه وحقله، والآخر أجير عند الفرعون أو عند الأمراء أو حكام الأقاليم. ويبدو أن دور هذه الطبقة فى الثورة كان أقل من غيرها.

وتجدر الإشارة فى هذا المجال إلى أنه لم يكن هناك نظام صريح، يظل فيه النبلاء والصناع والفلاحون مرتبطين بطبقة معينة جيلاً بعد جيل، فهناك أمثلة كثيرة انتقل فيها بعض المواطنين من أشخاص عاديين إلى موظفين كبار فى الدولة، ومن أشهر الأمثلة على ذلك «ونى» الذى يفهم من نصه الذى سجله على جدران مقبرته أنه كان رجلا من أسرة بسيطة استطاع أن يرتفع إلى كثير من الوظائف المرموقة فى البلاد. ومن ثم فقد كانت الفرصة متاحة لكل من تتوافر فيه الصفات اللازمة لشغل هذه الوظائف العليا. وهكذا كانت هناك أسباب اجتماعية للثورة، ربما نتيجة تسلط طبقة خاصة على كل الوظائف الهامة فى البلاد وربما استغلال هذه الوظائف استغلالاً سيئا، ووجود فواصل كبيرة بين الطبقات وبعضها.

ولقد كان لضعف الملكية وتخاذلها أمام حكام الأقاليم، أثره فى قيام الثورة ولقد بدأ هذا الضعف منذ منتصف الأسرة الخامسة، وبلغ ذروته على أيام ببى الثانى الطويلة، مما دفعه إلى أن يعين وزيرين، واحد للصعيد، والآخر للدلتا، ورغم ذلك فقد استمر حكام الأقاليم فى فرض الضرائب الفادحة واحتفظوا بها لأنفسهم وامتنعوا عن توريدها إلى بيت المال، حتى أصبحت

الحكومة فى منف شبه عاجزة عن تنفيد أوامرها وممارسه حقوقها، فتوقف إرسال البعثات إلى المناجم، وتجدد خطر الهجرات الاسيويه وهو الأمر الذى ساهم وساعد على قيام الثورة فلقد استدعت الطبيعة الجغرافيه لمصر وجود سلطة قوية قادره على فرض إرادتها، وقوة السلطة تستمد من وحدانيتها من ناحية ومن مركزيتها من ناحية أخرى، وكل هذا بدوره اقتضى توافر حد أدنى من الاستقرار والاستمرار.

ونظراً للضعف الذى أصاب الملكية، وعدم قدرة الملوك على كبح جماح حكام الأقاليم الذى سخروا كل ما على اقطاعيتهم من بشر وأراض وموارد لمصالحهم الشخصية ومساهمة الكهنة فى هذا الاستغلال أيضا، أن شعر الناس بالظلم وان عليهم تغيير هذه الأوضاع جميعها بدءاً من الملكية ذاتها، ويعبر هذا الأمر فى نفس الوقت على بلوغ المجتمع المصرى درجة من الوعى والإدراك جعلته يقرر رفع هذا الغبن الواقع عليه، وكان لهذا العامل أثره الفعال فى دفع الناس للقيام بالثورة.

ونتيجة للانهيار الداخلى الذى أصاب البلاد، فقد أصبحت الدولة عاجزة عن صد موجات التسلل الأجنبى من دخول البلاد، حتى أخذ هؤلاء الأجانب يعيثون الفساد فى الدلتا، وعبر عن هذه الحالة الحكيم «ايبو - ور» بقوله «لقد أصبح الأجانب أناساً فى كل مكان... لقد أصبح الأجانب مهرة فى حرف الدلتا»[1].

---

(١) توجد بردية ايبو - رو حالياً في متحف ليدن بهولندا، وأول من أشار إليها من العلماء، العالم الهولندي لانجا وذلك في عام ١٩٠٣، وفي عام ١٩٠٩ قام سيرالن جاردنر بترجمتها ترجمة دقيقة وقدم دراسة وافية لها وذلك في مؤلفه.

A.H. Gardiner, The Admontions of an Egyptian Sage. Leipzig. 1909, pp. 37-38.

وناقش جيمس هنرى أهميتها وأحسن تحليلها في مؤلفه:

J.H. Breasted. The Dawn of Conscience. New York. 1933. pp. 193 - 200

ثانيا: الأحوال السياسية فى عهد الثورة الاجتماعية:

يتكون عصر الثورة الاجتماعية من الاسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة وينتهى هذا العصر فى عهد الملك «منتوحتب الأول» (نب حبت رع) الذى تمكن من إعادة توحيد البلاد للمرة الثانية، وتبلغ الفترة الزمنية التى شغلها هذا العصر حوالى ثلاثة قرون على الارجح، إذ اختلف المؤرخون فيما بينهم حول تحديد هذه الفترة، ولكنها تدور حول هذه المدة. فيرى وليم فندرزيترى أن المدة التى انقضت ما بين الاسرة السابعة وقيام اسرة الاناتقة تبلغ ٣٤٤ عاما، ويرى هول أن المدة حتى سقوط الاسرة العاشرة يصل إلى ٢٣١ عاما، بينما يرى چيمس هنرى برستد أن هذه المدة تبلغ ٣١٥ عام. أما ويجال فيرى أن هذه الفترة تبلغ ٢٥٥ عاما بينما يتجه الرأى الحديث إلى أن هذا العصر لم يستغرق سوى ١٢٦ عاما على اعتبار أنه بدأ عام ٢١٨١ ق.م وانتهى عام ٢٠٥٥ ق.م[1]، ويعتبر هذا العصر من أشد عصور مصر الفرعونية التاريخية غموضا واقساها دكنه ولا نكاد نعثر على أثر قوى واضح ينير لنا السبيل، فآثاره المادية شحيحة نادرة بل ان الاسرتين السابعة والثامنة تكاد تمر الواحدة منها تلو الأخرى دون أن تخلف اثرا يشير إلى احداهما الا فيما ندر.

ونتناول فيما يلى بشئ من التفصيل الاحداث السياسية التى تمت خلال هذا العصر وسنحاول جاهدين تتبع هذه الاحداث قدر الاستطاعة.

الأسرة السابعة:

إن معلوماتنا عن الأسرة السابعة ضئيلة، إن لم تكن معدومه، وتتميز بوجود نزاع علي العرش بين ادعياء الحاكم والطامعين فيه إلي الدرجة التى ذكر فيها مانيتون أنه تولي الحكم في الأسرة السابعة سبعون ملكا منفيا لمدة سبعين يوما.

ومع غرابة هذه الرواية فقد حاول الباحثون أن يخرجوا منها ببعض الحقائق،

---

(1) I Shaw P Nicalson op cit p 310

فافترض بعضهم أن السبعين ملكا كانوا مجموعة من كبار الموظفين كونواحكومة بيروقراطية ترأسها كل واحد منهم يوما واحدا ، بينما رأى آخرون ان هؤلاء السبعين ملكا ما هم الا جماعة من الاشراف وكبار حكام الاقاليم أقاموا فيما بينهم حكومة أوليجركية وأرادوا اقامة حكم مشترك يتعاقبون في رئاسته بالتناوب ولكنهم فشلوا ، ويتجه الاستاذ الدكتور عبد العزيز صالح إلى القول بأنه ليس هناك ما يمنع من أن نفترض أن السبعين يوما كانت فترة اضطراب شامل خلا العرش فيها من صاحبه فانتحل كل حاكم من حكام الاقاليم الكبار السلطان لنفسه مع اعتبار عدد السبعين ملكاً مجرد مبالغة عددية لتصوير كثرتهم أو تعدادهم وحيرة الناس بينهم.[١]

ويرجع وليم هيز[٢] أن هذا انما هو حكم طارئ اتخذ من منف مقرا له ليحل محل الملكية المنهارة في أخريات الدولة القديمة، أو لعله كان حكومة خاصة شكلت من مجلس شورى، اعضاءه من الصفوة الممتازة من الحكام الذين عاشوا من سلالة ملوك الاسرة السادسة أو من كبار الموظفين وحكام الاقاليم كونوا من أنفسهم هيئة حاكمة يطلق على كل واحد من أولئك السبعين لقب ملك أو حاكم، غير أن هذا النوع من الحكم الذي لم يعهده المصريون لم يجد منهم قبولا ، فلم يستمر أكثر من سبعين يوما .[٣]

ويلاحظ ان نسخة يوسيفوس المنقولة عن مانيتون قد نقلت عنه هذا العدد محرفا إلى خمسة ملوك حكموا سبعين عاما ، وصححته الترجمة الارمنية إلى خمسة ملوك وسبعين عاما .

أما بردية تورين فقد اوردت خمسة اسماء حكموا في هذه الفترة الا أنه يلاحظ أن أول هذه الاسماء الخمسة مفقود واعطتهم مدة حكم تقدر بخمسة وسبعين عاما ، وعلى ذلك فان الترجمة الارمنية تتفق مع ما جاء في بردية تورين.

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٤٠١.

(2) W.C., Hayes, The Scepter of Egypt, 1, New york, 1953, P. 13.

(٣) أحمد فخري: مصر الفرعونية ١٩٧١ ، ص١٦٣.

أما قائمة ابيدوس فهى تقدم لنا خمسة اسماء كذلك. ويتجه بعض المؤرخين إلى الاعتقاد بان الاسرة السابعة لم تمكث فى الحكم اكثر من ثمانية اعوام.

ويرى سميث[1] أن الاسرة السابعة حكمت فى الفترة من ٢١٨١ - ٢١٧٣ قبل الميلاد وان ملوكها:

١- نفر كارع (الصغير).
٢- نفر كارع نبى.
٣- جد كارع شماى.
٤- نفر كارع خندو.
٥- مرى ان حور.
٦- نفر كا مين.
٧- نى كارع.
٨- نفر كارع.
٩- نفر كاحور.

ولقد عثر على اسم أول ملوك الاسرة السابعة، طبقا لهذا الترتيب وهو نفر كارع الثانى على بقايا لوحة حجرية عثر عليها فى إحدى حجرات مقصورة الملكة ايبوت، والتى الحقت بهرم الملكة نيت بجوار مقبرة زوجها «ببى الثانى»[2].

ومهما كان أمر هذه الأسرة فقد انتهت دون أن تخلف من ورائها شيئا يذكرها أو يذكر الناس بها.

الاسرة الثامنة:

بدأت الاسرة الثامنة واستمرت على نفس الضعف الذى انتهت إليه الاسرة السادسة وقامت عليه الاسرة السابعة ولا يكاد يعرف من آثارها المكتوبة غير عدة نصب عثر عليها فى قفط تضمنت مراسيم بأسماء الملوك واج كارع، ونفر كارع، ونفر كاحور، وجرى فيها اصحابها على سنة سلفهم القديم ببى الثانى فى

(1) W.S., Smith, op. cit., pp. 197-200, 995.
(2) G, Jequier, les pyramides des reines Neit et Apouit, Cairo, 19[illegible] p.53.

تقرير اعفاءات معينة لصالح معبد الاله مين ورجاله فى قفط، وصالح الاوقاف الملكية الموقوفة على تماثيلهم فيه. (١)

وتضمن أحد هذه المراسيم تهديدات من الفرعون يتوعد فيها كل من يجرؤ على الاعتداء على المقابر والمعابد وتحطيم التماثيل بحرمانه من ميراث آبائه ونفيه وعدم دفنه بين المكرمين. وتدل هذه التهديدات فيما يغلب على الظن على أن الاعتداءات على المقابر والمعابد والتماثيل كانتا قائمة بالفعل وأن الحكام حاولوا أن يوقفوها ومنعوها بكل الطرق، ولجأوا فى مقاومتها إلى تنويع العقوبات بين السجن والنفى والحرمان دون ان يسرفوا فيها إلى حد عقوبة الاعدام.

وتضمنت المراسيم نفسها تعيين اختصاصات ثلاثة من كبار موظفى قفط كانوا أصهاراً للاسرة المالكة دعى اكبرهم «شماى» واتخذ لقب الوزير وحاكم الجنوب وكان الاخران ولدين له ويبدو أن نفوذ هذه الاسرة القفطية الحاكمة قد ازداد حيث حكموا سبعة اقاليم من جنوب الصعيد لولا أن السلطة التى توفرت لهم لم تستمر اكثر من اربعين عاما، ثم تسربت زعامة الصعيد من بين ايديهم إلى حكام طيبة فى نفس الوقت الذى انتقلت فيه زعامة مصر الوسطى من أيدى ملوك منف إلى حكام أهناسية غربى بنى سويف.

وتذكر بردية تورين أن مدة حكم الاسرة الثامنة قد بلغ ١٠٦ سنة أما قائمة ابيدوس فقد سجلت من أسماء الاسرة الثامنة سبعة أسماء.

ولا تعترف قائمة ابيدوس بملوك الاسرتين التاسعة والعاشرة وعلى ذلك فان الاسماء السبعة عشر تخص الاسرة الثامنة على الارجح أما مانيتون فيذكر أن ملوك هذه الاسرة قد حكموا ١٤٦ عاما.

(1) W C.. Hayes. Royal Decrees From the Temple of Min at Coptos, in J.E.A 32 1964. pp. 3 23

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة هنا إلى أن الكثير من ملوك الاسرة الثامنة قد حملوا اسماء بعض ملوك الاسرة السادسة فوجد اللقب «نفر كارع» الذى كان اسما للملك «ببى الثانى» أما ككل أو جزء فى القاب ستة من الاسماء التى تقدمها قائمة ابيدوس. مما يبين مدى تمسك هؤلاء الحكام الصغار بأكثر فراعين الاسرة السادسة توقيرا واحتراما هذا إلى جانب انهم دفنوا أو عملوا على أن يدفنوا فى سقارة الجنوبية على مقربة من هرم ببى الثانى، ولعل هذا كله هو الذى دفع بعض المؤرخين إلى ترجيح أن اولئك الحكام كانوا ورثة شرعيين لملوك الاسرة السادسة.

ويذهب وليم هيز[1] إلى أن «نفر كارع» مؤسس الاسرة الثامنة - انما كان ابنا أو حفيدا للملك نفر كارع «ببى الثانى». وانه واحد من ثلاثة ملوك ذكروا فى بردية تورين حيث خصص له فترة حكم قدرها اربع سنوات وهى اطول فترة لواحد من الثلاثة، وقد بنى هرمه بسقارة الجنوبية.

وهكذا نرى أن ملوك الاسرة الثامنة قد حاولوا الانتساب - بحق أو بغير حق إلى ملوك الاسرة السادسة ليضفوا على ملكهم الصفة الشرعية - بصفتهم خلفاء شرعيين لاسلافهم، كما حاولوا الاعتماد على بعض الاسر القوية فى الاقاليم فصاهروهم كما تم منحهم بعض الامتيازات ويمكن القول بأن أمور البلاد على ايام الاسرة الثامنة انما هى جد قلقة ففى الدلتا كانت عصابات البدو الذين تسللوا إلى البلاد منذ اخريات ايام «ببى الثانى» قد اصبحوا يتجولون فى كل الدلتا، أما البعثات إلى سيناء لاستخراج الفيروز فقد توقفت ولم تستأنف حتى قبيل ايام الاسرة الثانية عشر أما فى جنوب الصعيد، فقد كانت الامور غير مستقرة، ذلك لان سلطان قفط لم يلق قبولا حسنا من ادفوا واسوان، فقامت الحرب هناك، والتي انتهت بانتصار طيبة وقفط.

(1) W.C., Hayes, The Septer of Egypt, 136.

وانتهت الاسرة الثامنة دون أن ندرى كيف انتهت على وجه اليقين وتصبح البلاد مقسمة أقساما ثلاثة، ففى الشمال كانت جحافل الاسيويين وفى الجنوب التفت البلاد حول امراء طيبة وليس قفط فقط أما فى مصر الوسطى فلقد انتهز حكام اهناسيا فرصة ضعف الملك «دمج أيب تاوى» آخر ملوك الاسرة الثامنة واقاموا بيتا جديدا للحكم فى اهناسيا قدر له له أن يحكم البلاد فى الاسرتين التاسعة والعاشرة، وعرف فى التاريخ باسم «العصر الاهناسى»[1].

العصر الاهناسى (الاسرتان التاسعة والعاشرة):

كان مؤسس الاسرة التاسعة «خيتى الأول» (مرى ايب رع) ويبدو أنه بدأ حكمه بنوع من الشدة التى قصد بها تأييد ملكه والزود عنه - وربما دفعت ظروف البلاد إلى ذلك، فالبدو يتحكمون فى الدلتا، وحكام الصعيد يتنافسون فيما بينهم على السلطان، وهو نفسه محاط بمنافسين حاقدين وعلى أى حال فإن «مرى ايب رع» (المحبوب من قلب الارضين) لم يتردد فى أن يظهر نفسه بالقاب فرعونية كاملة، هذا وقد عثر له على مجموعة من النصائح والحكم.

وهناك شك فى أن حكمه قد امتد إلى الدلتا التى بقيت فى قبضة الآسيويين، أما فى الجنوب فقد امتد نفوذه حتى «ثنى» (ابيدوس) وان وجد اسمه فى نقوش عند الجندل الأول، ورغم ان هناك من يرى فى ذلك دليلا على امتداد نفوذه حتى اسوان فان امراء طيبة قد تزعموا الاقاليم الجنوبية حتى نجحوا آخر الامر فى القضاء على البيت الاهناسى كله، مؤسسين الاسرة الحادية عشرة.

وهناك أختوى آخر لقب نفسه «نب كاورع» أمكن التعرف عليه عن طريق ثقل ميزان عثر عليه فى «بشيوم» فضلا عن ورود اسمه فى الاعمال القصصية المصرية القليلة التى بقيت لنا كاملة وهى قصة «الفلاح الفصيح».

W.S., Smith, op. cit., p. 198.

وكان البيت الاهناسي يزداد ضعفا على ايام الاسرة التاسعة وفى نفس الوقت كان حكام الاقاليم يزدادون قوة حتى جاء اليوم الذى زال فيه حكم هذه الاسرة وتلتها اسرة أخرى وهى الاسرة العاشرة التى اظهرت شيئا من النشاط وبدأ الظلام المخيم على تاريخ مصر ينقشع قليلا، حيث دخلت مصر من جديد في مرحلة من التطور وكان ذلك علي يد «مري حاتحور».

كان «مرى حاتحور» هو مؤسس الاسرة العاشرة، وقد عرفناه من نص مشوه عثر عليه فى محاجر حتنوب، واما خليفته «نفر كارع» فقد ورد اسمه فى بردية تورين، أما ثالث ملوك الاسرة فهو «واح كارع» (اختوى الثالث - أو الرابع فيما يروى البعض). وهناك ما يشير إلى أن ايام خيتى الثالث (واح كارع) انما كانت ايام حروب، فهناك النزاع بينه وبين البدو الآسيويين والذى حاول فيه أن يطهر الدلتا من الأجانب المتعصبين ويذهب البعض إلى أنه قد تمكن من تطهير الدلتا منهم وان ذهب فريق آخر إلى أن ذلك لم يتم الا بعد توحيد مصر وبناء حائط الأمير.

وجاء بعد «واح كارع» ولده «مرى كارع» الذى استقبلته مصر الوسطى بثورة ضده ولكنه تمكن من القضاء عليها مؤقتا ويبدو أنه لم يعش بعد ذلك طويلا فودع الدنيا بعد اعوام قلائل، ثم دفن فى منف، ويبدو أنه لم يترك خلفا يرث العرش من بعده، فانتهت به الاسرة العاشرة وان كان هناك من يرى أن اخيتوى (خيتى الخامس) قد خلفه على عرش اهناسيا وانه لم يعش على العرش طويلا، إذ عاودت جيوش طيبة هجومها فقضت على عائلة اهناسيا وأخضعت مصر كلها وبدأت الاسرة الحادية عشر، حيث بدأ عهدا جديدا وعادت مصر إلى وحدتها القديمة يحكمها ملك واحد، وذلك فى عصر الدولة الوسطى.

الحرب الأهلية بين اهناسية وطيبة:

بدأت طيبة تسيطر على أقاليم الجنوب منذ أيام «أنيوتف الأول» (نيوتف) مؤسس سلسلة الملوك المعروفة باسم الاسرة الحادية عشرة، وهناك ثلاثة لوحات يمكن أن تعد وثائق معاصرة لهذا الأمير يوصف في اثنين منها بأنه «الرئيس الاعلى لمصر العليا» ويوصف في الثالثة بأنه «الرئيس الاعلى لمقاطعة طيبة»، وربما كان الأكثر قبولا أن نفترض وجود سلف واحد يحمل نفس اللقب وان انيوتف هذا انما هو «انيوتف عا» (انيوتف العظيم) الذى استطاع ان يخضع الجنوب من وراء حدود إقليمه، وأن لم يجرؤ على انتحال الملكية.(١)

أما أول انيوتف ملكي فقد كان «سهر تاوي» (مهدئ الارضين) (٢١٢٥ – ٢١١٢ ق.م) وكان أول حاكم طيبي احس في نفسه القوة على أن يغتصب نوعا من الملكية في الجنوب وان لم يستطع هو أو أحد من خلفائه الثلاثة أن يلبس التاج المزدوج وأن اسبغوا على انفسهم لقب «نسوت بيتي» الذى يمكن ترجمته إلى ملك مصر العليا والسفلى، وقد حفظ لنا اسمه «حور سهر تاوي» مهدئ الارضين ابن رع «أنيوتف»، وهو على أي حال أول حاكم طيبي يكتب اسمه داخل خانة ملكية (خرطوش) كما أنه ظهر كثائر ومناهض لخصمه القوى حاكم اهناسيه. إلا أن الاحتكاك الحربي بين طيبة واهناسية لم يبدأ الا في عهد خلفه «واح عنخ أنتف»(٢) (٢١١٢ – ٢٠٦٣ ق.م) (٣).

وكانت اهناسية تحس أن سلطانها على مصر لم يتم، مادام هناك آسيويون في الشمال وطيبيون في الجنوب، كل منهما يحتل جزءا من البلاد وكانت طيبة بدورها تحس بأن استقلالها لن يمكنها من زعامة الصعيد، والتحكم في شئونه ما دامت تدين بالولاء لأهناسية، وتدفع لها الجزية، وكان كل من الفريقين

(1) A.H., Gardiner, Egypt of the Pharaohs, pp. 117 - 118.

(٢) محمد بيومي مهران، المرجع السابق ص٢٩٩.

(3) I, Shaw, P. Nicolson, op. cit., p. 310.

يتربص بالاخر الدوائر، ويعمل على تجميع انصار له، وهكذا عمل الاهناسيون على ربط حكام الاقاليم بهم برباط الود واتبعوا فى ذلك سياسة بعض ملوك الدولة القديمة فى تربية ابناء الحكام الاقوياء فى قصورهم ليصبحوا أوفياء لهم.

وحاولت طيبة بدورها أن تجمع الأحلاف من حولها، وربما نجحت فى ذلك بعض الشئ، ولكنها اعتمدت بشكل أساسى على حصانتها، ورجالها وعلى اذكاء روح الأمل فيهم.

وبدأ التنافس بين أهناسيه وطيبة فى صورة خفية أول الامر، ثم سرعان ما اتخذ صورته المكشوفة بعد ذلك، إذ قامت بين الفريقين المتنافسين معارك دارت رحاها على صفحة الماء مرة وفى البر مرة أخرى ولعل السبب أن كلا من «خيتى» و «أنيوتف» انما كان يتطلع إلى «ابيدوس» كأنما هى من أملاكه الخاصة فهى بالنسبة لملك اهناسيه أو بالنسبة إلى مولاه (تف ايب) صاحب اسيوط - قلعة باب الجنوب - وبالنسبة إلى انيوتف بوابة الشمال وهى مقدسة لدى الجميع واثارة الحرب على ارضها تدنيس يحمل وزره من يسعى اليها.

بدأت اهناسيه الحرب على طيبة، ويبدو أنها انتصرت فيها، وقد تابع (تف أيب) الذى كان قد خلف أباه «خيتى» فى امارة أسيوط الحرب ضد اهل طيبة وحلفائها حتى فروا إلى شرق البلاد، بينما اصطادهم آخرون فى الجنوب وهكذا هُزم امراء طيبة وان لم تكن هزيمتهم حاسمة إذ احتاج الاهناسيون إلى عمليات حربية أخرى، مما اضطر «تف ايب» إلى منازلة ثوار طيبة مرة أخرى، ويذكر انه أحرز النصر عليهم الا أنه يفهم من أشارات أخرى ان الجانب الطيبى انما قد استطاع ان يسترجع ابيدوس. وان يمد حدوده حتى الاقليم العاشر أى حتى مدينة واجت (افروديتوبوليس) كوم اشقاو الحالية - مركز طهطا محافظة سوهاج.

وعلى أى حال فقد كان من المنتظر ان يعود (واح عنخ - انتف) إلى طيبة

وان ينتظر ما تقرره اهناسيه بعد هزائمه السابقة، إلا أنه أعاد الكرة من جديد، حيث كتب له من النجاح ما لم يكتب من قبل[1]، فقد تمكن من ضم «ثنى» ودمر تخومها الشمالية.. وهكذا استطاع أن يضيف إلى املاكه مقاطعة (ثنى) وان يوطد حدوده الشمالية عند «افرود يتو بوليس».

وهكذا.. تنتهى المرحلة الأولى من النزاع بين طيبة واهناسيا بانتصار طيبة. وبعد موت (واح عنخ) يخلفه فى زعامة طيبة ابنه «نخت نب تب نفرة - انيوتف»، ومعنى لقبه «قوى سيد البداية الجميلة»، ثم جاء بعده «سعنخ ايب تورى» (منتوحتب الأول) ولقبه يعنى «منتو راضى» وكان المؤرخون يعتبرونه الملك السابق للفرعون «نب حبت رع» الذى كتب له نجاحا بعيد المدى فى النصر على الاهناسيين، والقضاء على ملكهم واعادة توحيد البلاد كلها.[2]

وكأن «مرى كارع» قد اعتلى عرش اهناسية بعد وفاة ابيه (خيتى) الذى ترك له تعاليمه المشهورة، كما كانت امارة أسيوط قد نقلت إلى خيتى الثانى «والى اسيوط»، الذى ربما كان يشغل منصب القائد الحربى لمملكة اهناسية، الذى فاخر بانه أدب مصر الوسطى واخضع الثوار، واعاد النظام ويبدو لنا أن نقوش «خيتى» والى اسيوط لم تقدم صورة حقيقية عن الحالة فى اهناسية وبين حلفائها، فليس صحيحا كما ذكره ولعله أراد بهذه الكلمات أن يخفى الحقيقة المرة التى كانت تواجهه وتنذره بأن حربا شعواء سوف تندلع فى عهد سيده «مرى كارع» وليس صحيحا كذلك أن كل زعماء مصر الوسطى كانوا فى صف سيده، فهناك ما يشير إلى أن ولاء حكام بعض الأقاليم فى مصر الوسطى لقضية حكام اهناسيا، ليس فوق مستوى الشبهات فهناك ما يثبت أن الاشمونيين قد ثارت على الاهناسيين منذ عهد واليها «نحرى».. وهكذا يعلن أمير مقاطعة الارنب الحرب على الفرعون ويفخر بأنه حمى مدينته من الفرعون نفسه. وان كان قد عاد

---

(١) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، ص٣٠٢

(2) J., Vercoutter, op. cit., p. 348.

ثانية إلى حظيرة مولاه اسميا، وهكذا، افلت الزمام من أيدى ملوك اهناسية، ولم تعد سياستها تجاه الأمراء ذات فائدة للحفاظ على عرشهم وأصبح القضاء عليهم أمر وقت وجاء ذلك على يد «منتوحتب الأول».

وليس هناك شئ محدد تماما عن الحملات التى استطاع بها «منتوحتب الأول» استعادة عرش مصر وتوحيد البلاد، ولكن مما لا شك فيه أن «منتوحتب الأول» قد بذل كثيرا من الجهد لاخضاع كل معارضة قامت في طريقه حتى انتهى الامر باستيلائه على اهناسية، وبذلك استطاع أن يخضع الصعيد لسلطانه، وأن يستخدم اللقب الحورى «نب حدج» الذى يعنى سيد التاج الابيض ثم تابع جهاده فى سبيل السيطرة على مصر كلها، فأخضع الدلتا لحكمه، ومن ثم فقد غير لقبه الحورى إلى سماتاوى الذى يفيد معنى (موحد الارضين) ثم اتجه بعد ذلك إلى تأمين حدوده فحارب الأعداء المتواجدين فى الشرق والغرب كما اخضع منطقة جنوبى اسوان، ولم يحاول أن يصطدم بالامراء الاقوياء فتركهم يحكمون أقاليمهم واكتفى منهم بالطاعة والجزية وحسن الولاء.[١]

وهكذا كان «منوحتب الأول» (نب - حبت - رع) أول ملوك الاسرة الحادية عشرة. ومن هنا فان المصادر انما تجمع على ذكر اسمه، فعلت ذلك بردية تورين وقائمة إبيدوس، ولعل ذلك هو الذى دفع البعض إلى اعتبار قيام الاسرة الحادية عشرة انما كان ٢٠٥٢ ق.م أى منذ توحيد القطرين تحت زعامة «منتوحتب الأول) وقد اتخذ «منتوحتب الأول» الالقاب التى تدل على أنه ملك مصر الحقيقى، فسمى نفسه «الحور سماتاوى» (موحد الارضين)، وصاحب الالهتين سام، حور الذهبى، قا - شوتى، ملك مصر العليا السفلى، نب حبت رع، ابن رع منتوحتب الأول، وهذه هى الالقاب الفرعونية الخمسة.[٢]

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٣٠٧ - ٣١٠.

(2) H.E., Winlock, the Rise and Fall of the Middle Kingdom in thebes, N.Y., 1947, P. 30.

ثالثا: الاحوال الفكرية فى عصر الثورة الاجتماعية

وبعد دراسة العوامل التى أدت إلى قيام الثوة الاجتماعية الأولى والاحوال السياسية والاقتصادية التى صاحبتها نجد من الضرورى دراسة أهم الاثار النصية لهذا العصر وتعتبر البرديات من المصادر الرئيسية التى نستقى منها معلوماتنا عن تلك الفترة الهامة فى تاريخ مصر ومن هذه البرديات بردية ايبور التى تصور حالة البلاد ، وما ساد فيها من فوضى واضطراب اجتماعى، والبردية التى تحتوى النصائح التى وجهها خيتى لابنه مرى كارع والتى تعبر عن الاحوال السياسية السائدة فى تلك الفترة، كما أنها تعبر فى الوقت نفسه عن وجود نوع من الوعى لدى رجال السلطة، وبردية القروى الفصيح التى تدل على وجود نوع من الادراك لدى عامة الناس، فقد انقذت البلاغة والوعى القروى الفقير من بطش الغنى وايقاف ظلم كبار الموظفين، فلم يسأم أو يمل، واخيرا كان لحديثه آذان صاغية وسر الملك لنصائحه ورضى عنه وأنصفه، واعاد اليه حقه.

وعبرت النصوص الأدبية كذلك عن الاحوال الفكرية التى سادت هذا العصر فقد كان من نتائج الثورة الاجتماعية الأول انها شجعت المصريين على اعلان عقائدهم وأرائهم فى عقائد اسلافهم، بالنقد مرة والمدح مرة أخرى ورغبة التعديل مرة ثالثة فقد ترتب على اعتداء بعض الثوار فى اواخر الدولة القديمة على الاهرام والمقابر ونهبهم محتوياتها بل وجرأتهم على معابد الآلهة أحيانا ان ظهرت بين الناس أربعة اتجاهات عقائدية متميزة: اتجاه متحرر شك اصحابه فى مقومات الخلود التى آمن اسلافهم بها واقاموا الاهرام والمقابر من أجلها ، كما شكوا فى افكار الخلود نفسها ، واتجاه آخر من المتزمتين برموا فيه بكفر اصحاب الاتجاه الأول فتجلى التشاؤم على نظرتهم إلى الحياة الدنيا واحوالها واتجاه ثالث محافظ أصر اصحابه على عقائد اسلافهم فى الخلود ومقوماته وقرابينه ودعواته. واخيرا اتجاه رابع مجدد آمن اصحابه بأن الخلود حق لاشك فيه، ولكنهم آمنوا فى

الوقت نفسه بأن سعادة الفرد فى الاخرة لا ترتبط ببناء المقابر الفخمة أو تقديم القرابين بقدر ما ترتبط باعمال الانسان فى دنياه وايمانه بعدل اربابه فى أخراه[1]، وظهرت موجة الشك فى موال ردد على أنغام الجنك فى حفل لذكرى امير عزيز، ويطلق عليها اغنية الضارب على العود، وهى تدعوا إلى التمتع بمباهج الحياة الدنيا ما وسعهم إلى ذلك من سبيل، دون قلق على الآخرة وما يصيبهم فيها.

وبدأت الموجة الثانية، موجة التشاؤم واليأس، منذ أيام الثورة ايضا وعبر عنها ايبوور بانتحار بعض الناس غرقا؛ وسخط الاطفال على ولادتهم والرغبة فى فناء العالم كله حتى تستريح الأرض من الضجيج، وعبر عن هذا الاتجاه، كذلك حوار سجله اديب مصرى على بردية بين رجل سئم عيوب الحياة فى عصره، وبين روحه وجعل الروح تتحدث فى هذا الحوار كأنها شخص آخر ويبدو أن المناقشة بدأت بينهما بأن أعلن لروحه ضيقه بمساوئ عصره، بينما أعلنت روحه رضاها بدنياها ورغبتها فى أن يترك ما بعد الموت لما بعد الموت، ولما احتدم الجدل بينهما تحدته أن يحرق نفسه وينتحر إذا كان جادا فى ضيقه بالحياة، ولكنه تردد وظل كل منهما يحاور الآخر ويداوره، حتى اضطر إلى أن يهادنها، فقصت عليه مثلين من مصائب الناس فى فقد أولادهم وفقد ثرواتهم لعلها تخفف عنه بلواه وقص هو عليها ما دعاه إلى الضيق بالحياة، ويبدو أنه قد تكفل بالدعوة بين الناس ولكنه لم يجد بينهم سميعا ولا مجيبا، وبقدر ما وجد بينهم من أساؤا إليه وشوهوا سمعته وقد قص شكواه فى أربع قصائد بدأ كل قصيدة منها ببداية متشابهة.[2]

واستمر اصحاب الاتجاه الثالث المحافظ على عقائد الاسلاف وكانوا أكثر

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص٤١١.
(٢) نفس المرجع السابق، ص٤١٢.

عددا من سواهم واعتبروا حوادث التخريب والشك حوادث عارضة، وسجلوا على توابيتهم دعوات كثيرة اقتبسوا بعضها من دعوات كهان الدولة القديمة، وبعضها من متون الاهرام التى سجلها الفراعنة على اهراماتهم منذ الاسرة الخامسة.

وألفوا بعضها بما يتناسب مع عصرهم، والأمانى التى أصبحوا يرجونها لأنفسهم وذويهم فى العالم الاخر. وتعرف هذه الدعوات اصطلاحا باسم «متون التوابيت» واهم ظاهرة فيها هى تلقيب اصحابها لكل متوفى بلقب اوزير أملا منهم فى أن ينعم فى عالم الاخرة بما نعم به أوزير من خلود، وكان هذا التجديد - كما سبق القول تطورا ضخم المدلول، فقد كان التلقيب بلقب اوزير قاصرا فى الدولة القديمة على الفرعون المتوفى وحده، ولكن نتيجة لضعف الملكية فى أواخر الدولة القديمة تلقب حكام الاقاليم بلقب أوزير، فأصبحوا يرجون لانفسهم فى الاخرة ما كان الفراعنة يرجونه لأنفسهم، ثم قلدهم فى ذلك كبار الموظفين وكبار الكهان، واصبح المصير الأوزيرى شيئا فشيئا أملا مشاعا لكل انسان.(١)

وعبر عن الاتجاه الرابع المجدد «خيتى» فى نصائحه لابنه التى حضه فيها على الاستقامة والعدالة والخلق القويم وأنهم اكثر قبولا عند الرب من ثور يقدمه رجل اعتاد على الشر.

وسنحاول فيما يلى تقديم بعض هذه البرديات. وسنبدأ ببردية ايبوور(٢) وهى محفوظة الآن فى متحف ليدن بهولندا، وتعرف باسم ورقة ليدن رقم ٣٤٤ وقد نقلت إلى هذا المكان عام ١٨٢٨م. وقد ضاع اولها واخرها مهشم وبها فجوات كثيرة فى وسطها، ولذلك كان من الصعب الإهتداء فى أول الامر إلى

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٤١٢.

(٢) انظر: A., Erman, op. cit., P. 92. FF.,
A.H., Gardiner, The Admonitions of Egyptian sage.,
M. Licheim, Ancient Egyptian Literature I. pp 149 - 163

موضوعها الحقيقى. وكان المفهوم منها انها ورقة تعليمية، وقد بقى الحال كذلك إلى أن نشر الاستاذ لنجه «عالم الآثار الدينماركى» مقالا كشف فيه عن مضمونها الحقيقى، إذ قال أنها تنبؤات حكيم مصرى وكان ذلك فى عام ١٩٠٣ ولم تمضى بضع سنين حتى قام الاستاذ جاردنر بدراستها دراسة وافية وعلق عليها بشروح علمية ولغوية بقدر ما سمحت به حالة الوثيقة المهشمة وما بها من اخطاء التى لابد قد إرتكبها ناسخها. ويرجح أن صاحب هذه البردية وهو ايبوور (ايبو العجوز) قد عاش فى أواخر عهد ببى الثانى أو فى عهد أحد خلفائه الضعاف وله علاقة بأهل البلاط وتمكن من مقابلة فرعون نفسه وحاول أن يحمله هو وحكومته تبعية ما انتهت إليه أحوال البلاد على أيامه من ضعف ودمار

ويفهم مما بقى من هذه البردية أن صاحبها قسمها إلى فقرات، وحاول أن يبدأ كل مجموعة من فقراتها ببدايات متشابهة فبدأ فقرتها الأولى بأسلوب الحكاية، وورد فى بداية كل فقرة منها عبارة اصطلاحية تعنى ما تعنيه عبارة «حقا قد حدث كذا وكذا»، وما يدعو إلى الاسف ان بداية هذه البردية كما سبق القول، قد فقدت وهى الجانب الذى كان على ما يبدو يحتوى على الاحوال التى دعت ذلك الحكيم إلى الإدلاء بالتحذيرات الموجودة فى هذه الوثيقة وفى قيام ايبوور بالقاء اتهام طويل مفعم بالغضب على حالة عصره، أمام حضرة ملك (لم يعرف اسمه بالتحقيق) وشهده بعض المجتمعين لدى الملك والذين يحتمل انهم كانوا حاشية ثم ينتهى بإسداء النصح لقومه فيحذرهم من الإهمال ويدعوهم إلى الإصلاح، ويلى ذلك رد قصير من جانب الملك، وينتهى المقال بتعقيب ايبوور على الرد الملكى.. وتنتهى البردية بقصة طريفة بدأ يتحدث فيها عن والده الا أن هذه القصة فقدت من البردية تماما.

ومما لاشك فيه أن ايبوور كان مصلحا، وكان يدرك مفاسد الحكم فى عصره لولا أنه من طبقة ارستقراطية قديمة وكان يتمنى إصلاحها من داخلها أو

على يد فرعون حازم مصلح، ولم يكن يستسيغ أن يفرض التغيير عليها عن طريق طبقة أقل منزلة منها، ولهذا اختلط الإخلاص فى روايته بالمبالغة واختلط التحسر بالامل واختلط الخطأ بالواقع.

وتتضمن البردية فقرات نثرية وست قصائد شعرية، وهذه تكون نواتها الحقيقية وتبتدئ كما وصلتنا بأن الحكيم قد أخذ فعلا فى تصوير مصيبة البلاد وقيام ثورة عنيفة عارمة ضد الاوضاع السياسية والاجتماعية التى اشتد فسادها فى عصره وصحبها فى البداية شئ من العنف ورغبة التنفيث والانتقام، فأباح الثوار لانفسهم اقتسام املاك الملكية ومواردها وأملاك انصارهم، وقلبوا أوضاع العاصمة رأسا على عقب، ولم يستثنى أحد من ذلك حتى أولئك المكلفون بالحراسة ويصور ايبوور تلك الحالة بقوله: «يقول حراس الابواب: فلنذهب لننهب» وثار القوم جميعا حتى أصحاب الحرف الهادئة كبائعى الحلوى وصانعى الجعة ويروى ايبوز ذلك بشئ من التهويل والمبالغة، فيقول: «لقد اصبح الرجل ينظر إلى والده نظرة عداء.. وارتدى الفضلاء ملابس الحداد.. والرجل الفاضل يذهب بملابس الحزن بسبب ما بقى بالارض».. ثم يصور حالة مصر غداة الثورة بقوله: «واصبح الأجانب مصريين فى كل مكان». وربما كان ما يقصده هنا أن الاجانب الذين توافدوا على مصر فى ذلك الوقت قد تجرأوا على أن يضعوا أنفسهم موضع المصريين فى هذا الانقلاب العام.

ويصف ايبوور فى قصيدته الأولى حالة البؤس العام التى عانت منها مصر من سرقة وقتل وتخريب وقحط وتدمير الإدارات وطرد الموظفين. والقضاء على التجارة الخارجية وانتشار الاجانب فى البلاد وانقلاب الاحوال الاجتماعية. ويبتدأ كل بيت من هذه القصيدة بعبارة تفيد معنى «حقا لقد» أو «فى الحق» وذلك اشارة إلى وجود اشياء لا يمكن تفنيدها، ومما جاء فى هذه القصيدة «البلاد ملأى بالعصابات، ويذهب الرجل ليحرث ومعه درعه».

«حقا فان الوجه قد شحب، وحامل القوس أصبح مستعد والمجرمون فى كل مكان، ولا يوجد رجال من رجال الأمس».

«حقا أن النيل فى وقت الفيضان، ومع ذلك لا يحرث أحد من أجله»
«حقا لقد صارت النساء عاقرات، وانقطع الحمل، واصبح الاله «خنوم» لا يسوى الناس بعد بسبب حالة الارض المضطربة».

«حقا لقد أصبح المعوزون يمتلكون الآن أشياء جميلة، ومن كان يخصف نعليه أصبح صاحب ثروة».

«حقا ان القلب لثائر والوباء قد انبث فى كل الأرض، والدم صار فى كل مكان.. ولفائف المومبات تتكلم، وان لم يقترب الانسان منها».

«حقا لقد دفن رجال عديدون فى النهر، فأصبح النهر قبرا، وصار المكان الطاهر مجرى» (كانت الجثث من الكثرة بحيث أصبح دفنها متعذرا، ولذا فأنها القيت فى الماء كالماشية النافقة).

«حقا لقد أصبح الحزن يملأ (قلوب) اصحاب الأصل الرفيع، أما الفقراء فقد امتلؤا سرورا، واصبحت كل بلد تقول: فلنبعد القوى من بيننا».

«حقا لقد أصبحت الأرض تدور كعجلة صانع الفخار، وصار اللص صاحب ثروة».

«حقا لقد سرى الدم فى كل مكان، واصبح مجرى النهر قبرا، وأصبح مكان الطهور فيه بلون الدم، وإذا قصده الناس ليشربوا منه عاقتهم جثث البشر وظلوا إلى ظمئهم بالماء».

«حقا لقد أصبحت التماسيح فى تخمة بما قد سلبت، إذ يذهب الناس إليها عن طيب خاطر وحالة البلاد اصبحت سيئة».

«حقا لقد اصبحت الارض الحمراء منتشرة فى كل البلاد. وخربت المنازل ونزل قوم اغراب من الخارج إلى مصر.. (يقصد هنا أن الاجانب اصبحوا فى كل مكان) حقا ان الذهب واللازورد والفضة والياقوت والبرونز والمرمر.. تحلى جيد الجوارى، والسيدات النبيلات يمشين فى طول البلاد وربات الخدور يقلن: ليس عندنا بعض الشئ لنأكل». «حقا فان المواطنين قد ألقى بهم على أحجار الطواحين.. وهؤلاء الذين كانوا يرتدون الكتان الجميل أصبحوا يضربون.. واللائى لم يشاهدن نور النهار قد خرجن.. واللائى كن على أسرة ازواجهن، اصبحن ينمن على مضاجع مقضة.. واصبحت السيدات يتألمن مثل الاماء، ومغنيات الخدور اصبحت اغانيهن لإله الغناء انشودة حزن».

«حقا لقد أصبحت الخادمات من الإماء يوجهن ألسنتهن حيث شئن وعندما تتكلم سيداتهن فان ذلك يكون مملا لإمائهن». يتضح من هذه العبارة أن ايبوور لم ينسى بيئته التى انحدر منها، فأخذ يتحدث عن انقلاب الاوضاع ويقارن بين ما كان وما هو كائن، ولم يكن من الهين عليه بطبيعة الحال أن تزول النعمة من قوم إلى قوم أو من طبقة إلى طبقة.

«حقا فان الفنتين وطينة (وهما من ممتلكات الوجه القبلى) اصبحتا لا تؤديان الضرائب بسبب الحروب الداخلية. وهناك حاجة إلى الفاكهة والفحم وكل أنواع التجارة، وكل ما ينتجه الصناع.. فما فائدة وجود بيت مال بدون دخل».

«حقا لقد قضى على الفرح، ولم يعد يقام، بل أن الحزن هو الذى يتمشى فى طول البلاد ممزوجا بالاسى».

«حقا فقد أصبح كل من العظيم والفقير يقول: «ليتنى كنت ميتا» والاطفال الصغار يقولون: «كان يجب عليه الا يجعلنا على قيد الحياة».

«حقا فان الذين كانوا فى (المكان الطاهر) قد ألقوا على قارعة الطريق

واصبح سر المحنطين جهرا (يقصد أن مومياوات عليه القوم قد انتزعت من المقابر).

«حقا فان الدلتا بأجمعها اصبحت غير محمية (كما كانت) والاعتماد على أرض الشمال اصبح (الان) طريقا معبدا. وماذا يفعل الانسان؟.. وسيقول حقا: لعن المكان الوعر. ولكن انظر فقد أصبح ملكا على السواء لمن يهملونه ومن يعرفونه، واصبح الاجانب مهرة في صناعات الدلتا (يقصد ان مستنقعات الدلتا وبحيراتها التى كانت تعد ادارة دفاع طبيعية اصبحت قليلة الجدوى اذ دخلها الاجانب فى عصابات وأشتغلوا بحرفها».

«حقا فان الرجل الأحمق يقول: «إذا عرفت أين يوجد الاله فاننى أقدم له قربانا».

«حقا فان كل قلوب الماشية تبكى والقطعان تندب حالة البلاد».

«وفى الحق لقد دمر ما كان مرئيا بالامس، وقد تركت الارض لمتاعها ما يقتلع الانسان منها الكتان، والفقير فى شجى.. ليت آخر الناس يكون قد حل فلا حمل ولا ولادة، ليت العالم يتخلص من الغوغاء وتنقص المشاحنات».

«وفى الحق فقد انعدمت الغلال فى كل مكان، وجرد القوم من الملابس والعطور والزيوت وصار كل انسان يقول: لم يبقى شئ.. وصار المخزن خاليا وحارسه قد صار ملقى على الارض، وان ذلك لم يكن بالامر السار لقلبى وليت فى مقدورى ان ارفع صوتى فى هذه الاونة حتى كان يخلصنى من الالم الذى أنا فيه الان».

«وفى الحق لقد سلبت كتابات قاعة المحاكمة الفاخرة، واصبح المكان السرى مكشوفا، فى الحق لقد فتحت الادارات العامة، ونهبت قوائمها، وصار

العبيد اصحاب عبيد»، وفى الحق لقد ذبح الموظفون وسلبت قوائمهم، ودمرت دفاتر كتاب الحقيقة واصبحت غلال مصر ملكا مشاعا».

«وفى الحق لقد وضعت قوانين قاعة المحكمة فى البهو. وصار القوم يطئونها فى الطرقات ويمزقها الفقراء فى الأزقة».

«وفى الحق لقد أصبحت صالة العمد العظمى مكتظة والفقراء يروحون ويجيئون فى البيوت العظيمة».

ويصور ايبوور فى قصيدته الثانية الحوادث التي جرت ابان الثورة ومن ثم فانه يبتدئ هذه القصيدة بتكرار كلمة «انظر» ليضع امامنا بجلاء حوادث قد حدثت فى الحال أو لا يزال جاريا وقوعها وما جاء فيها:

«انظر أن النار قد اشتعل لهيبها عاليا،ويندلع شرارها ضد اعداء البلاد..

«انظر.. لقد حدثت اموراً لم تحدث منذ زمن بعيد مضى، اذ اختطف الفقراء الملك .. (يقصد بذلك نهب القبر الملكى).

«انظر.. لقد آل الامر إلى أن يظهر الناس العداء ليصل رع الذى جعل الارضين فى سلام..

«انظر.. ان سر الارض الذى لا يعرف أحد حدوده (الامور السرية التى لا يعرفها احد غير الملك) قد افشى، واصبح مقر الملك رأسا على عقب فى لحظة..

«انظر.. ان الارض ملاى بالعصابات والرجل القوى يغتصب التعساء متاعه..

«انظر.. ان الموتى قد القى بهم على قارعة الطريق، وذلك الذى لم يكن فى مقدوره أن يضع لنفسه كفنا اصبح الان صاحب ثروة..

«انظر.. لقد حدث هذا بين الناس فمن لم يكن فى مقدوره ان يقيم فى حجرة أصبح الان يملك فناء مسورا..

«انظر.. ان العقيلات الشريفات يرقدن الآن على الفراش الخشن والامراء ينامون فى المخازن.. ومن لم يكن ميسرا له أن ينام على الجدران أصبح صاحب سرير..

«انظر ان الرجل الغنى اصبح يمضى الليل وهو ظمآن، ومن كان يستجدى منه الحثالة اصبح يملك الجعة القوية..

«انظر.. أن أولئك الذين كانوا يمتلكون الملابس اصبحوا فى خرق بالية ومن كان لا ينسج لنفسه أصبح يمتلك الكتان الجميل..

«انظر.. ان من كان يجهل الضرب على العود اصبح يملك عودا، ومن كان يغنى له أحد أصبح الان يثنى على إلهة الغناء..

«انظر.. ان من كانت لا تمتلك صندوقاً أصبحت تمتلك صوانا، وتلك التى كانت تشهد وجهها فى الماء اصبحت تمتلك مرآه..

«انظر.. ان من كان يملك زوج ثيران اصبح يملك ازواجا.. ومن لم يكن فى مقدورة أن يحصل على ثيران للحرس أصبح يملك قطعانا..

«انظر.. ان من كان يمتلك اتباعا أصبح رب عبيد.. ومن كان منْ عَلية القوم الآن ينفذ اوامر غيره..

«اما القصيدة الثالثة فمعظم ابياتها ممزقة.. ونقرأ فيما تبقى منها:

ان الدلتا تبكى، ومخزن الملك اصبح مشاعا لكل فرد، ولا ضرائب تجبى للقصر كله ومع ذلك فان له قانونا شعيرا وقمحا ودجاجا وسمكا، يملك المنسوج

الابيض والتيل الجميل والنحاس والزيت، ويملك الحصير والبسط، ومحفة وكل المحاصيل الجميلة،.. فإذا لم يعلن ذلك إلى الان فى القصر فحينئذ..

ولم يتبق من القصيدة الرابعة الا نتف قليلة، وتبتدئ القصيدة الخامسة بكلمة «تذكر» وهى خاصة بعبادة الآلهه، وكيف كانت تعبد فيما مضى، وما سيئول اليه أمرها فى المستقبل ويختتم ايبوور هذه القصيدة بفقرة وجهها إلى الملك وجاء فيها:

ان القيادة أو الفطنة والصدق معك، غير أن ما تبثه فى طول البلد هو الفوضى والغوغاء الذين يتخاصمون. انظر ان الفرد يرمى الاخر.. واذا سافر ثلاثة رجال على طريق واحد فلا يوجد منهم الا اثنان، اذ ان العدد الاكبر يذبح العدد الاصغر، أيوجد راع يحب الموت؟

«ولكنك ستأمر أن تجاب.. فالاكاذيب تتلى عليك، والبلاد قش ملتهب.. وكل هذه الأعوام ارتباك..

ثم يعنف ايبوور الملك قائلا له: «وليتك تذوقت بعض هذه المصائب واذا - لقصصت (خبرها بنفسك).

وفى القصيدة السادسة يصف ايبوور الوقت السعيد الذى يحفظه المستقبل ومما جاء فيه:

على أنه من الخير أن تشيد ايدى الناس الاهرام وتحفر البرك، وتنشأ للالهة مزارع فيها اشجار.

على انه من الخير أن يكون السرور فى أفواه القوم، وحكام المدن يقفون وينظرون إلى الافراح فى بيوتهم وهم مرتدين جميل الملابس.

على أنه من الخير أن تكون الأسرة وثيرة، ووسادات العظماء محمية بالتعاويذ ورغبة كل انسان تحققت بسرير مظلل خلف باب مغلق (فلا يحتاج) إلى النوم فى الاعشاب.

وبعد سلسلة فجوات فى ورقة البردى تأتى فقرة لابد أنها كانت تحتوى على جواب الملك الذى يجيب عليه الحكيم ايبوور بعد ذلك، ويبدو أن الملك حاول أن يدافع عن نفسه، وزعم أنه كان على جهل مما جرى، وانه عمل على ارضاء الناس حين علم به.. فرد أيبوور كما يقول راوى القصة، على جلالة الملك بقوله:

قد يكون الجهل مريحا للنفس، وربما فعلت شيئا طيبا لقلوب الناس واحييتهم به، ولكنهم لا يزالون يغطون وجوههم فزعا (مما يأتى به) الغد.

وبعد ذلك يبدأ ايبوور يقص قصة رجل وابنه، ولكن لم يحفظ لنا سوى بدايتها ويبدوا من الكلمات القليلة المتناثرة التى بقيت منها انها كانت مستمرة فى وصف الحالة التى تردت فيها البلاد فى تلك الفترة.

وفيما يتصل بالبردية الخاصة بالنصائح الموجهة من الملك «خيتى» إلى ابنه مرى كارع[1] فهى تعرف باسم «بردية بطرسبرج» وهى الآن محفوظة بمتحف ليننجراد بالاتحاد السوفيتى تحت رقم ١١١٦ (أ)، الا أن هذه النسخة ليست النسخة الوحيدة، ذلك لأن النص قد جمع فى ثلاث برديات، الواحدة فى ليننجراد والثانية فى موسكو والثالثة فى كوبنهاجن، ويرجع تأريخها جميعا إلى حوالى نهاية الاسرة الثامنة عشر، وهى جميعا معقدة بسبب الفجوات والغموض من كل نوع، ولو بقى الجزء الأول (المحفوظ فى لينجراد) لكان اكثر تماسكا وحفظا ولكان أهمها جميعا.

(1) J.H., Breasted, the Dawn of conscience, p. 154 FF., A.H., Gardiner, in J.E.A., vol. 1, (1914), P. 20 FF.



وقد اختلف المؤرخون في صاحب هذه التعليمات أو الإرشادات، ففريق يرى أنه (خيتى الثالث)، وفريق يرى انه (خيتى الرابع)، وبعضهم يرى أن صاحبها من ملوك الاسرة التاسعة بينما يرى آخرون أنه من ملوك الاسرة العاشرة. وان كان يرجح انه كان خيتى الرابع احد ملوك الاسرة العاشرة الاهناسية.

تكاد تعاليم الملك الاهناسي ان تكون مرآة لايام عهده، فهو قد اصطدم فى حروب مع أهل الجنوب دارت رحاها حول اقليم طيبة، وعلى مقربة من أبيدوس احدى عواصم البلاد الدينية العريقة، فقص علينا كيف أنه انقض على المدينة انقضاض الصاعقة.. فخر عليها، واخذها كما تأخذ الغمامة الماطرة ما تحتها من الارض. فإذا الديار قد خربت، وإذا القبور بعثرت، ثم سرعان ما يحدثنا الفرعون عن ندمه الذى أدمى نفسه ثم أخذ يعتذر من هول الجرم حين ينسبه إلى جهل عساكره، ويبدو أن أمير طيبة قد انتهز هذه الفرصة فأخذ يؤلب عليه القوم، ويثير عليه النفوس ويغرى به الناس، حينما اتخذ من انتهاك حرمات القبور فى أبيدوس سبيلا للضرب على عواطف الناس وطرقها بمطارق من حديد، وظاهر من تعليم الملك الشيخ انه كان يتذوق لفعلته هذه الكثير من المرارة بين الحين والحين ثم يعود فيعزى نفسه عن هولها معتذرا بأنها قد وقعت من ورائه وأنه لم يتنبأ الأمر الا بعد وقوعه، ولم يعلن بالمأساة الا بعد أن تمت، ولم يعرف بأمر النكبة الا بعد فوات الاوان، انظر اليه حين يقول لابن فى ارشاداته (حدثت كارثة فى عصرى، غزى اقليم ثنى (ابيدوس) من جراء خطأى هذا بعد فوات الاوان، وعلمت أننى ادفع ثمن خطأى».

ويحض الفرعون ابنه على عمل الخير (هدئ من روع الباكى ولا تظلم الارملة ولا تحرم انسانا من ثروة ابيه، ولا تطرد انسانا من عمله وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم، لا تقتل فان ذلك لا يكون ذا فائدة لك، بل عاقب بالضرب والحبس فان ذلك يقيم دعائم البلاد إلا من يثور عليك ويتضح

لك مقاصده، فان الله يعلم خائنة القلب، والله هو الذى يعاقب أخطاءه لا تقتل رجلا إذا كنت تعرف جميل مزاياه، لا تقتل رجلا كنت تتلوا معه الكتابات (أى زميلك فى الدراسة).

ويوصى ابنه بتقريب ذوى المواهب (التميز بين ابن شخص عظيم وبين ابن شخص فقير، بل قرب اليك أى انسان بسبب عمل يديه).

ولا ينسى الملك أن يحذره من الاعتداء على آثار السابقين (لا تحدث ضررا لمبنى اقامه غيرك، واقطع احجارك من محاجر طره، لا تبن قبرك من أحجار الخرائب، وان تدخل ما اقامة غيرك فيما تريد أن تقيمه، انظر أيها الملك يا من أريد له الدوام، انه لا يمكنك ان تتقاعس وتنام مطمئنا إلى قوتك تعمل ما ترغب فيه اعتمادا على ما فعله من قبلك، فتظن أنه لا يوجد اعداء لك داخل حدودك).

ولا ينسى الملك أن يوصى أبنه بالاهتمام بالفصاحة وحسن التعبير ولقد اهتم المصريون بذلك اهتماما كبيرا، ففى تعاليم «بتاح - حتب» يظهر لنا تقدير القوم للفصاحة تقديرا كبيرا.

وهكذا نرى الملك الاهناسى يقدم لابنه «مرى كارع» النصيحة التالية: (كن صانعا للحديث تصبح قويا، فاللسان كالسيف للرجل والحديث اكثر قوة من أى حرب، فعليك إذا أن تقلد أجدادك وتأمل أن تكون كلماتهم مدونة فى المخطوطات فأفتحها لتقرأها، وقلد معرفتهم بتلك الطريقة يسير صاحب الصناعة على علم).

لقد كانت عصور ما قبل الثورة الاجتماعية تهتم ببناء وصيانة ضريح رائع يبقى خالدا على مر السنين، لانه - فى نظر هذه الاجيال - كان ضمانا للخلود

بل أن فقدان القبر كان فى نظر المصريين أكبر كارثة يمكن أن تحل بمصرى، ولهذا اتخذها الملوك أقصى عقاب ينزل بمن يمكن أن يشك فى ولائه للفرعون، حتى أن احد الحكام حذر أولاده من هذا الجزاء الاليم، إذ يقول: (لا قبر لانسان خارج عن الملك ان جثته سيلقى بها فى الماء)، وتقوم الثورة وتبقى على مثل هذا النصب، فنرى الملك ينصح ابنه بأقامتها «زين مثواك الذى فى الغرب، واجعل مقعدك فى الجبانة» غير أن عصر الثورة لم يقتصر على الوسائل المادية كسبيل للسعادة فى الحياة الثانية. وإنما أصبح للاخلاق فى هذا العصر شأن عظيم فى تقرير مصير الانسان بعد مماته وبذا أصبحت الاهمية الكبرى للوصول إلى الخلود هو العمل الصالح، ويقدم لنا الملك الاهناسى أمثلة كثيرة على ذلك، ففى تعاليمه التى وجهها إلى ابنه «مرى كارع» جاء الحث على نبذ المادة فى ثلاث فقرات: (لا تكن شريرا، فالصبر خير، اجعل بيت ذكراك خالدا يحبك الناس) وذلك عندما أراد أن يقارن ذلك العمل الاخلاقى ببناء بيت الذكرى من الحجر (اجعل الناس يحبونك فى الدنيا فالخلق الطيب ذكرى للناس)، أما الفقرة الثالثة فيقول فيها ان الخلق الطيب أفضل عند الله من القرابين التى تقدم لاستعطافه (ان فضيلة الرجل المستقيم أحب «عند الله» من ثور يقدم قربانا من الرجل الظالم).

وهكذا.. اعتقد القوم انه يجب على الانسان أن يوجه عنايته لاقامة الشعائر الدينية لينال عطف الاله، غير أن ذلك لا يغنى عنه من الله شيئا ما لم تسنده الأعمال الطيبة، وفى عبارة الملك الاهناسى التى تؤكد على أن الاله يُسر بالخلق الفاضل أكثر مما يسر بالقرابين الكثيرة، والتى تعد من أنبل ما جاء فى التفكير الخلقى المصرى القديم، ففى هذه الجملة دلالة على أن للفقير ما للغنى من حق فى رعاية الله، وذلك لان أكرمهم عند الله اتقاهم وليس اكثر قربانا، وهكذا فان السعادة فى الاخرة لم تعد تتوقف على قبر يبنى أو على قرابين تقدم، ولكنها فى العمل الصالح، والعدل بين الناس والعطف على الناس والعناية بهم، فهناك من تعاليم الملك الاهناسى قوله: (أقم العدل لتثبت به

مكانتك فى الارض، وواسى الحزين، ولا تحرم رجلا من ميراث ابيه، ولا تضر الاشراف فى مراكزهم».

كان المصرى القديم يعتقد أن الميت سوف يحاكم أمام اله الشمس وذلك استجابة لطلب انسان كان الميت قد أخطأ فى حقه، وليس حسابا على شئ، فإذا لم يطلب الانسان للمحاكمة بهذه الصفة، فمن المحتمل الا يتعرض فى الحياة الثانية لمحاكمة أخرى، ثم مالبثت أن ولدت محاكمة (أوزير) التى تنتظر كل انسان لتحاكمه على ما قدمت يداه من تصرفات، وفقا لقواعد الاخلاق وهكذا اصبح من مستلزمات العهد الاقطاعى أن الانسان لابد أن يجتاز امتحانا أمام هذه المحكمة لينال السعادة المنشودة فى العالم الاخر، وفى تعليم الملك الاهناسى اشارة إلى ذلك فهو يقول: «انك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقى يوم المحاكمة وتسوء العاقبة ان كان المتهم هو الواحد العاقل - وربما رب الحكمة الذى يدير المحاكمة يوم القيامة - لا تضع ثقتك فى طول السنين، فهم ينظرون إلى مدة الحياة كساعة واحدة، ثم يبعث الانسان ثانية بعد الموت، وتوضع اعماله بجانبه كالجبال، لان الخلود مثواه هناك (أى العالم الآخر)، والغبى من لا يهتم بذلك أما من يأتى اليهم دون أن يرتكب اثما، فانه سيثوى هناك، ويمشى مرحا مثل سادة الابدية (اسم الابرار المتوفين)».

وهكذا يحذر فرعون اهناسية ابنه من يوم الحساب، فهو يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون خاصة إذا كان الذى سوف يحاسب الناس هو الواحد العاقل ويحذره مِنْ أنْ يغتر بطول السنين، فإنها فى نظر القضاة وكأنها ساعة ثم يبعث ثانية ليجد اعماله كلها مكدسة بجواره (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).. وهكذا تكون نتيجة المحاكمة فالذى يصل إلى آخرته وقد عمل الخير فى دنياه فانه سيثوى هناك مرحا مع الأبرار المتوفين ومن لا يكترث لذلك فهو غبى أحمق، وسكتب له سوء المصير.. وهكذا استطاع المصريون

القدامى ان يقتربون إلى حد ما - من المبدأ الذى قررته الكتب السماوية، وهو ان الاخرة - نتيجة عمل الدنيا، فمن عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد».

ويرى هذا الملك الإهناسى أن الحياة الصالحة والارض هى العماد الذى ترتكز عليه الحياة فى العالم الاخر (ان الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه ولا تحيد فى مسارها عن طريق امسها) ولاشك أن الملك الاهناسى يقصد هنا طريقها المعتاد للخلق القويم الكريم.

وكان المصريون يؤمنون بأن أهم شئ فى حياة الانسان هو علاقته بربه فى الحياة الدنيا، وفى الحياة الأخرى، ومن هنا رأينا حكيمنا الاهناسى ينصح ابنه قائلا:

(يمر الجيل متنقلا إلى جيل آخر بين الناس، والله العليم بالاخلاق قد أخفى نفسه.. وانه الواحد الذى يبهر ما تراه الاعين فاجعل الله يخدم بالصورة التى سوى فيها، سواء أكانت من الاحجار الكريمة أم من النحاس لانه كالماء الذى يحل محله الماء، اذ لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئا بل يكتسح الذى يخفيه).

وهذه الكلمات الهامة التى جاءت على لسان رجل من قادة الفكر فى مصر منذ اكثر من أربعة آلاف عام مضت، ليست الا محاولة منه ليميز بين الاله وبين الصنم التقليدى الذى كان يوجد فى المعبد ويظهر فى الاحتفالات الرسمية، ويهتف له الشعب، ولكن كينونه الاله كالماء يكتسح السد امامه، ولا يمكن أن يبقى محبوسا فى الصورة المحسوسة (أى الصنم) بل يبهر الناس بما تراه العيون وهذا الله العليم بالاخلاق قد اخفى نفسه، فلا يمكن ادراكه كجسم من الماء يمتزج فى جسم آخر مثله من الماء ومن الجائز ان حكيمنا الملك الاهناسى يريد

بعبارته (كالماء الذى يحل محله الماء.. الخ)، ان الله الذى شبه بالماء اذا دخل فى أى جسم سواء أكان من الأحجار الكريمة أو من النحاس أو من أى مادة أخرى، لابد انه واجد لنفسه منفذا يخرج منه أو يظهر قوته ولذلك فان تصوير الاله فى أى شئ مادى ليس بالامر الهام.

ولدينا فى تلك الوثيقة (اراشادات إلى الملك مرى كارع) سلسلة أفكار عن اله الشمس نجد فيه الفكر المصرى القديم يقترب من عقيدة التوحيد، اذ نرى الكاتب يعترف بوجود طائفة من الالهة يقومون مقام القضاة فى عالم الاخرة يبتعد بعدا واضحا عن الاعتراف بوحدانية الاله، على أنه من جهة أخرى يقترب قربا واضحا من الاعتراف بالتسلط الخلقى لإله واحد لدرجة ان كلمة الله صارت تدل فى مواضع - مع شئ من التناقض - على مدلولها الحقيقى، ويمكن أن تلاحظ صياغة هذه التأملات بصيغة التوحيد زيادة على ما ذكرناه فى الصورة الاتية التى صور فيها الحكيم الاهناسى الخالق والحاكم الرؤوف فى خاتمة تأملاته حين يقول:(١)

«ان الله قد عنى عناية حسنة برعيته فقد خلق السموات والارض وفق رغبتهم وخفف الظمأ بالماء، وخلق الهواء لتحيا به أنوفهم، وهم الصورة التى خرجت من اعضائه، وهو يرتفع إلى السماء حسب رغبتهم، وخلق النباتات والماشية والطيور والسمك غذاء، وهو كذلك يعاقب فذبح اعداءه، وعاقب اطفاله بسبب ما دبروه حينما عصوا أمره ويضع النور حسب رغبتهم، كذلك جعلهم ينامون، ويسمعهم عندما يبكون وجعل لهم حكاما فى البيضة (أى وهبوا الحكم قبل الولادة) لتحمى ظهور الضعفاء منهم».

ويحاول الملك الإهناسى فى نصائحه لابنه ان يوازن بين تصوره السامى للزاد الخلقى، وبين التقاليد الموروثة الخاصة بقيمة العتاد المادى، ولذلك يقول

(١) سليم حسن: الادب المصري القديم، جـ١، القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٦.

لابنه: «أقم آثاراً باقية للاله لانها تجعل اسم صانعها يبقى، ودع المرء يعمل ما فى صلاح روحه بتأدية الطهور الشهرى، ويلبس النعلين الابيضين وزيارة المعبد واماطة اللثام عن الرموز الدينية، والدخول إلى قدس الاقداس، وأكل الخبز فى المعبد، وضاعف القربان، واكثر من عدد الأرغفة، وزد فى القربان الدائم لان فى ذلك خيرا لفاعله، واجعل آثارك ثابتة حسب ثروتك، لان يوما واحدا (أى عمل يوم واحد) قد يبقى إلى الآن، ورب ساعة واحدة تنفع فى المستقبل والله عليم بالفرد الذى يقوم له بأية خدمة» على أن محاولة الموازنة بين ما يحتاج إليه الانسان من مادة، وما يحتاج اليه من اخلاق طاهرة فى الكلام الذى اقتبسناه من قبل، عندما كان الملك المسن يقول: ان فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم، ومع ذلك قدم القرابين إلي الاله ليكافئك بالمثل بقربان تزود به مائدة القربان، وبالنقوش لان ذلك هو ما يخلد اسمك، والله يعلم من يقرب له القربان.

فنجد هنا اعترافا صريحا عن قيمة الحياة الصالحة فى نظر الاله، وهو الذى لا يقبل أن تقوم الهدايا عنده مقام الاخلاق.

ولا يريد الملك الشيخ ان ينتهى من تلك النصائح السياسية حتى يوصى ولده بقول الصدق حين يقول له: «قل الصدق فى قصرك يرهبك أمراء البلاد وحكامها فى الاقاليم... والبيت مرهوب بمن فيه.

ويبدو أن الملك الشيخ كان كلما تقدمت به الايام كثيرا، كلما كثر تفكيره فى ماضيه، وما أنفق فيه من تقتيل وتشريد فى سبيل تأمين أرضه وتحقيق ما كان يطمع اليه من نفوذ وسلطان، وكأنه كان يشعر بأنه قتل كثيرا وظلم كثيرا فأخذ يذكر الله كثيرا، ويحذر ولده من ارتكاب جريمة قتل أو الوقوع في خطيئة الظلم، لان الله انما يرقب الجانى فيملى له، ثم يأخذه من وراء ذلك بعذاب أليم، حيث يقول الاله: «انى لمنتقم وسآخذ كل بذنبه فلكل امرئ ما سعى، وحسابه فى الاخرة يوم يأخذ قضاته من الظالم للمظلوم».

ثم يمضى الرجل فى وصايته، فيختمها بمثل هذه النصائح التى تصور الرجل مستغفراً تائباً عابداً خائفاً مترقباً منتظراً مصيره عند قضاء يوم القيامة.

أما أهمية البردية كوثيقة تاريخية، فهى تعطينا صورة للحكام الاهناسيين الذين كانوا يتمتعون بقسط وافر من الثقافة - أو على الأقل تعطينا فكرة على أن صاحب هذه الاشارات كان ملكاً حكيماً - وهو رجل ذو عقل راجح مفكر كما أنه فى نفس الوقت رجل قلق متعب انهكته الشيخوخة - واضعفته احداث السياسة القاسية - التى مر بها فى حياته والتى لم تعد سنه تطيق احتمالها كما تعطينا صورة عن السياسة فى العصر الاهناسى، أو على الاقل تعطينا فكرة - كانت غير كاملة تماما - عن الحرب الاهلية التى دارت بين الفريقين الاهناسى والطيبى على الارض المقدسة فى ابيدوس - كما تعطينا فكرة عن مدى نجاح الفرعون فى طرد الاسيويين من الدلتا.

وتمدنا الوثيقة بأفكار نبيلة وجديدة على التفكير المصرى واهمها:

نغمة التواضع الجديدة فى حديث الملك، والمناداة باختيار الموظفين على اساس من الكفاءة الشخصية، وليس على أساس حسب أو نسب، ومع ذلك فانها تنادى بعدم اهمال الأسر الشريفة، ثم هناك الدعوة إلى العمل الصالح فهو -وليست الوسائل المادية التقليدية - طريق السعادة فى الاخرة، كما نادت الارشادات بوجود محكمة بعد الموت لن ينقذ الانسان منها مهما كان الا من عمل صالحاً، كذلك حثت التعاليم الملك «مرى كارع» على أن يكون قدوة حسنة لموظفيه، وان يقول الصدق ليهابه أمراء البلاد والحاكمين.

والوثيقة بعد ذلك كله رغم أنها نصائح سياسية فى الدرجة الاولى فهى قطعة أدبية من قطع ذلك العصر الذى وصل فيه فن الكتابة درجة عالية حتى أن الأدب فى ذلك العصر يعد من أروع ما أنتجته مصر من آداب.

وتوجد اغنية الضارب على العود فى بردية هاريس رقم ٥٠٠ المحفوظة فى المتحف البريطانى، وقد ذكر معها أنها كانت مكتوبة على جدار مقبرة الملك انتف من الاسرة الحادية عشرة فوق ضارب العود، كما نراها منقوشة كذلك فى مقبرة «نفرحتب» فى طيبة من الاسرة الحادية عشرة كذلك وموضوعها هو: الاغنية التى كانت فى منزل الملك «انتف» المتوفى أمام المغنى ومعه القيثارة، أما عنوان الاغنية فهو: «كل واشرب، وكن فرحا، لاننا سنموت غدا»، وجاء فيها:

«تمر الاجيال وتأتى مكانها (أجيال) اخرى منذ ايام الذين عاشوا فى السلف يوقظه الاله (رع) فى الصباح ويغيب اتوم فى الغرب.

يولد الناس، وتحمل النساء وتستنشق كل انف من الهواء وعندما يشرق الصباح نرى اولادهم فى اماكنهم.

ان الآلهه (يقصد الملوك) الذين عاشوا من قبل قد استقروا فى اهراماتهم وكذلك النبلاد والمبجلون من الناس.

ان الذين بنوا لانفسهم قصورا، لم يبقى شئ من بيوتهم، فما الذى حدث لهم؟ لقد سمعت حكم «ايمحتب» و«حور ددف» اللذين يتحدث الناس بأقوالهما فى كل مكان أين اماكنهم الآن؟

لقد تهدمت جدرانهم وتحطمت مساكنهم وأصبحت كأن لم تكن. ولم يأت أحد من هناك فيقص علينا ما أصبحوا عليه ويخبرنا عن مصيرهم فتطمئن قلوبنا وترتاح، حتى نسرع ايضاً إلى المكان الذ ذهبوا إليه، أيضاً تمتع واجعل قلبك ينسى اليوم الذى سيدفنوك فيه.

ارم بكل الاحزان وراء ظهرك، وفكر فى السرور، حتى يأتى ذلك اليوم الذى تصل فيه إلى ميناء تلك الأراضى التى تحب الهدوء، سر وراء رغبات قلبك

طالما كنت حيا، دع العطر فوق رأسك، والبس خير انواع ملابس الكتان، دع الغناء والموسيقى امام ناظريك واكثر مما لديك من ملذات، ولا تجعل قلبك ينقبض ولا تحمل نفسك الهم حتى يأتى يوم الندب عليك. اقضى يوما سعيدا ولا تشغل نفسك بشئ.. استمع الى:

لا يستطيع أحد أن يأخذ أمواله معه ولن يعود ثانية من الموت».

ويبدو واضحا من هذه الاغنية - كما سبق القول - انها تدعو إلى الاستمتاع بالدنيا، ونبذ الهموم، بل التشكيك فيما ينتظر الناس فى العالم الآخر.

أما موجة التشاؤم واليأس الذى ظهرت إبان الثورة فتتضح فى حوار المتعب من الحياة أو اليائس من الحياة، وتسمى احيانا نزاع بين رجل وروحه وهى توجد فى متحف برلين، ونشرها ارمان عام ١٨٩٦، ثم اعاد ترجمتها مرة أخرى فى كتابه الذى نشره عن أدب المصريين القدماء وادخل تعديلات على ترجمته الأولى، وفى عام ١٩٥٠ نشر «جون ويلسون» ترجمة لها باللغة الانجليزية، والنسخة الموجودة حاليا من هذه البردية ترجع إلى عصر الدولة الوسطى، ويرجح انها منقولة عن نص أقدم أيام الثورة الاجتماعية.[1]

وتتكون البردية من مقدمة طويلة بليغة تتضمن حوارا فلسفيا بين اليائس من الحياة وروحه فى اربع قصائد شعرية. ويشير موضوعها إلي الحالة الباطنة التى جربتها شخصية معذبة كانت تتألم مما لحق بها من الظلم وسوء الطالع وهذه تعتبر تجربة روحية وشعور شخصى نحو الحياة فى تلك العصور القديمة.

وصاحب هذا الحوار رجل اصابه سوء الحظ والمرض، فابتعد عن أهله

(1) Wilson., in ANET.,
A., Erman, op. cit., p. 86FF.

وأصدقائه وسرق جيرانه متاعه، ولم يسمح له بالدفاع عن حقه، فلوث اسمه ولطخت سيرته، وهو الجدير بالاحترام. ونتيجة لهذه الحالة التى مر بها، فكر فى الانتحار، الا أن روحه لم توافقه على هذه الفكرة لخوفها الا تجد طعاماً فى القبر بعد الموت. وحدث حوار بينه وبين روحه، ونجده فى هذا الحوار يستحلف روحه أن تقف بجانب نعشه وان تحتفل بجنازته نظرا لعدم وجود أحد من الاحياء يقوم بذلك الا أن روحه أبت عليه الانتحار بأى شكل كان وأخذت تصف له فظائع القبر وتعدد أهواله.

وتصف المقطوعة الأولى مقت العالم له بغير حق. وجاء فيها: انظر ان اسمى ممقوت اكثر من رائحة اللحم النتن فى يوم صيف حار.. انظر ان اسمى ممقوت اكثر من مقت صيد السمك فى يوم صيف حار.. انظر ان اسمى ممقوت أكثر عفونة من قاذورات الطير فى يوم صيف حار.. انظر ان اسمى ممقوت اكثر من رائحة السمك واكثر من شواطئ المستنقعات عندما يصطادون عليها. انظر.. ان اسمى ممقوت اكثر من رائحة التماسيح.

انظر.. ان اسمى ممقوت أكثر من زوجة يقال عنها الاكاذيب لزوجها.

وفى قصيدته الثانية ذكر لنا رأيه فى الناس، وهو رأى ملئ بالتشاؤم جدير بشخص يأس من حياته وصمم على الانتحار، فهو لم يجد فيهم سوى الرشوة والخيانة والظلم وعدم الاخلاص. واستهل كل مقطوعة من هذه القصيدة بجملة استفهامية كان الغرض منها التوبيخ أو التحقير وهى «لمن اتكلم اليوم» وربما كان قصده بذلك ان يشير إلى أى صنف من هؤلاء الناس الذين يخاطبهم، ولقد كان الجواب الذى يعقب كل استفهام دليلا للغرض الذى اراده. وقد جاء فى هذه القصيدة:

لمن اتكلم اليوم؟ الاخوة شر واصدقاء اليوم ليسوا جديرين بالحب.

لمن أتكلم اليوم؟ فالقلوب ملأى بالجشع وكل انسان يغتال متاع جاره.

لمن أتكلم اليوم؟ فالرجل المهذب مات والصفيق الوجه يذهب فى كل مكان.

لمن أتكلم اليوم؟ فالرجل الطيب أصبح خبيثا وأصبح الخير ممقوتا فى كل مكان.

لمن اتكلم اليوم؟ فالذى يستفز غضب الرجل الطيب بأعماله الشريرة يجعل كل الناس يضحكون حينما تكون خطيئته شنيعة.

لمن اتكلم اليوم؟ لا يذكر أحد الماضى ولن يفعل أحد الخير.

لمن اتكلم اليوم؟الاخوة شر والانسان صار يعامل كالعدو رغم صدق ميوله.

لمن اتكلم اليوم؟ إذ لا ترى الوجوه وأصبح كل انسان يلقى بوجهه فى الارض اعراضا عن اخوانه.

لمن اتكلم اليوم؟ والقلوب شرهه والرجل الذى يعتمد عليه اليوم لا قلب له.

لمن اتكلم اليوم؟ فالصديق الذى يعتمد عليه اصبح معدوماً واصبح يعامل الانسان كأنه رجل مجهول رغم أنه قد جعل نفسه معروفا.

لمن اتكلم اليوم؟ فانى مثقل بالشقاء وينقصنى خل وفى.

لمن اتكلم اليوم؟ فالخطيئة التى تصيب الارض لا حد لها.

وفى قصيدته الثالثة يمدح الموت، ويلاحظ انها لا تحتوى على اية فكرة عن الإله ولكنها تبحث عن التخلى السار من آلام الماضى دون أن تتطلع إلى المستقبل وقد جاء فيها:

ان الموت امام ناظرى اليوم، مثل شفاء رجل مريض، مثل رائحة العطر.. مثل الخروج إلى الهواء الطلق بعد سجن طويل..

مثل الخروج تحت ظل الشارع فى يوم عليل الهواء.

مثل رائحة زهور السوسن.

مثل الجلوس على شاطئ الانشراح

ان الموت امام ناظرى اليوم.

مثل السماء عندما تصفو.

مثل حصول الانسان على ما لم يكن يتوقعه.

مثل اشتياق الرجل لرؤية بيته.

بعد أن قضى سنوات طويلة فى الأسر.

وتتكون القصيدة الرابعة من ثلاثابيات، موضوعها النظرة العاجلة إلى المستقبل النهائى الذى لم تتعرض له الانشودة السابقة، وهى تلجأ فيها إلى العدالة فى الحياة الاخروية، وهو بذلك قدجعل الموت طريقا إلى الدخول فى قاعة المحاكمة الإلهية، ولذلك كان سعيه إلىبلوغ تلك النهاية سعيا سريعاً لا هواده فيه.

وقد جاء فيها:

ان الذى هنالك سيقف فى سفينةالشمس ويجعل احسن القرابين هنالك تقدم للمعابد. أن الذى هنالك سيكون رجلا عاقلا غير منبوذ يؤدى الصلوات لرع حينما يتكلم.

ثم تستمر القصة وتأخذ الروح فى تخفيف آلام صاحبها فتطلب منه أن يترك الحزن والأسى، وتؤكد انهما سيكونان معا «سيهدأ حالى بعد أن يستقر أمرك فى الموت وسنحيا معا».

رابعاً: نتائج الثورة الاجتماعية الأولى

ترتب على قيام الثورة الاجتماعية نتائج هامة في المجالات السياسية والاجتماعية والدينية.

من الناحية السياسية، كان للثورة نتائج هامة من ناحية تغير مركز الفرعون فلم يصبح هو الملك الاله سليل الالهة الذى تكرم فأقام على أرض مصر، بل أصبح الملوك عرضة للنقد، واصبحوا معرضين مثلهم كبقية الناس للوقوع فى الخطأ. فلقد كان لسوء الاحوال التى عاشتها مصر ابان هذه المرحلة اثرها فى العقليل من قدسية الفرعون، فأصبح انسانا أكثر منه اله.

ونادى المفكرون خلال هذه الفترة بتطبيق العدالة الاجتماعية بين الناس جميعاً، ومن هنا فقد احتلت العدالة (ماعت) مكانة كبرى فى النفوس واخذ الملوك يضعونها فى القابهم للاشارة إلى تمسكهم بالعدالة التى أصبحت الضمير الخلقى الذى يحاسب عليه الانسان فى العالم الآخر.

وحدد المفكرون الصفات الواجب توافرها فى الحاكم الذى يجلس على العرش وهى أن يكرس جهده فى خدمة مصالح الدولة، والعمل من أجل مصلحة رعاياه، وان يمتلأ قلبه بحبهم والعطف عليهم، ولقد ورد فى شكاوى القروى الفصيح[١] ما يشير إلى مسؤليات الحاكم تجاه شعبه فهو نصير المحتاجين والضعفاء، وفى ذلك يقول أن الحاكم هو: «ابو اليتيم، وزوج الارملة، واخ من هجره اهله، ودثار من لا أم له» وفى الصفات التى يجب أن يتصف بها الحاكم يقول موجها كلامه للحاكم: «لا تنطق كذبا لأنك عظيم، وانت بذلك مسؤول، ولا

---

(١) لاقت هذه الشكاوي اقبالا كبيرا فى الدولة الوسطي، إذ عثر علي اربع نسخ لها، عدا المقتطفات الأخري، واهم هذه النسخ يوجد في متحف برلين، وقد ترجمت عدة ترجمات، منها ترجمة جاردنر انظر:

A.H., Gardiner, In Journal of Egyptian Archacolgy, vol, 10 (1923).

تكن خفيفا لانك ذو وزن، ولا تتكلمن بهتاناً لانك الموازين، ولا تحيدن لانك الاستقامة. إنك والموازين سيان، فاذا مالت فإنك تميل كذبا، ان لسانك هو المؤشر العمودي للميزان، وقلبك هو المثقال، وشفتاك هما ذراعاه، فإذا سترت وجهك أمام الشر فمن ذا الذى سيكبحه».

وحدد «ايب - ور» صفات الحكام ومسؤولياته، في أنه هو الذى «يطفئ لهيب (الحريق الاجتماعى)، ويقال عنه انه راعى كل الناس، ولا يحمل فى قلبه شراً».

ورأى المفكرون انه حتى يثمر الاصلاح الثمرة المرجوة منه، فلابد من ان يساعد الحاكم الذى حددوا صفاته ومسؤولياته حكومة صالحة، وتعددت اراء المفكرين حول هذه الحكومة وتكمل هذه الاراء بعضها بعضا، ويمكن ايجازها فى أن تلك الحكومة يجب أن تتكون من جيل جديد من الموظفين الاكفاء الامناء العدول الذين يتولون وظائفهم حسب كفائتهم الشخصية وليس على اساس الحسب والنسب.

ومن الناحية الاجتماعية، فقد كان للثورة نتائج هامة، لعل من ابرزها الدعوة إلى تكافؤ الفرص بين جميع المواطنين، لا فرق بين مواطن وآخر إلا بعمله وجده واخلاصه، وفى ذلك يقول الملك اختوى لابنه: «اياك ان ترفع من شأن ابن العظيم على ابن الوضيع، بل اتخذ لنفسك الرجل من اجل كفايته».

ومن هذه النتائج كذلك فى المجال الاجتماعى، الدعوة إلى المساواة التامة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات، فقد ادى الوعى القومى فى هذه المرحلة المبكرة من حياة الانسانية إلى ظهور العديد من الافكار التى تدعو إلى المساواة، وكانت حججها فى هذه المساواة قائمة على اساس خلقى مثالى نابع من الفكر المصرى القديم، فالله قد خلق كل انسان مثل الآخر تماماً فى كل شئ فهم

متساوون جميعا فى الخلق، كما جعل الأمور التى تتحكم فى حياة الناس ملكاً لهم جميعا وهى المياه والهواء، وسجلت هذه الافكار على متون التوابيت وجاء فيها: «ان الله خلق اربعة اشياء لمنفعة الناس، وساوى بينهم فيها، اولها، صنع الرياح ليتنفس منها كل انسان مثل اخيه اثناء حياته وثانيها صنع مياه الفضيانات العظيمة وجعل فيها للفقير ما للعظيم من حق، وثالثها، خلق كل انسان مثل اخيه ولم يأمرهم بفعل الشر إلا أن قلوبهم قد انتهكت ما أمر به، ورابعها، انه خلق قلوبهم بحيث تفكر فى الغرب (الاخرة) لكى تقدم القرابين للالهة.

اما من الناحية الدينية فقد كان لاحداث الثورة وما مر به المصريون خلالها من مرارة اثارها الكبيرة فى عقائدهم الدينية، فظهر تيار يدعوا إلى تعديل المعتقدات الفكرية السائدة فى مقابل تيار آخر انتقد هذه العقائد بعنف، وفى نفس الوقت فقد بقى هناك من يحافظ على عقائد السلف.

ومن أهم الافكار التى ظهرت أن السعادة فى العالم الآخر مرتبطة بالعمل الصالح، وفى ذلك يقول الملك «اختوى» لابنه: «ان فضيلة الرجل المستقيم احب عند الله من ثور الرجل الشرير».

كما اعتقد فى هذه المرحلة فى وجود محكمة بعد الموت يحاسب امامها الناس جميعاً عن اعمالهم التى اقترفتها ايديهم فى الحياة الدنيا، ولن تشفع الثروة أو الجاة أو المقابر الفخمة أمام هذه المحكمة، بل الشفاعة لعمل الانسان الصالح، فكل شخص اعماله موضوعه بجواره، وستقرر المحكمة مصير الموتى اجمعين.

وأقترب المصريون فى ذلك إلى حد ما من المبدأ الذى قررته الكتب السماوية وهو ان الآخرة إنما هى نتيجة عمل الدنيا فقال سبحانه وتعالى فى سورة فصلت (الاية ٤٦) «من عمل صالحاً فلنفسه، ومن اساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد».

ورغم وجود هذه الافكار السامية فقد قلل منها استمرار اعتقاد المصريين فى أن اقامة المقابر الفخمة والأنفاق عليها انما يضمن سعادة المتوفى فى العالم الآخر، ومنها كذاك انتشار السحر وزيادة الاعتماد عليه فى عالم الآخرة، ومن ثم فقد لجأوا إلى التعاويذ التى رأوا فيها حماية للمتوفى من الأخطار التى تحف به فى الأخرة ومنها أيضا أن المتوفى يمتزج فى العالم الآخر بالإلة أوزير، وكان ذلك من شأنه أن يقضى على الهدف من المحاكمة إذا اصبح مجرد هذا الاقتراح كفيلا بأن يحقق براءة الميت، واصبح كل ميت يلقب بالمبرأ، ولم يكن هناك مجالاً للأعتراف بأى ذنب اقترفه فى حياته، إذ كان عليه ان يعلن براءته من كل ذنب وأن ينسب لنفسه مجموعة من الاعمال الطيبة.(١)

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٥٧٢ ، نجيب ميخائيل ابراهيم المرجع السابق، ص٣٨١.

الفصل السادس
عصر الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشر الطيبية
(من حوالى ٢١٢٥ إلى ١٩٩١ ق.م)

إن كانت سمه عصر الإنتقال الأول هى الإنقسام والتفتت الذى عانت منه مصر بعد انهيار السلطة المركزية بنهاية عصر الدولة القديمة، فان النصف الأول من عصر الأسرة الحادية عشرة الطيبية يدخل فى نطاق عصر الإنتقال الأول، إذ تتحدد بداية عصر الدولة الوسطى بحدث معين هو إعادة توحيد البلاد على يد «نب حبت رع منتو حتب الأول»، هذا ويلاحظ أن الملوك الأربعة الأوائل من الأسرة الحادية عشرة كانوا معاصرين للأسرة العاشرة فى أهناسيا التى استمر حكمها من حوالى ٢١٢٥ إلى ٢٠٥٥ ق.م[1].

وجاء على رأس هذه الأسرة «منتوحتب الأول» الذى ينسب إليه الفضل فى تأسيسها، ثم جاء من بعده ابنه «انتف الأول سهرتاوى» (٢١٢٥ - ٢١١٢ ق.م) الذى اتخذ لقب «الحاكم الأعظم للصعيد» كما قام بمهاجمة بعض المدن مثل قفط ودندره وهيراقليوبوليس كما اتخذ الألقاب الملكية.

وتولى الحكم بعده ابنه «انتف الثانى . واح عنخ» (٢١١٢ - ٢٠٦٣ ق.م) ولقد بدأ فى عهده الصراع مع اهناسيا، ومن ثم فلقد خاض حرباً ضد الملك الأهناسى واح كارع، خيتى الثالث، ولانتف الثانى لوح حجرى[2] يصف فيه استيلائه على إقليم ثنى وتوسع طيبة شمالاً حتى إقليم افروديتو بوليس (كوم أشقاو الحالية، بمركز طهطا محافظة سوهاج) يوجد هذا اللوح بالمتحف المصرى بالقاهرة، ولقد عثر عليه أوجست مارييت عام ١٨٦٠م خارج مقبرة انتف الثانى فى الطريف بغربى طيبة وهناك أدلة أثرية أخرى[3] تشير إلى أن أنفراد طيبة فى

(1) I, Shaw, P. Nicholson, op. cit., p. 310.
(2) W.C. Hayes. In CAH., vol. I. Part Ii. p. 477.
(3) A.H. Gardiner. Egypt of the Pharaohs., p. 119.

عهد هذا الملك شمل المنطقة من الفنتين جنوباً حتى القيس وافروديتو بوليس شمالا.

ولقد حكم انتف الثانى نحو خمسين عاما (من حوالى ٢١١٢ - ٢٠٦٣ ق.م) وكان من الحكام الأقوياء، وقد أحسن إدارة الأقاليم الستة الجنوبية التى كانت تحت سيطرته، وبدأ فى تشييد بعض المعابد وبخاصة للإله «مونتو» ورمم الهياكل والمعابد التى كانت للآلهة الأخرى فى تلك الأقاليم، وبنى لنفسه قبرا كبيرا كان يعلوه هرم من الطوب، وأقام امام هذا الهرم لوحة، وتوجد هذه اللوحة حاليا بالمتحف المصرى بالقاهرة.

وعندما مات انتف الثانى، خلفه على العرش ابنه الذى تسمى ايضا باسم «انتف - نخت نب تبى نفر» (٢٠٦٣ - ٢٠٥٥ ق.م) وكان متقدماً فى العمر فلم يبق فى الحكم الا ثمان سنوات ويتميز عهده بقلة المادة النصية والاثرية بالمقارنة بوالده، ورغم ذلك فانه يوصف عادة بـ «انتف العظيم»[1]، ولقد جاء بعده ابنه نب حبت رع منتوحتب الثانى الذى استطاع توحيد مصر مرة أخرى.

ويختلف المؤرخون والباحثون اختلافاً كبيراً حول هؤلاء الملوك الذين اتخذوا التسمية «منتوحتب» وتركز الخلاف حول عددهم والأعمال التى قام بها كل ملك، وتتابعهم على العرش، وربما كان ذلك راجعاً إلى احتمالية اشتراك اولياء العهد فى الحكم، ومن ثم فقد نسبت اليهم بعض الأعمال التى قاموا بها أثناء اشتراكهم فى الحكم بعد توليهم العرش، وسنحاول فيما يلى دراسة أهم الأعمال التى قام بها الملوك خلال هذه المرحلة من نهاية الاسرة الحادية عشرة دون الدخول فى المشكلات الخاصة بهؤلاء الملوك وعددهم وتتابعهم على العرش.

نب حبت رع (منتوحتب) وإعادة توحيد مصر: (٢٠٥٥ - ٢٠٠٤ ق.م)

عندما ارتقى العرش، اتخذ (منتوحتب) الاسم الحوريسى «سعنخ ايب

(1) I. Shaw, P. Nicholson, op. cit., p. 141.

تاوى» (مجدد حياة قلب الأرضين) أو(الذى يحمى قلب الارضين)[١] واحتفظ به حتى العام الرابع عشر من حكمه على الأقل، وفى هذا العام الرابع عشر حاول حزب من مؤيدى البيت المالك فى أهناسيا استعادة مدينة ثنى مما أدى إلى استئناف العداء بين طيبة وأهناسيا وبداية هجوم طيبى ضخم تحت زعامة هذا الملك أسفر عن سقوط أهناسيا نفسها وإعادة توحيد مصر. وفى نقش هيكل من الجبلين يرجح أنه يؤرخ بالفترة التى تسبق مباشرة سقوط أهناسيا يمثل منتوحتب يطرح أميراً مصرياً والنص المرفق لهذا النص يصف الملك بالظافر الذى على رأس الأرضين الذى أقام النظام فى مصر العليا والدلتا... بما يفيد تغلبه على الإهناسيين ومؤيديهم وجعله أمراء مصر الوسطى والسفلى اتباعاً للحكومة المركزية فى طيبة، وفى نقش آخر من معبد الملك بالدير البحرى يظهر اثنان من الأمراء يلقبان «حاكمى الأرض الشمالية» يقومان بالخضوع أمام الملك.

وعلى ذلك، فلقد كان نب حبت رع منتوحتب أول ملوك الأسرة الحادية عشرة الذى أصبح ملكاً حقيقياً على مصر كلها، وعندما تم له ذلك اتخذ لقباً حورياً جديداً يعبر عن هذا الواقع، وهو لقب «سام تاوى» الذى يفيد معنى موحد الأرضين، بعدما كان قد اتخذ من قبل اللقب الحورى «نثرى حجت» الذى يفيد معنى «إلهى هو التاج الابيض»[٢].

ولقد ظهر أسمه فى بردية تورين وقائمة سقارة وقائمة أبيدوس، ووصفته قائمة الكرنك بأنه «الإله الطيب، رب الأرضين، ملك مصر العليا والسفلى، سيد القربان، نب حبت رع، المبرأ» وتظهر مكانته البارزة بين فراعين مصر كمؤسس لعصر جديد وموحد للبلاد بين أقرانه العظام الملك «منى» موحد مصر ومؤسس أول ملكية بدأ بها عصر الأسرات، والملك أحمس الأول مؤسس الدولة الحديثة،

---

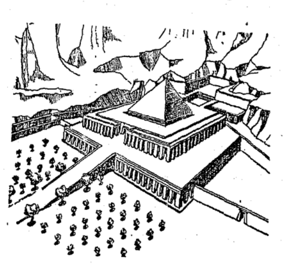
(١) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاني، مراجعة زكية طبوزادة، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢٠١.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٢٠١.

وذلك فى الرمسيوم، حيث ظهر الملوك الثلاثة «منى» و«منتوحتب» و«أحمس الأول» بوصفهم المؤسسين للدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة.(١)

وقام نب حبت رع منتوحتب بالتخلص من العناصر غير الموالية لحكمه، فعزل امراء أسيوط المشاغبين من وظائفهم، بينما أبقى على الأمراء الموالين له، وقد عمل الملك على تركيز السلطة المركزية فى طيبة وذلك بتعيين موظفيه الطيبيين فى المواقع الهامة من الحكومة. وشغل أحد هؤلاء الموظفين وظيفة حاكم مصر السفلى، وهى وظيفة جديدة استلزمتها ظروف وجود العاصمة طيبة فى الجنوب.

وانعكس أثر هذه الوحدة القومية فى رخاء البلاد وتقدمها الحضارى، فاستؤنف تشييد الأبنية وبخاصة معابد الآلهة ومقاصيرها، فلقد عثر على تماثيل له فى معبد الآلهة ساتت فى اليفانتين وكذلك فى أساسات معبد الألهة نخبت فى الكاب، وفى الجبلين، كما أعاد بناء معبد الإله مونتو فى طود، وأقام عدة مقاصير فى دندرة وأبيدوس.



(شكل ٥١) رسم تخيلي للمعبد الهرمي للملك «نب حبت رع منتوحتب»

---

(1) W.C. Hayes. op. cit., p. 181.

ومن أهم تشييدات نب حبت رع منتوحتب المعمارية، معبده الهرمى فى منطقة الدير البحرى فى طيبة الغربية والذى يعد طرازاً فريداً فى تصميمه. والجديد هنا، هو الجمع بين هرم الفرعون ومعبده فى وحدة معمارية واحدة، وتخير الفرعون لمشروعه حضن جبل مرتفع من جبال طيبة الغربية، وصمم تحت اا مسطحين كبيرين يلى احداهما الآخر ويعلوه، ويشغل المسطح الأول فناء فسيح فى مؤخرته صفتان عريضتان، فى كل صفة صفان من أعمدة مربعة، وبين الصفتين ممر صاعد يؤدى إلى المسطح الثانى، وكان يكتنف الممر صفان من شجر الجميز، فى كل صف أربعة أشجار، وتحت كل شجرة تمثال جالس للملك. وتتوسط المسطح الثانى قاعدة مرتفعة كان يقوم فوقها هرم مسمط، ويحيط بها بهو يتخلله ١٤٠ عموداً ذات شكل ثمانى، وكان يقوم أمام البهو وفى كل من جانبيه رواق يحتوى على صفين من أعمدة مربعة، ويوجد فى مؤخرة البهو ست مقصورات تعلو مقابر بعض نساء البيت المالك، ويوجد وراء المقصورات فناء ثان يليه بهو يشتمل على ثمانين عموداً فى عشرة صفوف، ويوجد فى جداره الخلفى قدس الأقداس محفور فى الصخر[1]. (شكل ٥١)

وفيما يتصل بالسياسة الخارجية للملك - نب حبت رع منتوحتب فنجده بعد ان تمكن من إعادة توحيد البلاد، عمل على إعادة نشاط مصر فى الصحراء الشرقية فأرسل حملة إلى وادى الحمامات، قضت على مصادر الشغب فى هذه المنطقة، كما أعاد فتح الطريق إلى مناجم الفيروز فى سيناء.

وبالنسبة لحدود مصر الغربية فقد أرسل حملة إلى قبائل التحنو الليبية تمكنت من قتل قائد هذه القبيلة، واتخذ الخطوات الكفيلة بالسيطرة على الصحراء الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية[2] وفيما يتصل بالجنوب، فهناك

---

(١) محمد أنور شكري: المرجع السابق ص٣٧٤ - ٣٧٩.

(2) J Vercoultter, The Near East. the Early Civilizations. London 1967. p. 350.

نقش يسجل قيام الملك منتوحتب الأول بالسفر إلى بوهن مقابل وادى حلف عبر النهر، وأنه قد عبر البلاد جميعاً أثناء رحلته البرية هذه وقد عاد منها محملاً بمعادن وأحجار كثيرة.(١)

وأدت حالة الأمن والاستقرار التى شهدتها مصر إلى استئناف إرسال القوافل التجارية إلى النوبة السفلى وشواطئ سوريا، وربما إلى بونت كذلك. هذا وقد دام حكم نب حبت رع منتوحتب ٥١ عاماً وتوفى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م.

سعنخ كارع - منتوحتب الثالث: (٢٠٠٤ - ١٩٩٢)

ارتقى العرش بعد وفاة أبيه ودام حكمه اثنا عشر عاماً اتسمت بالسلام والرخاء ورغم أنه يمثل فى شبابه كمحارب فى نقوش المعبد الجنزى لـ «نب حبت رع» بالدير البحرى إلا أنه يبدو أنه كرس عهده فى تشييد الأبنية، ولقد بدأ بناء معبده الجنزى ومقبرته على مسافة نصف ميل إلى الجنوب الغربى من معبد ابيه ولكن هذا البناء لم يكتمل. كما أعاد بناء الحصون على طول تخوم شرق الدلتا.

ولعل خير شاهد على هدوء الأحوال فى هذا العهد هو ما تمدنا به مجموعة خطابات عثر عليها فى طيبة لشخص يدعى «حقا نخت» كان يعمل كاهناً جنزياً فى مقبرة الوزير «ايبى» فى عهد منتوحتب الثالث ثم استدعى فى العام الثامن من حكم هذا الملك فى عمل بالجنوب فكلف ابنه بالإشراف على المقبرة وعلى مزرعة يمتلكها فى شمال طيبة وكانت تقيم فيها عائلته، والواقع أن حقا نخت لم يترك مجالاً فى التوجيه الا وطرقه سواء فى توجيه ابنه لكيفية معاملة العمال أو فى معاملة عائلته والخدم وتخصيص أعمالهم، ولاشك فى أن هذه الحياة الزراعية الهادئة التى تقدم الخطابات صورة عنها إنما هى ثمرة الأمن والسلام الذى تمتعت به البلاد فى هذا العصر.

---

(١) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٦٣٩.

وفى العام الثامن من عهده غادرت حملة وادى النيل قرب مدينة قفط على النيل واتجهت شرقاً عن طريق وادى الحمامات إلى البحر الأحمر وكان الهدف من هذه الحملة استئناف البعثات التجارية البحرية مع بونت، وتمكنت الحملة من التخلص من قبائل بدو الصحراء الشرقية كما قامت بحفر ما يقرب من خمسة عشر بئر ماء على طول الطريق لضمان تزويد البعثات التى تمر بهذا الطريق بالمياه وكانت هذه البعثة بقيادة «حنو»[١].

ولقد أشار «حنو» إلى وجود علاقات مع «الحاونيو» سكان جزر البحر المتوسط وعلى الأخص جزيرة كريت، وتميزت هذه العلاقات على الأرجح بطابع الود.[٢]

نب تاوى رع منتوحتب الرابع: (١٩٩٢ - ١٩٨٥ ق.م)[٣]

لم يخلف هذا الملك من الآثار إلا القليل، وربما كان ذلك لقصر عهده، إذ تشير بردية تورين إلى فترة سبع سنوات فيما بين نهاية حكم منتوحتب الثانى وقيام الأسرة الثانية عشر دون أن تحدد لها ملكاً معيناً، وربما يرجع ذلك إلى نقص الوثائق المتصلة بهذا الملك لدى كتبة هذه القائمة وكذلك قوائم الرعامسة.[٤]

ومن الأدلة الأثرية المتبقية من عهده، أو حفظت لنا اسمه، إناء حجرى عثر عليه فى اللشت على مقربة من هرم الملك امنمحات الأول، وقد كتب إسمه على

(1) J. Vercoutter, op. cit., pp 351 - 352.

(٢) فيما يتصل بالعلاقات بين مصر وكريت خلال عصر الأسرة الحادية عشر، انظر: سوزان عباس عبد اللطيف: دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان منذ منتصف الالف الثاني ق.م وحتي منتصف الألف الأول ق.م. (رسالة دكتوراه) الإسكندرية ١٩٨٧ - ص٦٤ - ٦٥.

(3) I. Shaw, p. Nicholson, op. cit., p. 183.

(4) J. Vercoutter. op. cit., p. 353.

الإناء من الخارج وذلك على النحو التالى: «حور نب تاوى ابن رع منتوحتب» بينما كتب الاسم الحورى للملك امنمحات فى داخل الاناء.[1]

كما حفظت لنا الآثار إرساله البعثات فى أعوام حكمه الأول والثانى لإحضار الأحجار من جنوبى أسوان وكذلك وادى الحمامات لقطع كتل حجرية للتابوت الملكى فضلاً عن تشييد معابد فى الصعيد، وقد كانت هذه البعثة التى تكونت من عشرة آلاف رجل جمعوا من مصر العليا والسفلى تحت قيادة الوزير امنمحات الذى يذكر أنه كان مشرفاً على كل شئ فى هذه الأرض كلها.[2]

ويرجح أن هذا الوزير هو الذى ارتقى عرش مصر بعد عودته من وادى الحمامات بقليل وأسس أسرة ملكية جديدة هى الأسرة الثانية عشر، ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن امنمحات لم يستولى على العرش بطريق القوة. ورغم الغموض الذى يكتنف نهاية الاسرة الحادية عشرة وبداية الاسرة الثانية عشر، فإنه يمكن القول بأن انتقال العرش من الأسرة الحادية عشرة إلى الأسرة الثانية عشرة قد تم دون اتخاذ إجراء سياسى عنيف.

---

(1) W.S. Hayes, op. cit., p. 167.
(2) J.H., Breasted, op. cit., parg. 439.

الأسرة الثانية عشرة
(١٩٨٥ - ١٧٩٥ ق.م)

أولاً: سياسة ملوك الأسرة الداخلية:

١- امنمحات الأول (١٩٨٥ - ١٩٥٥ ق.م)[١]

فى عـام ١٩٨٥ ق.م، جلس امنمحـات الأول الذى اتخذ إسم التـتـويج «سحتب ايب رع» الذى يعنى «مهدئ قلب رع» على عرش مصر مؤسسا لأسرة جديدة هى الأسرة الثانيـة عشـرة. (شكل ٥٢) ومن المحتـمل أن يكون هو نفسـه امنمحات وزير الفرعـون «منتو حتب» والمرجح أن سلطان هذا الوزير أخذ يعظم، ونفـوذه يزداد ويقـوى فى عـهـد «منتـوحـتب» هذا حتى تمكن فى النهـاية من الاستيلاء على العرش عنوه. وكان والده ويدعى «سنوسرت» يعمل كاهنا أما أمه فكانت تدعى «نفرت».

وهناك العديد من الروايات والقصص الشعبى التى ورد فـيـهـا ذكر سيرة امنمحات الأول والتى حاول بعضها التمهيد لاستيلائه على العرش لافتقاره إلى الشرعيـة ومن هذه الروايات، البردية الموجودة حاليا فى متحف لينبجراد بالاتحاد السـوفـيتى والتى عـثـر عليـهـا الاثرى الروسى «فـلاديمو سـامـيـو نوفـيـتش جـولبـينشـف» وترجـمـهـا الكثـيـرون من علمـاء المصريات، من أمـثـال سـيـرالن جاردنر.[٢]

وعرفت هذه البردية باسم بنوءة نفر - رهو (أو نفرتى) وقد زعم كـاتبـهـا أنها ترجع إلى عهد الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة - فقد جاء فيها أن سنفرو كان يسعى وراء ما يسليه، فدعا إليه بعضا من رجال حاشيته، ليبحثوا له عن رجل مـاهر يسـتطيع أن يقدم له مـا يريد، وكـان هناك كـاهنا..... من بوباسطة

(1) I. Shaw, P. Nicholson, op. cit., p. 310.

(2) A.H, Gardiner, The Prophecy of Nefrit, J.E. A, I, 1919, PP. 100 - 106.

يدعى نفرتى وقع الاختيار عليه، فطلب منه الملك أن يحدثه عن المستقبل، أكثر مما يحدثه عن الماضى، فاندفع هذا فى وصف كارثة مقبلة، فقال:

«..... كل خير قد ولى والبلاد تعانى من جراء البدو والغزاة الاعداء بيننا والآسيويون يدخلون مصر.... المالك اصبح فى حاجة يسأل الناس وغدا الاجنبى غنيا.... نقصت الأرض وتضاعف حكامها.... أن المخلص سيأتى سيظهر ملك فى الجنوب يدعى امنى (اختصار اسم امنمحات) .... ابن امرأة من تاستى طفل من نخن سيتسلم التاج الابيض ويرتدى التاج الأحمر ويوحد القوتين»[1].

ومن الواضح أن هذه النبوءة تهدف إلى تدعيم مركز الملك الجديد، فلابد أنها تبعا لذلك كتبت فى عهد امنمحات الأول.

وبعد أن وصل امنمحات إلى العرش هجر طيبة إلى الشمال، فأختار مكانا وسطا بين الدلتا والصعيد، فى مكان يبعد ثمانية عشر كيلومترا تقريبا إلى الجنوب من منف بجوار اللشت، وبنى عاصمته التى سماها «ايثت تاوى» ومعناها القابضة على الارضين أو مقبض الارضين وقد اختار هذه المنطقة ليكون قريبا إلى حد ما من الاسيويين الذين يتسللون إلى الدلتا، ثم رغبته فى أن تكون عاصمته الجديدة على مقربة من منطقة محصنة يمكن استغلالها فى مشاريع الزراعة وايضا لتكون قريبة من انصاره فى مصر الوسطى.[2]

وهناك من الادلة ما يشير إلى أن المدينة كانت مقر الملك، وكانت تقام فيها بعض الطقوس الدينية، كما كانت مركزا لنشاط العمال والفنانين.

ونظرا لافتقار - امنمحات الأول - إلى الاصل الملكى فقد اتخذ اسماء جديدة فى القابه الملكية الجديدة ضمنها اللقب «وحم مسوت» ومعناه «معيد

(1) Ibid., p. 106.

(٢) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص١٦٩.

الولادات» مما يشير إلى أن عهده كان عهدا جديداً فى تاريخ البلاد. ويعنى اسم امنمحات «آمون فى المقدمة» انه كان من عباد الإله آمون، وتدلنا التسمية أنه رفع هذا المعبود إلى مرتبة الصدارة بين الآلهة الاخرى بجعله الإله الرسمى للدولة.

وقد حاول امنمحات الأول أن يعيد للملكية الحكم المطلق، وبدأ أولاً بوضع حكام الأقاليم تحت سلطانه المباشر، وجعل وظيفة حاكم الاقليم وراثية، ولكن يمنحها الملك لمن يضمن ولاءه، واتبع مع أمراء الأقاليم سياسة جديدة منعت التنافس بينهم، وذلك عن طريق اقامة حدود ثابتة بين كل اقليم وآخر، كما سن قانونا نظم فيه نصيب كل أقليم من مياه النيل الخاصة برى الاراضى الزراعية، هذا فضلا عن تحديد الكمية التى يقدمها كل إقليم من المواد الغذائية، وعدد السفن اللازمة للاسطول، واعداد الرجال للجيش المرابط.[1]

ومع ذلك فقد ظل لامراء الاقاليم نفوذهم فى عهد امنمحات الأول، ويشير إلى ذلك مناظر قبور بنى حسن الجميلة المنحوتة فى الصخر والتى تظهر عظمة حكام هذا الاقليم.

ومن أهم اعمال امنمحات الأول الداخلية ايضا اهتمامه بإعادة النظام فى مصر السفلى، ولتحقيق ذلك، قام بطرد جميع قبائل البدو الذين دخلوا عن طريق الشرق واستقروا على الحدود الشرقية، ثم شيد حائطاً كبيراً بطول الصحراء على الجانب الشرقي للدلتا، وكان غرضه، كما اعلنه فيما بعد «أن يمنع القبائل من دخول مصر، لكى يطلبوا الماء لقطعانهم»[2] وسمى هذا الحائط باسم «حائط الامير أو الحاكم».

---

(١) عبد الحميد زايد، مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٥٧.
(2) A.H., Gardiner, J.E.A., I, 1919, P. 105.

وشيد امنمحات العديد من المعابد فى سيناء وشرقى الدلتا، وشيد أيضا مجموعته الهرمية فى اللشت، والمكونة من الهرم والمعبد الجنائزى إلى الشرق منه، ثم طريق موصل إلى الوادى ومعبد آخر عند بداية الطريق[١]، كما كشف عن مصاطب داخل سور الهرم وخارجه لكبار موظفى الدولة وافراد اسرته[٢] وشيد امنمحات ايضا معبدا لآمون فى طيبة.

وفى العام العشرين من حكمه إشترك معه ابنه سنوسرت الأول فى الحكم، وقد كان هذا تقليدا اتبعه ملوك الأسرة الثانية عشرة بعده ربما لدرء الاخطار التى قد تحيط بالدولة عند موت الملك إذا لم يكن الولى على العرش محددا، وقد اشترك كل من امنمحات الأول وسنوسرت الأول فى العرش مدة عشر سنوات.

ومات امنمحات بعد حكم دام ثلاثين عاما وقد اغتاله بعض المتآمرين الذين انتهزوا فرصة غياب ابنه سنوسرت فى حملة فى ليبيا للتخلص من هذا الملك العجوز واغتالوه ليلا، ويرد وصف هذا الاغتيال فى تعاليم امنمحات[٣] إلى ابنه الأكبر، وولى عهده سنوسرت وفى نص ادبى شهير من هذا العصر هو «قصة سنوهى»[٤] الذى كان مرافقا لسنوسرت فى حملته.

---

(١) انور شكري، العمارة في مصر القديمة، ص٣٨٠ حاشية.

(٢) أحمد فخري، مصر الفرعونية، ص٢١٣ - ٢١٤.

(3) J.A., Wilson, In ANET, pp. 918 - 919.

(4) Ibid., pp. 18-22.



(شكل ٥٢) تمثال من الجرانيت الأحمر للملك «امنمحات الأول»

٢- سنوسرت الأول (١٩٦٥ - ١٩٢٠ ق.م)

تابع «سنوسرت الأول» (خبر كارع) سياسة والده وقد تمكن من أن يحكم البلاد بخبره ودراية، وقد تم الكشف عن أوراق من البردى بين خرائب الغرف الخلفية فى معبد الرمسيوم تبين احتفالات تتويج الملك سنوسرت الأول.(١)

هذا وقد اشتهر سنوسرت الأول بكثرة اعماله العمرانية، ففى مصر ما يقرب من ٣٥ منطقة وجدت بها آثار من عهده موزعة على الوادى من الاسكندرية حتى الجندل الأول، غير أن أشهر اعماله على الاطلاق تشييده معبد للاله رع بمدينة هليوبوليس، ولم يبق من هذا المعبد إلا المسلة التى لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، ويبلغ ارتفاعها ٦٦ قدماً، وهى مكونة من كتلة واحدة من الجرانيت الوردى.

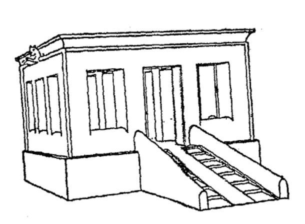
وقد نقشت على جدرانها اسم والقاب الملك سنوسرت الأول ويرجع اهتمام سنوسرت الأول بمدينة هليوبوليس لأسباب سياسية ودينية، ذلك لأن الاله رع معبود هليوبوليس هو أكبر الالهة المصرية وسيدهم، ومن اقدمهم جميعا، وكانت الأسرة الثانية عشرة تهتم كثيراً بإحياء العقيدة وسطوتها فضلا عن ارضاء الكهانة المصرية، كما أن سنوسرت كان شديد الرغبة فى إعادة المقام المرضى لهذا الاله.

وعثر له أيضاً فى الكرنك على مقصورة للقارب المقدس من الحجر الجيرى الابيض الناصع، ولهذا تعرف باسم المقصورة البيضاء. (شكل ٥٣) وشيد هرمه فى اللشت بالقرب من «ايثت تاوى» وعثر على بقايا المعبد الجنائزى وعشرة تماثيل جميلة تمثل الملك جالسا على العرش، وهى تمثل الملك شابا وديعا جميل السمات ترتسم على شفتيه ابتسامة هادئة.(١)

---

(1) J.E., Quibell, Ramesseum, London, 1896, P. 35.

(٢) أنور شكري، المرجع السابق، ص٣٨٣.



(شكل ٥٣) جوسق سنوسرت الأول في الكرنك

واهتم سنوسرت بارسال بعثات التعدين لاحضار الذهب من مناجم شرق قفط والحجارة الصلبة من مكان بالقرب من وادى الحمامات حيث ارسلت بعثة فى العام الثامن والثلاثين من حكمه مكونة من أكثر من سبعة عشرة آلاف من الرجال لقطع كتل حجرية خاصة لستين تمثالا لأبى الهول ومائة وخمسين تمثالا وقد استمر قطع المرمر من محاجر حتنوب كما وجد مسجلاً على صخورها[1] فى السنة الثانية والعشرين والسنة الحادية والثلاثين من حكمه.

هذا وقد اتبع سنوسرت الأول سياسة ابيه تجاه امراء الاقاليم، والذين كان

(١) عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص٣٧٣.

الكثير منهم من ابناء أولئك الذين كانوا يحكمون اقاليمهم على ايام ابيه امنمحات الأول فظلوا موالين له بعد اغتيال ابيه، ولم يتجاوزوا سلطان فرعون الذي منحهم حقوقهم الوراثية، فضلا عن ثرواتهم الشخصية، كما كانوا يمدونه بفرق الجند التي كان يتكون منها الحرس الملكي.

واتبع سنوسرت الأول سياسة ابيه في نظام الحكم المشترك فأشرك معه ابنه امنمحات الثاني.

٣- امنمحات الثاني (نب كاورع) (١٩٢٢ - ١٨٧٨ ق.م).

أشرك سنوسرت الأول معه ولده امنمحات الثاني في الحكم قبل وفاته بعامين على الأقل.

وقد اعطى امنمحات الثاني اهتماما كبيراً لاستغلال المناجم والمحاجر، فقد ارسل البعثات لاستخراج المعادن في سيناء وايضا إلى محاجر المرمر في حتنوب، وارسل بعثه إلى بلاد بونت لاحضار بعض مواد ومنتجات هذه البلاد.

وقد اتبع امنمحات الثاني مع امراء الاقاليم نفس سياسة ابيه، فأكد لبعضهم حقوقهم الوراثية، مع الحفاظ على هيمنة العرش على اقاليمهم، فولى منهم من يشاء، وأقام لهم حدود املاكهم، ومع ذلك فهناك ما يشير إلى أن حاكمي اقليمي الاشمونين وبني حسن قد استعادوا كثيرا من سلطانهم، وبدأوا في منافسة فرعون في الثراء والتفاخر.

وشيد امنمحات الثاني هرمه على مبعدة ثمان كيلومترات من الهرم المدرج بناحية دهشور[١]. وعثر بالقرب من هرمه على مقابر بعض الاميرات وجدت فيها عقود من الذهب والاحجار الكريمة. وبلغت صناعة هذه الحلى درجة كبيرة من الاتقان تدل على ذوق فني رفيع.

---

(١) أنور شكري، المرجع السابق، ص٣٨٠.

هذا وقد اشرك امنمحات الثانى معه فى الحكم ولده سنوسرت الثانى بعد أن حكم ٣٥ عاما.

٤- سنوسرت الثانى (١٨٨٠ - ١٨٧٤ ق.م)

قام سنوسرت الثانى بنشاط عمرانى فى اهناسية، حيث عثر على بعض كتل حجرية لمعبد هناك[١]، كما عثر فى الكرنك على رأس تمثال له من الجرانيت الوردى، هذا فضلا عن آثار أخرى فى مناطق متفرقة من البلاد، كما فى سرابيط الخادم ووادى الحمامات والقصير واللاهون واسوان.

وبنى سنوسرت الثانى هرماً باللاهون عند مدخل الفيوم، وقد اقامه فوق صخرة، واكمل البناء بالاحجار واللبن، وكساه بالحجر الجيرى الأبيض وقد جعل مدخل الهرم فى الجهة الجنوبية بدلا من الجهة الشمالية التى كانت هى القاعدة وذلك فى محاولة منه فى اخفاء حجرة دفنه عن لصوص المقابر، وحاول أن يمعن فى تضليل اللصوص، فأخذ فى نحت جميع الحجرات الجنازية فى الصخر ولم يترك فتحة توصل ما بين الصخر وباطن الهرم. وقد غطى مدخل الهرم الرئيسى بأرضية مقبرة احدى الاميرات، ومع هذه المبالغة فى الحرص فقد نهب الهرم قديما. وإلى الشرق من الهرم يقع معبد الوادى وإلى الغرب يوجد المعبد الجنازى. وقد اقيمت مدينة الهرم بجوار معبد الوادى وكانت تسمى «حتب سنوسرت»، وتشغل اطلالها حوالى ثمانية عشر فدانا بلغ عدد حجراتها حوالى الفى حجرة، كما عثر هناك على مجموعات كثيرة من اوراق البردى فى موضوعات مختلفة كالطب والقضاء والحساب.[٢]

وعلى مقربة من هرمه عثر على عدد كبير من المصاطب لأهل بيته ورجال بلاطه. وقد اهتم سنوسرت الثانى بالفيوم وهو أول من بدأ مشروع التحكم فى مياه النيل عند الفيوم واستغلال المياه فى رى الاراضى.

(1) E, Navillee, Ahnas El - Medineh, London, 1994, P. 25.
(2) W. M. F., Petrie, Illahun, Kahun, andGurob, I, (1889-1890) London, 1891, PL. Xiv. P. 5 FF.

ولم يزد حكم سنوسرت الثانى عن تسع سنوات بما فى ذلك الفترة التى اشترك فيها مع ابيه امنمحات. ولم يعين له شريكا فى الحكم.

سنوسرت الثالث (١٨٧٤ - ١٨٥٥ ق.م)

ورث سنوسرت الثانى ولده «سنوسرت الثالث» (خع كاورع) والذى قدر له أن يكون واحداً من اعظم من جلسوا على عرش الفراعين طول العصور، وقد طال حكمه حتى اربى على ثمان وثلاثين سنة. وكان رجل حرب وإدارى مميز.

بدأ سنوسرت الثالث حكمه بسياسة ناجحة نحو امراء الاقاليم، نتج عنها ازالة كل اثر فى البلاد لما كانوا يتمتعون به من نفوذ، فجردهم من حقوقهم التقليدية وامتيازاتهم، وعمل على ابعادهم عن الشئون السياسية للبلاد، حتى اصبحوا فى تلك الفترة الأخيرة من حكمه لا وجود لهم سياسيا. ولا نعرف كيف استطاع أن يحقق هدفه هذا، ولكن لوحظ عدم وجود مقابر كبيرة منحوتة فى الصخر لحكام الاقاليم. كما لم نسمع عن «الرؤساء العظام للاقاليم»[١]. وقد استبدل ذلك بنظام ادارى آخر: فقد كان يوجد ثلاث ادارات فى المركز الرئيسى للحكومة فى العاصمة.

وقسمت الاقاليم المصرية إلى ثلاثة أقسام: مصر السفلى ومصر الوسطى ومصر العليا، وكان يرأس كل إدارة من هذه الادارات مقرر، وكان له معاون وعدد من الموظفين يعملون كتبه.

وقد نتج عن الغاء طبقة النبلاء الإقطاعيين ظهور طبقة وسطى فى المجتمع المصرى تتكون من الحرفيين والتجار وصغار المزارعين وما شابه ذلك الذين يمكن التعرف على زيادة ثرواتهم واهميتهم فى بناء المجتمع المصرى من العديد من التماثيل الصغيرة الخاصة، ومما لا حصر له من الالواح الحجرية التى أهداها، هؤلاء الناس بالقرب من معبد اوزير فى ابيدوس.[٢]

(1) J.H., Breasted, ARE, Parag. 641, P. 285.

(2) J, Vercoutter, The Near East, The early Civilizations, London, 1967, P. 350.

واقام سنوسرت الثالث الكثير من المبانى وخاصة فى ابيدوس، كما شيد لنفسه هرما بالقرب من هرم سنفرو بدهشور، وقد شيد الهرم من الطوب اللبن وكساه من الخارج بالحجر الجيرى، وشيد من حوله مقابر اميرات من العائلة الملكية التى عثر فيها على بعض الحلى.

هذا وقد اتبع سنوسرت الثالث سنة اسلافه واشرك معه فى الحكم ولده امنمحات الثالث فى اخريات ايامه لفترة قصيرة.

امنمحات الثالث (١٨٥٥ - ١٨٠٨ ق.م)

جنى امنمحات الثالث (نى ماعت رع) ثمار جهود ابيه الحربية، واستغل حالة الهدوء والاستقرار التى كانت عليها مصر فى تنشيط اعمال التعدين فى صحراوات الوادى. فأرسل إلى سيناء عماله لاستخراج كنوزها من الفيروز والنحاس، وبلغ عدد هذه البعثات ما يقرب من العشرين. وقد وجدت العديد من الآثار والنقوش التى تشير إلى هذه البعثات، وأهم هذه النقوش، نقش لاحد الموظفين المبعوثين هناك اسمه «حور ورع».[1]

وهو يبين لنا مقدار ما لاقى من مصاعب فى سبيل الحصول على الفيروز ونسب نجاحه إلى ربة الفيروز الإلهة حاتحور.

كذلك ارسل امنمحات الثالث العديد من البعثات إلى صحراء النوبة الغربية لاحضار حجر الديوريت وغيرها من الاحجار الاخرى.

ووجه امنمحات الثالث اهتمامه لاستغلال مياه فيضان النيل، فأمر بتسجيل ارتفاع النهر عند قمنه، وعمل على توسيع رقعة الارض الزراعية للنهوض باقتصاد مصر، وقد فكر امنمحات ومهندسوه فى جعل بحيرة منخفض الفيوم خزانا طبيعيا يحبس فيه مياه النيل الزائد، ومن اجل ذلك بنى سدا عند مدخل البحيرة فى اضيق ممر ينفذ فيه بحر يوسف الحالى، وكان هذا الخزان مقفلا

(1) W.M.F, Petrie, Researches in Sinai, London, 1906, P. 94.

بواسطة سد كبير وله اهوس وعيون، وكانت هذه الهواويس موضوعة للمحافظة على مستوى معين للمياه فى الوادى الرئيسى فى اشهر الجفاف، وطبقا لما قاله الجغرافى استرابون فإن السد كان طوله ٤٧ كم وهو يسمح برى اراضى شاسعة لمدة مائة يوم عن طريق تسرب مياه بطيئة.

وقد ادى ذلك الانجاز إلى استصلاح ما يقرب من سبع وعشرين الف فدان فى هذه المنطقة، واقام امنمحات على الشاطئ الشمالى من هذه المنطقة حاجزين ضخمين اقام امامهما تمثالين يمثلانه وهو جالس يبلغ ارتفاع كل منهما اثنى عشر مترا.[١]

وشيد امنمحات الثالث لنفسه هرمين احدهما فى دهشور والآخر فى هوارة، وإلى الجنوب من هرم هوارة نجد المكان الذى كان فيه مبنى اللابيرانت الشهير، ومن المؤكد أن المعبد الجنائزى لامنمحات الثالث، انما كان على الاقل جزءا من ذلك المبنى الذى مات امنمحات الثالث دون أن يتم العمل فيه، وكان طول هذا المبنى حوالى ٣٥٠ مترا، وعرضه ٢٤٤، وأن لم يبق منه الأن جدار واحد فى مكانه.

ولقد وصف اللابيرانث كل من هيرودوت وديودور وسترابو، ولقد ذكر هيرودوت[٢] انه شاهده بنفسه وأنه يفوق الوصف، وأنه يفضل الهرم، وهو يتكون من أثنى عشر بهوا مسقفا، ابوابها متقابلة، وانه يتكون من ثلاث الاف غرفة نصفها فوق الأرض، وبعضها الاخر تحتها، وأن الغرف العليا تفوق ما اخرجه الانسان من اثار، إذ أن سقوفها كلها قد شيدت من الاحجار، وكان يحيط بكل بهو أعمدة مصنوعة من الاحجار البيضاء. ويذكر هيرودوت أنه شاهد بنفسه الحجرات الموجودة فوق سطح الارض، أما الحجرات الموجودة تحت سطح الأرض، فيذكر أن المشرفين عليها لم يسمحوا له بدخولها.

---

(1) A.H., Gardiner, Op. Cit., P. 138-140.

(٢) هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة ومراجعة أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٦٦، ص٢٧٩ - ٢٨١.

أما ديودور فقد وصفه بأنه يدعو للعجب لدقة صناعته، وأن من يدخله لا يجد طريقة إلى الخارج بسهولة، ويذكر أنه مربع الشكل، وبه بهو يحيط به الاعمدة التى تتكون من اربعين عمودا فى كل جانب، أما سقفه فإنه منحوت بحجر واحد مزخرف بصور ورسوم مختلفة.(١)

ويضيف سترابو أن اللابيرانث كان يحتوى على عدد ضخم من الابهاء المتصلة بعضها بالبعض الآخر عن طريق ممرات دوارة لا يستطيع الغريب أن يحدد مساره خلالها، وأنه يضارع الهرم، وأنه قصر كبير مؤلف من قصور كثيرة بعدد اقاليم مصر فى الزمن القديم، وهو عدد الابهاء التى تحيط بالاعمدة، وكلها فى صف واحد، وأمام المدخل اقبية طويلة متعددة يتصل احدهما بالآخر بطرق متعرجة.(٢)

وقد دام حكم امنمحات الثالث ٥٥ عاما، تمتعت مصر خلالها بالرواج الاقتصادى والأنتعاش، وقد اشرك معه فى الحكم ابنه امنمحات الرابع فى العام الاخير من حكمه.

امنمحات الرابع (١٨٠٨ - ١٧٩٩ ق.م)

حكم امنمحات الرابع نحو سنوات تسع وبضعة شهور، حسبما ورد فى بردية تورين، ولم يكن فى همة اسلافه أو مهارتهم السياسية والإدارية، وقد اهتم بإرسال البعثات إلى المحاجر فى النوبة وفى وادى هودى للحصول على احجار الاماتيست، كما ارسل البعثات لجلب الفيروز والنحاس من سيناء.

ومن الناحية المعمارية فقد وجد اسمه مسجلاً على جدران معبد مدينة ماضى جنوب غرب الفيوم، كما شيد لنفسه هرماً إلى الجنوب من الجيزة بحوالى ٣٠ كيلومتر وذلك خلف قرية مزغونه.

---

(١) وهيب كامل: ديودور الصقلى في مصر، الفقرتان، ٦١، ٦٢.

(2) H, Kees, Ancient Egypt, London, 1961, P. 225.

سبك نفرو (١٧٩٩ - ١٧٩٥)

توفى امنمحات الرابع دون أن يترك وريثا ذكرا للعرش، وأعتلت العرش الاميرة سبك نفرو التى اصبحت ملكه ولقبت بالالقاب الخاصة بالملوك وحكمت على الاقل ثلاثة اعوام طبقا لبردية تورين، وذكر مانيتون أنها كانت اختا لامنمحات الرابع، وقامت بعدة اضافات معمارية فى هوارة.[1]

ومهما كان الامر فإن حظها العاثر قد شاء ان يختل الأمن فى عهدها، فظهرت بوادر هجرات شعوبية وقلاقل وراء الحدود الشمالية الشرقية، وبنهاية عهدها انتهى عصر الاسرة الثانية عشرة وانتقلت مصر إلى مرحلة حرجة فى تاريخها، وهو ما اصطلح المؤرخون على تسميته بعصر الانتقال الثانى.

(1) W.M.F., Petrie, Gurob and Hawara (1890), P, 26.

ثانيا: سياسة ملوك الأسرة الثانية عشرة الخارجية:

قامت السياسة الخارجية لمصر خلال عصر الاسرة الثانية عشرة على أساس تغليب علاقات الود مع الدول المجاورة فى الشام والعراق وجزر بحر ايجه، واتخاذ الصلات التجارية معها سبيلا إلى التأثير الحضارى فيها. كما قامت على اساس توطيد النفوذ وتوسيع البعثات والاستثمار على إمتداد الحدود فى الغرب والجنوب، أى فى الصحراء الغربية والنوبة، مع إيثار السلام القائم على التحصين واليقظة فى الناحيتين، وعدم الإلتجاء إلى استخدام القوة فيهما إلا حين الضرورة.

أ- مع الجنوب:

ارسل امنمحات الأول فى العام التاسع والعشرين من حكمه حملة وصلت إلى منطقة كورسكو وربما امتدت إلى ابعد من ذلك، لأنه من المعتقد أن امنمحات الأول هو مشيد قلعة الحدود عند سمنه جنوب الجندل الثانى. والمرجح أن الهدف الرئيسى من إرسال هذه الحملة كان اخضاع الثائرين من اقاليم النوبة السفلى وفرض السيادة المصرية على المنطقة التى تقع فيما بين الجندل الأول والثانى، فضلا عن استغلال مناطق المناجم، وبعض المحاصيل الجنوبية الاخرى.[1]

وفى عهد الملك سنوسرت الأول قام بإرسال حملة كبيرة إلى بلاد النوبة السفلى فى السنة الثامنة عشرة من حكمه، وذلك بغرض اخضاع القبائل النوبية التى تعيش فى تلك المنطقة، وقد نجح فى بسط نفوذه حتى الشلال الثالث. واطلقت النصوص المصرية اسم «كاش» منذ ذلك الحين على منطقة النوبة العليا،[2] وقد نفذت هذه الحملة بنجاح كبير، وعين أمير مصرى يسمى «جعى جفاى» حاكما لتلك المناطق الجديدة فى كرما، وقد توفى هناك ودفن فى احتفال

(١) والتر ايمري: مصر وبلاد النوبة، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٤٥ - ١٤٦
(٢) رمضان السيد، المرجع السابق، ص٢٦٢.

كبير، ويبدو أن الملك قد استولى على مناجم الذهب فى وادى العلاقى، ولكى يصل إلى هذه المناجم كان لابد له أن يرحل من وادى حلفا، ومن أجل تأمين سلامة البعثات، لجأ سنوسرت إلى إقامة التحصينات من كوبان حتى بوهن عند الشلال الثانى، وعند حدود هذا الشلال انشأ طريقاً تجارياً يؤدى إلى كرما تحميه الحصون، واستغل محاجر الديوريت التى كانت تستخدمها بعثات الملك خوفو فى غرب توشكا.

وساد السلام فى العلاقات المصرية النوبية فى عهد سلفى الملك سنوسرت الأول، وقد دفع ذلك القبائل النوبية إلى القيام بمحاولات للتخلص من الحكم المصرى، هذا فضلا عن أن هجرات المجموعة الثالثة التى بدأ بوادرها منذ ايام سنوسرت الأول، انما تقدمت نحو النوبة، محاولة السيطرة على طرق القوافل بين النوبة ومصر، ومن هنا فقد بدأ سنوسرت الثالث يحول كل اهتمامه نحو النوبة. فحاربهم سنوسرت اربع مرات، ومهد لحروبه معهم بشق قناة واسعة بين صخور الشلال الأول، بلغ عرضها ٢٠ ذراعا، وبلغ طولها ١٥٠ ذراعا وعمقها ١٥ ذراعا، كما روت نصوصه، ليسهل انتقال اسطوله وجيشه وييسر وصول الإمدادات إليه. كما أقام الحصون فوق المرتفعات على ضفتى النيل وفوق الجزر، من أسوان حتى وادى حلفا، وتخلفت من هذه الحصون بقايا حصنين كبيرين فى سمنة وقمنه على جانبى النيل شمالى وادى حلفا وقام كل حصن منهما فوق ربوة عالية، وبلغ ارتفاع جدرانه ما يتراوح بين عشرة امتار وبين أثنى عشر مترا، واحاطت به الابراج، وتضمن فى داخله مساكن الجند ومعبدا صغيرا. وترك سنوسرت فى معبد حصن سمنه نصبين من الجرانيت سجل كاتبه على احداهما سياسته الحدودية وسجل على الأخر تفاصيل حروبه.[1]

وبقى الحكم المصرى فى النوبة، بعد انتصارات الملك سنوسرت الثالث

---

(١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص١٨٨.

طوال حكم خلفائه امنمحات الثالث وامنمحات الرابع والملكة سوبك نفرو، ولم نجد أية اشارة إلى نشاط عسكرى فى تلك المنطقة.

ب- مع الشمال والشمال الشرقى

بدأ امنمحات الأول فى تنفيذ سياسة السلام المسلح، فاهتم بحدوده الشرقية، وقضى النصف الأول من حكمه فى طرد البدو الآسيويين الذين نزحوا إلى الدلتا واستقروا فيها، خلال فترة الاضطرابات التى مرت بها البلاد فى اخريات ايام الأسرة الحادية عشرة، ورغبة من الفرعون فى عدم عودة الآسيويين مرة أخرى إلى الدلتا، فقد شيد امنمحات سلسلة من الحصون على حدود الدلتا الشرقية، عرفت باسم «اسوار الحاكم» أو حائط «الامير» وأن كنا لا نعرف أين توجد على وجه التحديد، ولقد ورد ذكرها فى قصة سنوهى.[1]

ومن الجدير بالذكر أن قصة سنوهى أنما تشير إلى أن اللغة المصرية، أنما كانت معروفة لدى بعض السوريين وأن الرسل والتجار المصريين إنما كانوا يترددون على لبنان، ويمرون بها إلى ما هو أبعد، وأن الحكام السوريين أنما كانوا على اتصال بمجريات الأمور فى مصر، وأن سنوهى قد اشترك بفرقة من أهل الشام فى صد جماعات سمى رؤساؤهم باسم «حقا خاسوت»، بمعنى حكام البلاد الاجنبية أو حكام البرارى.

ترتب على جهود امنمحات الأول وسنوسرت الأول أن غلب السلام والأمن على أحوال مصر وعلى حدودها ومسالك تجارتها وعلاقاتها الخارجية فى عهدى كل من الفرعونين امنمحات الثانى وسنوسرت الثانى، واكدت الآثار المكتشفة عمق الصلات بين المصريين وبين أهل الشام فى ذلك الحين، فعثر فى نواحى فلسطين وسوريا وفينيقيا، على تماثيل واوان وجعارين واختام نقشت باسماء

---

(٢) قصة سنوهي قصة رجل من بلاط امنمحات، صحب ابنه سنوسرت في حملة عسكرية إلي الصحراء الليبية الشمالية الغربية، وتلقي القصة الضوء علي علاقات مصر بمنطقة الشام في عهدي امنمحات الأول وسنوسرت الأول.

افراد مصريين ترددوا على بلاد الشام وتعاملوا مع اهلها، وكان منهم رسل من البلاط الفرعونى وحكام أقاليم وافراد عاديون عمل بعضهم لحسابه الخاص وعمل بعضهم الآخر لحساب دولته وملكه.(١)

ويشير نقش ملون مسجل على أحد حيطان قصر خنوم حاكم اقليم بنى حسن فى عهد الملك سنوسرت الثانى، أن هذا الحاكم قد استقبل فى اقليمه جماعة من البدو الآسيويين الذين ربما اتوا من فلسطين وكان على رأسها ابشاى «حاكم الاراضى الجبلية» واحضروا معهم بعض هداياهم.(٢)

ولم تقتصر اتصالات مصر الخارجية فى عصر الأسرة الثانية عشرة على بلاد الشام وأجزائها، وإنما امتدت واتسعت مع اقطار أخرى عرفها المصريون منذ عصور بعيدة، فقد عثر تحت ارضية معبد مصرى فى بلدة الطود جنوبى الاقصر على أربعة صناديق صغيرة تضمنت تمائم من اللازورد واختاماً اسطوانية عراقية ذات اسلوب يرجع إلى عصر أسرة اور الثالثة السومرية، وتماثيل ذات طراز بابلى ومصنوعات ذات طراز إيجى.

وعثر فى منطقة هوارة ومدينة كاهون على اختام ذات زخارف تشبه الزخارف الكريتيه التى ظهرت فى العصر المينوى الوسيط.(٣)

وواجهت مصر فى عهد سنوسرت الثالث تحركات مريبة قرب حدودها الشمالية فاضطر الرجل إلى الاستعانة فى سياسته الخارجية بالقوة المسلحة فى سبيل تأمين الحدود وتأمين سبل التجارة وبث الاحترام فى نفوس الجيران. وترأس اغلب حملاته بنفسه، فقادها إلى اواسط فلسطين وكانت له معركة فيها قرب سكيم أو سشم الحالية.(٤)

واستمرت العلاقات الطيبة بين مصر والشام حتى اواخر عصر الاسرة

---

(١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص١٨٥.

(2) P.E., Newberry, Beni Hasan, I,XXX-XXXi.

(3) H, Hall, JEA, I, (1914), pp. II0 F.

(4) Breasted, Op. Cit., I, 676 F.

الثانية عشرة، وكان ذلك رغبة من الطرفين، فمصر كانت حريصة على فتح اسواق لها فى هذه الاقطار لتصريف مصنوعاتها، ولكى تستورد ما كان يتجمع فى موانيها من منتجات الحوض الشرقى للبحر المتوسط، وفى نفس الوقت وجدت المدن والدويلات الصغيرة فى فلسطين وسوريا وفينيقيا فى مصر خير عميل للتبادل التجارى الواسع معها، ومصدراً رئيسيا للتبادل الحضارى.

جـ - من الناحية الغربية

لم يقتصر نشاط امنمحات الأول على الاهتمام بحدوده الشرقية وانما اهتم كذلك بحدوده الغربية، ومن ثم نراه يقوم ببناء سلسلة حصون على حدود الدلتا الغربية، كما فى واحة النطرون وربما الخارجة ايضا.

وهناك فى قصة سنوهى ما يشير إلى أن امنمحات الأول انما قد ارسل حملة فى اخريات عهده. تحت قيادة ولى عهده الامير سنوسرت لتأديب الثائرين فى الصحراء الغربية، حيث نقرأ.

«ارسل جلالته جيشا إلى التحنو بقيادة ولده البكر، الاله الطيب، سنوسرت، ليضرب البلاد الاجنبية، وليأسر سكان أرض التحنو، وكان فى طريق العودة، ومعه اسرى احياء من التحنو، وكل انواع الماشية التى لا تحصى.[1]

وتابع سنوسرت سياسة ابيه فى مراقبة الليبيين، وهى نفس السياسة التى تابعه فيها خلفاؤه، حتى لنرى لقبا جديدا يظهر فى هذه الفترة، هو مراقب الصحراء الغربية والذى حمله كبار الموظفين.[2]

وهناك ما يشير إلى قيام حملة على أيام سنوسرت الأول فى الواحات الغربية، خرجت من طيبة، وعادت بدون خسائر، وحملت الكثير من الأسرى.

(1) J.A., Wilson, The Libyans and the end of the Egyptian Empire, AJSL, Li, 1935, P. 79.

(٢) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص٣٩٦

الفصل السابع

العصر المتوسط الثانى

العصر المتوسط الثانى

يتضمن العصر المتوسط الثانى الأسرات من الثالثة عشرة وحتى السابعة عشرة وذلك فى الفترة من ١٧٩٥ - ١٥٥٠ ق.م تقريبا، وتواجه المؤرخ صعوبات جمة فى دراسة هذه المرحلة التى تعتبر من أكثر فترات تاريخ مصر الفرعونية غموضاً، ويرجع ذلك إلى قلة المصادر المتاحة عن هذه المرحلة إن لم يكن ندرتها.

فقوائم ملوك سقارة وأبيدوس لم تشر إلى هذه المرحلة، أما بردية تورين فهى تقدم لنا بعض الأسماء، ولكنها تحذف أسماء أخرى، وليس هناك بين قوائم الملوك ما يخص ملوك هذه الفترة، سوى قائمة الكرنك، وهى فى حالتها المهشمة تستطيع أن تقدم لنا ثلاثين اسماً. وهو رقم يقرب من نصف العدد الذى تؤكده الآثار الباقية. ومن سوء الحظ أن هذه الأسماء مبعثرة بين أسماء ملوك الدولة القديمة والوسطى فى صورة غير منظمة تجعل من العسير أن نقدم من ورائها تتابعاً سليماً.

وعلى ذلك فإن المؤرخ لهذه الفترة، إنما يعتمد على البقايا الأثرية المتخلفة عنها، وهى بصفة خاصة الجعارين التى تحمل خراطيش ملكية، إذ عزف المصريون القدامى عن تسجيل أحداث هذه الفترة وبخاصة عصر الهكسوس، بل أنهم قاموا بتدمير اثارها، فلم ينج منها إلا قلة قليلة، ولم تظهر إشارة إلى هذا العصر إلا على أيام الملكة حتشبسوت.

وفيما يتصل بالتحديد الزمنى لهذه الحقبة، فإن الرأى يتجه حالياً إلى أن هذا العصر لم يستغرق أكثر من مائتى عام وربما أقل من ذلك، وذلك اعتماداً على الدراسات المقارنة فى منطقة الشرق الأدنى وبخاصة أسيا الصغرى.[1]

(1) F., Daumos, Le Civilisation de L' Egypte Pharhonique, Paris, 1965, P. 82.

أما عن العدد الكبير من الملوك الذين حكموا خلال هذا العصر، فيمكن إرجاعه لوجود مجموعات من الملوك كانت تحكم فى الشمال، ومجموعة أخرى تحكم فى مصر الوسطى، ومجموعة ثالثة تحكم فى الجنوب، ومن المحتمل أن مؤرخى أسيا الصغرى سوف يساهمون فى يوم ما فى التوصل إلى عدة حقائق عن تاريخ وترتيب ملوك هذه الفترة، فلقد كان هناك فى ذلك العصر العديد من نقاط الإلتقاء والاتصال التى تربط بين مصر وآسيا الصغرى، فهى فترة الغزو لكل المنطقة، فقد جاء الهندو أوربيون فى موجات متتالية على آسيا الصغرى، وواكب ذلك اختفاء الآثار المصرية فى بلاد الشرق القديم ابتداء من الأسر الثالثة عشرة، وعلى الرغم من أن أرشيف مارى يذكر فينقيا، إلا أنه كان يجهل مصر تماماً، ويمكن بمساعدة بعض المصادر الأسيوية أن نصل إلى ترتيب بعض التواريخ بدقة لتصبح بالنسبة لنا كنقطة انطلاق كافية لتحديد تاريخ تلك الفترة بأكملها.(١)

ولقد حاول الباحثون دراسة الأسباب التى أدت إلى انهيار الدولة الوسطى ودخول مصر فى مرحلة من الفوضى والضعف السياسى الشديد، فأرجعها بعض الباحثين إلى ظهور إعداء لمصر فى سورية وفلسطين والنوبة، وذلك اعتمادا على التماثيل والأوانى الصغيرة والدمى التى نقشت عليها فى أخريات الأسرة الثانية عشرة، تلك الدعوات التى تستنزل اللعنة على الأعداء(٢). وهذه اللعنات خاصة بأفراد من النوبة وآسيا وقفوا موقفاً عدائياً من مصر، وكان الإعتقاد أنها تستطيع أن تقضى على قوة هؤلاء الأعداء، ويشير ذلك من غير شك إلى مدى الضعف الذى أصاب البلاد.

---

(١) رمضان السيد: تاريخ مصر القديمة، جـ١، منذ أقدم العصور حتي نهاية عصر الانتقال الثاني، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٧٩.

(٢) انظر: عصام محمد السعيد: نصوص التدمير والهلاك لأعداء مصر، دراسة لغوية أثرية تاريخية، رسالة دكتوراة غير منشورة، الأسكندرية ١٩٩٣.

وهناك من يرى أن ذلك الضعف ربما كان راجعاً إلى أن نظام الإقطاع الذى قضى عليه الملك سنوسرت الثالث فى أواسط الأسرة الثانية عشرة قد عاد من جديد، وأن هناك عدداً من الأسرات المحلية قد تقاسمت حكم البلاد فى وقت واحد، إلا أن هذا الرأى لا يوجد هناك من الأدلة ما يؤيده، ويرى جان يويوت أن النظرية القائلة بانقسام مصر خلال هذا العصر إلى دويلات صغيرة لا تستند إلا على تفسيرات لبعض الوثائق النادرة والمشتتة جغرافيا، وهو الأمر الذى يجعلنا لا نعزو إليها قيمة إحصائية ثابتة هذا ويرجع أيضا أن التمردات والمراكز المحلية للسلطة لم يكن لها سوى وجود عابر[1]. هذا فضلا عن أن نظام الإقطاع الذى كان قد قضى عليه منذ أواسط الأسرة الثانية عشرة، ولم يبق من آثاره غير صورة واحدة لا يكاد التاريخ يعرفها فى غير إمارة الكاب، كما تشير إلى ذلك لوحة المتحف المصرى رقم ٥٢٤٥٣ والتى ترجع إلى عهد الملك «سواج - إن - رع».[2]

بينما يرجع فريق من الباحثين هذا الضعف نتيجة الأحوال السياسية الخارجية فى جنوب غرب آسيا خلال هذه المرحلة التى شهدت تحرك الشعوب الهندوأوربية من مواطنها الأصلية فى وسط آسيا واتجاهها نحو منطقة سورية وبلاد الرافدين، ومن ثم فقد أحدثوا العديد من الاضطرابات فى هذه المنطقة ووصل تأثيرهم حتى مصر.

وسنتناول فيما يلى أحوال مصر السياسية خلال هذه المرحلة وتبدأ الدراسة بعصر الأسرة الثالثة عشرة.

---

(١) جان يويوت: مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة ١٩٦٦، ص٨١.
وكذا P., Lacau, in BIFAO, 30, 1931, P. 88 FF.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٤١.

الأسرة الثالثة عشرة

ذكر مانيتون أن ملوكها من طيبة، وأنها تتكون من ستين ملكاً حكموا لمدة ٤٥٣ سنة، وهو رقم مبالغ فيه إلى حد كبير، وأما بردية تورين، فقد أوردت ما بين خمسين وستين ملكاً، ولكنها تجاوزت عن عدد من الملوك الذين ظهروا في مصادر أخرى، ومن المرجح أن مدة حكم هذه الأسرة قد بلغ حوالى ١٤٥ سنة (١٧٩٥ - ١٦٥٠ ق.م تقريباً).[١]

ولقد كان ملوك الأسرة الثالثة عشرة مثل من سبقوهم من ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة من أصل طيبي، وتدل مخلفاتهم الأثرية التى كشف عنها في الدير البحرى والكرنك والطود والمدامود على وفائهم للمكان الذى جاءوا منه وإلى آلهتهم وبخاصة الإله «مونتو» كما أن أغلب أسمائهم الشخصية من أصل طيبي مثل أمنمحات وأنيوتف وسنوسرت ونفر حوتب[٢]، وإن كان إسم «سوبك حوتب» أكثر الأسماء استعمالاً، وبالنسبة لعاصمتهم، فقد كانت فى إيثت تاوى كما كانت من قبل فى عصر الأسرة الثانية عشرة، وإن كان البلاط ينتقل أحياناً إلى طيبة.[٣]

وتدل شواهد الأحوال على أن نظام الحكومة فى عهد الأسرة الثالثة عشرة بقى على حالة كما كان فى زمن الأسرة الثانية عشرة، فاستمرت أعمال الترميم وصيانة المعابد، وقطع الملوك الأحجار من وادى الحمامات لنحت تماثيل ضخمة لأنفسهم، وبنوا بها كذلك مقابرهم. وبالنسبة للبيت المالك، فقد حدث به اضطرابات شديدة ظهر أثرها فى تكرار اغتصاب العرش، فما يكاد الفرعون يستقر فى عرشه حتى يغتصب منه الملك، ويتلوه غيره، وتتجدد معه المأساة مما يدل على أن البلاد كانت منحدرة نحو الخراب والتدهور، ولا يبعد أن يكون الملوك الذين يموتون على فراشهم ميتة طبيعة قلائل جدا.[٤]

---

(1) I. Shaw, P. Nicholson, op. cit., p. 310.

(٢) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦، ص٤٤٧.

(3) W.C., Hayes, JEA, 33, 1947, PP. 10-11.

(٤) سليم حسن: مصر القديمة، جـ٤، القاهرة، ١٩٩٣، ص٥٠ - ٥١.

ومن ناحية أخرى وبالرغم من المتغيرات الكثيرة فى شخصيات الحكام فقد استمر احترام وتقدير فكرة وجود حاكم واحد يشرف على الجهاز الحكومى كله، أى أن فكرة الملكية لازالت عالقة فى أذهان الناس، ولم تتأثر علاقة مصر بالنوبة، وغرب آسيا، وظل لمصر وللمصريين فى هذه الأقطار مكانتهم واحترامهم، ولم يكن لانتقال العرش من الأسرة الثانية عشرة إلى الأسرة الثالثة عشرة تأثير مباشر على حالة مصر الخارجية.

وحكم خلال هذه الأسرة حوالى سبعة وأربعين ملكاً وذلك على النحو الآتى:(١)

١- أوجاف سخم رع - خوتاوى - أمنمحات، - سوبك حتب الأول)
٢- أمنمحات سنب أف.
٣- سخم رع خوتاوى.
٤- سخم كارع - أمنمحات الخامس - سنب أف.
٥- سحتب إيب رع الثانى.
٦- ايوفنى.
٧- سعنخ ايب رع (امنى - انيوتف - أمنمحات السادس).
٨- سمنكارع.
٩- حتب ايب رع - سى حورن حجرى يوتف.
١٠- سواج كارع.
١١- نجم ايب رع.
١٢- سوبك - حتب الأول.
١٣- رينى - سنب.
١٤- حو الأول (حتب ايب تاوى - نفر خعو).

---

(1) J., Beckerath, Handbuch der ägyptischen Königanamen, Berlin, 1984, PP. 67 - 72.

محمد ابراهيم بكر، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٦٦ - ٢٦٧.

١٥- امنمحات السابع.

١٦- سوبك - حتب الثانى.

١٧- أوسر كارع خنجر.

١٨- امراشع (سمنخ كارع).

١٩- انيوتف الرابع (سحتب كارع).

٢٠- سيث الأول.

٢١- سوبك حتب الثالث (سخم رع - سوادج تاوى).

٢٢- نفر حتب الأول (خع سخم رع).

٢٣- سى حاتحور.

٢٤- سوبك حتب الرابع (خع نفر رع).

٢٥- سوبك حتب الخامس (خع حتب رع).

٢٦- واح ايب رع.

٢٧- أى الأول (مر - نفر - رع).

٢٨- سوبك حتب السادس (مر - حتب رع - اينى الأول).

٢٩- سواج - تو (سعنخ ان رع - سواج - تو).

٣٠- ايند (مرى - سخم - رع).

٣١- حورى (سواج - كا - رع).

٣٢- سوبك حتب السابع (مرى - كاو - رع).

٣٧- ددو - موسى (واج - خعو).

٣٨- ايبى الثانى.

٣٩- حور الثانى.

٤٠- سى - كارع.

٤١- سنب - ميو.

٤٤- سعنخ إن رع

٤٦- مرى - حر - رع.

٤٧ - مرى كارع.

وسنتناول فيما يلى دراسة بعض ملوك الأسرة الثالثة عشرة.

سخم رع - خو تاوى - امنمحات - سبك حتب الأول:

يتجه بعض الباحثين إلى أنه وريثاً شرعياً للعرش، إما عن طريق الزواج أو بصلة الدم إلى الحكام الذين جاء بعدهم، ويرجحون أنه قد تزوج من الملكة «سبك نفر ورع»[1] وبخاصة أنه لم تصل إلى أيدينا معلومات وثيقة عن نهاية حكمها، ولكن ليس لدينا ما يدعم ذلك الزعم.

بينما يرى البعض أنه لم تكن تربطه بالأسرة المالكة فى عصر الأسرة الثانية عشرة أية أواصر قربى مباشرة أو غير مباشرة، وطبقا لأغلب الاراء يبدو أنه كان ينتمى إلى أمراء طيبة، وهناك ما يدفع إلى الاعتقاد بأن الملك جعل من هذه المدينة عاصمة للمرة الثانية.[2] وهناك من يرى أنه قد اغتصب العرش من الملكة «سبك نفرو ورع»، وساعده فى ذلك أن حكم النساء لم يكن مرغوباً فيه عند المصرى القديم، وعلى ذلك فقد اتخذ لنفسه الأسماء «امنمحات» و«سبك حتب»، وهى أسماء تربطه بأواخر ملوك الأسرة السابقة، وذلك ليخفى اغتصابه للعرش، وليكون خليفة للملك امنمحات الرابع آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة.

وتشير الآثار التى كشف عنها أن هذا الملك كان يحكم مصر كلها وكذلك الامبراطورية التى اقامها سنوسرت الثالث حتى سمنه فى الجنوب، فلقد عثر فى الدير البحرى على حجر منقوش عليه اسمه، يظن أنه من عتب باب، مما يدل على أنه أقام بعض المبانى فى المعبد الذى شيده ملوك الأسرة الحادية عشرة ووجد له فى «المدامود» بعض أجزاء مقاصير، منها جزء للملك والآلهة وعثر فى «كاهون» على بردية دون فيها قائمة بأسماء أسر كبيرة وذكر فيها السنة الأولى والثانية من حكمه، وفى «تل بسطة» عثر على جزء من بوابة وقطعة أخرى.[3]

(1) E., Drioton, and J., Vandier, Op. Cit., P. 286, 322.

(٢) رمضان عبده السيد: المرجع السابق، ص٢٨١

(٣) سليم حسن: المرجع السابق، ص٥-٦.

ويوجد فى متحف المتروبوليتان ختمين اسطوانيين له، سجل على أحداهما إسميه الشخصيين، بينما سجل على الآخر اسم العرش الخاص به، وقد صحبه اللقب «محبوب سوبك».(١)

وفيما يتصل بسياسته الخارجية، فإن مصر على أيامه استمرت تحكم النوبة حتى «سمنة»، حيث سجل اسمه على صخورها بجوار اسم «امنمحات الثالث»، وأنه قام فى العام الرابع من حكمه بتسجيل ارتفاع الفيضان عند مقياس سمنة وقمنة عند الجندل الثانى.

وتشير الأدلة الأثرية إلى أنه لم يحكم سوى أربع سنوات فقط، حيث توفى فجأة، وإن كان وليم هيز قد أعطى له مدة حكم خمس سنوات.(٢)

امنمحات سنب اف:

اتخذ الإسم الحورى «مح إيب تاوى»(٣)، وتشير بردية تورين إلى أنه قد حكم ست سنوات، بينما يستدل من الآثار المعاصرة له أنه لم يحكم سوى ثلاث سنوات فقط.(٤)

ولقد عثر على ختم اسطوانى كبير منحوت بشكل جيد لهذا الملك، فى المعلا، ويوجد حاليا فى متحف المتروبوليتان، وقد نقش على هذا الختم القابه على النحو الآتى: «الحور مح - إيب - تاوى، المنتسب للإلهتين اتى سخم اف، الإله الطيب، ملك مصر العليا والسفلى سخم كارع، إبن رع، من جسده آمون ام حات سونب اف ، له الحياة والدوام والأبدية مثل مثل رع».(٥)

---

(1) W.C., Hayes, The Sceptre of Egypt, P. 342.
(2) Ibid., 340.
(3) J., Beckerath, Op. Cit., P. 67.
(٤) رمضان عبده السيد: المرجع السابق، ص٢٨٢، وكذا.. W.C., Hayes, op. Cit., P. 340.
(5) Ibid., 342.

ويلاحظ أن اسمه قد ذكر على الكثير من الآثار فى كل من مصر العليا والسفلى، مما قد يشير إلى أنه قد حكم مصر كلها، ومن أهم الآثار التى عثر عليها له، لوحة فى أتريب (بنها الحالية) وقد رسم عليها صورة إله النيل يقدم القربان إلى الملك، وهذه اللوحة تخص الأمير «مرى رع».[1]

كما عثر له على بعض الآثار فى الفيوم وفى بعض مناطق الصعيد وكذلك فى الدلتا فى صان الحجر، وإن كان هناك ما يشير إلى أن السيادة المصرية فى النوبة إنما قد بدأت فى التدهور، فاسم الملك لم يعد له وجود فى صخور سمنة، وإنما فى «اسكوت» على مبعدة ١٨ ميلا إلى الشمال من الحدود التى أقامها سنوسرت الثالث.[2]

سخم رع - خو تاوى:

اتخذ الإسم الحورى «خع - ى - باو» والإسم النبتى «وحم جد»[3]، ولقد ذكر اسمه على لوحة من الحجر الجيرى لأمير يدعى «تحوتى عا» وأميرة تدعى «حتب نفرو»[4] ويلاحظ أنه قد اتخذ فى أسمائه أسماء أول ملوك الأسرة.[5]

سخم كارع - امنمحات - سنب اف:

اتخذ الإسم الحورى «سعنخ تاوى»[6]، ويلاحظ أنه قد اتخذ فى أسمائه أسماء الملك الثانى فى الأسرة، مما قد يشير إلى أنه هو وسلفه وهما الملكان الثالث والرابع فى الأسرة كانا من نفس عائلة الملكين الأول والثانى، وقد عثر على اسمه منقوشاً على العديد من الاثار، ومنها اسطوانة عثر عليها فى

(1) E.A.W., Budge, A Guide to the Egyptian Collections in the British Museum, 1959, P. 223, PI. XXVIII.

(٢) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص٤٤٥.

(3) J., Beckerath, op. cit., P. 67.

(٤) سليم حسن: المرجع السابق، ص٨.

(٥) رمضان عبده السيد: المرجع السابق، ص٢٨٢.

(6) J., Beckerath, op. cit., P. 68.

«المعلا» بالقرب من الجبلين، وبعض الآثار التى كشف عنها فى الحفائر التى أجريت فى «طود».

سختب إيب رع الثاني:

وجد اسمه منقوشاً على ختم أسطوانى مصنوع من حجر اللازورد، كان موجوداً فى مجموعة كارنارفون، ويوجد حالياً ضمن مقتنيات متحف المتروبوليتان[١]، وقد نقش على الختم «ملك مصر العليا والسفلى سختب إيب رع، محبوب حاتحور، سيدة بيبلوس).

ومن ناحية أخرى فلقد كتب بالخط المسمارى أن أمير بيبلوس المدعو «ياكين - اليوم» قد ذكر أنه «خادم» أو «موظف» لملك مصر[٢]. ويشير ذلك إلى أن النفوذ المصرى كان موجوداً على الساحل السورى خلال عهود الملوك الأوائل فى الأسرة الثالثة عشرة.

ويلاحظ أن الأمير «ياكين - اليوم» هو والد الأمير يوناثان الذى ظهر على نقش غائر فى جبيل أمام أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة[٣] وسيأتى الحديث عنه فيما بعد.

سعنخ إيب رع (امنى - إنيوتف - (منمحات)

اعتبره Beckerath سابع ملوك الأسرة، حيث وضع قبله ملكاً اعتبره سادس ملوك الأسرة وهو اقنى (ايو - إن - نى)[٤]، وقد اتخذ الأسم الحورى «سهر - تاوى»[٥]، والإسم النبتى «سخم - خعو».

---

(1) W.C., Hayes, op. cit., P. 342.
(2) W.F., Albright, "An Indirect Synchronism between Egypt and Mesoptamia, 1730 B. C"., ASOR, 99 (1945), II no. 15.
(3) W.C., Hayes, op. cit., P. 342.
(4) J., Beckerath, op. cit., P. 68.
(5) C G., 23040.

ولقد عثر على إسمه منقوشاً على ختم اسطوانى مصنوع من حجر الإستيتيت، حيث جاء عليه «الإله الطيب، سعنخ إيب رع، محبوب سوبك، سيد سمنو»[1] كما عثر على العديد من موائد القرابين فى الكرنك عليها اسمه، وهى توجد الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة[2]، كما ورد اسمه فى قائمة الكرنك، وورد اسمه كسادس ملك فى الأسرة الثالثة عشرة وذلك فى بردية تورين[3]، كما ظهر اسمه أيضاً على جعران.[4]

حتب إيب رع - سى حورن حجرى يوتف:

يمكن إدراج اسم هذا الملك والذى يسمى أيضاً «الأسيوى» أو «إبن الأسيوى» ضمن أسماء الحكام الذين جاءوا بعد الملكة سبك نفرو، ولقد عثر له فى قطنة فى شرق الدلتا على تمثال كما عثر على جعران فى أريحا بفلسطين، وعثر على اسمه على قطعة من الحجر فى بلدة «الأطاولة» قبالة «أسيوط».

اوسر كارع «خنجر»:

اتخذ اسماً آخر غير مصرى وهو «خنجر» وشيد لنفسه هرماً فى سقارة بناه من الطوب اللبن وكساه من الخارج بالحجر الجيرى الأبيض، وتم الكشف عنه عام ١٩٢٩، ويبلغ ارتفاعه نحواً من سبعة وثلاثين متراً، وكان يوجد أسفله حجرات وممرات تنتهى بحجرة دفن من الكوراتز، وقد عثر على بعض قطع من أحجار هذا الهرم، وكذلك عثر على لبنة من جدرانه عليها نقوش بالخط الهيراطيقى، تتصل بمراحل العمل فى الهرم، ويستدل منها على أن البناء كله تم فى أربعة أعوام، وكشف عن المعبد الجنزى لهذا الهرم فى الناحية الشرقية، وهيكل قرابين فى الجهة الشمالية، وعثر فى هذا الهيكل على أجزاء من هريم من الجرانيت الأسود

(1) W.C. Hayes, op. cit, P. 342.

(2) A., Kamal. Tables Offrandes, I, PP. 31 - 37.

(٣) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٤٤٨.

(4) W.M.F., Petrie, Scarabs and Cylinders, London, 1917, 13.6.

والجوانب الأربعة له منقوشة وعليها كتابات، وقد نقش على الجانب الشرقى له سفينتان إحداهما لليل والأخرى للنهار، وفى كل واحدة منهما رمز للإله الشمس، كما عثر أيضاً على أجزاء من باب وهمى وتمثال صغير الحجم للملك نفسه، وفى الركن الشمالى للهرم عثر على حفرة فيها أربعة أوان من الفخار الخشن، ويحيط بالهرم سوران خارجيان، وكلاهما مربع، أولهما من اللبن، وطول كل ضلع من أضلاعه ١٢٥ متراً، وثانيهما وهو الداخلى مبنى بالحجر الجيرى الجيد وطول ضلعه ٧٥ متراً، ويوجد مدخل الهرم فى الجهة الغربية منه، وجدرانه وسقفه من كتل الحجر الجيرى الجيد، وهو يؤدى إلى أربع عشرة درجة، فى نهايتها قدس أقداس من حجر الكوارتز، وخلف المتراس درجات سلم آخر عددها ٢٩ درجة فى نهايتها متراس ثان، وبعد هذا المتراس يوجد عدد من الممرات والحجرات تؤدى إلى حجرة الدفن التى تقع فى مركز المبنى تقريباً، وهذه الحجرة منحوته فى صخرة واحدة ضخ . من الحجر الكوارتزى لا يقل وزنها عن ستين طناً، وكانت مسقوفة بكتلتين كبيرتين من الحجر أقاموا فوقها سقفاً جمالونياً مثلثاً.(١)

ويوجد له لوحتان توجدان حالياً فى متحف اللوفر، وهما تتصلان بإصلاحات قام بها كاهن يدعى «أمينى سنبو» فى معبد سنوسرت الأول فى أبيدوس وقد جاء فى اللوحة الأولى (Louvre C, II) أن الوزير عنخو قد أمر، هذا الكاهن بأن ينظف المعبد، وسيقدم له العمال اللازمين، ويذكر الكاهن أنه قام بتنظيف الطابقين السفلى والعلوى للمعبد، وجانبى جدرانه وقد ملأ المصورون (النقوش والكتابة) بالألوان، والترصيع والتطعيم.

وتذكر اللوحة الثانية، شكر الملك للكاهن «أمينى سبنو» على الأعمال التى قام بها: «لقد صدر الأمر بتبليغ الرسالة الملكية الثانية إلى «أمينى سبنو»

---

(1) G., Jequier, Deux Pyramides du moyen empire, Cairo, 1933.
أحمد فخري: الأهرامات المصرية، ١٩٦٣، ص٣٣٠ - ٣٣٣.

وهى: إن هذه الأعمال التى قمت بها قد فحصت، وإن الفرعون يشكر لك ويرجو لك أن تعيش عمراً سعيداً فى هذا المعبد الخاص بإلهك...»[١]

وبعد أن حكم خنجر ما لا يزيد عن أربع سنوات جاء من بعده قائد من الجيش اتخذ اسماً للعرش هو سمنخ كارع.

سمنخ كارع - مرمشع:

عرف هذا الملك لدى الباحثين من خلال تمثالين كبيرين له كشف عنهما فى تانيس، وقد سجل عليهما ألقابه[٢]، وقد اغتصب الملك الهكسوسى «أبو فيس الثانى» هذين التمثالين لنفسه، هذا ويرجح أن الهكسوس قد أحضروا إلى تانيس هذين التمثالين من مصر العليا، أو ربما كانا فى الدلتا، وبالتالى فليس من المستبعد أن هذا الملك كان يحكم مصر السفلى.[٣]

سخم رع - سوادج تاوى - سوبك حتب الثالث:

لم يذكر اسمه فى قائمة الكرنك، ومع ذلك فقد عثر له على العديد من الآثار فى أنحاء متفرقة من مصر، وذكر على آثاره اسم والده منتوحتب وأمه ياوهيبو وكان والداه من أسرة رقيقة الحال.[٤]

ومن آثاره التى كشف عنها، تمثال من الجرانيت الأحمر عثر عليه فى «تل بسطه» وجزء من تمثال مصنوع من «الجرانيت» عثر عليه فى الكرنك، وله لوحة محفوظة فى متحف اللوفر تحت رقم C.8، وقد مثل عليها زوجة الملك وابنتان من بناته تتعبدان للإله «مين»[٥]، وبالإضافة إلى ذلك فله جعارين مبعثرة فى

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص٣٤.

(2) W.M.F., Petrie, Tanis, I, PI. III, 17D.

(٣) رمضان عبده السيد: المرجع السابق، ص٢٨٤.

(٤) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٥٠٤.

(5) W.M.F., Petrie, "Recueil d' Inscriptions inedites du Musie Egyptein du Louvre", Vol. II, P. 107.

جهات مختلفة من مصر سجل عليها بالإضافة إلى إسمه اسم والده واسم امه.(١)

ولقد أقام العديد من المباني، منها بعض التشييدات في معبد الأقصر وكذلك معبد الكرنك، وعثر في الجبلين على عتب باب منقوش عليه إسمه، كما أقام مقصورة في المداموده، ومعبداً في الكاب، واستخدمت فيما بعد أحجاره في أساس معبد في عصر الأسرة السادسة والعشرين.

ويذكر الأستاذ الدكتور عبد الحميد زايد(٢) إنه في الإمكان اعتبار ما جاء ذكره على بردية بولاق المطولة رقم ١٨، وما فيها من إيرادات ومصروفات خاصة ببلاط الفرعون خلال إقامته في طيبة لمدة شهر أنها ترجع إلى أيام الملك سوبك حتب الثالث، وقد ورد في هذه البردية أصحاب المعاشات العديدين الذين أنعم عليهم الملك من بين أفراد عائلته وموظفي الدولة (ومنهم الوزير الكبير، عنخو) وكذلك صغار موظفي القصر، وذكر أيضاً في الوثيقة ثلاث مصالح للإدارة، كانوا إلى جانب وظائفهم، يقومون بإدارة أقسام مختلفة من الدخول الملكية: «إدارة رأس الجنوب» و«الخزانة» و«المكتب الخاص بتوريد العمال».

وتوجد، أجزاء من بردية محفوظة في متحف بروكلين، كتب على أحد وجهيها قائمة بالخدم، وهي مؤرخه بالسنة الأولى والثانية من حكم سوبك حتب الثالث، وهي تشمل ٤٥ أسيويا من الرجال والنساء والولدان قد ألحقوا بخدمة موظف واحد من مصر العليا(٣) ويشير ذلك من غير شك إلى كثرة عدد الأسيويين في مصر خلال هذه المرحلة مما قد يكون قد أثر بشكل ما على مجريات الأحداث التي مرت بها مصر فيما بعد، وما عانته من جراء احتلال الهكسوس لها، فقد يكون لوجود هؤلاء الأسيويين بكثرة في البلاد، وما قد يستتبعه من

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص١٥.

(٢) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص.٤٥٠.

(3) JNES, 17, (1958), PP. 87 - 109, 133 - 134, 148 - 149.

انتشار التزاوج معهم أثره فى إضعاف مقاومة المصريين للهكسوس، وذلك بالطبع بالإضافة إلى العديد من العوامل الأخرى السياسية والاقتصادية والخارجية التى ساعدت على ذلك.

خع سخم رع - نفر حتب الأول:

يرجح أنه حكم لفترة وصلت إلى إحدى عشرة سنة، ولقد ترك العديد من الآثار فى العديد من مناطق مصر وخارجها، ومن دراسة النقوش التى ترجع إلى عهده أمكن معرفة بعض أوجه نشاط هذا الملك فى المجالين الداخلى والخارجى.

ولقد سجل بعض النقوش على صخور أسوان وجزيرة سهيل وصخور شط الرجال[1] وكذلك على بعض الجعارين، وأمكن من خلالها معرفة اسم والده وكان يدعى «حا عنخف» وأن والدته كانت تدعى «كمى»، وسميت زوجته «سنسنب».

ولقد عثر فى مدينة جبيل على الساحل السورى على قطعة حجر منقوشة نقشاً غائراً[2]، وقد صور عليها شخصاً جالساً يرتدى ثوباً فضفاضاً نقش أمامه سطر عمودى، وسطر أفقى يحتوى على ديباجة ملكية مصرية، وعلى الرغم مما أصابها من العطب والمحو فإنه أمكن نسبتها إلى الملك «خع سخم رع نفر حتب»، وقد سجل اسم أمير جبيل الذى جلس أمامه ويدعى «يوناثان» وقد مد يده أمام الملك باحترام، مما يدل على أنه تابع للملك المصرى، ويوضح ذلك أنه فى هذه الفترة كان لازال سلطان مصر معترفاً به فى سورية، وعلى ذلك يرجح أن الدلتا كانت خاضعة لحكمه فيما عدا إقليم سخا.

ومن ناحية الجنوب فقد امتد حكمه ونفوذه حتى الجندل الأول، حيث أشير إلى ذلك على تمثال فى قدس الأقداس الخاص بحقا إيب بالفنتين، وفى نصوص مخربشة على صخور جزيرة كونسو، وفى أمكنة أخرى مجاورة لأسوان.[3]

(1) RE, 7 (1905), 189.
(2) ASOR, 99, (1945), II FF.

(٣) عبد الحميد: المرجع السابق، ص١٥٤.

ومن أهم مخلفات نفر حتب الزثرية لوحة كبيرة من الحجر الرملى أقامها فى أبيدوس جاء فيها أن الملك أراد أن يتثبت من سلامة مشروعاته فى معبد أوزير بناحية أبيدوس، فأخذ فى الإطلاع على الكتابات القديمة المودعة فى معبد آتوم بهليوبوليس وذلك قبل أن يرسل رسولا إلى أبيدوس لينفذ المشروع، وسنورد فيما يلى ما جاء فى هذه اللوحة الهامة.(١)

«فى السنة الثانية من حكم جلالة الملك نفر حتب الذى أنجبته الأم الملكية (كمى) لها الجاه والثبات والسعادة مثل رع للأبد (عندما) اعتلى جلالته عرش حور فى القصر المسمى المسيطر على الجمال، خاطب الأشراف والنبلاء من أتباعه، ومهرة الكتاب وحفاظ كل الكتب السرية قائلا: لقد تاق قلبى إلى رؤية الكتابات القديمة الخاصة بالإلة «آتوم» ولذلك يجب عليكم أن تقوموا لى ببحوث عظيمة حتى يمكن للإلة (الملك) أن يعلم كيف خلق، وكيف فطرت الآلهة، ويعلم ما يجب أن تتألف منه القرابين الخاصة بهم، وحتى يمكننى أن أعرف الإله أوزير فى صورته الحقيقية، وبذلك يكون فى مقدورى أن أنحت له تمثالا كما كان فى غابر الزمان فى الوقت الذى كان فيه الآلهة ينحتون تماثيل لأنفسهم فى مجلسهم السماوى لأجل أن يثبتوا آثارهم على الأرض، فقد منحونى إرث إله الشمس إلى آخر ما يحيط به دائرة الشمس، وإنى سأزيد ما هو موكل بى، وهم من جانبهم سيزيد حبهم لى ما دمت أعمل على حسب ما يأمرون».

فأجاب الزشراف على ذلك بقولهم: يا أيها الملك والسيد، إن كل ما تأمر به جلالتكم سينفذ، وعلى ذلك فلتذهب جلالتكم إلى المكتبات، ولتنظر جلالتكم إلى كل كلمة مدونة.

---

(١) انظر:

A, Mariette, Abydos, II, paris, 1880, Pls, 28 - 30.

عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، جـ١، مصر والعراق، ١٩٨٠، ص١٩٢.

سليم حسن: المرجع السابق، ص١٩ - ٢٠، وكذلك،

أحمد أمين سليم: المكتبة المصرية فيما قبل مكتبة الأسكندرية، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، المجلد الثامن والثلاثون، ١٩٩٠، ٩٩ - ١٠٢.

وعندئذ ذهب جلالته إلى المكتبات، وفتح الكتب فى حضرة الأشراف فوجد سجلات معبد «أوزير» أول أهل الغرب وسيد أبيدوس، ثم قال جلالته للأشراف أن جلالتى يحيى «أوزير» أول أهل الغرب ورب أبيدوس وإنى سأنحت له تمثالا تكون أعضاؤه ويداه على حسب الذى رأيته فى هذه الكتب، وهى تمثله بوصفه ملك الوجهين القبلى والبحرى عندما خرج من إلهة السماء نوت. ومن أجل ذلك أمر بإحضار ضابط كان فى معيتة للمثول بين يديه وقال له: عليك أن تصعد فى النيل وبصحبتك جنود وبحارة، ولا تنم ليلا ولا نهاراً حتى تصل إلى أبيدوس، وعليك أن تأتى بتمثال أول أهل الجبانة الغربية حتى أقيم آثاره كما كانت عليه فى بداية الزمن.

وحينئذ قال الأشراف: إن كل ما أمرت به سيكون يا أيها الملك والسيد، وإنك ستفعل لعبدك أول أهل الجبانة الغربية فى أبيدوس على حسب قولك.

ثم أنطلق هذا الضابط جنوباً لينفذ ما أمر به جلالته، وقد وصل إلى أبيدوس حيث أمر بإخراج تمثال أول أهل الجبانة الغربية من قبره، وبعد بضعة أيام وصل جلالة هذا الاله (الملك) ونزل فى القارب المقدس لأوزير رب الأبدية، حيث كان شاطئا النهر مفعمين بالعطور وروائح بلاد بونت، وأخيراً وصل الملك إلى أبيدوس سائحا فى القناة الخارجية من النيل إلى أبيدوس، ووصل فى وسط المدينة حيث حضر رسول منه قائلا: إن الإله «أوزير» قد خرج من قبره فى آمان، وعندئذ ذهب جلالته إلى القارب المقدس عند رأس القناة حيث كان تمثال أوزير ينتظره ومن ثم ذهب إلى المعبد ومعه هذا الإله، وهناك أمر بتقديم قربان لجده أول أهل الجبانة الغربية، فأحرق البخور والمواد المقدسة لأوزير أول أهل الجبانة الغربية فى كل مظاهره، وأنهى الاحتفال التقليدى الخاص بهزيمة أولئك الذين كانوا اعداء القارب المقدس، وبعد ذلك ظهر جلالة هذا الإله فى احتفال تاسوعه المتحدين معه، فى حين أن «وبواوات» كان يسير أمامه بوصفه مرشداً للطريق، وبعد ذلك أمر جلالته أن يذهب هذا الإله إلى معبده، وأن يوضع فى المقعد الموجود فى المحراب الذهبى ليمثلوا جمال جلالة «أوزير» وتاسوعه، وليضعوا موائد قربان من كل الأحجار الفاخرة الغالية المجلوبة من أرض الإله، وقد كان

الملك يشرف على صناعة ما يصاغ من الذهب بنفسه، ولكن جلالته قبل أن يفعل ذلك تطهر بالطهور اللائق بالإله...

وبعد إنتهاء العمل خاطب الملك الكهنة قائلا «كونوا يقظين فى المعبد وحافظوا على هذه الآثار التى أقمتها، ولقد وضعت أمامكم تصميماً لكل الأزمان، وعندما وضعت هذا المثل فى قلوبكم كنت أبحث وراء عمل ما يجب أن يكون صحيحا للمستقبل، وما يجب أن يحدث بانتظام فى هذا المكان الذى صنعه الإله، وذلك لرغبتى فى توطيد ذكرياتى فى معبده، ولأجل أن تبقى أوامرى دائماً فى هذا البيت، وأن جلالة «أوزير» يحب ما قمت به له وأنه لفرح بما قد أمرت بعمله لأنه بذلك قد تأكد من انتصاره، على أنه له بمثابة ابن وحام، وأنه هو الذى يعطينى وراثة الأرض، وأنا بذلك الملك، عظيم البأس، شديد الإرادة، لن يحيا من يعادينى، ولن يتنفس الهواء من يتآمر ضدى، لن يبقى له إسم بين الأحياء، ولسوف تزهق روحه أمام من فى يديهم السلطان، ويطرد من عند الإله هو ومن لا يهتمون بأمر جلالتى، ومن لا يعملون بأمر جلالتى، وكل من لا يدعو لهذا الإله الجليل، وكل من لا يحترم ما فعلته خاصاً بقربانه، وكل من لا يقم لى الشكر فى كل عيد فى هذا المعبد سواء أكان ضمن طائفة كهنة محراب هذا المعبد أم يشغل أية وظيفة أخرى فى مدينة أبيدوس، وذلك لأنى قد أقمت هذه الآثار لجدى «أوزير» أول أهل الجبانة الغربية، ورب أبيدوس، لأنى أحببته أكثر من كل الآلهة، ولأجل أن يمنحنى جزاء ما قمت به له (ملايين السنين)».

وفى العام الرابع من حكمه، أقام لوحتين عند طرفي جزء معين من جبانة أبيدوس، وذلك ليمنع العامة من اقتحامه، وذلك للحفاظ عليه لعبادة الإله «وبوات»، وقد بقيت إحداهما، وقد ورد فيها إسم الفرعون وتاريخها:

«قرر جلالتى أن هذه الجبانة الواقعة جنوب أبيدوس يجب أن تصان وتخصص لوالدى «وبوات» رب الجبانة «تاچسر» كما فعل الإله حور لوالده أوزير فلا يسمح لأى شخص أن تطأ قدمه هذه الجبانه ولهذا فإن هاتين اللوحتين قد أقيمتا فى نهايتى الجنوب والشمال ونقش عليهما إسم جلالته، وأى شخص

يوجد داخل المساحة المعينة بهاتين اللوحتين تجب معاقبته، ولو كان صانعاً أو كاهناً يزاول صناعته، وأى موظف يقيم لنفسه قبراً داخل هذه الجبانة فلابد من التبليغ عنه، ويجب أن ينفذ فيه القانون، وكذلك تنفذ هذه الأوامر حتى على حارس الجبانة من هذا اليوم، أما أى امتداد وراء هذا الجزء المعين فليصرح لهم بالدفن فيه».[1]

ولقد عثر بالقرب من هرم سنوسرت الأول بناحية اللشت على تماثيل لأبن الملك «واح نفر حتب»، وأحد موظفى البلاط يدعى «بنر»، هذا ويرجح أن الملك نفر حتب الأول نفسه وبقية أفراد حاشيته، قد دفنوا على مقربة من اللشت.

خع نفر رع - سوبك حتب الرابع:

تولى العرش بعد سى حاتحور، الذى يرجح أنه حكم لفترة قصيرة رأى بعض الباحثين أنها لم تتجاوز ثلاثة أيام، وقد امتدت سنوات حكم سوبك حتب الرابع إلى مدة لا تقل عن ثمانى سنوات.

ولقد ترك العديد من الآثار، منها تمثال عثر عليه فى جزيرة ارجو[2] التى تقع فيما وراء الجندل الثالث، وهو مصنوع من الجرانيت المحبب، ويرى بعض الباحثين أن وجود التمثال فى هذه المنطقة يشير إلى أن الحدود الجنوبية لمصر قد امتدت حتى هذه المنطقة، بينما يرى آخرون أنه نقل إلى هذه المنطقة فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين.

ومن الآثار الأخرى التى تنسب إليه ثلاثة تماثيل عثر عليها فى تانيس، وتمثال جئ به من طود أو قرية المطاعنة فى مصر العليا. كما أقام لوحة فى الكرنك، وهى محفوظة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم (٥١٩١١)[3]، ذكر فيها الإضافات والهبات التى قدمها لمعبد آمون، والتى قام

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص٢١.

(2) L.D. 11, 151, AJSL, XXV, P. 43, Fig. 26.

(3) Journal s' Entree 51911.

بتقديمها على التوالى إلى مصلحة رأس الجنوب، ومكتب الوزير، والخزانة، ومكتب العمل.

وتجدر الإشارة إلى أنه فى أثناء حكم سويك حتب الرابع وقعت المدينة القديمة أواريس التى تقع على بعد إثنى عشر ميلا جنوبى تانيس فى قبضة الهكسوس، ومن ثم بدأت جحافل الهكسوس تندفع نحو مصر خلال هذا العهد.

ولقد عانى الملوك التاليين من نمو قوة الأسيويين فى مصر السفلى، وعندما سقطت العاصمة فى أيدى الهكسوس انهارت الدولة الوسطى تماماً، ولعلنا نجد فى رواية مانيتون التى نسبها لملك أطلق عليه «توتيمايوس» (ددوموسى» ما يشير إلى هذه الأحوال السيئة، فقد جاء فيها: (في عهده) كيف لا أدرى عصف بنا غضب الرب، ووفد غزاة من الشرق مجهولوا الأصل إلى أرضنا دون توقع، وكلهم أمل فى النصر، فهاجموها عنوة، واستولوا عليها بسهولة، وتغلبوا على حكامها، وحرقوا مدننا فى وحشية، وسووا معابد الأرباب بالأرض، وعاملوا المواطنين بخشونة وفظاظة، وذبحوا بعضهم، واسترقوا نساء بعض آخر وأطفالهم».[1]

ولقد كان الملوك الآواخر فى الأسرة الثالثة عشرة ليسوا سوى حكاماً محليين فقط من الموالين للهكسوس فى مصر السفلى أو لأسرات مصر العليا، قد حكموا على الأكثر أقاليم قليلة، وغالباً ما لا يزيد عن مدينة واحدة.

وحينما سقطت منف عام ١٦٧٤ ق.م، أصبحت طيبة بدون شك هى المركز الرئيسى لتجمع الحكام الوطنين، الذين حاولوا أن يسيروا على تقاليد الدولة الوسطى وذلك فى ظل السيادة الأجنبية، وتكونت فى طيبة فى حوالى عام ١٦٥٠ ق.م الأسرة السابعة عشرة، التى قامت بعبء مقاومة الهكسوس وإجلائهم عن البلاد. وعلى حسب ما ذكره مانيتون، وما سجلته بردية تورين، فقد استمرت الأسرة الثالثة عشرة حتى عام ١٦٣٣ ق.م غالباً بين أشخاص من مختلف أمراء مصر العليا إما كانوا حلفاء لأمراء الأسرة السابعة عشرة أو كانوا تابعين لهم وخاضعين لإشرافهم.[2]

---

(١) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص١٩٤.

(٢) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٤٥٤.

الأسرة الرابعة عشرة
(١٧٥٠ - ١٦٥٠ ق.م تقريبا)

ذكر كل من أفريكانوس ويوزيبيوس نقلا عن مانيتون أن ملوك الأسرة الرابعة عشرة كان ٧٦ ملكاً حكموا لمدة ١٨٤ سنة، واتخذوا من سخا (بمحافظة كفر الشيخ) عاصمة لهم، ولقد حفظت بردية تورين من أسماء ملوك هذه الأسرة نحواً من واحد وعشرين ملكاً، وذلك فى العمود الحادى عشر، ونجد فيها فاصلاً جديداً يدل على تغيير فرع الأسرة المالكة، إلا أن قائمة الكرنك لم تشر إلى أى واحد منهم.

وأول هؤلاء الملوك مفقود، وكذلك العاشر والسادس عشر، والملوك من ٢٩ - ٣٨ ، وكذلك من ٤٢ - ٤٥. وجاء ترتيب أسماء الملوك الباقين على النحو الآتى:(١)

٢- نحس
٣- خع تي رع
٤- نبفاو - رع
٥- سحب رع
٦- مر - دي - فارع
٧- سحواج كارع
٨- نب جافا رع
٩- وبن رع
١١- ... جفا رع
١٢- ... وبن رع
١٣- أوايب رع
١٤- حر إيب رع

---

(1) Beckerath, op. cit., PP. 65 - 77, 212 - 215.

١٥- رع نب سن
١٧- سخبر ان رع
١٨- جد خرو رع
١٩- سعنخ إيب رع
٢٠- كا نفر تم رع
٢١- سخم .. رع
٢٢- كا كمت رع
٢٣- نفر إيب رع
٢٤- آ .....
٢٥- خع ... رع
٢٦- عنخ كارع
٢٧- سمن ... رع
٢٨- جد ... رع
٣٩- سنفر ... رع
٤٠- من إيب رع
٤٦- أنيك (؟)
٤٧- آ ...
٤٨- آب ....
٤٩- هيبي
٥٠- آبيد (؟)
٥٢ - سشامس
٥٣- مني
٥٤- ورقا
٥٧- ... كارع
٥٨- كارع

٦٠- حبو

٦١- ننات

٦٢- بينم

٦٤- إف...

٦٥- ست الثاني

٦٦- ساني

٦٧- حور الثالث

٧٠- إني بف

٧٢- بن ست ن سبات

٧٣- خر حمو سشبس

٧٤- خوخمو

ويمكن القول أن حكم ملوك الأسرة الرابعة عشرة قد اقتصر على غرب الدلتا فقط، وأنهم لم يمدوا سلطانهم حتى الجنوب، وإذا ما افترضنا أن ملوك هذه الأسرة قد استقلوا بإقليمهم بعد سقوط الأسرة الثانية عشرة فى عام ١٧٨٦، فإنهم قد استمروا فى حكمه حتى عام ١٦٠٣ ق.م، وعلى ذلك يكون غرب الدلتا قد ظل تحت سيطرة حكامه الوطنيين بعد أن سيطر الغزاة الهكسوس على جزء كبير من أرض مصر، وأنهم ظلوا فى الحكم حتى قبيل قيام الدولة الحديثة.

وللأسف الشديد فإن المخلفات المتبقية من الأسرة الرابعة عشرة جد قليلة إن لم تكن معدومة، وربما يرجع ذلك بشكل رئيسى إلى طبيعة أرض الدلتا وارتفاع المياه الجوفية فيها مما هدد الآثار المدفونة فيها بالضياع، وأدى ذلك إلى عدم العثور على الآثار الخاصة بهؤلاء الملوك فى موطنهم بمدينة سخا التى تعتبر حالياً امتداد لمدينة كفر الشيخ.

الهكسوس

إن المصادر المتاحة لنا عن هذه الفترة من تايخ مصر جد قليلة، فكتابات مانيتون الخاصة بها لا يمكن الاعتماد عليها بشكل كبير، اما بردية تورين فقد سجلت بعض الاسماء التى ترجع إلى هذه المرحلة ولم تذكر الكثير منها، اما قائمتى ابيدوس وسقارة فقد تجاهلتا هذه الفترة تماما، ولم تشر إلى أحد من حكامها.

ويضاف إلى ذلك عدم وجود وثائق مكتوبة ترجع إلى عصر الهكسوس، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة النصوص المصرية نفسها، والتى كانت تهدف إلى تسجيل ما هو خالد، ولم تعن بالأشياء الزائلة، كما كانت لا تهتم إلا بما يخلد مظاهر الحياة التى شعروا بأنها تمثل ما تريده الآلهة لمصر خير تمثيل، ولهذا فإن عقليتهم أو نفسيتهم لم تتسع أن يكون هناك باعث لتسجيل إذلال وطنى لهم، وهم يسجلون هذا الحادث عندما ينجحون فى طرد الهكسوس، وبالرغم من ذلك فلدى المؤرخ مادة علمية كافية فيما كتب بعد طرد الهكسوس وبما خلفه عصر الهكسوس من اثار.

وقد أدى ذلك كله إلى أن يلاقى العلماء كثيرا من العناء لإحلال الملوك المختلفين فى ترتيبهم التاريخى الصحيح، ومن ثم فقد لجأوا إلى مصدر آخر وهو الجعارين، وكان الاعتماد على طراز العجول التى عثر عليها تحمل خراطيش ملكية، ثم مظهر تركيب الاسماء نفسها من العوامل التى اعتمدوا عليها فى ترتيب الملوك.

ونبدأ دراستنا للهكسوس بالآراء المتعددة التى ابديت حول تسميتهم.

تسمية الهكسوس

تعددت التفسيرات حول دلالة تسمية الهكسوس، فنرى مانيتون يفسرها على أساس أنها تفيد معنى «ملوك الرعاة» وذلك على اعتبار انها تتكون من

كلمتين «هيك» بمعنى «ملك» و«سوس» بمعنى «راعى»، أما المؤرخ اليهودى «يوسف بن متى» فيذكر أنها تفيد معنى «الاسرى الرعاة»، وذلك على اعتبار أن كلمة «هيك» تعنى «اسير» و«سوس» تعنى «رعاة».

ويرى سير الن جاردنر أنه رغم وجود أسس لغوية سليمة لاشتقاق مانيتون ويوسف بن متى فانهما قد جانبهما الصواب معا، ويرى أن كلمة «هكسوس» مشتقة من غير شك من اصطلاح «حقا - خاست» أى «رئيس البلد الأجنبية الجبلية» التى كانت تعنى منذ الدولة الوسطى «مشايخ البدو» ويرى جاردنر أن الاصطلاح يشير إلى الحكام وحدهم، وليس كما يظن يوسف بن متى إلى الجنس كله.(١)

وهكذا يبدو واضحا أن اسم الهكسوس، إنما يرجع إلى الكلمة المصرية «حقا - خاسوت» بمعنى «حاكم البلاد الأجنبية»، وجمع على «حقاو - خاسوت» أى حكام البلاد الأجنبية، وبذلك نعت الهكسوس انفسهم فيما خلفوا من اثار.(٢)

ولقد اطلق المصريون على الهكسوس اسماء أخرى، فلقد أطلقوا عليهم «الطاعون» أو «الوباء»، وتلك التسمية اساسها الكره والبغض، كما اطلقوا عليهم «العامو» وهو اصطلاح استخدم فيما بعد ليطلق على اسرى الفلسطينين أو المأجورين المقيمين فى مصر كخدم، كما اطلقوا عليهم «منيتو ساتت» وهو اسم يطلق على قبائل البدو التى كانت تجوب الصحراء الشرقية وسيناء وهم ساميون، واسموهم «شاسو» بمعنى «الرعاة» وهو اسم يطلق على البدو الموجودين على حدود مصر الشمالية الشرقية واصلهم من فلسطين.(٣)

---

(1) A.H., Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 156.

(٢) محمد بيومي مهران، حركات التحرير في مصر القديمة، الاسكندرية، ١٩٧٦، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) نفس المرجع السابق، ص١٣٠ وكذا:

أحمد بدوي: في موكب الشمس، جـ١، ص٢٩٧.

نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدني القديم، جـ١، ص٣٩٧.

٢- الموطن الاصلى للهكسوس:

اختلفت آراء المؤرخين اختلافاً كبيراً حول الموطن الاصلى للهكسوس، فهناك من يرى انهم من سلالة أرية كان موطنها فى وسط آسيا[١]، بينما هناك من يرى أنهم من أعراب شبه الجزيرة العربية[٢] أو أنهم من اصل سامى وموطنهم فلسطين، أما شارف[٣] فأنه يرى أنهم مجموعة من الشعوب التى سكنت مناطق آسيا الغربية التى اضطرت أنها تهاجر من أوطانها تحت ضغط أقوام أتو من هضبة ارمينيا والذين عرفوا فى التاريخ باسم قبائل الخوريين، ولقد استقروا فى مناطق نهر الفرات الشمالية حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م، ولقد أدت غارة الخوريين على مناطق شمال سورية إلى نشر الفزع والرعب فى سكان سورية وفلسطين، فهرب الكثير منهم واندفعوا نحو الجنوب حتى وصلوا مصر، ولعل هذا الرأى الأخير هو اقرب الآراء إلى الصحة.

ويتجه بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن وجود الهكسوس فى مصر إنما كان نتيجة تسلل بشرى، أكثر منه نتيجة غزو حربى، وأنه قد استغرق عدة أجيال، استطاعت العناصر المتسللة فى نهايتها أن تسيطر على الدلتا ومصر الوسطى، وأن المتسللين لم يكونوا من جنس واحد، وإنما كان الساميون فى سورية وفلسطين يتفوقون على غيرهم فى العدد، ولكن القيادة كانت للآريين، ذلك لأن الكنعانيين ما كان فى استطاعتهم وحدهم أن يتمكنوا من السيطرة على الدلتا والوادى.[٤]

دخول الهكسوس مصر:

تجدر الأشارة إلى ندرة الوثائق التى تحدثت عن الهكسوس بوجه عام

(1) H., Junker, Gesehichte der Aegypter, 1933, P. 105.
(2) L.W., King, Studies, in Eastern History, London, 1907, P. 134FF.
(٣) الكسندر شارف: تاريخ مصر، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٠٧.
(٤) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص١٣٦.

ووجودهم فى مصر بشكل خاص، ومن المصادر التى ذكرتهم ما اشار إليه المؤرخ اليهودى يوسف بن متى نقلا عن مانيتون أن دخول الهكسوس إلى مصر أنما كان فى عهد الملك توتيمايوس (ددو - موسى) الملك السابع والثلاثين من ملوك الأسرة الثالثة عشرة فى بردية تورين، وجاء فى ذلك:(١)

«فى عهد الملك توثيمايوس (تيمايوس) لسبب لا أعرفه حلت بنا ضربة من الله، وفجأة تقدم فى ثقة بالنصر غزاة من اقليم الشرق من جنس غامض إلى أرضنا، واستطاعوا بالقوة أن يتملكوها فى سهولة دون أن يضربوا ضربة واحدة، ولما تغلبوا على حكام الأرض أحرقوا مدننا بغير رحمة وقوضوا أرض معابد الآلهة وعاملوا المواطنين بعدوان قاس، فذبحوا بعضهم، وساقوا زوجات آخرين من أزواجهم وأخذوا أطفالهم إلى العبودية وأخيراً عينوا من بينهم واحداً ملكاً يدعى سالاتيس، وكان مقره منف، ففرض الضرائب على مصر العليا والسفلى، وكان يخلف وراءه محميات فى الأماكن الهامة...».

ومن المصادر المصرية التى أشارت إليهم، ما ورد عنهم فى المعبد الذى شيدته حتشبسوت فى بنى حسن، حيث أشارت إليهم بقولها:

«لقد أصلحت ما تخرب وأقمت ثانية ما كان قد أصبح حطاماً، فى وقت كان الأسيويون يقيمون فيه فى أفاريس فى الدلتا، وكان يعيش بينهم المتشردون الذين كانوا يحطمون ما كان قائماً، كانوا يحكمون بدون الإله رع، ولم يصدر أمره الإلهى حتى جاء حكم جلالتى، لقد أبعدت أولئك الذين يكرههم الإله ومحت الأرض آثار أقدامهم».(٢)

وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة، أشارت بردية «ساليية الأولى» إلى الهكسوس فذكرت:

---

(1) W.C., Waddell, Manetho, with an English translation, London, 1940, P. 79 FF.

(2) JEA, 32, (1946), PP. 45 - 48.

«وحينئذ حلت بمصر محنة رهيبة، ولم يكن هناك حاكم يحكمها كملك فى ذلك الوقت وكان «سقنن رع» حاكماً على المدينة الجنوبية، بيما كان الرئيس أبو فيس فى أفاريس وكانت كل الأرض تدفع له الجزية كاملة، كذا كل الأشياء الطيبة، واتخذ الملك أبو فيس ستخ إلهاً له ولم يحترم إلهاً فى الأرض كلها سوى سوتخ».[1]

أما عن الكيفية التى تمكن بها الهكسوس من دخول مصر، فهناك وجهتى نظر فى هذا الشأن، تذهب وجهة النظر الأولى إلى أن دخول الهكسوس مصر كان نتيجة غزو مسلح، وأنهم وجدوا مقاومة عنيفة من أهل الدلتا، ومما يشير إلى ذلك الكشف عن جبانه ضخمة بالقرب من كوم الحصن بغربى الدلتا، وهي ترجع إلي عصر الهكسوس، ويتضح من حالة الهياكل العظيمة المكتشفة أن اصحابها كانوا فى حالة حرب حيث ضمت التجهيزات الجنزية الأدوات الحربية.[2]

أما وجهة النظر الثانية، فتتجة إلى القول إلى أنه لم يكن هناك غزو بالمعنى المفهوم، وإنما كان تسللا من العناصر الأسيوية التى استقرت جموعها فى المنطقة الأقرب لمواطنها الأصلية فى شرق الدلتا على الأرجح، وربما كان ذلك بسبب انتشار الاضطرابات فى المناطق التى تقع إلى الشمال وإلى الشرق من مصر.

ويرى أصحاب هذا الرأى أن هذا التسلل قد بدأ فى عصر الأسرة الثانية عشرة، وذلك اعتماداً على مجئ العديد من الأسيويين إلى مصر خلال هذا العصر، ومنهم «أبشاى» الذى جاء إلى مصر ومعه بعضاً من قبيلته وقد صور على جدران مقبرة خنوم حتب فى بنى حسن.

واستمر هذا التسلل فى عصر الأسرة الثالثة عشرة، ولعل ما يشير إليه، العدد الكبير من الأسيويين الذين كانوا يعملون فى خدمة أحد الموظفين فى عهد الملك «سويك حتب» وذلك كما سبقت الاشارة.

---

(١) انظر محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص١٢١.

(٢) عبد المنعم أبو بكر: كفاحنا ضد الغزاة، العصر الفرعوني، القاهرة، ١٩٥٧، ص٢٧-٢٨.

ويعتبر هذا الوجود الأسيوى فى مصر من علامات تسلل الهكسوس إلى مصر، فسواء كانوا أسرى حرب، أو كانوا أفراداً عاديين يسعون لكسب العيش عن طريق العمل فى مصر، فإن وجودهم فى وادى النيل، لابد وأنه قد ساعد الهكسوس فى السيطرة على السلطة فى نهاية الأمر.(١)

ومع ذلك، فإن تسلل العناصر الأسيوية التى سيطرت على مصر قد بدأ بشكل أساسى بعد عهد «نفرحتب الأول» و«سوبك حتب الرابع» وخلفائه، وكانت الخطوة الكبرى فى ذلك، هى احتلال، أفاريس، وفرض سيطرة الهكسوس على المناطق الشرقية من الدلتا، وقد تطلب منهم امتداد نفوذهم حتى منف أكثر من ٤٦ عاماً، كانوا أثناءها يسيطرون على مقاطعات الدلتا، ما عدا المناطق الغربية منها، حيث كانت الأسرة الرابعة عشرة تحكم فى سخا. وقد صاحب امتداد نفوذ الهكسوس دون شك مقاومة عنيفة من جانب المصريين، أحرقت أثناءها المدن ودمرت المعابد، وخضع قطاع من السكان الوطنيين للقسوة والطغيان.(٢)

وعلى ذلك، فإن هذين الرأيان متكاملان، فوجود الآسيويين فى الدلتا، كان عن طريق جماعات تسللت إلى الدلتا بأعداد قليلة وفى فترات متباعدة، وازداد هذا التسلل بمرور الزمن بسبب الضغط الذى مثلته الشعوب الأجنبية على سورية، واستمر الحال هكذا حتى جاء وقت حاول فيه الهكسوس فرض سيطرتهم بعنف شديد فأحرقوا المدن ودمروا المعابد، وانتهى الأمر باستيلائهم على منف العاصمة المصرية القديمة(٣). وهكذا بدأت فترة جديدة من تاريخ مصر عرفت بـ «محنة الهكسوس».

---

(1) J., Bottero, and others The Near East, the Early Civillization, p. 389.

(2) W.C., Hayes, op. cit., vol. II, P. 16.

(٣) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص١٢٧.

مجمل حكم الهكسوس لمصر

اعتبر مانيتو أن الهكسوس قد أسسوا الأسرات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة، وقد حكم خلالها عدد من الملوك على النحو الآتى:

الأسرة الخامسة عشرة
(١٦٥٠ - ١٥٥٠ ق.م تقريبا)(1)

أهم ملوكها:

ماى إيب رع شيشى
مر أوسر رع يعقوب هر
سا أوسر إن رع خيان
عا أوسر رع أبو فيس الأول
عاقنن رع أبو فيس الثانى
عا سهر رع خامدى

وورد فى بردية تورين (العمود العاشر، من السطر ١٥ إلى السطر ٢١) أنهم قد حكموا لمدة ١٠٨ سنة، وقد بدأ حكمهم عام ١٦٧٤ ق.م، وعلى ذلك فإن حكمهم ينتهى عام ١٥٦٧ ق.م، وهو العام الذى تمكن فيه المصريون من تحرير أرضهم من دنس المعتدين الهكسوس.

على ذلك يتجه الباحثون إلى الاعتقاد بأن ملوك الهكسوس الأخرين قد كانوا روساء فقط لقبائل أسيوية اتحدت مع بعضها تحت إشراف عظيم من الهكسوس، يمكننا أن نضع ضمن هذه المجموعة الخمسة والسبعين ملكاً من ملوك الرعاة الذين ذكرهم أفريكانوس للأسرة السادسة عشرة والسابعة عشرة، وكذلك الثمانى أسماء أجنبية التى سجلت فى نهاية العمود العاشر لبردية تورين (الأسرة السادسة عشرة؟) ويمكن أيضا إضافة أسماء الحكام من الهكسوس

(1) I. Shaw, P. Nicholson, op. cit., p. 310.

الذين جاء ذكرهم على بعض الجعارين وآثار صغيرة أخرى ولا يوجد لهم مكان بين المداون.(١)

ماى إيب رع شيشى:

تتجه الأدلة المتاحة لدينا على أنه كان من أوائل ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر، ونظراً لأن معلوماتنا الحالية عن أول ملكين من الأسرة الخامسة عشرة تأتى فى الدرجة الأولى من جزء من تاريخ مانيتو - زعم يوسفيوس فى مجادلاته ضد إيبون أنه نقله عنه - فلا نملك سوى الرجوع إليه فيما كتبه عنهما، ويبدأ كتاباته بدخول الهكبسوس مصر، وما قاموا به فى مصر من معاملة الأهالى معاملة قاسية، بالإضافة إلى حرق المدن وتدمير المعابد، ثم بدأ القول عن الملوك الأوائل فى الأسرة الخامسة عشرة، ومما جاء فى ذلك:(٢)

«... وأخيراً عينوا أحدهم يدعى ساليتيس، وكان مقر حكمه فى منف، وقاموا بجمع الجزية من مصر العليا ومصر السفلى وتركوا فى الغالب حاميات خلفهم خصوصاً فى المراكز الهامة، وفوق ذلك، فقد حصن المنطقة الشرقية، متنبئاً أن الأشوريين حينما تنمو قوتهم سوف يطمعون فى يوم ما ويهاجمون مملكته، وفى إقليم سايس، وجد مدينة تقع إلى الشرق من الفرع البوباسطى، وكانت تسمى أواريس، وذلك حسب العرف الدينى القديم، وقد أعاد بناء هذا المكان، وحصنه بحوائط سميكة مقيما هناك حامية قوامها ٢٤٠,٠٠٠ رجلا مسلحين ليحموا حدوده، وكان يجب عليه أن يأتى إلى هذا المكان فى الصيف، إما ليوزع الرواتب ويدفع لوحداته، وإما ليدربهم بعناية على المناورات، وليدخل الرعب فى القبائل الأجنبية، وبعد حكم استمر ١٩ عاماً، مات ساليتيس، وتبعه ملك ثان يسمى بنون Bnon، حكم لمدة ٤٤ سنة، وجاء من بعده ابشنان الذى حكم ٣٦ سنة وسبعة شهور، بعد ذلك أبو فيس لمدة ٦١ سنة، وأياناس لمدة

---

(١) عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص٤٦١.

(٢) انظر W.G., Wadell, op. cit., p. 78 - 83.

خمسين سنة وشهر، وبعد ذلك وأخيراً أسيس لمدة ٤٩ سنة وشهرين، هؤلاء الملوك الستة، هم حكامهم الأول، كانوا دائما وباضطراد يشتاقون لإبادة مدخرات المصريين...».

هذا ويحتمل أن يكون الملك ساليتيس هو الملك «ماى إيب رع شيشى» وذلك اعتماداً على أن أختامه وطبعات أختامه من الطراز الذى كان متبعاً فى السنوات الأولى لعهد الهكسوس، ولقد تعددت هذه الأختام وانتشرت فى أماكن متباعدة، فقد عثر عليها فى كرمة بالقرب من الجندل الثالث، إلا أن ذلك لا يعنى على أى حال أن نفوذه قد امتد حتى هذه المنطقة، أو حتى النوبة السفلى، حيث استطاعت جماعة من الأمراء الوطنيين فى أقامة حكومة مستقلة(١)، ويرى بعض الباحثين أن خلفاء ساليتيس وحتى أبو فيس الأول، قد سيطروا على البلاد من الجبلين فى الجنوب حتى حدود الدلتا الشرقية، وأن نفوذهم ربما يكون قد امتد حتى الجندل الأول.(٢)

إلا أن معظم الباحثين يتجه إلى القول - اعتماداً على العديد من البراهين التاريخية - إلى أن الهكسوس لم يمدوا أبداً نفوذهم إلى أبعد من القوصية جنوباً، اللهم إلا فى احتلال مؤقت قصير لإقليم الجبلين قام به الملك أوفيس، وبالنسبة لما ذكره مانيتون من جبايتهم للضرائب من مصر العليا والسفلى على السواء فهو موضع شك، وذلك اعتماداً على النص الذى ينسب للملك كاموزا والذى تضمن فى وضوح أن الغزاة لم يتقدموا إطلاقاً فيما وراء إقليم الجبلين، ويشير النص إلى أن الهكسوس قد اضطروا إلى إرساء حدهم عند خمون.(٣)

مر اوسر رع يعقوب هر:

وجاء بعد ساليتيس ملك يدعى «مر أو سر رع - يعق - بعل» أو

(1) Kush, 4 (1956), PP. 54 - 61.
(2) JEA, 37, (1951), P. 63, no. 1.
(3) A.H., Gardiner, op. cit., p. 168.

«يعقب بعل» وكتب هذا الإسم السامى الأصل باللغة المصرية القديمة «يعقوب هر».[1]

ومن الصعب توحيده مع الملك الذى أسماه مانيتون Bnon أو Beon وهناك احتمال قوى أن يكون «يعقوب هر» هو خليفة «ماى إيب رع - شيشى» مباشرة، وأنه غالباً كان ثان حاكم عظيم من ملوك الهكسوس، وطبقاً لبردية تورين فقد حكم أكثر من ثمانى سنوات (أو ثمان عشرة سنة؟).

وقد عثر له على العديد من الأختام فى كرمه، وذلك مثل سلفه شيشى، كما عثر له على العديد من الجعول التى حملت اسمه، ويوجد بعضها فى المتحف البريطانى تحت أرقام ٢٨٥ ، ٣٢٣٣٤.[2]

وتشير الأدلة النصية أن الإدارة المصرية قد أصبحت خلال عهد هذا الملك مفتوحة أمام الأجانب، حيث أشارت النصوص إلى تقلد شخص سامى يدعى حور للألقاب أمين خزانة ملك مصر العليا والسفلى، والصديق الوحيد للملك والمشرف على بيت المال.[3]

خيان:

يعتبر الملك خيان من أشهر ملوك الهكسوس وأقواهم وأكثر من ترك من بينهم آثار ويرجح أن يكون ثالث حكام الهكسوس الذى ذكره مانيتون تحت اسم «ياناس» وقد ورد ذكره فى بردية تورين فى العمود العاشر.

واتخذ خيان الألقاب الملكية المصرية التقليدية «الإله الطيب» و«إبن رع» وانتحل اسم العرش المصرى «سا أوسر إن رع» ومن الألقاب ذات الدلالة

(1) JEA, 45, (1959), 16-18.

(١) انظر: W.M.F., Petrie, Scarabs, t. 21 (16-4)., P.E, Newberry, Scarabs, London, 1906, t, 22 (28 - 29).

(٣) محمد بيومي مهران: المرجع السابق، ص١٤٥.

السياسية التى اتخذها اللقب الحورى «محتضن الأقاليم»، والذى كان يهدف من استخدامه الإشارة إلى سيادته العالمية، التى لا يوجد دليل عليها، وأن كانت شواهد الأحوال تشير إلى وجود علاقات تجارية بين مصر وحوض البحر المتوسط وبلاد الرافدين خلال عهده، وذلك اعتماداً على الشواهد الأثرية التى عثر عليها فى هذه المناطق وتخص هذا الملك وذلك كما سنشير إليها فيما بعد.

ومن الظواهر المميزة لعهد الملك خيان وجود آثار له خارج الحدود المصرية، فقد عثر على أثار له فى سورية وفلسطين وبغداد وكريت. أما الآثار التى كشف عنها فى سورية وفلسطين فكانت عبارة عن جعارين حملت إسمه، أما فى بغداد فقد عثر على تمثال صغير يمثل أسداً صغيراً يبلغ ارتفاعه نحو ٤, ٤٥سم وطوله نحو ٢, ٤٨ سم وقد نقش عليه اسم الملك «خيان» وألقابه «سا أوسر إن رع».[1]

وفى كريت فقد كشف الأثرى «إيڤان» فى حفائره التى قام بها فى أساس قصر «كنوسوس» الثانى عن غطاء آنية من المرمر نقش عليه إسم الملك «خيان» ومعه النص الآتى: «الإله الطيب، سا أوسر إن رع، إبن الشمس، خيان».[2]

ولقد أدى ذلك ببعض الباحثين إلى الإعتقاد بأن الملك «خيان» قد أقام إمبراطورية عالمية تضم فيما بين العراق إلى كريت، وتضم سورية وفلسطين ومصر، إلا أن هذا الرأى لا يلقى القبول، وذلك اعتماداً على أن وجود هذه الآثار فى هذه المناطق وبخاصة فى العراق وكريت إنما يرجع إلى العلاقات التجارية، أما فى سورية وفلسطين، فربما كانت سلطة الهكسوس تمتد حتى الحدود الجنوبية لفلسطين.

أما فى الجنوب، فالأمر مختلف حيث لم يعثر على أية أختام أو جعول تحمل إسم «خيان» فى كرمه، والأمر كذلك بالنسبة إلى النوبة السفلى، بل

(1) B.M. No. 987.

(2) A., Evans, The palace of Minos at Knosson, I, 1921, P. 419, Fig. 304.

وجدت هناك دويلة مستقلة قامت في بوهن عرف أميرها باسم «حاكم كوش» وكان من بين رجال حاشيته بعض الموظفين المصريين.

عا اوسر رع - ابو فيس الأول:

يعتبر الملك «عا أوسر رع - أبو فيس الأول» الملك الرابع من عظماء ملوك الهكسوس، وقد ورد اسمه في العمود العاشر، السطر الثامن عشر في بردية تورين، وقد حكم طبقاً لما ورد فيها أكثر من أربعين عاماً.(١)

ومن ناحية أخرى فلقد سجل العام الثالث والثلاثون من حكمه في صدر بردية Rhind الرياضية، وأهمية ذلك أن هذه البردية أنها نسخت في طيبة من أصل لها في فترة كان حكام طيبة لازالوا يعترفون بسيادة الحكام الآسيويين ومما يشير أيضاً إلى امتداد نفوذه في الجنوب في مصر العليا، العثور على عتبة باب من الحجر الجيري في جبلين، وقد سجل عليها اسم التاج الخاص به مرتين على جانبي قرص الشمس المجنح حسبما كان يقوم به الملوك المصريون في أغلب الأمر.(٢)

هذا ويبدو أن الحكام الهكسوس قد أصبحوا أكثر تمصراً، ففي مقبرة الفرعون أمنحتب الأول (١٥٥٠ - ١٥٢٨ ق.م) من الأسرة الثامنة عشرة عثر على إناء مرمري يحمل إسم إبنه أبو فيس الأميرة «حيرت Herit»، يبدو أنه انتقل جيلا بعد جيل حتى استقر آخر الأمر في مقبرة الفرعون المصري في طيبة، ولقد آثار وجود هذا الإناء الخاص بالأميرة مع بقاء نقوشة سليمة لم تمسها أي يد بالكشط أو التشويه في قبر ملكي بطيبة العديد من التساؤلات، فهل زوجت الأميرة الهكسوسية إلى أمير معاصر من طيبة؟ ولا يمكن الإجابة على هذا التساؤل على وجه التحقيق، وإن كان البعض يتجه إلى احتمال ذلك، وفي هذه

(1) A.H., Gardiner, The Royal Canon of Turin, Oxford, 1959, pl. 3, col. x, 16.

(٢) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٤٦٨.

الحالة، فإنها ستصبح جدة عليا لفراعنة طيبة فى العصر المبكر للدولة الحديثة، وربما كان فى هذا دليلا على أن هؤلاء الفراعين كان رأيهم فى الهكسوس أكثر تسامحاً، ومع ذلك فالأمر كله لا يعدو مرحلة التخمين.(١)

ولقد عثر له بناحية الفيوم على لوح من الخشب، محفوظ حاليا فى متحف برلين، وقد سجل على اللوح أنه قام بإهدائه ملك الوجه القبلى والبحرى عا أوسر رع إبن الشمس أبو فيس مانح الحياة خالداً مثل رع إلى الكاتب الملكى أنو، ويشير ذلك إلى رعاية عا أوسر رع للمهن التعليمية، وقد تحقق ذلك من ألقابه وأسمائه الموجودة على هذا اللوح.(٢)

ويلاحظ أن الملك الهكسوسى قد حمل على هذا اللوح اللقب القديم «ملك مصر العليا والسفلى» كما أنه كنى بـ «إبن رع من صلبه، والذى يحبه» وقد يدحض هذا الرأى القائل بازدراء الهكسوس لكل الآلهة المصرية فيما عدا الإلة «ست».(٣)

ولم تتغير العلاقات الطيبة بين الهكسوس وحكام طيبة على عهد أبو فيس الأول إلى قبيل نهاية حكمه بقليل، عندما بدأ الصعيد الأقصى فى الثورة ضد الغزاة الأسيويين، وقد اضطر أبو فيس قبل وفاته إلى التقهقر فى مصر الوسطى وغالباً ما ارتدت وحدات جيشه إلى أطفيح بالقرب من مدخل الفيوم، ولقد ورد فى إحدى لوحات الملك كاموس التى كشف عنها فى طيبة أن نسوة الهكسوس قد قاسين كثيرا من الرعب عندما شاهدوا أسطول الطيبيين أسفل حوائط المدينة أو أسفل أواريس نفسها، أو مدينة هامة واقعة فى إقليم أواريس.(٤)

---

(١) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص١٤٨.

(2) Scafer, Aegyptische Inschriften aus den K.oniglichen Museen zu Berlin, Vol. I, 264.

(٣) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٤٦٨.

(4) ASAE., 56 (1955), PP. 200-202.

وجاء بعده ملكين لم يحكما إلا لفترة قصيرة، وقد وجد إسم أولهما وهو «عا قنن رع أبو فيس الثالث» على خنجر يوجد حالياً فى المتحف البريطانى،[1] وقد عثر على اسمه على العديد من الآثار بالدلتا التى انتحلها لنفسه من الملوك السابقين، كما عثر على إسمه الحورى «الذى يرضى الأرضين» على كتلة حجرية.

أما آخر ملوك الأسرة وهو «عا سهر رع خامدى» فقد وجد إسمه على مسلة صغيرة عثر عليها فى صان الحجز بالقرب من أواريس، ويعتبر هذا هو الأثر الوحيد المتبقى من عهده الذى لم يدم أكثر من عامين.

الأسرة السادسة عشرة
(١٦٥٠ - ١٥٥٠ ق.م تقريبا)

يرجع أنها كانت معاصرة للأسرة الخامسة عشرة، وأنها كانت تضم حكام الهكسوس الصغار، وكانت تضم العديد من الملوك منهم:[2]

١- عنات - هر.
٢- سم قن.
٣- خع أوسر رع.
٤- عا حتب رع.
٥- سعخ إن رع.
٦- عا - مو.
٧- نب خبش رع أبو فيس (الثالث؟)

ولقد عثر على العديد من الآثار للملك «نب خبش رع أبو فيس (الثالث)» ومنها خنجر من البرونز عثر عليه فى سقارة، وقد صنع مقبض الخنجر

(1) JEA, 11, (1925), PP. 216-217.
(2) W.C., Hayes, The Scepter of Egypt, Part II, N.Y., 1968, P. XIV.

من الأبنوس المطعم بخليط من الذهب والفضة، وقد رسم فوقه رسوم تمثل صيد حيوان وحشى، وسجل الألقاب الملكية للملك: «الإله الطيب، سيد الأرضين، نب خبش رع، أبن رع، أبو فيس، مانح الحياة».

ويوجد أيضاً فى المتحف البريطانى ملعقة من الظران نقش عليها اسمه وألقابه، وذلك على النحو الأتى: «الإله الطيب، صاحب الأرضين، نب خبش رع إبن رع وحبيبه».(١)

ويذكر جاردنر أن الأسرة السادسة عشرة لدى مانيتو ملفقة تماماً، وأن الأشياء التى ذكرت كآثار لهم كانت من أصل فلسطينى، وقد خلدت ذكر رؤساء أقل شأنا اصطنعوا الألقاب الفرعونية دون وجه حق.(٢)

وفى نهاية الحديث عن الهكسوس، وقبل الانتقال إلى حرب التحرير، فأنه تجب الإشارة إلى نقطة هامة تتصل بالتأثيرات المصرية فى الهكسوس، وكذلك الأثر الذى تركه الهكسوس فى مصر، وهو الموضوع الذى سنتناوله بقليل من الإيجاز فيما يلى:

اثر الهكسوس فى مصر وتأثرهم بها:

أدخل الهكسوس فى غزوهم لمصر أدوات حرب جديدة لم تكن معروفة من قبل فى النظام الحربى المصرى، ومن هذه الأدوات العربات الحربية التى تجر بواسطة الخيول، والسيوف المستقيمة والمقوسة والخناجر والحراب ذوات الطرف الطويل والمتسع من البرونز والحديد، كما استخدموا كذلك الأقواس المركبة، وكانت تصنع من طبقات من الخشب وأوتار العضلات والقرون، وكان يمكن الرمى بهذا القوس إلى مسافة أبعد بكثير من الأقواس العادية التى كانت مستعملة فى مصر.(٣)

(١) عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص٤٧٠.

(2) A.H., Gardiner, Op. Cit., p. 171.

(٣) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص١٤٠.

إلا أن هناك من الباحثين من يرى أن الحصان، وربما العربة التى تجرها الخيل كذلك قد عرف فى وادى النيل قبل عصر الهكسوس، ويعتمدون فى ذلك على حقيقة الكشف على هياكل خيول دفنت فى مستويات قديمة من أحد الحصون فى منطقة بوهن، وحدد هذا المستوى بأيام الدولة الوسطى، ومع ذلك فإنهم لم يعرفوا استخدام العربة أما فى مصر نفسها فليست هناك أية دفنة لحصان واحد - أو حتى لعظام من حصان قد وجدت فى واحدة من المقابر العديدة التى ترجع إلى عصر الهكسوس، كما أنه لا يوجد على الآثار المصرية أى نقش لحصان ما، على الرغم من أن كل الحيوانات قد نقشت على جعازين ترجع إلى ذلك العصر.[١]

وكشف وليم فلندرز بترى فى حفائره التى قام بها فى «تل العجول» فى جنوب فلسطين عن مقابر غنية دفنت فيها الخيول مع الحمير مع الموتى من الأدميين، واتخذ من ذلك دليل على استخدام الهكسوس للحصان.[٢] وإن رأى بعض الباحثين أن هذه المقابر إنما ترجع إلى فترة متأخرة من أيام الهكسوس، أو إلى بداية عصر الدولة الحديثة.[٣]

كما لا يمكننا أن نغفل أن غزو الهكسوس لمصر قد وجه أنظار المصريين إلى نوع جديد من الحصون، فلقد كانت التحصينات التى أقامها الهكسوس مثل تل اليهودية تختلف عن التحصينات المصرية، فلقد كانت معسكرات الهكسوس عبارة عن منشآت مستطيلة الشكل مسورة بأسوار من الطين، وعلى سبيل المثال، فلقد بلغ طول ضلع سور تل اليهودية حوالى ٤٠٠ ياردة وارتفاعه بين ١٥ - ٢٠ ياردة. أما فى فلسطين فقد بلغ طول سور قرية حاظور التى تقع فى الجهة الشمالية ١٠٠٠ ياردة فى عرض ٥٠٠ ياردة، وبلغ طول ضلع سور قطنة فى شمال سورية ١٠٠٠ ياردة.[٤]

(١) أحمد محمود صابون، دراسة حول الخيل في مصر القديمة الأسكندرية، ١٩٩٠.
(2) W.M.F., Petrie, Ancient Gaza (Tell - Ajjul), I, London, 1931, P. 45.
(3) T., Save-Soderberg, "The Hyksos Rule in Egypt". JEA, 37, (1951).

(٤) عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص٠٠٥.

وأدخل الهكسوس الرسومات الزخرفية على الجعارين الخاصة بهم، ولقد اقتبس الملوك الوطنيون تلك الجعارين ذات الرسوم الأسيوية للملك خع نفر رع سوبك حتب وقد استمر استخدام الجعارين ذات الرسوم الحلزونية أو الملتوية الخطوط حتى بعد طرد الهكسوس وأيام الدولة الحديثة.

ومن أهم التأثيرات التى نجمت عن غزو الهكسوس لمصر، كانت التأثيرات النفسية، حينما رأوا بلادهم تنهار تحت وطأة غزو أجنبى، وكان لذلك أثره فى توجيه أنظار المصريين نحو الخطر القائم عند الحدود المصرية، وعلى ذلك فلقد أدرك المصريون أن حدودهم الطبيعية إنما تبدأ من سورية من ناحية الشرق، وبرقة ناحية الغرب، بينما لا يقل نطاق الأمان من حولهم عن الشرق الأوسط تقريباً، ومن هنا فلقد توسعت الإمبراطورية المصرية إلى حدودها القصوى - كلما أمكن ذلك - لا كالاستعمار بالمعنى المفهوم وإنما لنشر السلام المصرى، بل ويمكن القول بأن الامبراطورية المصرية فى جوهرها، وفى معنى ما «إمبراطورية دفاعية» أساساً حتمتها ظروف الصراع الإقليمى والاستراتيجية العريضة فى الشرق القديم، وانطلاقا من هذا المنطق تقوم مصر بتكوين امبراطوريتها التى وصلت إلى أقصى اتساع لها فى عهد الملك تحوتمس الثالث، حيث وصلت الامبراطورية المصرية إلى تخوم الأناضول وسيطرت مصر على سواحل وجزر البحر المتوسط.

ومن ناحية أخرى فلقد وجه الغزو الهكسوسى نظر المصريين لضرورة إقامة علاقات قوية مع الأسيويين، وبدأ ذلك بالهكسوس أنفسهم، وقد دام هذا الاتجاه بعد ذلك حيث دأب المصريون منذ تلك الفترة، وفيما بعد، على أقامة العديد من الصلات الثقافية وصلات المصاهرة مع غربى آسيا.

ولقد تأثر الهكسوس بالحضارة المصرية، فاستخدموا الكتابة المصرية، وحمل ملوكهم الألقاب التقليدية للملوك المصريين، كما أتخذوا فى بعض الأحيان الأسماء المصرية، كما تأثروا فى تماثيلهم ولوحاتهم وأعمالهم الفنية الأخرى بالفنون المصرية، كما اتجهوا إلى عبادة بعض الآلهة المصرية مثل رع، أو على الأقل كانوا يتظاهرون بذلك.

الأسرة السابعة عشرة
وجهودها فى حرب التحرير

فى بداية عهد الهكسوس، وعند نهاية الأسرة الثالثة عشرة وذلك فى حوالى عام ١٦٥٠ ق.م، ظهر فرع جديد من الأمراء الطيبيين، أشار إليهم أفريكانوس نقلا عن مانيتو وكأنهم تابعين للأسرة السابعة عشرة، وتقدم بردية تورين خمسة عشر ملكاً طيبياً من الأسرة السابعة عشرة، سجل أسماء تسعة منهم على قائمة الكرنك، وعرف أسماء عشرة منهم من آثار معاصرة لهم وجدت فى طيبة نفسها أو فى مواقع أخرى فى مصر العليا.

ويبدو أن منطقة نفوذ أمراء طيبة لم تتجاوز الأقاليم الثمانى الأولى من مصر العليا، والتى تمتد من اليفانتين فى الجنوب وإلى أبيدوس فى الشمال، وهى المنطقة التى حكمها منذ خمسة قرون أمراء طيبة فى العهد الهليوبوليتانى، وأن هناك أسرات محلية أخرى، بما فيها ملوك الأسرة الثالثة عشرة تسيطر على البقية الباقية من أقاليم مصر العليا والسفلى، وأما النوبة فقد كونت دويلة مستقلة عاصمتها بوهن، بينما سيطر الهكسوس على شرق الدلتا، متخذين من منف أو أفاريس عاصمة لهم، إلى أن ضموا حوالى ١٦٠٣ ق.م منطقة غرب الدلتا التى كانت تسيطر عليها الأسرة الرابعة عشرة متخذة من «خويس» عاصمة لها.[(١)]

وعلى ذلك فلقد انعزل الطيبيون عن بقية الأقاليم المصرية، وافتقروا إلى الكثير من محاصيلهم وخيرات الشمال، ومع ذلك كله فقد عملوا ما فى وسعهم لإعادة التقاليد والعادات التى كانت سائدة أيام الدولة الوسطى، وبدأوا كما كان الحال أيام الفترة المتوسطة الأولى، فى تطوير الثقافة الإقليمية.

ونظراً لوجود الهكسوس فى الشمال فلقد حرم حكام طيبة من إمكانية

---

(١) محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص١٦٤ - ١٦٥.

استيراد الأخشاب من سورية، وكذلك الحصول على الحجر الجيرى الجيد الموجود فى محاجر طره، كما صعب عليهم استغلال مناجم الذهب فى النوبة، وانقطعت الصلات التجارية بين المصريين والنوبيين، وذلك نظراً لقيام دويلة فى بلد النوبة استقلت بشئونها عن مصر وعلى ذلك فلقد اعتمد حكام طيبة خلال هذه المرحلة على استخدام المواد المحلية الممكنة فى منطقتهم، فشيدوا مقابرهم التى بنوها على هيئة هرمية فى المنحدر الجنوبى الشرقى لذراع أبو النجا فى البر الغربى لطيبة من الطوب اللبن وكانت صغيرة الحجم، كما ظهر فرع جديد من التوابيت أطلق عليه «التوابيت الريشية»، وذلك لأن هذه التوابيت كانت على الهيئة الإنسانية، ونحتت غالباً من أخشاب الجميز، وزخرفت بطراز خاص يتمثل فى أجنحة العقاب. وقد حلت هذه الصناديق الخشبية محل التوابيت الحجرية، وكذلك مكان الصناديق الخشبية المستطيلة أو التى كانت تصنع من خشب الأرز المستورد من الساحل السورى.

واستمرت صناعة اللوحات، والفنون الصغيرة الأخرى، ولكن كان لها طابع إقليمى انحرف عن طراز الدولة الوسطى كلما تقدم به الزمن، ومن ناحية أخرى ازدهر العلم والمعرفة، فقام كتاب طيبة فى هذا العهد بنسخ العديد من الآداب العظيمة والأعمال الفنية للعهود السالفة من تاريخ مصر.[١]

وقسمت بردية تورين ملوك الأسرة السابعة عشرة إلى مجموعتين، ضمت المجموعة الأولى إحدى عشر ملكاً، وضمت المجموعة الثانية خمسة ملوك، وذلك على النحو التالى وذلك حسب احتمال توليتهم للعرش.[٢]

---

(١) عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص٤٧٢ - ٤٧٣.

(2) W.C., hayes, op. cit., P. XIV.

المجموعة الأولى
(١٦٦٠ (؟) - ١٦١٠ (؟) ق.م)

١- سخم رع - واح خعو رع حتب.	٣ سنوات
٢- سخم رع - أوب ماعت أنيوتف الخامس	أقل من عام
٣- سخم رع - حرو - حر معت أنيوتف السادس	١٦ سنة
٤- سخم رع - شدتوى سوبك أم ساف الثانى	سنة واحدة
٥- سخم رع - سمن توى جحوتى	سنة واحدة
٦- سعنخ - إن - رع منتو حتب الخامس	٦ سنوات
٧- سواج إن رع نب إيرى - إر أويت الأول	أقل من عام
٨- نفر كارع (؟) نب إيرى - إر أويت الثانى	
٩- سمن نفر رع	
١٠- سى وسر إن رع (وسر إن رع؟)	
١١- سخم رع - شدداست	١٢ سنة

المجموعة الثانية
(١٦١٠ (؟) - ١٥٦٧ ق.م)

١- نوب خبر رع - أنهوتف السابع

٢- سنخت - إن رع

٣- سقنن رع - تاعو الأول «الأكبر»

٤- سقنن رع - تاعو الثانى

٥- واح خبرى رع كامس

اولا: المجموعة الأولى من ملوك الأسرة السابعة عشرة

سنتناول فيما يلى دراسة بعض ملوك هذه المجموعة وذلك حسب المادة الأثرية والنصية المتاحة لدينا عنهم.

سخم رع - واح خعو - رع حتب:

يرجح أن يكون الملك سخم رع – واح خعو – رع حتب هو أول ملوك الأسرة السابعة عشرة، وقد ورد أسمه فى قائمة ملوك الكرنك، وفى بردية تورين، وورد أسمه مرتبطاً بقيامه بالعديد من الاصلاحات والترميمات فى معبد مين بقفط وأوزير في أبيدوس، ولقد سجل قيامه بترميم معبد مين فى قفط، ولقد ذكر الملك بعد أن قام بوصف ما حل بالمعبد من انهيار، فقد سقطت الأبواب الخاصة بوالده مين، يضيف قائلا «لم تهدم أشياء فى أيامى.... من التى كانت موجودة فيما مضى».(١)

ولقد اعتقد بعض الباحثين بوجود مقبرة هذا الملك فى طيبة الغربية، وذلك اعتماداً على ما ورد فى قصة مشهورة تعرف بـ «قصة الشبح» وترجع إلى عهد الأسرة العشرين، وهى القصة التى تتحدث عن المخاطرات الخارقة للمألوف التى قام بها الكاهن العظيم للإله «آمون» فى أثناء بحثه عن موقع القبر، إلا أن هذا الاعتقاد غير صحيح، حيث قرئ اسم الملك أولا «رع حتب»، ولقد اتضح بعد ذلك أنها كتابة خاطئة للملك نب بحت رع منتوحتب من الأسرة الحادية عشرة.(٢)

وبالإضافة إلى ذلك فقد عثر له على عدة جعارين تحمل إسمه، كما توجد له حاليا لوحة محفوظة فى المتحف البريطانى عليها طغراؤه.(٣)

سخم رع - اوب ماعت انيوتف الخامس:

حكم لمدة ثلاث سنوات، ويوجد قبره فى ذراع أبو النجا، وكان من أبوين

---

(1) H.E., Winlock, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, N.Y., 1947, P. 121 - 126.

(2) G., Lefebure, Romans et contes egyptiens de l'epoque Pharaonique. Trabuction avec introduction, notice et commentaire, Paris, 1949, 170 - 171.

(3) B.M., Stelae, IV, pl. xxiv.

ملكين، وورد فى بردية «أبوت» التى ذكر فيها محاضر التحقيق التى قام بها الوزير باسر فى عهد الفرعون رعمسيس التاسع والخاصة بالإجراءات التى تمت لفحص مقابر الملوك ما يلى:

«هرم الملك سخم رع أوب ماعت له الحياة والسعادة والصحة إبن الشمس أنتف «عا» الأكبر له الحياة والسعادة والصحة، لقد وجد أن اللصوص كانوا فى طريقهم إلى نقبه عند المكان الذى كانت مقامة فيه لوحة الهرم، وقد فحص فى هذا اليوم ووجد أنه لم يمس بسوء، إذ لم يكن فى مقدرة اللصوص أن يقتحموه».(١)

ويوجد صندوق الأحشاء الخاص به فى متحف اللوفر وكذلك تابوته الذى سجل عليه أنه كان هدية من أخيه الملك أنيوتف. ولقد خلفه على العرش أخاه سخم رع حرو حر ماعت أنيوتف السادس لمدة تقل عن العام، ولم يترك خلفه آثاراً اللهم إلا بقية من تابوت محفوظ حالياً فى متحف اللوفر.

سخم رع - شد توى سوبك ام ساف الثانى:

حكم لمدة ١٦ سنة، ولقد نهب قبره ودخله اللصوص أيام رعمسيس التاسع وقد سجل فى بردية أبوت قصة هذه السرقة والتحقيق الذى أجرى فيها وذلك على النحو الآتى:

«هرم الملك «سخم رع شد توى» له الحياة والسعادة والصحة إبن الشمس «سوبك أم ساف» له الحياة والسعادة والصحة، لقد وجد أن اللصوص قد اقتحموه وذلك بنقب يؤدى للحجرة السفلية للهرم من الحجرة الخارجية لقبر «نب آمون» مدير مخازن الغلال للملك «من خبر رع» وقد وجدت حجرة دفن الملك خاوية من سيدها وكذلك حجرة الزوجة الملكية العظيمة «بنخعس» إذ قد وضع اللصوص أيديهم عليهما. وقد قام الوزير والأشراف والمفتشون بفحصها، لمعرفة

(1) J.H., Breasted, IV, Prag. 516.

الطريقة التى بها استولى اللصوص على الملك وزوجته، وقد كان خبر هذه السرقة موضوع حديث طيبة فى تلك الليلة، غير أن اللصوص كانوا قد وضعوا فى الأغلال وحقق معهم بعصى مزدوجة، وفى اليوم التالى سيقوا إلى القبر ليحقق معهم ثانية فى محل وقوع الجريمة، وقد دون الاعتراف الذى انتزع منهم فى أثناء هذا التحقيق الأخير بعنوان «فحص هرم الملك سخم رع شد توى» وحفظ فى سجل الجبانة مع فحص الأهرام بين الوثائق الخاصة باللصوص، وهى التى كانت فى الآنية الأخرى».[1]

وشهد حكم هذا الملك أيضاً نشاطاً معمارياً فى الكرنك وأبيدوس، ولقد رأى بعض الباحثين أن هذا الملك قد تمكن من طرد الهكسوس إلى القوصية، إلا أن هذا الرأى يواجه العديد من أوجه النقد.[2]

سواج إن رع - نب إيرى أر أوبت الأول:

وصلت إلينا الألقاب الفرعونية الخمسة له، على لوحة كبيرة من عهده عثر عليه فى قاعة العمد بالكرنك، وكانت بشأن مخصصات لإثنين من كبار موظفيه، وقد أمر الملك أن تنصب هذه اللوحة بالكرنك لتصبح سجلاً دائماً، ويتصل النص بأحد موظفيه ويدعى «كبس Kebsi» وقع فى دين كبير يبلغ ٦٠ دبنا من الذهب حوالى (٥ , ٥ كيلو جرام) لأحد المواطنين المدعو سوبك نخت، ولما عجز عن الدفع وافق على نقل وظيفته التى كان يتقلدها وهى محافظ مدينة الكاب لدائنه وكذلك منتجات الإقليم.

وتشير هذه الوثيقة إلى تصرف غريب وهو بيع الوظيفة، وهو أمر فريد من نوعه فى تاريخ مصر القديم، ويشير تصريح الملك بوضع هذه اللوحة فى معبد آمون بالكرنك على أن القصر كان معترفاً بهذا التصرف.[3]

---

(1) Ibid., Prag, 528.

سليم حسن: المرجع السابق، ص١٠٧.

(٢) چان يويوت، المرجع السابق، ص١٠٢.

(٣) عبد الحميد زايد: المرجع السابق، ص٤٧٥ - ٤٧٧.

ويأتى بعده أربعة ملوك لا نعرف عنهم شيئاً سوى أسماءهم التى وردت فى بردية تورين، وبذلك تستكمل المجموعة الأولى من ملوك الأسرة السابعة عشرة فى بردية تورين.

ثانيا: المجموعة الثانية من ملوك الأسرة السابعة عشرة وحرب التحرير

مازالت بداية حرب التحرير ضد الهكسوس غامضة إلى حد ما، ومصدرنا الوحيد عنها ما كتب أيام الملك مرنبتاح وذلك فيما يعرف باسم بردية ساليه،[1] وهى تنسب بداية حرب التحرير إلى الملك سقنن رع تاعو الثانى وذلك حسب أرجح الآراء.

ولقد عثر على تابوته فى مخبأ بالدير البحرى عام ١٨٨٠م، وقد ذكرت بردية أبوت أن المفتشين الذين قاموا بفحص قبره أيام رعمسيس التاسع وجدوه سليماً، إلا أنه نهب بعد ذلك، وقد استطاع بعض الكهنة أن ينزعوا من خشبه صفائح الذهب التى كانت تغطى أجزائه، وهو من التوابيت الريشيه، كذلك نزعوا رؤوس الصقور التى تزين القلائد، والعقاب الذى كان موجوداً على الصدر، ثم حاولوا أن يخفو جريمتهم فلونوا كل ما نزعوه باللون الأصفر وكتبوا النقوش بالمداد الأسود، وامتدت أيدى الكهنة إلى ما بقى من أثاثه الجنزى.

وبالنسبة لمومياء سقنن رع، فلم يبق منها إلا الجمجمة لأنه حين وفاته لم تتم مراسم دفنه ولا تحنيطه على الوجه الأكمل، وقد فحصت جمجمته فتبين أنه مات نتيجة طعنات فى الجمجمة، حيث توجد طعنات تحت الأذن اليسرى وصلت الطعنة إلى عنقه، ثم توالت عليه الطعنات بالبلط والسيوف والعصى على وجهة فهشمته، ولم يعتن بتحنيطه فقد ترك الوجه منكمشاً ومنثنياً قليلاً عند اليسار، وقد خرج لسانه من فمه طاغطاً عليه بأسنانه من شدة الألم. وقد خرج سائل المخ على جبينه، أما الجسم فقد تلف تلفاً شديداً.[2]

(1) Daressy,, Cercuei des Cachettes Royales 51001.

(٢) عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص٤٨٣.

وتضع بردية سالييه هذا الملك ومعاصروه من ملوك الهكسوس معاً، ولو أن القصة خيالية إلا أن موضوعها ربما يعطى صورة حقيقية، ولم يبق من القصة إلا أولها وقد جاء فيها.(١)

«حدث أن أرض مصر كانت فى محنة كبرى، ولم يكن للبلاد حاكم يعد ملكاً فى هذا الوقت وكان الملك سقنن رع حاكماً على المدينة الجنوبية (طيبة)، ولكن كانت الجائحة الشنعاء فى بلد العامو (الهكسوس)، وكان الأمير أبو فيس فى أواريس وكانت كل البلاد خاضعة له، وكذلك كل حاصلاتها بأكملها، وكذلك كل طيبات تميرا (مصر).

وقد اتخذ الملك أبو فيس الإله سوتخ ربا له، ولم يجد أى أله آخر فى البلاد غير سوتخ، وقد بنى معبداً ليكون عملاً حسناً خالداً بجانب قصر «أبو فيس» وقد كان يستيقظ كل يوم ليقدم الذبائح اليومية للإله سوتخ، وكان موظفوا جلالته يحملون الأكاليل من الزهر كما كان يفعل تماماً فى معبد «رع حور أختى»، وكان الملك أبو فيس يرغب فى خلق موضوع للنقاش بينه وبين الملك سقنن رع أمير المدينة الجنوبية وأن يجره إلى حرب لم يستكمل عدته لها، ومن ثم جمع كتبته وحكماء وشاورهم فى الأمر، فأوحوا إليه بحيلة ماكرة عقبوا عليها بقولهم: «ولسوف ترى إذاً قدرة ربه الذى يحتمى به، وهو الذى لا يعتمد على إله آخر غير آمون رع ملك الأرباب». وهكذا لفق الهكسوس للملك المصرى اتهاماً سخيفاً مؤداه أن فرس النهر فى طيبة، والتى كانت على مبعدة أربعمائة ميل إلى الجنوب من مقره فى أفاريس، كان يصدر خواراً فى الليل يمنعه من النوم، وطلب منه أن «يعمل على أن يطرد فرس النهر الذى فى حوش مدينته (طيبة) لأنه يقض مضجعه نهاراً وليلاً، وأن الضوضاء تؤذى أذنه».

---

(١) سليم حسن: المرجع السابق، ص١٢٨ - ١٣٠.
محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص١٧٦ - ١٧٩.

وعندما يصل رسول أبو فيس إلى طيبة، ويقص على أميرها الهدف من حضوره تعقد الدهشة لسان أمير طيبة، حتى أنه ليسأل فى النهاية:

«هل سمع سيدك حقيقة وهو فى تلك البلاد النائية عن بركة أفراس النهر الواقعة شرق مدينة الجنوب؟ ويجيبه الرسول: فكر فيما بعثنى من أجله مولاى».

وعلى ذلك فإنه يبدو واضحاً أن غرض أبو فيس من هذه الرسالة التى أرسلها إلى سقنن رع، أن يحذره من الروح الوطنية التى بدأت تستشرى فى طيبة ضد وجود الهكسوس فى مصر، ومع ذلك فقد تظاهر سقنن رع بالاقتناع وأمر بإكرام الرسل القادمين من أبو فيس، وأن تقدم لهم الأشياء الطيبة، وأبلغ الرسل أن يبلغوا سيدهم باستجابته لمطالبهم.

وما كاد الرسل يعودون إلى أفاريس، إلا ويستدعى «سقنن رع» مستشاريه ويحيطهم علماً بالأمر، ويطلب منهم النصح والمشورة، إلا أنهم سكتوا جميعاً والنص ينقطع عند هذه النقطة.

ولقد كان لاختلاف المذهب الدينى بين الطيبيين والهكسوس أثره فى نشوب الحرب بينهما، فقد جعل أبو فيس ملك الهكسوس من سوتخ إلهه الرئيسى ودعا الملك المصرى إلى عبادته والانصراف عن أمون، بينما يحرص سقنن رع على أن يكون آمون رب الأرباب جميعاً، ولم يكتف، الطيبيون بذلك بل بدأوا فى إحياء طقوس فرس النهر فى بركتها أو قناتها، وكفلت تلك الشعيرة بين أشياء أخرى سلامة الملكية المصرية، وكان ذلك الأمر ضاراً بالهكسوس، نظراً لكون فرس النهر صورة لإلههم الرئيسى سوتخ.

كانت تلك بعض أسباب اندلاع الحرب بين الطرفين، وكان النصر فيها حليف الملك المصرى سقنن رع، حيث تمكن من طرد الهكسوس ودفع بهم إلى

الشمال حتى القوصية[1]، ولقد دفع سقنن رع حياته ثمناً لهذا النصر حيث مات متأثراً بجراحه فى ساحة الوغى، ويستدل أنه قد مات وهو ما يزال بعد فى شرخ الشباب لم يتجاوز الثلاثين من عمره.[2]

واح خبر رع كامس ودوره فى حرب التحرير

بعد استشهاد سقنن رع حمل لواء التحرير بعده ابنه كامس، وحفظت لنا أخبار حروبه على لوح الكرنك الذى كشف عنه عام ١٩٥٤، وكذلك على لوح كارنافون الذى كشف عنه عام ١٩٠٨م وكان مكتوباً بالخط الهيراطيقى وهو يروى المراحل الأولى من الصراع.[3]

وجاء فى بداية لوح كارنافون: «فى العام الثالث للملك القوى فى طيبة، كامس، الذى عينه رع ملكاً حقيقياً ومنحة القوة فى رضا تام، تحدث جلالته فى قصره إلى مجمع الكبراء الذين فى حاشيته قائلا: أريد أن أعرف ما معنى قوتى هذه حين يكون هناك رئيس فى أفاريس وأخر فى كوش، وأنا أجلس مرتبطاً بأسيوى ونوبى، وكل منهما يتملك شريحته فى مصر هذه، وأنا لا أستطيع أن أتجاوز منه»، ويستمر النص حيث يشير إلى ضيق كامس بنفوذ الهكسوس فى مصر ومكايدهم المستمرة التى أخذت تهدد ملكه فى ناحية الشمال، كما أخذ يندد بقبائل الكوشيين التى أخذت تهدد حدوده ناحية الجنوب.

وهنا يعقد الملك اجتماعاً فى قصره، وطلب من حاشيته الرأى والمشورة، إلا أن حاشيته لم يظهروا تحمساً لفكرة الحرب، إلا أن كامس كان مصمماً على الاستمرار فى الحرب، هنا يشير النص إلى ذلك على لسان كامس:

---

(1) W.C., Hayes, Egypt from the death of Ammenmes III to Seqenenra II, P.32.
(2) G., Eliot Smith, The Royal Mummies, Cairo, 1912, pp. 1-4.
(3) JEA, 5, (1918), PP. 36 - 56.

«أبحرت شمالا فى عزم وقوة لأغلب الأسيويين بأمر آمون أعدل الناصحين وكان جيشى القوى أمامى كلفحة اللهب» ووصل كامس فى زحفه شمالا من الأشمونين ويتمكن من طرد الهكسوس من مصر الوسطى، وبذلك أصبحت مصر العليا والوسطى تحت سلطة كامس، وعلى ذلك فقد أرتد الهكسوس إلى الشمال حيث تحصنوا بعاصمتهم أفاريس.

وتكمل لوحة الكرنك مراحل كفاح كامس ضد الهكسوس وحصاره لهم فى عاصمتهم، ويشير النص إلى وصول الأسطول المصرى إلى مقاطعة أفاريس، ويقوم بقطع سبل الإمدادات التى كانت تصل إلى الهكسوس عن طريق فروع النيل.

ويشير النص إلى محاولة ملك الهكسوس تأليب أمير كوش ضد كامس حتى يضعه بين فكى الكماشة، ولكن كاموس تمكن من القبض على رسولا أبو فيس المتجه عبر الواحات إلى الجنوب وبذلك فشلت خطة الهكسوس للتضيق على البطل المصرى.

وتتحدث اللوحة فى نهايتها عن عودة كاموس منتصراً إلى عاصمته، فكان يوم عودته يوماً مشهوداً وجاء وصفه على النحو الآتى:

«طابت رحلة الأمير، وجنوده، أمامه لم ينقصوا، ولم يتآمر أحدهم ضد رفيقه، ولم تشتك قلوب (المدنيين) منهم.. وأصبح إقليم طيبة فى عيد، وهرع النسوة والرجال، يتطلعون إليه، وأسرعت كل زوجة إلى زوجها تعانقه، وخلت العيون من آثار الدموع».[1]

هذا ويختلف المؤرخون فى نتائج حروب كامس، فهناك من يرى أنها قد دفعت الحدود بين الهكسوس وبين أمراء طيبة إلى الشمال، حتى أطفيح عند

(1) L., Habachi, Preliminary report on Kamose stela, in ASAE, 53 (1955), P. 202.

مدخل الفيوم، بينما يرى أخرون أنه قد وصل إلى جدران أفاريس نفسها. ومع ذلك فأنه مما لاشك فيه أنه قد تمكن من تحرير مصر الوسطى نهائيا من الهكسوس، وأن حملاته فى الدلتا قد أجهضت نفوذ الهكسوس فيها وأضعفت من جيوشهم، مما ساعد على وصول القوات المصرية إلى عاصمة الهكسوس أفاريس.

ومات كامس بعد حكم قصير، حيث وضع جسده فى تابوت بسيط للغاية من الطراز الريشى، وأشرف على دفنه أخوه أحمس، وقد يشير ذلك إلى أنه قد مات فجأة، ومن ثم فلم يمكن تجهيز الأثاث الجنائزى اللائق به وبمكانته لأن مصر كانت لا تزال فى حربها الشرسة ضد الهكسوس.

احمس وتطهير مصر من الهكسوس

اتبع أحمس سياسة جديدة فى حربه ضد الهكسوس، فاتبع سياسة التعبئة العامة وتجنيد كل الرجال، ثم صبغ حكمه بالصبغة العسكرية، وساعده على ذلك أن المصريين كانوا قد تذوقوا طعم الحروب ولمسوا قيمة النضال واستفادوا من حروب سلفيه فتمرسوا على استعمال كل الأسلحة الجديدة التى جلبها الهكسوس معهم إلى مصر وتعلموا طرق الكفاح والنضال.

وعاصرت أحمس ثورة اجتماعية تهدف إلى تمجيد الجندية، فلقد عرف المصريون فى ذلك الوقت أن الحروب تعود على المنتصر بالغنائم الكثيرة، وأن فى ميادينها متسعاً لأعمال البطولة، وأن الحاكم كان يعترف بها، ويكافئ عليها، مهما كانت الطبقة التى ينتمى إليها البطل، فسارع أفراد الطبقة الوسطى إلى الالتحاق بالخدمة العسكرية، نظراً لأن الجندية ترفع من مركزهم الأدبى بترقيتهم فى الجيش وهكذا اندفع الشعب المصرى فى حماسة تفوق الوصف فى التيار العسكرى، حتى أثرياء القوم بل أمراء الدولة أنفسهم تسابقوا إلى الانخراط فى الجندية بهدف الحصول على الأوسمة والألقاب، واشعل أحمس هذه الروح الجديدة،

فتجمعت حوله أفواج الشعب على هدف واحد هو تطهير مصر تطهيراً كاملاً من كل أجنبى.[1]

والتقرير الوحيد المعاصر عن طرد الهكسوس منقوش على جدران مقبرة أحد قواد أحمس وهو «أحمس بن أبانا» وهى موجودة فى الكاب، ولقد أشار إلى هزيمة الهكسوس النهائية بقوله:

«لقد نهبوا أفاريس، لقد أحضرت غنيمة من هناك، رجل وثلاث نساء، المجموع أربعة رؤوس، لقد منحنى أياهم جلالته لأتخذهم عبيداً».

وبعد أن تم طردهم من مصر، تحصن الهكسوس فى شاروهين - وهو موقع فى جنوب غرب فلسطين، فأسرع أحمس إلى محاصرتهم فيها فترة من الزمن تقرب ما بين الثلاث إلى الخمس سنوات نجح بعدها أحمس فى إجلائهم عن الحصن.

ولقد سجل أحمس بن نخب على جدران مقبرته بالكاب أنه تابع أحمس فى حربه ضد الهكسوس حتى زاهى - وهو اصطلاح جغرافى يستعمل فى الدولة الحديثة ليشير إلى سورية وفلسطين - وقد يشير ذلك إلى أن الملك أحمس أخذ فى مطاردة الهكسوس بعد شاروهين حتى لبنان، ويعنى ذلك إجلاؤهم عن المناطق التى سكنوها، أو لجأوا إليها، وسكنها أقوام ينتمون إلى جنسهم، وأنه لم يطهر مصر منهم فقط، بل طهر كذلك فلسطين وسورية حتى يغدو بمأمن من غدرهم ومعاودتهم العدوان.[2]

وبعد أن انتهى أحمس من حروبه ضد الهكسوس وأمن الحدود الشرقية لمصر، فإنه اتجه نحو الجنوب لاستعادة سيادة مصر فى النوبة، وتسجل نقوش «أحمس بن أبانا» ثلاث حملات إلى النوبة فى عهد أحمس الأول، استطاع

---

(١) عبد المنعم أبو بكر، كفاحنا ضد الغزاة، العصر الفرعوني، القاهرة ١٩٥٧، ص٣٣.

(٢) لجيب ميخائيل، المرجع السابق، ص٩.

الفرعون أن يحقق نجاحاً كبيراً فى حملته الأولى واسترجع المناطق التى حكمتها مصر فى عصر الدولة الوسطى.

هذا وقد وضع المؤرخ المصرى «مانيتو» الملك أحمس على رأس أسرة جديدة هى الأسرة الثامنة عشرة، واعتبره المصريون القدامى على رأس الدولة الحديثة، كما كان تمثاله يتصدر التماثيل فى عصر الرعامسة بحجة أنه مؤسس الدولة الحديثة ولأن مصر في عهده بدأت مرحلة جديدة فى تاريخها، ولأنه كان أول من أرسى قواعد الامبراطورية ووضع الأسس الجديدة للحياة المصرية، وباختصار فلقد كان أحمس نهاية جيل قديم وبداية جيل جديد، وبمعنى أخر خاتمة للأسرة السابعة عشرة، ورأساً للأسرة الثامنة عشرة، فى الوقت نفسه، فكانت بداية عهده خاتمة العصر المتوسط الثانى، كما كانت لحظة استيلائه على أفاريس وطرد الهكسوس من مصر بداية عصور الدولة الحديثة.

قائمة الاختصارات

- ANET = J. B. Pritchard, Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, 1969.
- ASAE = Annales du Service des Antiquites de L' Egypte, Cairo.
- BAR = J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, 5 vols, Chicago (1906 - 1907).
- BES = Bulletin of the Egyptological Seminar, The Brooklyn Museum (New York).
- BMB = Bulletin du Musée de Beyrouth (Paris).
- BSNESJ = Bulletin of the Society for Near Eastern Studies in Japan.
- CAH = Cambridge Ancient History (Cambridge).
- DE = Discussions in Egyptology.
- DG = H. Gauthier, Dictionnaire des noms geographiques (6 vols).
- Expedition = The University Museum Magazine of Archaeology / Anthropology, University of Pennsylvania, USA.
- GM = Gottinger Miszellen.
- IEJ = Israel Exploration Journal. Isreal Explor. Soc. (Jerusalem).
- JARCE = Journal of the American Research Center in Egypt (Boston).
- JEA = Journal of Egyptian Archaeology (Londres).

- JESHO = Journal of the Economic Social History of the Orient (Leiden).
- JHS = Journal of Hellenic Studies (Londres).
- JSSEA = Journal of the Society of the Studies of Egyptian Antiquities (Toronto).
- Kemi = Kemi. Rev. de phil. et d' archéol. egypte et coptes (Paris).
- KMT = A Modern Journal of Ancient Egypt (San Francisco).
- LA = Lexikon der Agyptologie (Wiesbaden).
- Levant = Journal of The British School of Archaeology. in Jerusalem and the British Inst. at Amman for Archaeol. and Hist. (Londres).
- MAS = Materiaux arabes et sudarabiques, Rech. en cours. Groupe d' etud. de linguist et de litt. ar et sudar (Paris).
- Mel. Dussaud = Melanges Surgiens offerts a M.R. Dussaud (Paris).
- MIFAO = Memoires publies par les membres de L' Institut francais d' archeologie Orientale (Le Caire).
- PM = B Porter and R. Moss. Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings (Oxford).
- SAK = Studien zur altägyptischen Kultur (Hambourg).
- URK = Urkunden des ägyptischen Altertums (Leipzig).
- VA = Varia aegyptiaca (San Antonio).
- Wb = Wörterbuch der agyptischen Sprache (Leipzig).

المراجع

أولا: المراجع العربية

(١) أبو العيون بركات: «بونت بين المصادر المصرية واليمنية القديمة» مجلة اليمن الجديد، السنة الخامسة، ١٩٨٦.

(٢) أحمد أمين سليم: دراسة تاريخية للحضارة المصرية القديمة أثناء عصر الاسرتين الأولى والثانية (رسالة ماسجتير غير منشورة) الاسكندرية، ١٩٧٧.

(٣) أحمد أمين سليم: دراسة تاريخية لنشأة الأسرة الثالثة وتطورها السياسي والحضاري (رسالة دكتوراه غير منشورة) الاسكندرية، ١٩٨١.

(٤) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مصر، العراق، ايران، بيروت ١٩٨٩.

(٥) أحمد بدوي: في موكب الشمس، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٥٥م.

(٦) أحمد فخري: الأهرامات المصرية، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٣٤ - ١٣٥، شكل ٥٤.

(٧) أحمد فخري: مصر الفرعونية، القاهرة، ١٩٧١.

(٨) أحمد فخري: واحات مصر - المجلد الأول - واحة سيوة، ترجمة جاب الله علي جاب الله، مراجعة جمال الدين مختار، ١٩٩٢.

(٩) رشيد الناضوري: «أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان»، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، العدد ٢٢، ١٩٦٨.

(١٠) رشيد سالم الناضوري: المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت، ١٩٧٧.

(١١) رمضان عبده السيد: تاريخ مصر القديمة، الجزء الأول، منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الانتقال الثاني، القاهرة ١٩٨٨.

(١٢) رمضان عبده السيد: «بونت وتانتر واثر منتجاتهما في الحياة اليومية في مصر

القديمة منذ اقدم العصور حتى العصر البلطمى الرومانى (دراسة وثائقية) »، مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب - جامعة المنيا، العدد الثانى، يوليو، ١٩٩٩.

(١٣) سليم حسن: مصر القديمة. الاجزاء الأول والثانى والثالث والرابع.

(١٤) سمير يحى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى، القاهرة، ١٩٩٤.

(١٥) سوزان عباس عبد اللطيف: دراسة تاريخية للعلاقات بين مصر واليونان منذ منتصف الألف الثانى قبل الميلاد وحتى منتصف الالف الأول قبل الميلاد (رسالة دكتوراه غير منشورة) الاسكندرية ١٩٨٧.

(١٦) عبد الحليم نور الدين: تاريخ وحضارة مصر القديمة، القاهرة، ١٩٩٧.

(١٧) عبد الحميد زايد: مصر الخالدة، القاهرة، ١٩٦٦.

(١٨) عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، فى الإتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالث ق.م، القاهرة، ١٩٨٠.

(١٩) عبد اللطيف محمود البرغوتى: التاريخ الليبى القديم منذ أقدم العصور وحتى الفتح الاسلامى، بيروت، ١٩٧١.

(٢٠) عبد المنعم عبد الحليم سيد: دراسة لعلاقات مصر القديمة ببلاد بونت ونشاطها فى البحر الأحمر، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، ١٩٦٨.

(٢١) عصام محمد السعيد: نصوص التدمير والهلاك لأعداء مصر، دراسة لغوية أثرية تاريخية (رسالة دكتوراه) الاسكندرية، ١٩٩٣.

(٢٢) على القيم: امبراطورية إبلا، دمشق، ١٩٨٩.

(٢٣) محمد ابراهيم بكر: تاريخ السودان القديم، ١٩٨٣.

(٢٤) محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم منذ أقدم العصور إلى مجئ الاسكندر، بيروت، ١٩٨١.

(٢٥) محمد أنور شكرى: العمارة فى مصر القديمة، القاهرة، ١٩٧٠.

(٢٦) محمد بيومى مهران: الثورة الاجتماعية الأولى، (رسالة ماجستير) الاسكندرية، ١٩٦٦.

(٢٧) محمد بيومى مهران: حركات التحرير فى مصر القديمة، الاسكندرية، ١٩٧٦.

(٢٨) محمد بيومى مهران: مصر والشرق الأدنى القديم، مصر، جـ٢، الطبعة الرابعة، الاسكندرية، ١٩٨٨.

(٢٩) محمد بيومى مهران: تاريخ السودان القديم، الاسكندرية، ١٩٩٤.

(٣٠) نبيلة محمد عبد الحليم: «نشأة وتطور العلاقات السياسية بين مصر وليبيا أثناء العصر الفرعونى»، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، العدد ١٩٨٤/٣١.

(٣١) نبيلة محمد عبد الحليم: «نشأة وتطور العلاقات السياسية المصرية النوبية خلال العصر التاريخى»، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، العدد ١٩٨٤/٣١.

(٣٢) نجيب ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الادنى القديم، جـ١، الاسكندرية، ١٩٦٥.

(٣٣) وهيب كامل: ديودور فى مصر، القاهرة، ١٩٤٧.

(٣٤) يوسف محمد عبد الله: «طريق اللبان التجارى»، مجلة اليمن الجديد، السنة الخامسة عشر، ١٩٨٦.

ثانيا: المراجع المترجمة إلى العربية

(١) ادولف ارمان وهرمان رانكه: مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة، ١٩٥٣.

(٢) جان يويوت: مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، القاهرة، ١٩٦٦.

(٣) كلير لالويت: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، المجلد الأول، ترجمة ماهر جويجاتى ومراجعة طاهر عبد الحليم، القاهرة، ١٩٩٦.

(٤) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتى، مراجعة زكية طبوزادة، القاهرة، ١٩٩٣.

(٥) والتر . ن. ايمرى: مصر فى العصر العتيق (الاسرتين الأولى والثانية) ترجمة: راشد محمد نوير، ومراجعة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٧.

(٦) وولر. ن. إمري: مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفه حندوسة، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٧٠.

(٧) ول ديوارنت: قصة الحضارة، الجزء الأول، ترجمة محمد بدران، القاهرة، ١٩٦١.

ثالثا: المراجع الاجنبية

(1) Abu-Baker, Abdel- Moneim, Excavations at Giza, 1949-1950, Cairo, 1953.

(2) S. Adam, "Recent Discoveries in the Eastern Delta", In An. ASAE., 55 (1958), pp. 301 - 324.

(3) T.G. Allen, "AMiddle kingdom Egyptian contact with Asia Minor" In A.J.S.L., 43 (1927).

(4) A. J. Arkell, "Varia Sudanica" in: JEA, vol. 36 (1950).

(5) D. Baramki, Phoenicians, Beriut, 1961.

(6) W. Barta, Die alt ägyptische Opferliste, MÄS, 3, 1963.

(7) A. Ben - Tor, "The Trade Relations of Palestine in the Early Bronze Age" JESHO, vol., XXIX, part 1, February, 1986.

(8) A.M. Blackman, Middle Egytian Stories, part, I, Brussels, 1932.

(9) A.M. Blackman, Some Notes on the story of Sinuhe and other Egyptian Texs" In J.E.A., vol. 22 (1936).

(10) L. Borchardt, Das Grabdenkmal des Konigs Sahu-Re^{c}, I, Leipzing, 1910.

(11) B.V. Bothmer, "A bust of Ny-user-ra From Byblos in Beirut, Lebanon", Kemi, 21 (1971).

(12) J.H. Breated, A History of Egypt from the earlist Times to the Persian Conquest, London, 1906.

(13) J.H. Breasted, Ancient Records of Egypt, 5 vols. Chicago, 1946-1948.

(14) A. De Buck, "The Instruction of Amenemmes", In Mel. Maspero. 1, (Mem. Inst. Caire, 66).

(15) D.O. Connor "The Locations of Yam and Kush and their historical implications" in: JAECE, vol. XXIII (1986).

(16) W. Davis, Masking the Blow, Oxofrod, 1992.

(17) Drioton, E., and Vandier, J., L'Egypte, Paris, 1952.

(18) M.S. Drower, "Syria Before 2200 B.C.", in: CAH, vol. 1, Part II, Cambridge, 1971.

(19) M. Dunand, Egypt, Canaan, and Esriael, Biurut, 1993.

(20) I.E.S. Edwards, "The Early Dynastic Period in Egypt" in: CAH, vol. I, Part2, Cambridge, 1971.

(21) I.E.S. Edwards, The Pyramids of Egypt, Harmondsworthy 1961.

(22) W.B. Emery, Archaic Egypt, Edinburgh, 1963.

(23) R. Engelbach, "The quarries of the Western Nubia desert and the Ancient Road to Tushka" in: ASAE., 38 (1938).

(24) A. Evans, The Palace of Minoas at Knossos, I, London, 1964.

(25) A. Fakhry, Bahria Oasis, I, Cairo, 1942.

(26) A. Fakhry. The Bent Pyramid of Dahshur, Cairo, 1954.

(27) R.O. Faulkner, "Egyptian Military organization" In J.E.A., vol. 39 (1953).

(28)R.O. Faulkner; The Ancient Egyptian Pyramid Texts, Oxford, 1969.

(29) R.O. Faulkner, Aconcise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford, 1976.

(30) H. Frankfort, and Other., Before Philosphy, Harmondsworth, 1949.

(31) H. Frankfort, "Egypt and Syria in the First Intermediate Period", JEA, vol. XIV (1922).

(32) A.H. Gardiner, "The Accession Day of Sesostris I, In J.E.A., 32 (1946).

(33) A.H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, 3 vol, Oxford, 1947.

(34) A.H. Gardiner and T.E. Peet., and The Inscriptions of Sinai, vol. I, London, 1955, vol., II, London, 1956.

(35) A. Gardiner., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961.

(36) R. Gernmar, "Myrth", LA IV, 1982.

(37) R. Gophna, Egyptain Trading Posts in Southern Canaan at the dawn of the Archaic Period, Edited by F. Rainey, Tel Aviv University, 1987.

(38) B. Gratien, "La Bass nubia a l'ancien impire: egyptiens et autochtones" JEA, vol. 81, 1995.

(39) J.C. Griffith, From Egypt to Greece via Crete A study in the history of Religion Supplies, No. 52. Leiden, 1991.

(40) R. Gundlah, Die Zwangsumsiedlung auswartiger Bevolkerung als mittel agyptischer Politik bis zum Ende des Mittleren Reiches, Stuttgart, 1994.

(41) E.S. Hall, "The Pharaoh smites his enemies, a comparative study", MAS, 1986.

(42) H.R. Hall, The Ancient History of the Near East, London, 1936.

(43) S. Hassan, Excavations at Giza, VI, Part 2, Cairo, 1948.

(44) W.C. Hayes, "Notes on the Government of Egypt in the Late Middle kingdom" In J.N.E.S., vol, 12 (1953).

(45) F. Heintez, Alte Kultur in Sudan, Maunchen, 1960.

(46) W. Helck, Die Beziehungen Agyptens und Vorderasiens Zur Agais bis Zum ins 7. Jahrhundert V.chr., Darmstadt, 1979.

(47) J.B. Hennessy, The Foreign Relations of Palestine during the Early Bronze Age, London, 1967.

(48) G. Herm, The Phoenicians, The Purple Empire of the Ancient World, Translated by, C. Hillier, London, 1975.

(49) W. Holscher, Libyer und Agypten, Hamburg, 1937.

(50) H.J. Kantor; The Aegean and the Orient in the Second Millennium B. C., Indiana, 1947.

(51) B.J. kemp, and others, Ancient Egypt, a Social History, Camberidge, 1994.

(52) A. Kempinski, "Early Bronze Age Urbanization of Palestine: Some Topics in a Delbate", in: IEJ, 33 (1983).

(53) K.A. Kitchen "Punt" LÄ IV, 1982, p. 1198.

(54) A.P. Largacha, The Liybia Pallette, VA, V, no 4, 1989.

(55) J. Leclant, "La Familie libyenne au temple haut de pepi Ier" in: MIFAO, 104, (cairo, 1980).

(56) M. Lichtheim, Ancient Egyptian literature, vol., 1, London, 1975.

(57) A. Lucas, "The wood of Third Dynasty plywood coffin from Saqqara", ASAE, 1936.

(58) A, Lucas, Ancient Egyptian Materials and Industries, London, 1962.

(59) A.C. Mace, "Excavations at Lisht" In Bull. M.M.A., 17 (1922), december part 2.3 - 18.

(60) P. Matthiae, Ebla, an Empire Rediscoverd, Translated by C. Holme, London, 1980.

(61) A. Mazar, Archaeology of the Land of Bible, 10,000 - 586 B.C.E., N.Y., 1992.

(62) G. Meurer, Nubier in Ägypten bis zum Beginn des Neuen Reiches, AR 13, Dürring, 1996.

(63) P. Montete, "Le Roi Sahure et la prncesse Liontaine" in Mel. Dussaud, Tome 1, Paris, 1939.

(64) P. Montet, Eternal Egypt, Translated from the French by D. Weightman. N.Y. 1964.

(65) A.H. Müller, "Das Ölmagazin im Grab des Hesire in Saqqara", in: SAK, 4, 1976.

(66) M.A. Murray, Index of Names and Titles of the old kingdom, London, 1908.

(67) H. Nelson, Fragment of Egyptian Old Kingdom Stone Vases from Byblos, I, Beuriets, 1934.

(68) P.E. Newberry, and G.A. Wainwright, "King Udy-mu (Den) and the Palermo Stone" in: Ancient Egypt, 1, 1914.

(69) P.E. Newberry., "To- Tehenu - Olive Land" in: Ancient Egypt, 1915.

(70) P.E. Newberry, "Three Old Kingdom Travellers to Bybols and Pwent", JEA, 24 (1938).

(71) A. Nibbi, "A Geographical Note on the Libyans so- Called" in: De 15, 1993.

(72) D. O'conner, Ancient Nubia, U.S.A. 1993.

(73) J.R. Ogdon "Studies in Archaic Epigraphy III", in GM, 60, 1982, pp. 81-84.

(74) R.A. Parker, The Calendar of Ancient Egypt, Chicago, 1950.

(75) W.M.F. Petrie, Deshasheh (E.E.F 15th Memoir), London, 1894.

(76) P.B. Philip, "The Stone vessels of pseria," Expedition. 32, no. 3, 1990.

(77) W.M.F. Petrie, The Royal Tombs of the First Dynasty, London, 1900.

(78) W.M.F. Petrie, The Royal Tombs of the Earliest Dynasties, Part II, London, 1901.

(79) W.M.F. Petrie, The Making of Egypt, London, 1939.

(80) G. Posener, Litterature et Politique dans l' Egypt de la XII Dynastie, Paris, 1956.

(81) G. Posener, "Les Asiatiques en Egypte Sous les XII et XIIIe Dynasties" In Syria, 34 (1957).

(82) K. Prag, :Byblos and Egypt in the Fourth Millenium B.C., Levant, XVIII (1986).

(83) J.B. Pritchard, (ed), Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, Princeton, 1974.

(84) J.E., Quibell, Hierakonpolis, part I, London, 1900.

(85) J.E. Quibell, and F.W. Green, Hierakonpolis, part, II, London, 1902, 7-8. pl. LVIII.

(86) J.E. Quibell, The Tomb of Hesy, Cairo, 1913.

(87) D.B. Redford "Egypt and western Asia in the Old Kingdom" in JARCE, vol XXIII, 1986.

(88) D.B. Redford, Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times, Princeton, 1992.

(89) G.A. Reisner, Excavations at Kerma, (Harvard African Studies), vol. V., vol. VI, Cambridge, 1923.

(90) G.A Reisner. "Ancient Egyptian Forts at Semna and Uronarti" In Bull. M.F.A., 27 (1929).

(91) G.A., Reisner. The Development of the Egyptian Tombs, Cambridge, 1936.

(92) M. Roaf, Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Neart East, Oxford, 1990.

(93) M. Saghieh, Byblos in the Third Millennium B.. C., Warminster, England, 1983.

(94) A.R. Schulman. "Beyoned the Fringe Sources for Old Kingdom foreign affair" JSSEA, IX, No. 2, 1979.

(95) A. R., Schulman, "Narmer and the Unification: Arevisioist View" in: BES, Vol., 2, (1991-1992).

(96) I. Shaw, ans P. Nicholson, British Museum Dictionary of Ancient Egypt, British Museum Press, 1995.

(97) W. K., Simpson, "A Hatnub Stela of the arly Twelfth Dynasty" in Mitt. Deatch. Inst. Cairo, 16 (1958).

(98) H.S., Smith, "The Rock inscripitions of Buhen" in: JEA. 1972.

(99) H.S. Smith, and L.L. Giddy, "Nubia and Dakhla Oasis in the late third Millennium B.C", The present balance of Lextual and archaeological Evidence", in Melanges Vercoutter, Paris, 1985.

(100) W.S. Smith, Interconnection in the Ancient Near East, London, 1965.

(101) W.S. Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt, Revised with additions by W.K. Simpson, Penguin Books, 1981.

(102) W.S Smith, "The Old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period", in CAH., vol, 1, part II, Cambridge, 1971.

(103) S.T. Smith, Askut in Nubia. The Economics and Ideology of Egyptian Imperialism in the Second Millennium B.C., London and New York, 1995.

(104) S. Smith, "A model for Egyptian Imperialism in Nubia" in: GM, 122, 1991.

(105) T.S. Soderberg, Ägypten und Nubien, Lund, 1941.

(106) R. Stadelmann, Syrisch-Pälastinensische Gottheiten in Ägypten, Leiden, 1967.

(107) S. Taufik, Die Alabaster Palätten für die Sieben Salbole in Alten Reich, GM, 30, 1978.

(108) J.H. Taylor, Egypt and Nubia, BM Press, 1991.

(109) B. G. Trigger, Nubia under the pharaohs, London, 1976.

(110) B.G. Trigger, Ealy Civilizations, Ancient Egypt in Context, Cairo, 1993.

(111) R. de. Vaux, "Palestine in the Early Bronze Age", in CAH, vol., I, part 2, Cambridge, 1971.

(112) J. Vercoutter, "L'Egypte et la Monde Ageen Prehellenique, Cairo, 1956.

(113) J. Vercoutter, "Upper Egyptian Settlers in Middle Kingdom Nubia", In Kush, 5 (1957).

(114) A.W. Ward, "Egypt and East Mediterranan from Predynastic Time to the End of the Old Kingdom", JESHO, 6, 1963.

(115) W. Ward, "The inscribed Offering- Table of Nefer-Seshem - Ra from Byblos". BMB, 17, (1964).

(116) A.W. Ward. Egypt and East Mediterranen World 2200-1900 B.C., Beirut. 1971.

(117) P. Warren, "Minoan Crete and Pharaonic Egypt" in: W.V. Davies and L. Schofield (ed.), Egypt, The Aegean and the Le vant, British Museum Press, 1995.

(118) R., Weill, "Notes sur les Monuments de la periode thinite" in Rec. Trav., 29 (1907).

(119) J.A. Wilson, "The Egyptian Middle Kingdom at Megiddo", In A.J.S.L.. 58 (1941).

(120) J. A. Wilson, "Buto and Hierakonpolis in the Geography of Egypt", In J.N.E.S., Vol. 14 (1955).

(121) J.A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963.

(122) J.A. Wilson, "Asiatic Campaigns under Pepi I", in: ANET, 1969.

(123) B. Winkehman, Buhen, KMT, 6 No. 2, 1995.

(124) H.A., Winkler, Rock - Drawings of Southern Upper Egypt, 2 Vols. London, 1936 - 1939.

(125) M. Wright, "Contacts between Egypt and Syro- Palestine during the Protodynastic Period", in: Biblical Archaeologist, December, 1985.

(126) M. Wright, "Contacts between Egypt and Syro- Palestine during the Old Kingdom", in Biblical Archaeologist, Septeber, 1988.

(127) J. Yoyotte, "Egypte Ancienne", In Historie Universelle, I, Des Origines L' Islam (Encyclopedie de la Pleiade) Paris, 1965.

(128) P. Zacorva, "The Stone Vase Deposite at Kerma" Egypt and Africa", 1990.

قائمة الأشكال واللوحات

رقم الشكل	الموضـــــوع	الصفحة
٢٠-	منظر للملك «چر» وهو يضرب أسير ليبى	١٣٣
٢١-	بطاقة عاجية للملك «دن» سجل عليها زيت التحنو.	١٣٤
٢٢-	نقش للملك «خع سخم»	١٣٥
٢٣-	أوانى فخارية ايجية عثر عليها فى أبيدوس.	١٣٩
٢٤-	أوانى فخارية ايجية عثر عليها فى سقارة	١٣٩
٢٥-	هرم الملك «نثررخت» المدرج فى سقارة	١٦٥
٢٦-	المجموعة الهرمية للملك «نثررخت» فى سقارة	١٦٧
٢٧-	هرم الملك «حونى» فى ميدوم	١٧١
٢٨-	منطقة أهرام دهشور	١٩٨
٢٩-	هرم الملك «خوفو»	٢٠١
٣٠-	هرم الملك «خفرع»	٢٠٣
٣١-	هرم الملك «منكاورع»	٢٠٤
٣٢-	مصطبة الملك «شبسسكاف»	٢٠٥
٣٣-	معبد «نى وسررع» الجنزى	٢١٧
٣٤-	أنية من الألبستر عثر عليها فى معبد عاى	٢٢٩
٣٥-	إناء حجرى عثر عليه فى معبد عاى	٢٣٠
٣٦-	أوانى فخارية عثر عليها فى معبد عاى	٢٣١
٣٧-	أنية حجرية من ميدوم وما يقابلها فى فلسطين	٢٣٢
٣٨-	أنية فخارية عثر عليه فى مقبرة الملكة «حتب حرس»	٢٣٣
٣٩-	منظر محاصرة مدينة نديا فى فلسطين	٢٣٧
٤٠-	أخشـاب الارز داخل الحـجـرة العلوية فى هرم «سنفـرو» الجنوبى	٢٤٣

رقم الشكل	الموضـــــوع	الصفحة
٤١-	ختم اسطوانى لأحد حكام جبيل مكتوب بالخط الهيروغليفى	٢٤٦
٤٢-	إحدى سفن أسطول «ساحورع» العائدة من جبيل	٢٤٨
٤٣-	منظر للأوانى السورية على جدران معبد «ساحورع»	٢٥٠
٤٤-	نقش آنية من الألبستر للملك «ببى الأول» عثر عليها فى جبيل	٢٥٢
٤٥-	أطلال مستوطنة بوهن	٢٦٢
٤٦-	أوانى من الألبستر عثر عليها فى كرما من عهد الملوك «ببى الأول» و«ببى الثانى»	٢٧٠
٤٧-	نقوش من معبد ساحورع الجنزى	٢٨١
٤٨-	نقش للملك «ببى الثانى» من سقارة	٢٨٣
٤٩-	منظر لأسير من أهل بونت من عهد الملك «ساحورع»	٢٩٠
٥٠-	كأس صغير عليها اسم معبد الشمس الخاص بالملك أوسركاف	٢٩٣
٥١-	رسم تخيلى للمعبد الهرمى للملك «نب حبت رع - منتوحتب»	٣٥٠
٥٢-	تمثال من الجرانيت الأحمر للملك «امنمحات الأول»	٣٥٩
٥٣-	جوسق «سنوسرت الأول» فى الكرنك	٣٦١

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع